

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

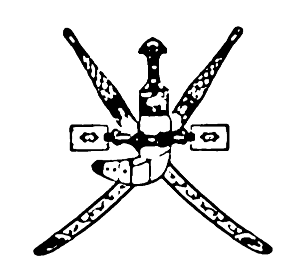
هميان الزاد إلى دار المعاد

العالم الحجة
محمد بن يوسف الوهبي الاباضي المصعبي

الجزء الثاني عشر (١)

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

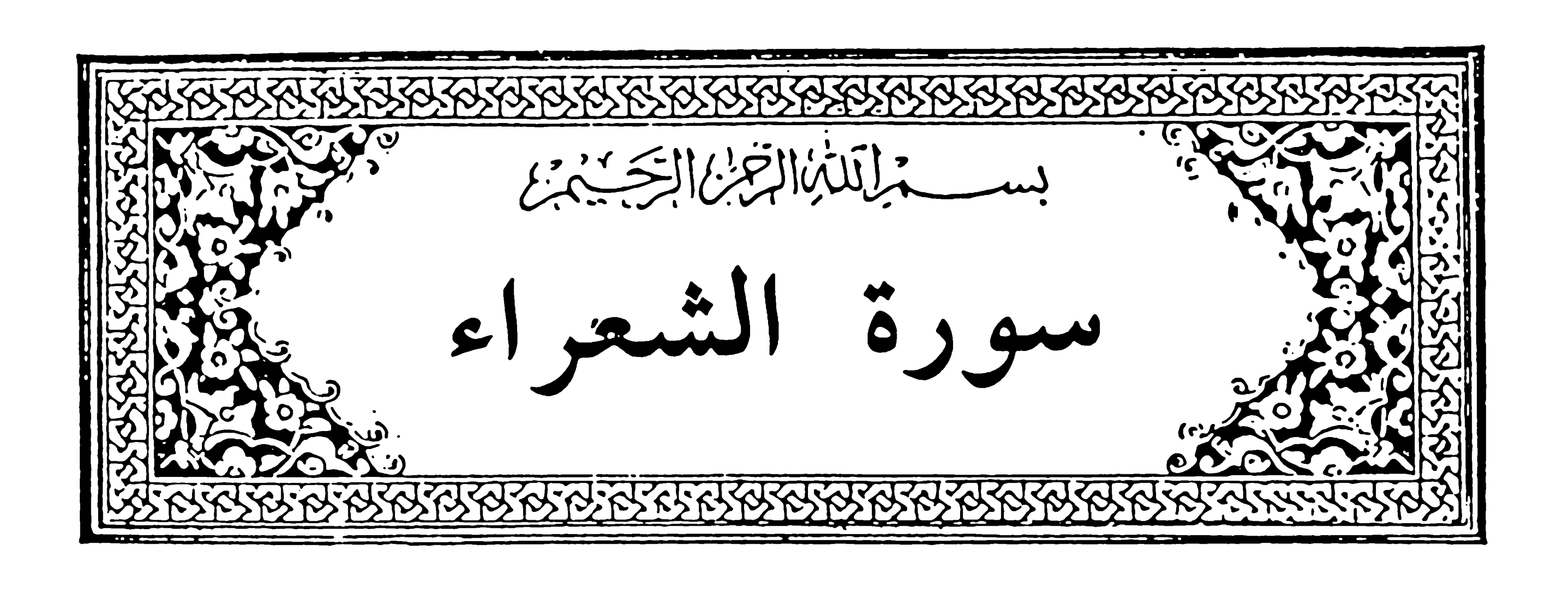


هيميان الزاد إلى دار المعاد

للعالم الحجة
محمد بن يوسف الوهبي الاباضي المصعبي

الجزء الثاني عشر (١)

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الشعراء

وسماها مالك سورة الجامعة وتسمى سورة الظلة وهي مكية إلا أربع آيات من آخرها وهي قوله ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ إلى آخرها قاله ابن عباس وزاد غيره ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل﴾ ، وقال الجمهور وهي كلها مكية وآياتها مائتان وسبع وعشرون وقيل مائتان وست وعشرون ، وكلمها الف ومائتان وتسع وسبعون ، وحروفها خمسة آلاف وخمسمائـــة وأربعون . وعنه ﷺ «من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد» ﷺ وعليهم أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ﴾ قال ابن عباس عجزت العلماء عن تفسير ﴿طسم﴾ وعن الحسن لا ادري ما ﴿طسم﴾ غير أن قوما من السلف قالوا فيه وفي ما أشبهه أسماء السور وفي رواية عن ابن عباس انه اسم من أسماء الله تعالى أقسم به ، وقيل اسم للقرآن أقسم به وقيل الطاء طوله أي جوده والسين سناء والميم ملكه أقسم بذلك ، قرأه أبو بكر وحمزة والكساءي هنا وفي النمل والقصص بإمالة فتحة الطاء وإمالة الألف واخلص الباقون بالفتح والألف واظهر حمزة النون من هجاء السين ، هنا وفي القصص قيل لأنه في الأصل منفصل عما بعده وقرأ نافع الألف وفتحة الطاء قبلها بين بين قيل كراهة العود إلى الياء بعد الهروب منها .

﴿تلك﴾ الآيات التي هي آيات السورة وقيل آيات القرآن كله .

﴿آيات الكتاب﴾ القرآن والاضافة للتبعيض إن لم نقل الاشارة إلى آيات القرآن كلها .

﴿المبين﴾ المظهر الحق من الباطل والظاهر يقال أبان بمعنى أظهر وبمعنى ظهر أي التي ظهرت اعجازه .

﴿لعلك﴾ يا محمد .

﴿باخع نفسك﴾ قاتل نفسك غما .

﴿أن لا يكونوا مؤمنين﴾ وحرف التعليل محذوف أي ان لا يكون أهل مكة مؤمنين أو لئلا يكونوا أو يقدر مضاف مفعول لأجله أي خيفة أن لا يكونوا ، ولما حذف ناب عنه الفعل وهي مراد من قوله :

﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن﴾ يوحيه إلى نبيه ﷺ .

واختار اسم الرحمن تلويحا الى أنه لا يحسن الاعراض عن كلام من هو في غاية الرحمة فمن أعرض عنه فهو في غاية القبح والخسة .

﴿محدث﴾ مجدد إنزاله لتكرير التذكير ، ولا شك أن ما يوصف بالأحداث والتجديد والانزال مخلوق وقيل هو نعت توكيد .

﴿إلا كانوا عنه معرضين﴾ الأجداد وإعراضا عنه وإصرارا على الكفر .

﴿فقد كذبوا﴾ بالذكر بعد إعراضهم عنه تكذيبا ، اداءهم إلى جعله عرضة للاستهزاء والسخرية كما أخبر به بالعرض لا بالذات في قوله .

﴿فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون﴾ هذا وعيد وانذار ، أي سيعلمون إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيمة أخبار الشيء الذي كانوا به يستهزءون وعواقبه وهو القرآن أو الموعظة ، ويظهر لهم أحق هو أو باطل .

﴿أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ أو لم ير المشركون من أهل مكة إلى عجائب الأرض أنبتنا فيها من كل نوع من النبات كثير وكم مفعول لانبتنا وهي دالة على كثرة الأنواع والجملة مستأنفة استئنافا نحويا لا معنويا أو بدل من الأرض بدل اشتمال أي أولم يروا إلى نباتنا فيها والزوج والنوع والكريم كثير المنفعة والكريم ما يرضي ويحمد بحسب مقامه ، نقول وجه كريم أي جميل ، وكتاب كريم أي مرضي المعنى والعبارة وزيد يشق صف الأعداء من كرمه أي من كونه مرضيا في الشجاعة والنبات الكريم هو المرضي فيما يتعلق به من المنافع . وقال مجاهد النبات الكريم المتقن وفائدة ذلك الدلالة على

القدرة والتنبيه على أنه لا نبات إلا وفيه وحدة ومع غيره خاصة والمراد النبات النافع والنافع والضار لأن أفعاله فيها لحكمة بالغة ولو غفل عنها الغافلون . وكل الاحاطة الأنواع . وعن الشعبي الناس نبات الأرض فمن دخل الجنة فكريم ومن دخل النار فهو لئيم .

﴿إن في ذلك﴾ الإنبات لآية على قدرة الله على إحياء الموتى وعلى كمال قدرته وحكمته وسعة رحمته وكثرتها ويحتمل أن يكون الاشارة إلى أنواع النبات ، فالمراد في كل واحد منها آية في كل جزء من أجزاء ورقة او غيرها آية .

﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ في قضاء الله سبحانه فلم تنفعهم الآيات العظام وزعموا بعضهم أن هذا الضمير للأمم الماضية وزعمواعن سيبويه إن كان زائدة فيكون اكثر اسم ما ومؤمنين خبرها والأولى أنها غير زائدة وأكثر اسمها ومؤمنين خبرها .

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ لا يفوته الانتقام من الكفار فانه الغالب القادر .

﴿الرحيم﴾ يرحم أولياءه وبنصرهم على الكفار ، أو يرحم من تاب من الكفار أو الرحيم بالكفار ، حيث أمهلهم وهي رحمة دنيوية زائلة .

﴿وإذ نادى ربك﴾ أي واذكر يا محمد لقومك وقت نداء ربك وهو ليلة رؤية الشجرة .

﴿موسى أن﴾ حرف تفسير أو حرف مصدر يقدر حرف الجر قبله المصدر ، ولعل للاشفاق بالنسبة إلى سيدنا محمد ﷺ أي أشفق على نفسك أن نقها حسرة على ما فاتك من إيمانهم ، وأصل البخع قيل مخصوص وهو أن يبلغ الذابح البخاع وهو عرق مستبطن القفا وهو

أقصى حد الذبح ، قال جار الله في الدر الفائق البخع بالنون دون ذلك وهو أن يبلغ بالذبح النخاع وهو الخيط الأبيض الذي في الرقبة .

قال ابن حيان بعد نقله ذلك : طالما بحثت في كتب اللغة والطب والتشريح فلم أجد البخاع بالباء قال شيخ الإسلام ويرده أن من حفظ حجة على من لم يحفظ ١ ـ هـ وفي القاموس بخع نفسه كمنع قتلها غما وبخع بالشاة بالغ في ذبحها حتى بلغ البخاع هذا أصله ثم استعمل في كل مبالغة فلعلك باخع نفسك أي مهلكها مبالغا فيها حريصا على إسلامهم وككتاب عرق في الصلب ويجري في عظم الرقبة وهو غير النخاع بالنون فيما زعم الزمخشري ١ ـ هـ وقرأ قتادة باخع نفسك بالاضافة .

﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية﴾ نقهرهم إلى الإيمان من معجزة أو بلية وذلك كبهر العقول بوضوح المعجزة بحيث يذعنون أو لخوف هلاك كنتق الجبل على بني اسرائيل .

﴿فظلت أعناقهم لها﴾ متعلق بقوله ﴿خاضعين﴾ والعطف على ننزل فظلت مستقبل المعنى فكأنه قيل فتظل ولذا حسن عطف الماضي على المضارع بل الجزاء مستقبل المعنى ولو كان ماضيا فعلا ولو قيل إن نشأ نزلنا عليهم من السماء آية فظلت تصح ، وقد قرىء ﴿لو نشأ لأنزلنا﴾ وقد قرأ بعضهم أيضا ﴿فتظلل﴾ بفتح اللام الأولى وإسكان الثانية وإن قلت كيف أخبر بخاضعين عن الأعناق وهي غير عاملة والصفة انما تجمع جمع المذكر السالم إن كانت للعالم المذكر ؟ قلت هذا من إضافة الملغي إلى المعتبر وهو ضميرهم فإن الاصل فظلوا لها خاضعين ، فاعتبر الأصل

وهو ضميرهم وجيىء بالصفة وهو الأعناق التي هي لهم مجمعة جمع المذكر السالم وجيىء بالأعناق بين الفعل وضميرهم بيانا لموضع الخضوع وهو الانقياد وموضعه هو الأعناق فإن علامة الانقياد والذلة انتكاس الرقبة ويجوز أن يقال الأصل خاضعة أو خاضعات لكن لما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو من صفات العقلاء جمع صفتها جمع العقلاء وقد قرىء فظلت أعناقهم لها خاضعة واذا علمت التأويل بما من ظهرْ لك أنه لا دليل في الآية للكوفيين على جواز جمع صفة غير العالم وغير المذكر جمع مذكر سالما وقيل أعناق الناس مقدموهم ورؤساهم شبهوا بالأعناق وسموا بها كما سموا رؤساء صدورا ونواصي قال الشاعر :

في محفل من نواصي الناس مشهود

وقيل : الاغناق الجماعات من الناس يقال جاء عنق من الناس أي جماعة . وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية قال ستكون عليهم لنا الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة .

﴿وما يأتيهم من﴾ صلة في الفاعل .

﴿ذكر﴾ موعظة او طائفة من القرآن اي بان .

﴿ائت القوم الظالمين﴾ لأنفسهم بالكفر والمعاصي ولبني اسرائيل حيث استعبدوهم وذبحوا أبناءهم .

﴿قوم فرعون﴾ القبط وقوم عطف بيان أو بدل ولو قال قوم فرعون الظالمين أو نحو ذلك لأفاد لكنه قدم الظالمين اعتناء بتقسيمهم باسم الظلم وبتهييج موسى على الاتيان وفرعون أظلم ولكنه معروف بذلك لم يذكره .

﴿ألا يتقون﴾ مستأنف ذكر بعده إرسال موسى اليهم تقبيحا لهم بالظلم وتعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم الشنيعة في الظلم وأمن العاقبة وقلة الخوف والحذر من العقوبة أو الهمزة وفعل يقدر مستأنفان ولا يتقون حال أي يظلمون غير متقين عقابة والهمزة للتوبيخ وإنكار فعلهم وقرىء ﴿ألا تتقون﴾ بالخطاب التفات إلى الخطاب من الغيبة ليضربهم في وجوههم بالانكار والغضب عليهم مثل أن شكوا من زيد فيشند غضبك فتقبل عليه وتقول الا تتقي الله الا تستحيي من الناس وذلك الكلام ولو كان مع موسى وهم غائبون لكن موسى مبلغه وناشره بين الناس له فيه لطف وحث على زيادة تقوية عليهم وتقواه ، وكم آية نزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب لمن تدبرها وتأمل موردها ، وقرىء ﴿ألا يتقون﴾ بالتحتية بكسر النون أصله يتقونني حذفت نون الوقاية وكسرت نون الرفع أو حذفت نون الرفع وذلك تخفيف وحذفت الياء كذلك ودلت عليها الكسرة ويحتمل أن يكون الاصل ألا يا ناس اتقوني حذف المنادى والف حرف النداء للساكن بعده وبقيت الياء واتصلت في الخط بالتاء بعد إسقاط ألفها وهمزة الوصل من الخط كإسقاطها من اللفظ أو الأصل ألا يا اتقوني يجعل ياء التنبيه للنداء مع حذف المنادي وإلا على الوجهين أيضا للتنبيه .

﴿قال﴾ أي موسى . .

﴿رب﴾ أي يا رب .

﴿إني﴾ وسكن الياء عند غير نافع وابن كثير وأبي عمر .

﴿أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني﴾ برفع يضيق وينطلق والعطف على أخاف فتلك ثلاثة تعللات خوف التكذيب وضيق

الصدر وامتناع انطلاق اللسان وليس ذلك تعلل توقف عن قبول أمر الله تعالى بل طلب لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد العذر فيه ، كما استعان بأخيه اذ طلب أن يعضده الله به بقوله .

﴿فأرسل إلى هارون﴾ أن يأتيهم معي وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل من القبول رتب الارسال إلى هارون على ثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب الملازم عن التكذيب وعدم انطلاق لسانه مطلقا ولا سيما عند ضيق صدره لأن الله سبحانه وتعالى اذا أرسل هارون وجعله نبيا معه تقوى وضعف عنه ذلك وكان هارون بسيط المقال فصيح اللسان فيكون معينا له ونائبا منابه متى اعترته حبسته فلا تجعل دعوته ولا تنتثر حجته وذلك قبل دعاءه بحل عقدة لسانه والاستجابة له فوصف نفسه بأني خائف التكذيب ضيّق الصدر عبر منطلق اللسان أو بعد الدعاء والاستجابة لكن بقى فيه يسير من عدم الانطلاق أو لم يبق شيء لكنه لم يبلغ في الفصاحة مبلغ هارون ويدل له أفصح مني لسانا فإن قلنا بزوالها فإنه بالضيق يرفع مثلها أو أقل أو أكثر ان قلنا بزوال بعضها فإن هذا البعض يزيد ويشتد بالضيق وان قلنا بثبوتها ازداد لذلك فكأنه قيل ويضيق صدري للتكذيب ولا ينطلق لساني أصلا للضيق لأنه بالضيق تنبض الروح الى باطن القلب فتزداد حبسة اللسان أو توجد وقرأه يعقوب بنصب يضيق وينطلق والعطف على يكذبوني فيتعلق الخوف بثلاثة أشياء بالتكذيب والضيق وانحباس اللسان ، ولا يقال كيف يخاف انحباسه خوفا مع انحباسه متيقن لأنه طبيعته لأنا نقول لا يدري ما يكون بعد فيحتمل بقاء الانحباس ويحتمل زواله وأيضا قد يجوز ان يكون حبسته زالت حينئذ بأن يكون ذلك بعد الدعاء

والاستجابة له في حلها فخاف الانحباس للضيق اللازم على التكذيب وأيضا يجوز أن يكون خاف الزيادة في الحبسة لذلك وقيل بقيت له بقية يسيرة بعد حلها فيكون خاف الزيادة وعن بعضهم أن أصل الكلام أرسل جبريل إلى هارون واجعله نبيا مرسلا وآزرني به وأشد به عضدي فاختصر بحذف ذلك .

﴿ولهم عليّ ذنب﴾ وهو قتل القبطي وسماه ذنبا باعتبار ما عندهم وقدر بعضهم المضاف أي تباعة ذنب .

﴿فأخاف أن يقتلون﴾ به وان قلت فهذا توقف عن قبول أمر الله ، قلت بل هذه مخافة أن يقتل قبل أداء الرسالة فإنها أشفق من أن يقتلوه وهو غير مؤد للرسالة لا من مجرد القتل ولا دليل على هذا الذي قلنا فيما يأتي من الردع والوعد بالحفظ كما ادعى جار الله لأن لذلك القائل أن يقول إنما أردعه ووعده الحفظ إزالة الخوف من مجرد القتل لكن لا يساعد هذا القائل على قولته بدليل علو همة موسى عن ترك التأدية مخافة القتل .

﴿قال﴾ الله .

﴿كلا﴾ ارتدع موسى عما تظن من القتل فإنهم لا يقتلونك أو ارتدع عن الخوف فإنهم لا يقتلونك .

﴿فاذهبا﴾ أنت وهارون وهو غائب ولكن غلب الحاضر وهو موسى فخاطبهما معا واعلم أن قول موسى رب اني أخاف . . الخ يتضمن دعاء الله أن يدفع عنه بلاءهم الذي هو التكذيب المترتب عليه الضيق المترتب عليه عدم اطلاق اللسان وكل ذلك بلايا وبلاءهم الذي هو القتل فأجاب دعاءه إذ وعده الدفع بردعه عن الخوف وبقوله فاذهبا فان في ذهاب هارون معه إزالة الضيق وعدم انطلاق اللسان وقوله ﴿فأرسل إلى

هارون﴾ طلب المؤازرة بأخيه فأجاب طلبه بقوله﴿فاذهبا﴾ فإنه لولا الاجابة لما أمر هارون بالذهاب فكأنه قال فاذهب والذي طلبته وهو هارون بقوله ﴿فاذهبا﴾ اجابة لقوله ﴿رب اني أخاف﴾ الخ . . ولقوله ﴿فأرسل إلى هارون﴾ وقوله ﴿كلا﴾ اجابة لقوله ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ ولك أن تقول استدفع بلاءهم في قوله
فأخاف أن يقتلون ، فوعده الدفع بالردع وطلب إرسال هارون تقوية فأجاب بقوله ﴿فاذهبا﴾فيكون قوله﴿فاذهبا﴾راجعا إلى قوله﴿فأرسل إلى هارون﴾ فقط والفاء للاستئناف أو للعطف على الجملة التي تدل عليها كلا أي ارتدع فاذهب أنت وهارون فذا من العطف على المعنى .

﴿بآياتنا﴾ معجزاتنا وفي هذا تأنيس أيضا وتقوية .

﴿إنا معكم مستمعون﴾ هذا أشد تأنيسا وتقوية لأن المعنى إنا حاضرون سامعون لما يجري بينكما وبينه وناصر كما عليه وأصل الأسماع الاصغاء تعالى الله عنه واستعمل في معنى العلم واختير مستمعون عن سامعون لما في لفظه من المبالغة والخطاب لموسى وهارون وفرعون تغليبا للحاضر عن الغائبين أعني الغيبة الاصطلاحية وليس شيء يغيب على الله ، وقيل الخطاب لموسى وهارون عليهما السلام والتعبير بصيغة الجمع عن الاثنين مجاز على الصحيح وقيل حقيقة واختير صفة الجماعة تعظيما لهما واشارة إلى أنهما في محضر فرعون كالجماعة وذلك من التقوية بمكان متعلق بمحذوف خبر ومستمعون اخبر آخر أو مستمعون خبر ومع متعلق به أو بمحذوف وحال من الضمير أو من اسم ان .

﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ أفرد الرسول لأنه يستعمل مصدرا بمعنى الرسالة كقول كثير .

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم　　بسر ولا ارسلتهم بــرســول

أي برسالة ويجوز أن يكون بمعنى اسم مفعول ويستعمل اسم مفعول بمعنى المرسل والذي في الآية معبر أصله الذي هو مصدز ولذلك أفرد ولم يثنى أو يجمع والذي في طه معتبر أصله الذي هو بمعنى اسم مفعول فثني والمصدر يطلق على الواحد فصاعدا بلفظ واحد أو أفرد لاتحادهما شريعة ودعاء اليها والاخوة حتى كأنهما رسول واحد مع أن مرسلهما واحد وهو الله سبحانه ولأن المراد ان كل واحد منا رسول رب العالمين أو لأن المراد برسول الحقيقة صادقة على اثنين .

﴿أن ارسل﴾ أن حرف تفسير لأن الرسالة فيها معنى القول دون حروفه لأنهما أرسلا اليه بكلام .

﴿معنا بني إسرائيل﴾ إلى الشام إلى فلسطين وكانت فلسطين من الشام مسكنا لهما قيل انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال : البواب إن هاهنا إنسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال : إئذن له لعلنا نضحك منه فدخلا فأديا الرسالة فعرف موسى فقال له ما حكى الله عنه بقوله :

﴿قال﴾ أي فرعون .

﴿ألم نُربِّك فينا﴾ أي في منازلنا .

﴿وليدا﴾ حال ومعناه مولود والمراد ألم نربك طفلا وذلك بعد فطامه فيما قيل وسماه وليداً لقرب ولادته وأصل الكلام فأتياه بفتح التاء فقولا له ذلك بحذف هذا كله وكان فرعون قد استعبد بني اسرائيل اربعمائــة سنة وهم يومئذ ستمائــة الف وثلاثون الفا فأمر الله جل وعلا موسى وهارون عليهما السلام أن يذهبا اليه ويقولا له اطلقهم معنا الى فلسطين

ولا تستعبدهم ، وبلغ موسى الرسالة إلى هارون ففعلا .

روي أنه رجع إلى مصر في جبة صوف وفي يده عصاة علق في رأسها زاده وصاحت أمه أن فرعون يطلبك ليقتلك ، ووصلا باب فرعون ليلا فدق الباب ففزع البوابون وقال من بالباب فقال : ﴿إنّا رسول رب العالمين﴾ فذهب البواب إلى فرعون وقال : إن مجنونا بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين فتركه حتى أصبح ثم دعاهما فأديا الرسالة فعرف فرعون موسى كما مر لأنه نشأ في بيته فقال : ﴿**ألم نُربِّك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك**﴾ وقرأ أبو عمرو بسكون الميم .

﴿**سنين**﴾ قيل ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين ولبث فيها عشر سنين ثم عاد اليهم ثلاثين ثم بقى بعد الغرق خمسين وعن بعضهم وكز القبطي وهو ابن اثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثرها .

﴿**وفعلت فعلتك التي فعلت**﴾ صيغة وحدة لأن القتلة واحدة وهي المراد بالفعلة قتله بنوع من القتل وهي الوكز وإنما ذكر له فرعون تلك الفعلة توبيخا وكز القبطي وكزة واحدة فمات وقرىء بكسر الفاء للدلالة على الهيئة لأنه له .

﴿**وأنت من الكافرين**﴾ أي الجاحدين لنعمتي وكان رباه ولم يستعبده وكان يركب مراكبه ويسمى ابن فرعون ووجه الجحود الخروج عنه وقتل نفس من القبط وهو خباز فرعون وذلك رواية عن ابن عباس قال : إن فرعون لم يعرف الكفر بالربوبية وانما أراد ما ذكرنا وأن الكفر غير جائز على الانبياء قبل النبوة وبعدها والواو واو الحال والحال مقارنة أو واو استئناف فعلى الاستئناف يكون المعنى أنت من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفرانها لم يكن قتل خواص المنعم عليه يدعا منه وهذا المعنى

جائز أيضا على جعل الواو واو الحال ويجوز أن يريد وأنت اذ ذاك حكمت بكفرهم الآن وهذا منه افتراء أو جهل لأمره لأنه عاشره بالتقية فإن الانبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها وان يريدوا انك من الذين يكفرون في دينهم أو من الكافرين بفرعون وآلهته ، فقد كانت لهم آلهة يعبدونها كما قال الله تعالى ﴿ويذرك وآلهتك﴾ وعن الحسن وانت من الكافرين بأي إله . قيل : كان بين قتل القبطي ورجوعه الى فرعون نبيا أحد عشر عاما إلا شهرا وقيل معنى قوله ولبثت فينا من عمرك سنين انك لبثتها ولم تدع هذه النبوة التي تدعيها اليوم وعن ابن عباس في رواية عنه انه لما دخل على فرعون قال له من أنت ، قال : انا رسول الله . قال ليس عن هذا أسألك ، ولكن إبن من أنت ومن انت ؟ قال له : أنا موسى ابن عمران . فقال له : ألم نربك فيحتمل انه لم يعرفه ويحتمل أنه تجاهل .

﴿قال﴾ موسى .

﴿فعلتها إذاً وأنا من الضالين﴾ من الجاهلين وقد قرأه ابن مسعود ﴿من الجاهلين﴾ وكذا قرأ ابن عباس فيما قيل .

قال الثعالبي : ويشبه أن تكون هذه القراءة على جهة التفسير أي من الفاعلين فعل أولى الجهل والسفه كقوله ﴿اذ أنتم جاهلون﴾ أو ﴿من الضالين﴾ بمعنى من المخطئين لأنه قتله خطأ لا عمدا أو بمعنى من الذاهلين عما يؤول اليه الوكز وهو قول ابن زيد على انه ضربه تأديبا أو من الذاهبين عن الصواب أو من الناسين كقوله ﴿ان تضل إحداهما﴾ وهو قول ابي عبيدة واذن في الآية للجواب فقط ويحتمل أن تكون له وللجزاء معا لأن قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت

نعمتي بما فعلت . فقال موسى : نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لأن نعمته كانت عند موسى جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء .

﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ إلى مدين .

﴿فهوهب ليّ ربي حكما وجعلني من المرسلين﴾ حكمة او علما وفهما وقيل نبوة وجعلني من المرسلين درجة ثانية للنبوة ورب نبي ليس رسولا وهذا رد لما وبخه فرعون قدحا في نبوته .

﴿وتلك﴾ إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة فسرها بقوله ان بدت ﴿نعمة تمنها﴾ أي تمن بها فذلك من الحذف والايصال أو تضمن ثمنها معنى تعدها بتشديد الدال او تذكرها ﴿عليّ أن عبَّدتَّ بني اسرائيل﴾، ان مصدرية ومصدر الفعل بعدها خبر لمحذوف اي هي تعبيدك بني اسرائيل أي جعلك إياهم عبيدا لك أو مفعول لمحذوف أي أعني أو عطف بيان لتلك والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها عليّ وهذا على طريق الانكار لما قال له كفرت نعمتي ، قال أتعبيد قومي نعمة فيجوز تقدير همزة الانكار وعدم تقديرها وقيل الاشارة الى التربية والكلام على الانكار بلا تقدير همزة او بتقديرها أي وتلك التربية او وتلك التربية نعمة تمنها على ظاهراً وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح أبنائهم وسلب أموالهم مع ان ذلك هو السبب في وقوعي اليك وحصولي في تربيتك ولو لم تفعل ذلك بهم لم ارفع اليك حتى تربيني وتكفلني ولكان لي من أهلي من يربيني ولم يلقوني في اليّم ويجوز تقدير الباء فالمصدر يقدر منصوبا أو مجرورا قولان .

وقال قتادة لمعنى او يصح لك ان تعد عليّ نعمة ترك قتلي من اجل انك ظلمت بني اسرائيل وقتلتهم ليس ذلك بنعمة فان الواجب ان لا

تقتلني ولا تقتلهم ولا تستعبدهم وقرأه الضحاك ﴿وتلك نعمة مالك ان تمنها عليّ﴾ وهي قراءة تؤيد تأويل قتادة .

وقال الطبري والسدي : هذا الكلام من موسى على جهة الاقرار بالنعمة رباه وتبناه ولم يقتله ولم يستعبده كبني اسرائيل وقيل المعنى تمنّ عليّ بالتربية وتنسى جنايتك على بني اسرائيل بالاستعباد والاستعمال والقتل ومن أهين قومه فقد أهين وأجاز الزجاج أن يكون المعنى انما صارت نعمة عليّ لأن عبدت بني اسرائيل أي لو لم تفعل لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليّم وانما وحّد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لأن المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملأه كما قال ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ وقيل المعنى عبّدت بني اسرائيل ولم تعبّدني ولما سمع فرعون لعنه الله قول موسى ﴿أنا رسول رب العالمين﴾ .

قال له : ما حكى الله عنه بقوله .

﴿**قال فرعون وما رب العالمين**﴾ هذا سؤال منه لعنه الله عن الله أي شيء هو على الاطلاق وعن جنس رب العالمين ، أي شيء هو من الأجناس التي شوهدت والله سبحانه منزّه عن الجنسية والماهية وليس بشيء مما شوهد ولا من جنسه ولا جسم ولا عرض وهو شيء لا كالأشياء. ليس كمثله شيء ولذلك أجابه بذكر أفعاله وأثار قدرته التي يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها اذ قال .

﴿**قال**﴾ موسى ﴿**رب السموات**﴾ اي هو رب السماوات .

﴿**والأرض وما بينهما**﴾ أي خالق ذلك ومالكه وثنى الضمير باعتبار الجنسين فأنت يا فرعون عبد من عبيده تعرفون ذلك .

﴿**إن كنتم موقنين**﴾ محققين للأشياء حتى تعلموا أن ما سواه متركب

متجزىء متعدد متغير وهذا دليل الحدوث فلا بد له من محدث مخالف له واجب الوجود فهو الله سبحانه وسواه ممكن محتاج لمركب ومتجزىء ومتعدد ومتغير ولو لم يكن لذلك محدث لزم تعدد الواجب واستغناء بعض الممكنات فلعدم التركيب عن الله سبحانه لم يمكن تعريفه الا بالرسم واللوازم الخارجية جواب ان محذوف أي ﴿إن كنتم موقنين﴾ عرفتم ذلك او ﴿ان كنتم موقنين﴾ بأنه تعالى خالف ذلك فآمنوا به وحده أو ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر لما فيه نفعكم هذا او ان كنتم توقنون شيئا فهذا اولى ما توقنون لظهوره وإنارة دليله .

﴿قال﴾ فرعون .

﴿لمن حوله﴾ لمن بجنبه وأمامه وهو خمسمائة رجل عليهم الأسورة وهم ملوك ولا يلبس السوار الا الملك .

﴿ألا تستمعون﴾ جوابه سألته عن حقيقة رب العالمين فأجابني بذكر أفعاله أو سألته عنه فزعم انه رب السموات أي خالقها ومصرفها مع أنهن قديمات واجبات تتحرك لذاتها لا لمحرك كما هو مذهب الدهرية او مع انهن غير معلوم افتقارهن الى صانع والهمزة للتقرير او للانكار ولا نافية والهمزة للتعجيب مثل ما قيل في ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ أو ألا للتحضيض او العرض وكونها للتعجب أولى وجائز أن يكون سؤاله المذكور انكار لأن يكون للعالمين رب سواه لادعاءه الالوهية ، فلما أجابه موسى بما أجابه عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره .

﴿قال﴾ موسى .

﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ هذا مما يعمه قوله رب السموات

والأرض وما بينهما ولكن افرده بالذكر لأنه أغيظ لفرعون ولذا عقب بتجنين موسى ولأن الجواب دل على الصانع لظهور افتقاره الى مصور حكيم ومنم وأوضح عند التأمل لمشاهدة حدوثه ونماءه فأقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلايل على الصانع من هيئة إلى أخرى وحال إلى أخرى من وقت ولادته إلى وقت وفاته ولا يبعد ان يكون ضمير قال

عاد إلى فرعون أيضا فيكون مقولة انكارا كما يكرر كلامك من ينكره على جهة الكراهة والابطال وأن يكون عائدا إلى موسى عليه السلام لكن يكون مجموع قوله ﴿**قال ربكم ورب آباءكم الأولين**﴾ تبيينا من فرعون لمن حوله ما قاله موسى إن لم يحضروا عند قوله وتكريرا على طريق التعجيب ان حضروا وعلى كل حال فربكم خبر لمحذوف .

﴿**قال**﴾ فرعون مخاطبا لمن حوله .

﴿**إن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون**﴾ إذ نسب الربوبية الى غيري وكان فرعون عندهم إلها وإذ سألته عن رب العالمين الذي يدعي فأجاب بالآثار الخارجة وهذا لا يفيد البتة فاذا كان لا يفهم السؤال ويجيب بمقتضاه فكيف يكون رسولا أو كان عندهم من لايعتقد معتقدهم مجنونا وإنما سماه رسولا ووصفه بالارسال على جهة السخرية قريء ﴿**أرسل**﴾ بالبناء للفاعل الذي هو رب العالمين فتكون فيه السخرية أيضا بالله عز وجل .

قال موسى ﴿**رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون**﴾ هذا تخصيص آخر بعد تعميم لمزيد دلالة المشرق والمغرب على غيره من حيث طلوع الشمس من المشرق وغروبها في المغرب على تقدير مستقيم في

فصول السنة وحساب مبتوى يحركها كل يوم من المشرق الى المغرب على وجه نافع ينتظم به مصالحهم وذلك من أظهر استدل به ولذلك احتج به ابراهيم عليه السلام بعد الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمرود فبهت وقريء ﴿رب المشارق والمغارب﴾ ، وجواب ان محذوف أي إن كنتم تعقلون تحققتم ما قلت أو علمت أنه لا جواب إلا ما قلت وان عقلتم ذلك فآمنوا به وحده وإن كنتم تعقلون شيئا ما فهذا أولى مما تعقلون لظهوره وإنارة دليله لآيتهم أولا بقوله ﴿إن كنتم موقنين﴾ فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد لوّح إليهم بقوله ﴿إن كنتم تعقلون﴾ ، انه لا عقل لهم وذلك مقابل لقوله ﴿إن رسولكم لمجنون﴾ .

﴿قال﴾ فرعون ﴿ لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ المعهودين عندك المخلدين في السجن . وكان سجنه أشد من القتل لأنه حفر في الأرض بعيد العمق ، يكون للمسجون فيه وحده ، لا يسمع ولا يبصر حتى يموت .

﴿قال﴾ موسى ﴿أولو جئتك بشيء مبين﴾ أي أتفعل ذلك ولو جئتك ببرهان يصدقني فيما قلت ، فالهمزة داخلة على محذوف كما رأيت ، والواو للحال وللعطف على محذوف أي أتفعل ذلك لو لم أجيىء ولو جئتك لما انقطعت الحجة بفرعون رجع إلى الاستعلاء والتغلب بقوله ﴿لئن اتخذت﴾ . . الخ ، كما هو عادة القوي المعاند ولقوة قلب موسى لم يؤثر فيه ذلك التوعد فبقي على تلطفه والطمع في إيمانه ،إذ قال﴿أولو جئتك بشيء مبين﴾ وقول فرعون لئن اتخذت إلها غيري شرك ، وكان دهريا فيما يظهر من لسانه ويعتقد أن من تولى اقليما يستحق العبادة من

أهله . وقل كان يصدق في قلبه لعنه الله بما يقول موسى وفي توعده في السجن ضعف لأنه حارت طباعه معه ولم يجد ما يقول مما يوهم العامة ، وكان يفزع من موسى فزعا حتى كان لا يمسك بوله . وكان موسى عليه السلام لا يبالي به وقد انحبس عنه البول حتى قال موسى ﴿أولو جئتك بشيء مبين﴾ فنطق به فقال ما حكى الله عنه في قوله .

﴿**قال فأت به إن كنت من الصادقين**﴾ فيما تقول ولا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في دعواه لأن المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ، ومن العجب أن ناسا من المعتزلة نسبوا خلق الأفعال القبيحة إلى فاعلها فلزمهم تعدد الخالق فإخوان جار الله خالقون الأفعال القبيحة والله خالق الأفعال الحسنة فما بقي إلا أن يقولوا نصف الملك لنا ونصف لله فلزمهم جعل الكاذب إلها خالقا للكذب الذي كذب والزاني خالق للزاني الذي صدر منه وأظن انك لو سألت فرعون عن هذا لأنكره ، والحق أن الأفعال كلها أفعال لأصحابها وخلق الله عز وجل وجواب إن محذوف أي فان به ويجوز تقديره هكذا أتيت به لأن الأمر بالاتيان به يدل عليه .

﴿**فألقى**﴾ موسى﴿ **عصاه فإذا هي ثعبان مبين**﴾ قيل ارتفعت بمقدمها في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون ، فقال بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها فصارت عصى كما كانت . قال فرعون وهل غيرها ؟ قال : نعم ، وأراه يده ثم أدخلها فأخرجها فاذا هي بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس كما قال الله سبحانه .

﴿**ونزع يده**﴾ أخرجها من جيبه والجيب مخرج العنق أو اليد .

﴿**فاذا هي بيضاء للناظرين**﴾ وروي انه لما أدخلها فيه جعلها في بطنه

ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغش الأبصار وسد الأفق ، وكانت قبل ذلك تضرب إلى الأدمة ، وروي أن الثعبان لما ارتفع في السماء جعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ، ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها فقال فرعون هل غيرها ؟ فأخرج يده فقال : ما هذه ؟ قال : يدك . فما فيها فأدخلها في بطنه فأخرجها تضيء كما مر وضوءها نور أبيض كما قال الله تعالى ، ومعنى ثعبان مبين : ظاهر الثعبانية ردها الله لحما ودما على صورة الثعبان أو حول لونها وهيأتها الى صورته وهو مشتق من ثعبت الماء فانثعب إذا فجرته فانفجر .

﴿**قال للملأ حوله**﴾ متعلق بمحذوف حال من الملأ قال جار الله هو في محل نصب على الحال وهذا من طريق النيابة عن الحال أو بناء على أن الظرف والجار والمجرور هما الحال لا لمتعلق المحذوف في نحو ـ رأيت الهلال بين السحاب ـ والملأ الجماعة .

﴿**إن هذا لساحر عليم**﴾ فائق في علم السحر لما انقطع لعنه الله كل الانقطاع وارتعدت فرائصه ولم يدر أين هو فزع الى رميه بالسحر وكان ذلك الزمان أكثر سحرا من غيره .

﴿**يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون**﴾ لما ظهر له ما ظهر من إصابة موسى وخطأه هو في ادعاء الألوهية وانحط عن منكبيه كبرياء الربوبية ولم يأمن أن يظهر ذلك الملأ استكان لهم وهم بزعمه عبيده وهو إلههم حتى طفق يشاورهم ويصحح لهم ما سكن منهم بالمجنونين ويشدد غيظهم بأن موسى يخرجكم من أرضكم وأموالكم وهذا ما كنت أحذر . و(ماذا) اسم مركب من ما الاستفهامية وذا الاشارية ومعناه الاستفهام وهو مفعول مطلق أي أمر تأمرون أو في محل

نصب على نزع الخافض على حد أمرتك الخير وما مبتدأ وذا اسم موصول خبره والصلة تأمرون والرابط ضمير منصوب محذوف عائد إلى الأمر بالمعنى المصدري أي تأمرونه كما تقول ما القيام الذي يقومه فلا تركيب وتأمرون إما من الأمر ضد النهي او الأمر بمعنى الاشارة .

﴿قالوا أرجه﴾ أخرهُ من أرجاه يرجيه أخره وقرىء (أرجئه) بهمزة بعد الجيم ساكنة من أرجأه يرجئه بالهمزة بمعنى أخره ومن ذلك المرجية بضم الميم وكسر الجيم بعدها ياء أو همزة أي الذين لا يقولون باستحقاق الفساق الوعيد ويقولون هم مرجون لأمر الله لا هم جلسوا في حلقة الحسن فقال اخروا هؤلاء إلى رجاء الحلقة وقرأ هشام وابن كثير بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو وأبو عمرو بالهمز والضم من غير صلة وابن ذكوان بالهمز وكسر الهاء ولا يصلها بياء وقالوا بغير همز ويخلص الكسرة وورش والكسائي بغير همز ويصلان الهاء بياء وعاصم وحمزة بغير همز ويسكنان الهاء وصلا وتسكن وقفا باخلاص أو روم أو إشمام .

﴿وأخاه﴾ عطف على الهاء أي أخر أمره وأخاه وهو المناظرة إلى وقت اجتماع السحرة من الآفاق تجمعهم من كل افق وبلدة على واحد لا زلتم قرناء واحد بل حاشاه ﷺ أن يكونوا له قرناء وقيل المعنى أحبسها والأول قول الحسن وقال له قومه ادخلت الناس في شبهة فيتوهون أنه أعجزك .

﴿وابعث في المدائن﴾ أي فرق فيها .

﴿حاشرين﴾ شرطه يحشرون السحرة أي يجمعونهم .

﴿يأتوك بكل سحار عليم﴾ جاءوا بلفظ كل الدال على الاحاطة وبسحار وعليم اللذين هما صفتا مبالغة ليسكنوا بعض قلقه إذ قال﴿إن

هذا لساحر عليم﴾ وقرأ الأعمش﴿بكل ساحر عليم﴾ فيكون طبق قوله لساحر عليم غير أنهم جاءوا بلفظ الإحاطة تأكيدا أعظم من تأكيد إن واللام .

﴿فجمع السحرة﴾ جمع ساحر .

﴿لميقات يوم معلوم﴾ أي لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وقّته لهم موسى ﷺ ليفضحهم . قال ابن عباس رضي الله عنهما : وافق ذاك يوم السبت في أول يوم من السنة وهو عيد لهم يجتمع فيه الناس من القرى .

﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون﴾ أي إلى بعضهم البعض وانما أرادوا الإجتماع لينظروا من له الغلبة وذلك استبطاء للاجتماع والمراد استعجالهم . كما تقول لغلامك هل أنت منطلق تحثه على الانطلاق كأنك تخيّل اليه ان الناس قد انطلقوا وهو واقف أو تعد ثملة القليل مفّوتا للانطلاق قال تأبط شرا :

هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبدرب أخا عون بن محراق

أي ابعث دينارا سريعا وهو رجل ولا تبطئ به وعبد معطوف على محل دينار أو مفعول لمحذوف﴿لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾ لموسى وغرضهم أن لا يتبعوا موسى ويبقوا على دينهم لا أن يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكتابة لأنهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى عليه السلام وقيل أرادوا بالسحرة موسى وهارون على طريق الاستهزاء .

﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئنّ﴾ بتخفيف الهمزتين وتمهيل الثانية وادخال ألف بينهما .

﴿لنا لأجرا﴾ أي عظيما .

﴿إن كنا نحن﴾ تأكيد لإسم كان أو بدل أو ضمير فصل .

﴿الغالبين﴾ قال : نعم وقرئ بكسر النون وهو لغة أي لكم الأجر كما قلتم وزاد لهم القربى والزلفى إغراء لهم الأجر كما كان على جملة فيها معنى الجواب جواب الشرط وهي ﴿أئن لنا لأجرا﴾ .

﴿قال لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون﴾ إياه بحذف العايد منصوبا منفصلا كذا قيل وأولى منه أن الأصل ملقوه فلما حذف وهو مخفوض متصل عادت النون وإنما قال لهم ذلك بعد قولهم ﴿أما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى﴾ واذنه لهم في الا لقاء توسل إلى اظهار لحق بالقاء بعدهم لا أجازة للكفر .

﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون﴾ قسم بالباء في غير الاستعطاف .

﴿إنا لنحن الغالبون﴾ أقسموا بعزة فرعون على أن لهم الغلبة لفرط اعتقادهم في أنفسهم وإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر والحلف بغير الله مكروه وقيل كفر وهو من إيمان الجاهلية وفي الحديث « لا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون ». وقد رأيت بعض الناس يحلف الرجل باسم الله فلا يطمئنون حتى يحلف برأسه وهذا أقبح من أمر الجاهلية .

﴿فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون﴾ أي تسرط حبالهم وعصيهم التي تخيّلوا بها كأنها حيات روي أنهم ألقوا فعظمت عصاه موسى بقدر ما القوا ثم رقوا فازدادت حبالهم وعصيهم عظما في أعين الناس فجعلت العصاة تعظم فكانت مثل الجبال والعصي فرقوا حتى نفد

سحرهم وعظمت عصاة موسى حتى سدت الأفق ثم فتحت فاها فابتلعت ما القوا ثم أخذ موسى عصاه بيده فاذا حبالهم قد ذهبت والعصاة صغيرة كما هي قبل والتلقف الابتلاع والاصل تلقف وقرأ حفص تلقف بالتخفيف والإفك قلت الشيء عن وجهه خيلوا الخيال والعصي كأنها حيات وما موصول اسمي ويجوز أن تكون موصولا حرفيا فيكون سمى تلك الأشياء إفكا مبالغة كقولك زيد عدل وبكر صوم .

وروي أنهم قالوا إن بك ما جاء به موسى سحرا فلن تغلب وإن بك من عند الله فلن يخفى علينا ولما تلقفت علموا أنه من الله فآمنوا كما قال الله غفر لله لنا .

﴿ فألقي السحرة ساجدين ﴾

لما رأوه لا يمكن بالسحر ويعجز عنه حد السحر إذ هو كما دلت عليه الآية تخيل لا تحقيق عنده علموا أن ذلك من الله فلم يتمالكوا ان خروا لله ساجدين ويدل الخرور بالالقاء لمناسبة الالقاءات المذكورات قبله كأنه قيل تعجب بهذا الأمر القول وهم سحرة والقى موسى فالقوا ساجدين ما أقرب ما بين إلقاء الكفر وإلقاء الايمان وكأنهم لعدم تمالكهم عن السجود أخذوا فطرحوا طرحا والفاعل الذي ناب عنه السحرة هو الله سبحانه أي فألقى الله السحرة بما أعطاهم من التوفيق ساجدين لا بالخبر او الفاعل والايمان أو ما رأوا من المعجزات أو لا فاعل أصلا ولو جاء الفعل على صيغة المفعول فيكون من الأفعال المبنية للمفعول التي معناها معنى المبني للفاعل كما قيل في نحو جن وزكم على ما بحثت في مثل ذلك في شرح اللامية فيكون المعنى خر السحرة .

﴿قالوا﴾ بدل اشتمال من القي السحرة ساجدين لأن إلقاءهم

ساجدين من لوازمه وسبباته القول الذي ذكره الله عنها أو حال بناء على جواز كون الحال جملة ماضوية خالية من (قد) وعلى المنع فيقدر قد وعن بعضهم الحال المقرون بقد لا بد فيه من واو الحال .

﴿آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ رب بدل من رب أو عطف بيان وعلى كل حال فيحصل به التوضيح ودفع ما قد يتوهم أن مرادهم برب العالمين فرعون لعنه الله وإيذان بأن موجب إيمانهم ما جرى بيد موسى وهارون حيث أضاف الرب إليهما وبأن الله هو المجري لذلك .

﴿قال﴾ فرعون .

﴿آمنتم له﴾ بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بعدها الف او تبدل الثانية الفا وتمد الأولى قدر الفين بعدها فالأولى همزة استفهام والثانية همزة آمن والألف الله وبتحقيق الهمزتين بعدهما الف وباسقاط الألف وتحقيق الهمزتين وهو قراءة حمزة والكسائي وابي بكر وروح أو ابدال الثانية ألفا له أي به أو ضمّن آمن معنى خضع فعدي باللام .

﴿قبل أن آذن لكم﴾ في الايمان .

﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ وغلبكم لأنه علمكم شيئا دون شيء تواعدتم معه أن تفعلوا ما فعلتم وبفعل ما يفعل فتظهر له الغلبة فيؤمنوا وذلك منه لعنة الله تلبيس على قومه لئلا يعتقدوا انهم آمنوا على بصيرة وظهور حق ﴿فلسوف تعلمون﴾ اللام لام الابتداء دخلت على سوف أو لام جواب قسم محذوف وذلك وعيد لهم على إيمانهم وبينه بقوله .

﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ يقطع من كل واحد رجله

اليسرى ويده اليمنى أو بالعكس .

﴿ولأصلبنكم﴾ أربطكم إلى جذوع .

﴿أجمعين قالوا لا ضير﴾ لا ضرر علينا في القطع والصلب في الله .

﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ فيثيبنا على القطع والصلب ويرد فينا ما قطع منا اذا بعثنا ويكفّر بذلك ذنوبنا وذلك تقليل جملي أو المراد أنه لا ضير في ذلك فإنا ننقلب إلى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الايمان أو أنه لا ضير لأن الانقلاب إلى الله بالموت لا بد منه والقتل أهون أسبابه وأرجاها وعن عكرمة أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء . قال ابن العربي قال مالك دعا موسى فرعون إلى الإسلام أربعين سنة والسحرة آمنوا في يوم واحد .

﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ الكبر والسحر وسائر المعاصي .

﴿أن كنا﴾ أي لأن كنا .

﴿أول المؤمنين﴾ من اتباع فرعون وممن حضروا من أهل زمانهم من القبط وإلا فقد سبقهم مؤمنوا بني اسرائيل وقوله إنا نطمع تعليل جملي لنفي الصبر بعد تعليله بقوله ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ أو تعليل لقوله ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ وإما أن كنا فتعليل لنطمع وقريء بكسر الهمزة فأما على أن مخففة كقوله ﴿وإن وجدنا اكثرهم لفاسقين﴾ ولم نقرن بلام الفرق بعدها لجواز عدم القرن بها عند أمن اللبس بأن النافية وإما على أنها شرطية وهم وإن كانوا مؤمنين أولا حقا لكن لم يعلموا بماذا يختم لهم فجاء بصيغة الشك هضما لأنفسهم وذلك منهم تحقيق للام وتوكيد له

كقولك ـ لمن تيقنت انك قد علمت له أن كنت علمت لك فوفيني حقي ـ .

﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ وسكن الياء غير نافع .

﴿إنكم متبعون﴾ وقرأ غير ابن كثير ونافع أن اسر بفتح همزة (اسر) وقطعها من الاسراء وقرىء ﴿ان اسر وانكم متبعون﴾ علة للأمر أي يمنعكم فرعون وجنوده ليحولوا بينكم وبين الخروج وفي اتباعهم اغراق لهم أو أسروا يتبعوكم فيدخلوا البحر بعدكم فيغرقوا .

وروي (أن الله أوحى إلى موسى أن أجمع كل أربعة أبيات من أبيات بني اسرائيل في بيت ثم اذبحوا الجديان وهو جمع جدي ـ وفي رواية ـ ثم ذبحوا أولاد الضأن فأضربوا بدمائها على أبوابكم فإني سآمر الملائكة بقتل أبكار القبط وأن لا يدخلوا بيتا فيه دم) . وروي أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وكسف القمر واظلمت الأرض حين خرجوا وقد أمرهم الله أن يخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم انتهوا إلى البحر فيأتكم أمري فأرسل فرعون في أثره الفا وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف رجل وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وقيل مقدمته الف الف حصان وروي أن جمع جنوده أربعون الف الف وإنما كان هذا بعد ما استعارت بنو اسرائيل بأمر الله حلي القبط لتلك الليلة وقالوا انها عيد لنا فخرجوا بها ولما سمع فرعون بخروجهم قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا أولادنا وأخذوا أموالنا فخرج في أثرهم بعساكره .

وعن ابن عباس خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث

وسوى المشاة وقد أمر جيشه كله بالخروج كما قال الله عز وجل .

﴿فأرسل فرعون في المدائن﴾ الف مدينة واثنتي عشرة الف قرية .

﴿حاشرين﴾ يحشرون الجيش ولكثرتهم قال .

﴿إن هؤلاء﴾ أي بني اسرائيل .

﴿لشرذمة﴾ طائفة قليلة وثوب شرذم بلي وتقطع أي قائلا إن هؤلاء لشرذمة .

﴿قليلون﴾ وهم ستمائة الف لا يعد من دون العشرين ولا من فوق الستين فتقليلهم نسبي ، وعن ابن مسعود ثانوا ستمائة الف وسبعين الفا ولا يحصى عدد أصحاب فرعون وإنما قال قليلون لأقلية باعتبار انهم أسباط كل سبط منهم قليل وجمع السلامة لقلة عند بعضهم ويجوز أن يراد بالقلة الذلة ويستفاد قلة العدد من شرذمة أنهم لقلتهم لا يبالي بهم لكن يفعلون أفعالا تضيق صدورنا بها ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحزم والمسارعة في قطع فساد الخارج عنا اعتذر الى قومه لئلا يظنوا به ما يكسر قوته كما قال .

﴿وانهم لنا﴾ اللام للتقوية عائدة الى قوله .

﴿لغائظون﴾ بالخروج من غير إذننا وأخذ أموالنا وقتل أبكارنا .

﴿وإنا لجميع حذرون﴾ لجمع مبالغون في الحذر فحاذرون صفة مبالغة وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان والكوفيون ﴿حاذرون﴾ بالالف والاول للثبات من حيث كثرة الحذر وتقدمه لا من حيث الصيغة لان الدال على الثبات الصفة المشبهة لا صفة المبالغة والثاني للتحدد لأنه اسم فاعل ولك أن تقول صفة مشبهة كضامر فيدل على الثبات وقيل الحاذر الغريق في السلاح حذر الحذر الذي لا تلقاه إلا خائفا وقرىء

﴿حاذرون﴾ بالالف وإهمال الدال أي أقوياء الأجسام أو تامو السلاح وتمامه يوجب قوة الأجسام .

﴿فأخرجناهم﴾ أي فرعون وجنوده من مصر ليلحقوا موسى وقومه فيغرقوا .

﴿من جنات وعيون﴾ كانت البساتين على جانبي النيل ممتدة من أسوان إلى رشيد. قال ابن عمر وكانت الأنهار تجري من النيل في الدور .

﴿وكنوز﴾ ذهب وفضة وغيرهما وسمي ذلك كنوزا لأنه لم يخرج منه حق الله ولم ينفقوا منه في طاعة الله قاله مجاهد وروي أنه كان له ثمان مائة الف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من الذهب .

﴿ومقام كريم﴾ مجلس حسن للأمراء والوزراء والحكام تحفه أتباعهم وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال وقيل كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاث مائة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف من قومه والأمراء وعليهم أقبية الديباج مخرصة بأذهب وقيل المقام الكريم ديارهم وعن لهيعة هو القيوم .

﴿كذلك﴾ أي أخرجناهم من مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه فهو مفعول مطلق أو مثل ذلك المقام الذي وصفناه لهم فهو نعت لمقام أو لأمر كذلك فهو خبر لمحذوف وإنما صح التشبيه مع أن الإخراج أو المقام أو الأمر واحد لأن وصف الشيء لك غير مشاهدتك له كذا ظهر لي في هذا المقام وقد ذكرت وجها في غيره .

﴿وأورثناها بني اسرائيل﴾ مفعول أول متأخر اسرائيل بأن ردهم إلى

مصر وأعمالها فملكوها بعد اغراق فرعون ﴿فاتبعوهم﴾ عطف على اخرجناهم وقرىء بوصل الهمزة وتشديد التاء .

﴿مشرقين﴾ داخلين في وقت شروق الشمس وهو طلوعها وقيل قاصدين جهة المشرق وهو ضد المغرب .

﴿فلما تراءى الجمعان﴾ جمع موسى.وجمع فرعون رأى كل منهما الآخر وهو تفاعل من الرؤية وكان حمزة يميل فتحة الراء في الوصل واذا وقف اتبعها الهمزة فأمالها مع جعلها بين بين على أصله فتصير بين الفين ممالين والباقون يخلصون فتحة الراء والهمزة في حال الوصل فأما الوقف فالكسائي يقف بإمالة فتحة الهمزة فيميل الألف التي بعدها المنقلبة من الياء لإمالتها وورش يجعلها بين بين على أصله في ذوات الياء والباقون يقفون بالفتح وقرىء ﴿لما تراءت الفئتان﴾ .

﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ ملحقون ويلحقنا جمع فرعون ولا طاقة لنا به وقرىء ﴿لمدركون﴾ بتشديد الدال وكسر الراء وهو مفتعل من أدرك بالتشديد بمعنى تتابع في الفناء أي لمتتابعون لمتتابعون في الهلاك على أيديهم أصله مدتركون أبدلت التاء دالا فادغمت فيها الدال .

﴿قال﴾ موسى ثقة لوعد الله إياه النصر .

﴿كلا﴾ لا يدركونا .

﴿إن معي ربي﴾ بالحفظ والنصر والدلالة على طريق النجاة والجملة تعليل وفتح حفص ياء معي ربي .

﴿سيهدين﴾ يرشدني الى طريق النجاة والجملة مستأنفة وقيل حال ورد بان الجملة المصدر بما يدل على الاستقبال كالسين وسوف وان لا

تقع حالا لأن الغرض من الحال بتخصيص وقوع مضمون عاملها بوقت حصول مضمون الحال وذلك ينافي الاستقبال واعترض بأن الحال بالمعنى الذي نحن بصدده يجامع كلا من الأزمنة الثلاثة على السواء ولا يناسب الحال بمعنى الزمان الحاضر القابل للاستقبال إلا في إطلاق لفظ الحال على كل منهما اعتراكا لفظيا وذلك لا يقتضي امتناع تصدير الحال بعلم الاستقبال واجيب بأن الأفعال اذا وقعت قيودا لما له اختصاص بأحد الأزمنة فهم منها استقباليتها وما ضويتها بالنظر الى ذلك المقيد لا بالنظر الى زمان التكلم كما في معانيها الحقيقة وحينئذ يظهر صحة كلامهم في اشتراط التجريد من علامة الاستقبال اذ لو صدرت بها لفهم كونها مستقبلة بالنظر إلى عاملها وغلط من أعرب كالحوفي ﴿سيهديني﴾ من قوله تعالى ﴿اني ذاهب إلى ربي سيهديني﴾ حالا وبيان غلطه من جهة الصناعة ظاهر وإما من جهة المعني فلأنه صير معنى الآية سأذهب بهديا فصرف التنفيس إلى الذهاب وهو في الآية للهداية وأجيب بأن مهديا وقع قيد الذهاب فيه تنفيس فيلزم أن يكون أيضا فيه تنفيس كالمقيد ذكر بعض ذلك الدماميني وبعضه ابن هشام وبعضه خالد وأقول الظاهر جواز اقترانها بعلم الاستقبال فيكون حالا مقدرة وقال ابن هشام وإنما جاز وقوع الشرط حالا نحو لا ضربته إن ذهب وإن مكث لأن المعنى لاضربته على كل حال قال المطرزي لا تقع جملة الشرط حالا لأنها مستبلة فلا يقول جاء زيدان يسأل بعظ على الحالية بل وهو أن يسأل وصرح سيبويه أن (لا) مختصة بنفي المستقبل وينافي قوله أن المضارع المنفى بلا يقع حالا وأجاز بعضهم الحالية في قوله كمثل الكلب أن تحمل عليه . . الخ ، لإنسلاخ معنى الشرط لأن المعنى كمثل الكلب

على كل حال ولو وجد الجواب فليس كما قيل أن وجود الجواب يردة ويجوز أن تكون الجملة خبرا ثانيا لأن .

﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر﴾ بحر القلزم أو بحر النيل أو بحرا من وراء مصر يقال له أساف أقوال فضرب .

﴿فانفلق﴾ انشق اثنتي عشرة فلقة من الماء بين الفلق مسالك ويجوز أن يقدر فان ضربت بها فقد انفجرت .

﴿فكان كل فرق﴾ قطعة من الماء وقريء (كل فلق) باللام .

﴿كالطود العظيم﴾ كالجبل العظيم المنطاد في السماء .

﴿وأزلفنا﴾ قربنا .

﴿ثم﴾ هنالك حيث انفلق البحر .

﴿الآخرين﴾ فرعون وقومه أي قدمناهم جميعا إلى البحر للهلاك أو قربنا بعضهم من بعض حتى يغرقوا جميعا وأوصلنا أولهم بآخر بني اسرائيل وقرأ ابن عباس ﴿وأزلفنا﴾ أي (أزللنا اقدامهم) بمعنى أزلنا عزهم أو هو من ازلاق القدم حقيقة بأن جعل الله الطريق تزلق الأقدام فزلقوا وخر عليهم الماء .

﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ بحفظ البحر على تلك الهيئة حتى خرجوا منه .

﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ فرعون ومن معه بإطباق البحر عليهم و(ثم) للتربيب والاتصال هناك كالفاء او للانفصال باعتبار أول الانجاء وآخره الاغراق أو باعتبار مزية إغراق فرعون ومن معه على إنجاء موسى ومن معه بأن يريد أن كلا نعمة عظيمة لا يستغني عنها لكن الاغراق على المنزلة بعيدها على الانجاء وروي أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي

موسى يسير فيقول : أين أمرت يا رسول الله ؟ ، فيقول : أمامك ، فيقول له المؤمن : وهل أمامي إلا البحر ؟ فيقول : والله ما كذبت ، ثم يسير ساعة فيلتفت فيقول : أين أمرت يا رسول الله ؟ فيقول : أمامك ، فيقول له المؤمن : وهل أمامي إلا البحر ؟ فيقول : والله ما كذبت ، ثم يسير ساعة فيلتفت فيقول : أين أمرت يا رسول الله ؟ فيقول : أمامك ، فيقول : وهل أمامي إلا البحر ، فيقول والله ما كذبت ، ولما انتهوا أمره الله بضرب البحر .

وعن عطاء ابن السائب أن جبريل كان بين بني اسرائيل : والقبط يقول لبني اسرائيل : رويدا ليلحق آخركم أولكم ، ويقول ذلك للقبط فكان القبط يقولون : ما رأينا أحسن من هذا الرجل ، وبنو اسرائيل يقولون : ما رأينا أحسن سياقة من هذا الرجل ، فلما انتهى موسى إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يديه أين أمرت يا رسول الله فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون ؟ قال : أمرت بالبحر لعلي أؤمر بها اصنع ، فأوحى الله سبحانه اليه أن اضرب البحر فضربه فلم ينفلق فيها قيل وأوحى الله اليه كانه فضربه فقال : أنفلق يا أبا خالد ، فانفلق فكان فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق خاف كل أهل طريق أن يكون أصحابهم ماتوا فأوحى الله إلى الماء أن يكون عيونا كالشبكة .

وروي أن يوشع وحزقيل وهو المؤمن المذكور كانا مع موسى ولما وصلوا البحر رأوه يجري بأمواج كالجبال فقال يوشع : يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا ؟ قال موسى : هاهنا فخاض يوشع البحر وقال المؤمن كذلك ، فقال له : ها هنا فألجم فرسه وأقحمه فغاب في الماء فصار القوم يفعلون ذلك ولا يقدرون فأوحي اليه بالضرب

فضرب فإذا الرجل واقف على فرسه ولم يبتل فرسه ولا سرجه ولا لبده ولا شيء غير ذلك فدخلوا في الطرق وخرجوا وما ابتل منهم شيء .

وروى أن موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء .

﴿إن في ذلك لآية﴾ عظيمة .

﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ ما آمن منهم إلا آسية امرأة فرعون وحزقيل ومريم بنت ناموسا التي دلت على قبر يوسف عليه السلام فأخرجه موسى بل بنو اسرائيل كفروا بعد ما أنجاهم الله وأراهم تلك الآية وعبدوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وطلبتها بعدهم للآخرة اخوانهم المخالفون وبعضهم يجيزها في الدنيا .

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ المنتقم من أعدائه كما أغرق آل فرعون .

﴿الرحيم﴾ المؤمنين وقد أنجا بني اسرائيل .

﴿واتل عليهم﴾ على مشركي العرب .

﴿نبأ إبراهيم﴾ خبره .

﴿إذ﴾ متعلق بنبأ لدلالته على حدث .

﴿قال لأبيه وقومه ما تعبدون﴾ سألهم عما يعبدونه وقد علم انهم يعبدون الأصنام ليريهم في لطف وتدرج أن الأصنام ليست أهلا للعبادة كما تقول للتاجر وأنت تعلم أن ماله العبيد : ما مالك ؟ فيقول : العبيد ، فتقول : العبيد جمال وليست بمال .

﴿قالوا نعبد أصناما﴾ ذكروا العامل وهو نعبد مع أن حذفه أوجز كما في قوله جل وعلا ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا﴾ افتخارا بعبادتها وتلذذا واستغباطا لإبراهيم ﷺ فيها وزادو على ذلك بقولهم .

﴿فنظل لها﴾ متعلق بنظل او بقوله .

﴿عاكفين﴾ الذي هو الخبر أو بمحذوف خبر أول واللام للتعليل أو للاستعلاء أي فندوم على عبادتها وقيل نظل على أصله وانهم يعبدونها ليلا والعكوف يطاق على البعادة في مكان وعلى الاقامة فيه .

﴿قال هل يسمعونكم﴾ على حذف مضاف أي يسمعون دعاءكم أو يقدر محذوف أي هل يسمعونكم إذ تدعون يدل عليه ما تقدم وقرأ قتادة ﴿هل يسمعونكم﴾ بضم الياء وكسر الميم من الاسماع أي هل يسمعونكم جواب دعائكم والمضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لها كما يدل عليه تعليق إذ فيه وهي للماضي .

﴿إذ تدعون﴾ أي تدعونهم أي تطلبونهم أو تعبدونهم .

﴿أو ينفعونكم﴾ على عبادتكم إياهم قيل المراد النفع بالرق .

﴿أو يضرون﴾ أي أو يضرونكم على عدم العبادة وعلى الاعراض عنهم ولما لم يجدوا جوابا التجوا إلى التقليد .

﴿قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ فنفعل كما فعلوا وهذا منهم إضراب عن أن تكون آلهتهم تسمع أو يتوقع منهم ضراً او يرجى منهم نفع .

﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون﴾ ازدراء بما يعبدونه وتعجب .

﴿أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾ وأنتم توكيد للواو وآبائكم معطوف على الواو والتقدم لا يدل على الصحة ولا يرد إلباطل حقا وفي ذلك ابطال للتقليد في الدين وذمه ومدح الأخذ بالاستدلال ويجوز تقليد العالم فيما افتى به اذا كان لا يكذب ووجود الناس يفعلون شيئا لا يكون حجة

للجواز بل الحجة ما في الأثر وما أفتى به العالم ما لم يخالف القرآن أو السنة .

﴿فإنهم﴾ أي ما يعبدون من الأصنام .

﴿عدو لي﴾ وسكن الياء غير نافع وأبي عمر والعدو يطلق على القليل والكثير وأصله وصف على فعول كصبور تغلبت عليه الاسمية واستعمل كذلك للقليل والكثير وزعم القاضي وأعني به البيضاوي أنه في الأصل كالقبول أو بمعنى النسب ووجه كونهم أعداء له انه ينكرهم وببغضهم فكيف يعبدهم كما عبدوه هم وآباؤهم الأقدمون فقد تجعل أحدا عدوا لك وليس هو معاديا لك فلا يقال : كيف توصف الأصنام بالعداوة وهي لا عقل لها وقبل لما نزلها الكفار منزلة العقلاء وصفها بها وقيل وصفها بها على طريق عودها ضررا عليه يوم القيامة لو عبدها في الدنيا ويجوز أن تخرج الآية على الالتفات الأصل عدو لكم فصور الأمر في نفسه ليكون أدعى إلى القبول كأنه قال فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها ولم يعبدها قط عبادة للعدو الذي هو أعدى الأعداء وهو إبليس لعنه الله وهو الذي يغري على عبادتها أو رأيت عبادتي لها ضررا إلى الآخرة فوق ضرر العدو في الدنيا فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم أن ذلك نصيحة نصح بها نفسه فيقولون ما أراد بنا الا ما أراد بنفسه وفي ذلك تعريض ولو شرك الالتفات والتعريض وصرح بالمراد مثلا أن يقول : عدو لكم لم يكن الكلام إلى القبول باعثا مثل ذلك البعث وكثيرا ما يبلغ التعريض للمنصوح مالا يبلغ التصريح لأنه يتأمل فقد يقوده التأمل إلى المراد وعاب الشافعي رجل في حضرته بشيء لم يكن فيه فقال : لو كنت بحيث أنت لاحتجت إلى أدب ، يريد انما قلت ليس فيّ

واني لو كنت مثلك في البهت لاحتجت إلى أدب بالعصى أو إلى أدب في أحوال وانك غير أديب .

وسمع رجل أناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو ببيتي ولابيتكم ، يريد اسكنوا فانه ليس محل كلام كبيوتنا .

﴿الارب العالمين﴾ استثناء منفصل أي لكن رب العالمين أعبده أو متصل لانما يعبده اياه وهم شامل لله سبحانه وتعالى وللأصنام لأن من آبائهم من يعبد الله عز وجل وعلى الأول فالمراد انما تعبدون هو الأصنام فقط .

﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ هداية دنيوية وأخروية متصلة الى موتي بل إلى يوم الدين لا تنقطع أولها امتصاص دم الحيض إذ كنت جنبا ولا يخفى أنه يهديه لجواب يوم العرض وبوصله الى التلذذ في الجنة الدائمة والذي نعت لرب فالفاء استئنافية أو عاطفه ، ولم يقل فهداني لتقدم الخلق واستمرار الهداية وكان العطف بالفاء لاتصال الهداية بنفخ الروح فيه ويجوز كون الذي مبتدأ وهو يهديني خبره وزيدت الفاء فيه كما زيدت في قولك زئد فقائم وإلا فهذا الموصول ليس للعموم .

﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾ عطف الذي على الذي أن جعل الذي نعت لرب والجملة بينهما معترضة وأن جعل الذي مبتدأ فالذي الثاني خبر لمحذوف أي وهو الذي أو خبر ثان للأول .

﴿واذا مرضت فهو يشفين﴾ عطف على يطعمني أو على يسقيني لأن المرض والصحة من توابع الأكل والشرب ولم يقل واذا امرضني كما قال يهديني وقال يطعمني وقال يسقيني وقال يشفيني لأن المرض في الغالب يحدث بتفرط به من الانسان في مطعمه أو مشربه ولذلك قالت الحكماء

لو قيل لأكثر الموتى : ما سبب آجالكم ؟ لقالوا : التخم وبما بين الاخلاط والأركان من التنافي فالاخلاط الأجسام السيالة المركبة التي بها يتقوى بدن الانسان عند اعتدالها وهي الصفراء والسوداء والدم والبلغم والأركان الأجزاء البسيطة التي بها صلاحه وصلاح غيره وهي التراب والهواء والنار والماء قاله زكريا فتأمل كونها بسيطة والصحة تحصل باجتماع الاخلاط واعتدال الأركان ، وأيضا لم يقل مرضني لأن المقصود تعديد النعم ولا يرد علينا قوله يميتني لأن الموت من حيث هو موت لا يحس به وانما الضرر في مقدماته لا يرد علينا ، إن الأمراض أيضا بكسر الهمزة نعمة من الله من حيث أنه يثاب عليه وتكفّر به الذنوب ويتخلص به من محن الدنيا إلى نعيم الآخرة لأنا نقول هو يقول ذلك للكفار وهم لا يتفطنون لهذا والكل خلق من الله فائدة قال ﷺ «من عاد مريضا أو زار أخا في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا» ، وقال : «من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع» ، قيل : يا رسول الله وما خرفة الجنة ؟ قال : «جناحها» وقال «من عاد مريضا لم يحضر أجله فقال عنده ـ وفي رواية ـ عند رأسه سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله سبحانه» وكان ﷺ يعود المريض ويجلس عند رأسه ويقول ذلك سبعا .

﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي﴾ جنس ما فعلت مما هو مكروه أو فاضل وتركت الأفضل وما هو صغير عند مجيزها على الأنبياء والتعبير بالطمع هضم لنفسه وتعليم لغيره لأنه قد علم أن الله يدخله الجنة أو عبّر بذلك لجواز أن يعاقبه الله بشيء حالا بالنار وقال الشيخ هود :

الطمع هنا يقين ، وقال أكثر المفسرين مراده قوله في شأن ساره عند الملك

الملك هي اختي وقوله ﴿اني سقيم﴾ وقوله ﴿بل فعله كبيرهم﴾ وهو ضعيف فإن ذلك ليس بخطيئة لأنه معاريض لاكذب وإنما أراد اخته في الدين وسقم القلب وهو تضرره بكفرهم وما مر في سورة الأنبياء ولعله لما قال ذلك اجتهادا منه ليخلص نفسه لا بوحي خاف أن لا يجيز الله له ذلك فهو يحسبه خطيئة ويعتل به عن الشفاعة في أهل الموقف كذا ظهر لي جوابا في جانب الأكثرين ويحتمل أن يقول ﴿والذي أطمع﴾ . . الخ ، هضما لنفسه وتعليما للذين يخاطبهم أن يجتنبوا الخطايا ويستغفروا لما صدر منهم وقرىء ﴿خطاياي﴾ .

﴿يوم الدين﴾ يوم الجزاء في يوم الدين وهو الآن خفي عن الناس وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المساكين فهل كان ذلك نافعا له ؟ قال : (لا . . إنه لم يقل يوما رب اغفرلي خطيئتي يوم الدين) يريد لو قالها قولا حقيقا وهو المتبع بالاعتقاد الشرعي والعمل لنفعه ذلك وهو مخاطب بشرع عيسى عليه السلام .

﴿رب هب لي حكما﴾ علما وقيل كمال العلم استعانة على خلافة الحق ورياسة الخلق فإن الرئيس يحتاج لذلك ولا سيما أن كان المقصود برياسة أمر الآخرة وقيل الحكمة وهي من لوازم كمال العلم وقيل الحكم بين الناس وقيل النبوة وقيل العلم والفهم . قال ابن عباس : معرفة حدود الله وأحكامه والمراد في هذا المقام الزيادة من ذلك او التثبيت عليه وعن

بعضهم المراد بالمقام كله الاحتجاج انما يستحق الألوهية من يفعل هذه الأفعال .

﴿وألحقني بالصالحين﴾ النبيين أي ثبتني على النبوة حتى أكون مثلهم لا يفوتونني بشيء في الطاعة والمنزلة وقيل ﴿رب هب لي حكما﴾ معناه : ثبتني على النبوة ﴿وألحقني بالصالحين﴾ معناه الحقني بأهل الجنة .

﴿واجعل لي لسان صدق﴾ ثناء حسنا .

﴿في الآخرين﴾ الآتين من بعدي الى يوم الدين ، وقد أجاب الله دعاءه فلا تجد أمة من الأمم بعده إلا تذكره بخير وترضاه وتنتسب اليه ، ولم يطلب ذلك تفاخرا ولكن طلبه ليقتدى به فيكون أجره كأجر من عمل بشرعه وليدعوا له بالخير ، وفي تسمية الثناء باللسان تسمية الشيء بإسم آلته فكأنه قيل ثناء صدق وقيل مراده اجعل من ذريتي لسانا صادقا يحيي ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعو وهو سيدنا محمد ﷺ .

﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ أي ممن يعوض عن أعماله جنة النعيم أو ممن يصير إليها كما يصير الوارث إلى ما ترك مورثه أو نحو ذلك وقد مر . وعن الحسن البصري عن سمرة بن جندب سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من عبد يخرج من منزله عند الصبح وعند العشاء فيقول الذي خلقني فهو يهديني الى قوله جنة النعيم إلا كتب إيمانه في كتاب ثم يوضع تحت العرش أن فلانا من الصديقين يصدقون بيوم الدين» .

﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ بأن تتوب عليه فتوفقه إلى الاسلام فتغفر له وانما دعا له قبل ان يتبيّن له انه عدو لله ومن كان عدوا لله لا ينقلب وليا له ولقد أجاز بعض متأخري أصحابنا الدعاء بالهداية

للعاصي والمشرك لأنه يتبين له أنه يختم له بالعدواة أو بالولاية ولفعل نوح عليه السلام ذلك . والصحيح المنع لقوة الدلائل عليه في شريعة المصطفى ﷺ بل قد قيل إن ابراهيم عليه السلام نفسه قد منعه الله من الاستغفار للمشركين بعد ذلك مطلقا قيل ولعله كان يظن انه يخفي الايمان عن نمرود فدعا له بعد موته .

﴿ولا تخزني يوم يبعثون﴾ أي لا تفضحني يوم تبعثهم للفضيحة بمعاتبتي بما فرطت أو بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي وإنما صح أن يقدر بتعذيبي هضما لنفسه أو قال ذلك قبل أن يعلم ما حاله أو لجواز تعذيب مالا عذاب النار أو المراد بتعذيب والدي أو بعثه في الضالين فيكون ذلك من جملة الدعاء لأبيه ويجوز أن يكون الأخزاء من الخزاء بالفتح وهي الحياء والضمير للضالين أو للناس مطلقا . وعن الحسن أن ابراهيم يمسك أباه بيده ويقول يا رب وعدتني أن لا تخزيني وذلك على باب جسر جهنم فتفلت يده فلا يراه إلا وهو يهوي في النار ، وروي أنه يصور ضبعا فيرسله فيقول : يا رب ليس بأبي .

﴿يوم﴾ بدل من يوم .

﴿لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ أي لا ينفع ذلك إلا من مات وقلبه سالم من الشرك والنفاق والأضرار وسائر المعاصي بأن يموت تائبا ، فـ (من) مفعول ينفع الاستثناء مفرغ أي أنما ينفع ذلك سلم قلبه معه بأن انفق ماله في حقويه وعلم أولاده الشريعة رجاء لما عند الله ويشفعوا له يوم القيامة فان من هذا حاله قد انتفع بماله وبنيه في الدنيا وله ثواب على ذلك في الآخرة ومن لم تكن حاله ذلك فماله وولده وبال عليه لأنه قد عصى الله في أولاده وماله فكائنة قيل إلا من أتى الله

بقلب سليم من فتنة المال والبنين ولك أن تجعل المال والبنين بمعنى الغني كأنه قيل يوم لا ينفع غني إلا غني من أتى الله بقلب سليم لأن غنى الدين سلامة القلب ، كما أن غنى الدنيا المال والبنون فيكون الاستثناء تاما لذكر المستثنى منه وهو المال والبنون لكن المستثنى محذوف كما رأيت وناب عنه المضاف اليه أو يقدر إلامال من اتى الله بقلب سليم وبنوه ويجوز أن يكون الكلام على طريقة قولك مال زيد وبنوه سلامة قلبه تريد اثبات سلامة قلبه وانها هي التي يريد ويغتبط لا المال والبنون سواء كان له المال والبنون أم لا هذا يطابق الآية لأنها تعم من له مال وبنون ومن لم يكن له ذلك لا من له ذلك فقط حتى يكون المراد نفي المال والبنين واثبات السلامة بدلا عن ذلك ، كما قال جار الله ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعا على تقدير مضاف أي لكن حال من أتى الله بقلب سليم تنفعه حاله أو لكن سلامة من أتى الله بقلب سليم تنفعه ، ويجوز عندي لا عند جار الله أن لا يقدر مضاف أي لكن من أتى الله بقلب سليم ينفعه ماله وبنوه أو سلامة قلبه وعن سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وقلب المؤمن واما قلب المشرك والمنافق فمريض وقيل سليم من البدعة وقيل الذي سلم وسلم وأسلم وسالم وقال الجنيد سليم بمعنى لديغ لدغته خشية الله وهو من بدع التفاسير .

﴿وأزلفت الجنة﴾ قربت .

﴿للمتقين﴾ فيرونها ويفتخرون بأنهم المحشورون اليها ويغتبطونها .

﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ أظهرت للكافرين يتحسرون أن يساقوا اليها وعبر بإزلاف ثم بالتبريز ترجيحا لجانب الوعد .

﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله﴾ اين آلهتكم فيشفعوا

لكم كما قال .

﴿هل ينصرونكم أو ينتصرون﴾ لأنفسهم لا ينصرونكم بدفع العذاب ولا هم يمنعون أنفسهم عن الوقوع في النار فانهم وعابديهم يلقون في النار كما قال .

﴿فكبكبوا﴾ القوا والضمير للأصنام وهي آلهتهم والأصل كبّوا بباء مشددة وفيها با ان فزيدت أخرى للمبالغة وقلبت كافا وهي الكاف الثانية فالأصل قبل القلب كببوا وذلك قول الكوفيين وقال البصريون ليست الكاف بدلا من باء ولعل هذا مراد من قال عنهم أن الكاف أصل وفي هذه المادة ونحوها بسط في شرح اللامية والكبكبة تكرير الكب ومفيد التكرير قيل زيادة الباء المقلوبة كافا وقيل تكرير الكاف والباء فان من ألقي في جهنم ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها . . اللهم أجرنا منها يا من لا نطلب الاجارة ولا يجير الا هو .

﴿فيها هم والغاوون﴾ الكافرون من غوي اللازم أو المتعدي لأنهم يغوون انفسهم وغيرهم وقيل الضمير للكفار والغاوون الشياطين من غوي المتعدي وهو قول الشيخ هود جزاه الله عنا خيرا ويجوز أن يكون الضمير للضالين والغاوون هم رؤساء المشركين المضلون وفي ذكر لفظ هم تأكيد ووالله لا ندري أي الغمين أعظم عليهم أغم توبيخهم على الاشراك وغم النظر إلى النار حتى أن لهم في كل لحظة هلكة أم غم الالقاء في النار مكبوبين على وجوههم وقيل الكبكبة على الرأس وقيل الجمع وقيل طرح بعض على بعض .

﴿وجنود إبليس﴾ من أطاعوه من الانس والجن أو المراد أعوانه من الشياطين .

﴿أجمعون﴾ توكيد الضمير والغاوين والجنود وهم من ولده من صلبه وقيل جميع من أطاعه من الجن إلا أن المراد بالغاوين الآدميون الكفار وقيل كل من اتبعه من الجن والانس وهو معطوف عطف عام على خاص على القول الاخير وقوله .

﴿قالوا﴾ مستأنف والواو للغاوين .

﴿وهم﴾ الواو واو الحال .

﴿فيها يختصمون﴾ مع معبوداتهم وفيها متعلق يختصمون ويختصمون خبرا وهما خبران أو فيها خبر ويختصمون حال من ضمير الاستقرار فيه ويختصمون خبر وفيها حال من واوه ومفعول القول هو قوله .

﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾ ان مخففة واللام فارقة وانما قلنا بأنهم يختصمون مع معبوداتهم لأن الله ينطق تلك الأصنام المعبودة ويجوز أن يكون التخاصم بين الكفار والشياطين ويجوز أن يكون جنود مبتدأ وأجمعون توكيد له وقالوا خبره فالمضمرات بعد للجنود ويدل على ان المختصمين الآدميون الكفار وانهم يختصمون مع الأصنام قوله .

﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ في العبادة واذ متعلق بكنا أو لفي ضلال او باستقرار في .

﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾ رؤساؤهم وكبراؤهم وقال السدي الأولون الذين اقتدينا بهم وقال ابن جريج ابليس وقابيل لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي وقال مجاهد الشياطين .

﴿فما لنا من شافعين﴾ شافعين مبتدأ ولنا خبرا أو فاعل لنا لاعتماده على النفي وعلامة رفعه واو مقدرة منع من ظهورها اشتغال الموضع الذي تكون فيه بالياء ومن صلة .

﴿ولا صديق حميم﴾ يهمه أمرنا فهو من الاحتمام بمعنى الاهتمام أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص . قالوا ذلك حين رأوا الملائكة والأنبياء والعلماء شافعين في المسلمين عموما والصديق شافعا في صديقه خصوصا أو الحميم القريب تحرق اذ لم يكن لهم شافع ولا صديق حميم كما كان ذلك للمؤمنين وأهل النار بينهم التعادي والتباغض يومئذ ويجوز ان يريدوا مالنا من شافعين ولا صديق حميم من الذي كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء وكانوا يعتقدون أن الأصنام تشفع لهم عند الله وكانت لهم صدقا من الجن والانس أو المراد أن شفاعة من نعده شافعا وصداقة الصديق لا تنفعاننا فقصدوا نفي النفع بنفي الشافع والصديق ومالا ينفع حكمه حكم المعدوم وجمع الشافعين لكثرة الشفعاء في العادة وافرد الصديق لقلته فأن الصديق الذي يهمه ما يهمك أعز من بيض الأنوق أو حمرها وسئل حكيم عن الصديق فقال : إسم لا معنى له ويجوز أن يراد بالصديق الجمع لأنه فعيل بمعنى فاعل لا بمعنى مفعول فصح إطلاقه على الجماعة لا كما زعم القاضي أن أصله مصدر إلا إن أراد أنه بوزن المصدر كصهيل وذميل وزعم قومنا عن جابر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ «أن الرجل ليقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في النار فيقول الله أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقي مالنا من شافعين ولا صديق حميم» قلنا هذا حديثهم لا حديث رسول الله ﷺ وإن كان حديثا له فالمراد أنه يكون داخل الجنة أو في أهلها خارجها وصديقه من المسرفين قد انقطع به إسرافه حتى بقى في جملة أهل الجحيم في المحشر فيقول الله جل وعلا [أخرجوه من جملة المسرفين الى الجنة وأهلها لموته تائبا] .

وعن الحسن : إستكثروا من الأصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة .

﴿فلو أن لنا كرة﴾ رجعة إلى الدنيا ، ولو هنا حرف تمنى ولذا نصب المضارع الواقع بعد فاء السببية بعده في قوله .

﴿فنكون من المؤمنين﴾ والصدر من الاستقرار الواقع خبرا لأن فاعل المحذوف أي لو ثبت ثبوت كرة لنا أو مبتدأ محذوف الخبر أو لا خبرله أقوال فقال سيبويه وجمهور البصريين مبتدأ فقال بعضهم لا خبر له لاشتمال صلة أن على المسند اليه والمسند وقيل به خبر يقدر مقدما أي ولو ثابتة لنا كرة . وقال ابن عصفور يقدر مؤخرا . وقال الكوفيون والمبرد والزجاج والزمخشري فاعل لثبت محذوفا دلت عليه أن وانها تعطي معنى الثبوت ، كما قال جميع النحاة في : لا أكلمه ما إن في السماء نجما وهو الصحيح لأن فيه إبقاء (لو) على اختصاصها بالفعل وأوردوا عليه في مثل ذلك المقام اذا كانت شرطية ان الفعل لم يحذف بعد لو وغيرها من أدوات الشرط إلا مفسرا بفعل بعده الا كان والمقرون بأل بعد أن قاله ابن هشام قلت هذا لا يعدل المحافظة على أن يلي الفعل (لو) مع ان اختصاصها بالفعل دليل على تقديره وقد يقال (لو) في الآية شرطية ونصب تكون عطفا لمصدره على كره على حد ولبس عباءة وتقر عيني إلا أن المعطوف عليه في الآية منصوب والمعطوف عليه في البيت مرفوع والجواب محذوف أي لفعلنا كذا وكذا قال ابن هشام الخضراوي وابن الضابع (لو) تكون للتمني فتجاب بمضارع منصوب كجواب ليت وقيل (لو) هذه هي الشرطية اشربت معنى التمني بدليل انها تجاب بجواب منصوب بعد الفاء وجواب بعد اللام في بعد المواضع وقال ابن مالك هي المصدرية

أغنت عن فعل التمني لا موضوعة للتمني والا منع الجمع بينها وبين فعل التمني قلت الجمع ممنوع واذا ورد تمنيت لو قام زيد فلو مصدرية لا للتمني .

﴿إن في ذلك﴾ المذكور من قصة ابراهيم وقومه .

﴿لآية﴾ حجة للمستبصر مشيرة إلى أصول العلوم الدينية ودلائلها دالة على كمال إشفاقه على قومه .

﴿وما كان أكثرهم﴾ أكثر قومه .

﴿مؤمنين﴾ مع قوة الدلائل .

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ الغالب القادر على تعجيل الانتقام منهم .

﴿الرحيم﴾ بالامهال ليؤمن من يؤمن .

﴿كذبت قوم نوح﴾ القوم يذكر ويؤنث ويحكم عليه بحكم المفرد وبحكم الجمع ويصغر على قويم وقويمة وتصغيره على قويمة دليل على انه يؤنث بغير التأويل بالجماعة وعن بعضهم انه انما يؤنث بالتأويل بالجماعة .

﴿المرسلين﴾ كذبوا نوحا فقط فسموا مكذبين للمرسلين أما لأن من كذب نبيا واحدا كمن كذب جميع الأنبياء أو لأنهم قد كذبوا الجميع ونفوا الرسالة أو لأنه جاءهم بالأصل الذي جاءت به الرسل فتكذيبه تكذيبهم أو لأن من يكذب رسولا مخصوصا لو جاءه آخر كذبه . كما تقول زيد يركب الدواب ويلبس البرود تريد من شأنه وعادته ذلك ولو كانت له دابة واحدة وبرود واحدة او غير ذلك مما مر .

﴿إذ قال لهم أخوهم نوح﴾ أراد انه أخوهم في النصب لأنه منهم كقولك يا أخا قريش أي يا واحدا منهم وكان عليه السلام أمينا فيهم

مشهورا بالأمانة كسيدنا محمد ﷺ في قريش .

﴿ألا تتقون﴾ الله .

﴿إني لكم رسول أمين﴾ مشهور بالأمانة فيكم كما مر فلست قائلا لكم إلا ما ينجيكم وتفوزون به .

﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فيما آءمركم به من التوحيد والطاعة لله عز وجل .

﴿وما أسألكم عليه﴾ على ما أقول لكم وما أنا فيه ولا مانع من جعلها للاستفهام الانكاري مفعولا ثانيا لأسأل .

﴿من﴾ زايدة في المفعول .

﴿أجر إن﴾ أي ما .

﴿أجري﴾ بفتح الياء عند نافع وابن عامر وأبي عمرو وحفص ذكره الامام الداني واسكانها عند غيرهم وكذا في الأربعة الآتية والأجر الثواب .

﴿إلا على رب العالمين﴾ يثبه الله سبحانه بالجنة .

﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ اتقوا الله وأطيعون الأول مترتب على أمانته والثاني مترتب على عدم طلبه الأجر منهم والطمع فيهم وفي ذلك تلويح بأن مجرد أمانته يوجب ان يطيعوه ومجرد عدم طلبه الأجر وطمعه يوجبه أيضا فكيف وقد اجتمعت فيه الأمانة وعدم الطلب والطمع .

﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ الواو واو الحال بلا تقدير قد وقدرها بعضهم وهو مذهب الكوفيين والأخفش والأرذلون جمع أرذل جمع مذكر سالم وتكسيره أراذل وهم الأقلون جاها لضعة نسبهم أو قلة ما لهم أو لدناءة صنعتهم كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة

لكن لقلة عقولهم وقصورها على الدنيا اعتقدوا أن إيمان الارذلين به مانع من اتباعهم له ودليل على بطلان ما يدعوه اليه وان الأرذلين آمنوا بديهة وطمعا في المال والجاه لا على بصيرة أو ما علموا أن اتباع الرسل المستضعفون ثم ينمون ويعظمون وكانت قريش تقول في سلمان وابن مسعود وأبي ذر وخباب وعمار وغيرهم انهم ضعفاء أراذل ، وكان أبوسفيان بن حرب وتجار من قريش في الشام ودعاهم هرقل فقال له بترجمان : كيف نسب هذا الذي يزعم انه نبي ؟ قال ابوسفيان : هو فينا ذو نسب ، قال : فهل قال أحد منكم قبله ما يقول ؟ قال أبوسفيان : لا ، قال : فهل كان من آبائه ملك ؟ قال ابوسفيان : لا ، قال : فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاءهم ؟ قال : لا بل ضعفائهم ، قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قال : بل يزيدون ، قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه ؟ قال : لا ، قال : فهل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا . قال : فهل يغدر ؟ قال : لا . قال : فهل قاتلتموه ؟ قال : نعم . قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قال : الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه . قال : ماذا يأمركم به ؟ قال : يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فذكرت ان لا ، وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت ان لا ، فلو كان من آبائه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك : هل تتهمونه بالكذب قبل قوله فذكرت أن لا ، فقد اعرف انه لم يكن

ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاءهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت انهم يزيدون ، وكذا أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك : أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ ذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد ، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بماذا يأمركم به ؟ فذكرت انه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن انه منكم ، وعن عكرمة الأرذلون الحاكة والأساكفة وهم من يعملون الأخفاف أو كل صانع أو البخارون وكل صانع بحديد ، وقرأ يعقوب (واتباعك) بالرفع فهو مبتدأ خبره الأرذلون وقرأ اليماني (واتباعك) بالجر عطفا على محل الكاف بلا إعادة الجار وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال قال بعضهم لا يستعمل الأرذلون إلا معرفا او مضافا أو بمن وهو باطل .

﴿**قال وما علمي بما كانوا يعملون**﴾ أي علم لي بما كانوا يعملون فما استفهامية لا أدري اتبعوني مخلصين أو طامعين في المال والجاه .

﴿**إن حسابهم**﴾ ما حساب باطنهم .

﴿**إلا على ربي لو تشعرون**﴾ وإما أنا فعلى الظاهر فقط لو كنتم من أهل الشعور أولو كان لكم أدنى شعور لعلمتم ذلك أولو علمتم ذلك ما عبتموهم وجواب لو محذوف كما رأيت وقيل معنى (وما علي بما كانوا يعملون) أني لم أعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم وذلك

لهم فضل من الله ويجوز أن يريد وبالرذالة الدنائة والخسة في أمر الدنيا كما مر ويصرفها نوح الى الدناثة والخسة في أمر الآخرة من سوء الأعمال وفساد العقايد فبني الجواب على ذلك فقال ما عليّ الا اعتبار الظاهر دون التفتيش عن باطنهم فما كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم وانما صفها ليعلمهم أن الرذالة الدنيوية لا تضر فإن الغني غني الدين والنسب نسب التقوى وذلك من تلقى المتكلم للمخاطب بغير ما يترقبه لمخاطب بحمل الكلام الذي تكلمه المخاطب على خلاف مراده تنبيها على أن غير ما يترقبه أولى بالقصد روي أن الحجاج قال للقبعثري حملتك على الأدهم يعني القيد فقال القبعثري مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب وعنى بالأدهم الفرس الذي غلب سواد حتى ذهب البياض وذكر الأشهب بيانا لمراده وهو الفرس الذي غلب بياضه ولما كان كلام قومه يستدعي طرد هؤلاء الأرذلين وتوقف ايمانهم على الطرد أجاب بقوله .

﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ بدافعهم وتاركهم وهم الذين سموهم الأرذلين ليس من شأني طرد المؤمنين تطيبا لأنفسكم واستجلابا لإيمانكم وانما وظيفتي الانذار وقد أنذرتكم وأوضحت فأنتم أعلم بحالكم كما قال .

﴿ان﴾ أي ما .

﴿أنا إلا نذير مبين﴾ وأعز الناس عندي من آمن ولو فقيرا ضعيفا فكيف أطرده .

﴿قالوا لئن لم تنته﴾ عما تقول لنا .

﴿يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ بالحجارة حتى تموت أو بالشتم فيكوّنون شبهوا المواجهة بالقول السيء بالرجم بالحجارة والقتل بالرجم

من شر القتل .

﴿قال رب إن قومي كذبون﴾ هذا عندي من الاستعارة التمثيلية فإن هذا المركب موضوع للأخبار بالتكذيب وليس هذا مراده لعلم الله سبحانه بكل شيء ولكنه استعمله في إظهار انه يدعوا عليهم لتكذيبهم للوحي لا لأستجفافهم بحقه عليه السلام .

﴿فافتح﴾ احكم والفتح الحكم والفاتح الحاكم وذلك لغة اليمن يقولون يافاتح أي يا قاضي .

﴿بيني وبينهم فتحا﴾ لأن الحاكم يفتح المستغلق كما يسمى فيصلا لفصله بين الخصومات .

﴿ونجني ومن معي من المؤمنين﴾ من كيدهم وجزاء أعمالهم القبيحة بفتح ياء (معي) في رواية ورش وحفص وانما دعا بذلك لما أمر بالدعاء .

﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك﴾ السفينة وهو هنا مفرد ويجمع على وزنه بلا مخالفة في حركة أو سكون او حرف لكن ضمت الفاء وسكون اللازم في الجمع غيرهما في المفرد جمعوا فعلا بضم الفاء وإسكان العين على فعل بضم الفاء واسكان العين أيضا كما جمعوا فعلا بفتح الفاء والعين على فعل بضم الفاء وإسكان العين كأسد بفتح الهمزة والسين وأسد بضمهما لأن فعلا بفتحهما وفعلا بضم الأول واسكان الثاني اخوان في العرب والعرب والرشد والرشد .

﴿المشحون﴾ المملوء من الناس والجن والحيوان بأصنافها والطير وقيل لم يكن فيه من الجن غير ابليس وكانت مع نوح امرأة له وبنوه سام وحام ويافث ونسائهم فذلك ثمانية .

﴿ثم أغرقنا بعد﴾ انجاه ومن معه من المؤمنين .

﴿الباقين﴾ من الثقلين ولا مانع من أن يراد الباقين من قومه والكلام فيهم .

﴿إن في ذلك لآية﴾ شاعت وتواترت عند المؤمنين والكافرين .

﴿وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ مثل الأولى .

﴿كذبت عاد﴾ التأنيث إما اعتبار المضاف محذوف أي قبيلة عاد ، وعاد اسم أبيها وتسمية لها بإسم أبيها .

﴿المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين﴾ مثل الأول وصدرت القصص بذلك إعلاما باتفاق الأنبياء في ذلك وإن اختلفت شرائعهم وإن
المقصود ببعث الرسل الدعاء إلى الله وأن غرضهم ثواب الله لا غرض دنيوي .

﴿أتبنون بكل﴾ في كل .

﴿ريع﴾ مكان مرتفع وقيل المكان الذي يتنافس الناس في البناء فيه وقيل الطريق ونسب لابن عباس وقال مجاهد ما بين الجبلين والصحيح الأول وهو رواية عن ابن عباس ومنه قولهم كم ريع أرضك أي ارتفاعها وقرىء بفتح الراء .

﴿آية﴾ بنيانا عاليا علامة وكانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فذلك البناء عبث كما قال الله .

﴿تعبثون﴾ لاستغنائهم عنه بالنجوم وهو قول ابن عباس وقال مجاهد بروج الحمام يلعبون بالحمام فذلك العبث وقيل بنيان يجتمعون اليه للعبث

والسخرية بالمارة والسابلة وقيل قصور طوال يفتخرون بها والجملة حال من ضمير تبنون مقارنة لأن البناء عبث من حيث انه لم يكن لصفة أو مقدرة باعتبار أن المراد بالعبث عبثهم بالحمام ، أو بالمارة والسابلة .

﴿وتتخذون مصانع﴾ للماء تحت الأرض أو حياضا له أو قصورا مشيدة وحصونا وهو قول الكلبي وروي عنه الأول أيضا وعن مجاهد والحسن أبنية .

﴿لعلكم﴾ قال ابن عباس كأنكم .

﴿تخلدون﴾ وقرأ أبي (كأنكم تخلدون) وقراءته مؤيدة لتفسير ابن عباس ولا مانع من إبقاء لعل على أصلها أي ترجون الخلود في الدنيا وقريء (تخلدون) بالبناء للمفعول من أخلد وتخلدون بالبناء للمفعول من خلد بالتشديد وعن الواقدي كل ما في القرآن من لعل للتعليل الا هذه فللتشبيه ، وكذا روى السدي وعن أبي مالك قال قتادة كان في بعض القرآن (كأنكم خالدون) .

﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ اذا أردتم الضرب ضربتم وأنتم ظالمون أو ضربتم غاشمين بلا رأفة ولا رحمة ولا قصد تأديب ولا نظر في العواقب يضربون بالسيف وغيره قال بعضهم الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب ، وعن الحسن تبادرون بتعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب وقال الشيخ هود المراد بطشتم بالمؤمنين .

﴿فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم﴾ زادكم .

﴿بما تعلمون﴾ كرر الأمر بالتقوى تأكيدا ولأن الأولى تنبيه على إن الله سبحانه أهل للتقوى والثانية رتب عليها الإمداد بما علموا وشاهدوا من النعم إشارة الى وجوب الشكر وإلى دوام النعم ان شكروا وانقطاعها إن

لم يشكروا فإنه القادر على الأنعام والانتقام وفصل بعض تلك النعم بقوله .

﴿أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون﴾ بساتين والجملة بدل بعض من قوله (أمدكم بما تعلمون) لأن ما يعلمون من النعم أكثر من ذلك أو بدل شيء من شيء على أن المراد بما يعلمون خصوص ما ذكر ولو كان معلومهم اكثر كذا ظهر لي ثم رأيت مثله للصبان والمراد التنبيه على نعم الله تعالى والمقام يقتضي اعتناء بشأنه لكونه مطلوبا في نفسه ووسيلة إلى الإيمان وقوله (أمدكم بأنعام) الخ . . . أوفى بتأدية ذلك المراد الذي هو التنبيه لدلالته على نعم الله تعالى بالتفصيل من غير إحالة على علم المخاطبين المعاندين .

﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ يوم موتهم فعذابهم فيه متصل بعذاب القبر وما بعده فهو عذاب في الدنيا والآخرة والكافر يعذب في موته عذابا عظيما أو المراد باليوم العظيم يوم يهلكون فيه إهلاك غضب وقد أهلكوا بريح صرصر إهلاكا متصلا بعذاب الآخرة أو المراد يوم القيامة .

﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ وإنما لم يقولوا أوعظت أم لم تعظ مع انه أوجز وانه المطابق لقوله وعظت للمبالغة لأن معنى (أم لم تكن من الواعظين) أم لم تكن أصلا من أهل الوعظ ومباشريه فإنا لا نعتد بوعظك ولا نرعوي له والوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد .

﴿إن هذا﴾ أي ما هذا الذي تعظنا به .

﴿إلا خلق الأولين﴾ عادتهم كانوا يلفقون مثله أو ما هذا الذي نحن

عليه من الدين إلا عادة الأولين اقتدينا بهم أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت عادة قديمة لم يزل الناس عليها لا بعث ولا حساب وذلك قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بفتح الخاء واللام أي ما هذا الذي تعظنا به الا كذب الأولين أو ما هذا الذي نحن عليه إلا ما عليه الأولون من موت وحياة بلا بعث وقرىء (خلق) بفتح الخاء واسكان اللام ومعناه ومعنى المفتوح الخاء واللام واحد .

وروي عن ابن كثير انه يقرأ (خلق) بضم الخاء وإسكان اللام وهو كقراءة ضمها وعن علقمة عن ابن مسعود (إلا خلاق الأولين) .

﴿وما نحن بمعذبين﴾ على أفعالنا لأنا لا نبعث .

﴿فكذبوه فأهلكناهم﴾ لتكذيبهم بريح صرصر .

﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم ، كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون فيما هاهنا آمنين﴾ الاستفهام إنكاري أي لا تتركون أو تذكير بالنعمة في تخلية الله عز وجل إياهم وما يتنعمون كما تقول لابنك اذا أردت أن تعلمه أنه في نعمة ليشكرها : أتنام في هذا الفراش اللينّ وتأكل كذا وتلبس كذا ، والاشارة إلى الدنيا وما واقعة على الخبر المفسر بالجنات وما بعدها وآمنين حال وإن عملنا تركنا فمفعول ثان .

﴿في جنات﴾ بدل من ما أو حال من الضمير في آمنين .

﴿وعيون وزروع ونخل طلعها﴾ ثمرها الذي يطلع منها .

﴿هضيم﴾ لينّ لطيف وهو قول ابن عباس وروي عنه ايه المدرك النضيج وقيل اللين الرخو وقيل منهشم يتغتت إذا مس وهو قول مجاهد وقيل الداخل بعضه في بعض من النضج والنعومة وقيل الهضيم الضامر كقولهم : كشح هضيم ، على أن المراد بالطلع وعاء التمر والشماريخ والنخل كثيرة الولادة وهو الأنثى ، وأما الذكر وهو البرني فثمره أطيب وقد أنعم عليهم بأجود النخل وأنفعه فذكرهم بذلك وطلع النخل لطيف وطلع البرني ألطف ونوع من النخل يسمى العجول طلعه خشن ، او الهضيم كناية عن كثرة الحمل بأن أصابت نخلهم كثرة الماء وجودة المنبت وسلمت من العاهات فكانت تحمل كثيرا والتمر اذا كثر تدلت الشماريخ وتكسر العرجون وأيضا اذا كثر الحمل هضم واذا قلّ جاء فاخرا وقيل الهضيم الذي لا نوى فيه وعن ابن عباس لطيف ما دام في كفراه وهو وعاؤه وانما خص النخل بالذكر بعد دخوله في عموم قوله (في جنات) لفضله على سائر أشجار الجنات والمراد بالجنات الأشجار غير النخل .

﴿وتنحتون من الجبال بيوتا﴾ تصنعون منها بيوتا إما بالحجارة المتروعة أو بأماكنها وقرأ الحسن بفتح الحاء .

﴿فرهين﴾ حاذقين بصنعها قاله الكلبي وقال ابن عباس أشرين بطرين ، وقال الحسن : آمنين وقيل : فرحين وقيل ناشطين وقيل : كاملي قوة وجسم وجمال وحال وقيل : معجبين بصنعها وقرئ ﴿فارهين﴾ بالألف وهو خارج عن القياس سواء كان من فره كفرح أو فره كظرف وقيل فرهين بطرين وفارهين حاذقين والقراءة الأولى قراءة نافع وابن كثير وابي عمرو او هي صفة مبالغة .

﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ شبّه امتثال الأمر بسكون الميم بطاعة الأمر بكسر الميم وبالمد فاستعار لفظ الطاعة للامتثال فان أصل الطاعة الانقياد للأمر بالمد والكسر أو نسب حكم الأمر بالمد والكسر وهو الطاعة إلى الأمر بسكون الميم فعليه فذلك مجاز في الاسناد .

﴿ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الأرض﴾ وهم الرؤساء المشركون عند ابن عباس وقيل التسعة الذين عقروا الناقة وهو نعت مبين لإسرافهم ويتم تبيينه بقوله .

﴿ولا يصلحون﴾ أي يفسدون بأنواع الفساد فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين غيرهم ولا يصلحون ما أفسدوا بالتوبة أو يفسدون بأنواع الفساد إفسادا محضا لا يخلطونه بشيء من الصلاح .

﴿قالوا إنما أنت من المسحّرين﴾ من سحّر بالتشديد أي الذين سحروا كثيرا وسحروا سحرا عظيما وغلب على عقولهم فليس ما تقول من الله بل هذيان وهذا قول الحسن ومجاهد وقيل المعنى من ذوي السحر بسكون الحاء وكسر السين أو بضمها وإسكان الحاء أو بفتحها وهو الرية أي من الذين جعلت لهم الرية وهم الناس وليست بملك والنبي انما هو ملك وعلى هذا يكون قوله .

﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾ تأكيدا له عن ابن عباس انما أنت من المعللين بالشراب والطعام ، وعن الكلبي إنما أنت ممن لا ملك له ولا بشي .

﴿فأت بآية إن كنت من الصادقين﴾ في دعوى الرسالة .

﴿قال هذه ناقة﴾ بعد ما أخرجها الله من الصخرة التي طلبوا أن يخرجها منها وكانت صخرة يصبون عليها اللبن روي انهم قالوا : نريد

ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا وهو ولد الناقة الذكر فقعد يتفكر ، فقال له جبريل : صل ركعتين وسل ربنا الناقة ففعل ، فخرجت الناقة ، كما أرادوا وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم قال أبو موسى رأيت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا .

﴿لها شرب﴾ نصيب من الماء كالسقي بكسر الشين واسكان القاف وألقيت بالنصيب من السقي والقوت وقيل القوت والقيت هما بهمز واحد وانهما لغتان وكذا ما أشبههما وقريء بضم الشين وكذا في الثاني وهو قراءة ابن ابي عبلة والمراد أن لها شرب يوم .

﴿ولكم شرب يوم معلوم﴾ وهو اليوم الذي بعد يومها ولا تشربوا من يومها شيئا قال قتادة اذا كان يومها شربت مائهم كله .

﴿ولا تمسوها بسوء﴾ بضرب أو عقر أو منع من الماء وغير ذلك .

﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ إنما عظّم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم بالعظم أبلغ من وصف العذاب به لأنه اذا عظّم الوقت بسببه فموقع من العظم أشد .

﴿فعقروها﴾ قتلوها وأسند العقر إليهم والعاقر بعضهم لرضاهم جميعا قيل ضربها قدار ، وروي أن عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين ، فكانوا يقولون للمرأة في خدرها بعد الدخول عليها : أترضين ؟ فتقول : نعم وكذا صبيانهم وذلك أن مواشيهم لا تقربها وتهرب منها خوفا وكانت تأتي الماء من فج وترجع من آخر يضيق عليها اذا شربت ويحلبونها يوم شربها واذا كان يوم شربهم وشرب دوابهم وارضهم كان لبنها لفصيلها وتصيف في ظهر الوادي في برد وخصب فتكون مواشيهم في بطنه وتشتو في بطنه في دفء وخصب فتكون

مواشيهم في ظهره وكرهوا ذلك لأمر أراده الله وبينما قوم منهم لعنهم الله يشربون الخمر فاحتاجوا لماء لمزج الخمر به وكان يومها فبعثوا من يأتي بالماء فرجع بلا ماء وقال حالت الناقة بيني وبينه ، فبعثوا آخر ورجع كذلك فقال بعضهم لبعض ما تنظرون قد ضرتكم ومواشيكم وأرضكم فانبعث أشقاها فعقرها ثم قالوا عليكم بالفصيل وصعد الجبل وفاتهم وقال لهم صالح : إن العذاب يعاجلكم وآية ذلك أن تصفّر وجوهكم في اليوم الأول وتحمّر في الثاني وتسوّد في الثالث ولما كان من اليوم الثالث استقبل الفصيل القبلة وقال يا رب أمي يا رب أمي يا رب أمي ، فأرسل الله عليهم العذاب عند ذلك وكانوا لما عقروها ندموا كما قال الله سبحانه .

﴿فأصبحوا نادمين﴾ على عقرها وما كان ندمهم الا ندم من جزاء المحسن وهو صالح أو الناقة وكلاهما بالاساءة وليسوا بنادمين على انتهاك حرمة الله أو ندم خوف من أن يعاقبوا عاجلا وليس ذلك ندم توبة أو ندم توبة عند معاينة العذاب ولا حين ندم ولذلك لم ينفعهم وقيل ندموا على ترك الولد وهو يعبد .

﴿فأخذهم العذاب﴾ المذكور وهو عذاب اليوم العظيم .

﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ قيل فيه

إشارة إلى أنه لو كان أكثرهم أو نصفهم مؤمنين لم يؤخذوا بالعذاب وإن قريشا منعوا من العذاب لايمان من آمن منهم .

(فصـــــل)

قال سعيد بن جبير والكلبي والخليل بن احمد كل واحد ذكر طائفة من الكلام ان اصحاب الرس بقية من ثمود كانوا بفلح اليمامة نزولا على البير وكل بير لم يطو بالحجارة فهو رس وكان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان لهم جبل يقال له فلح مرتفعا في السماء ميلا وفيه العنقاء وهي طير عظيم فيه من كل لون وسميت بالعنقاء لطول عنقها تنقض على الطير فتأكله فجاعت ذات يوم وفقدت الطير فانقضت على جارية قد ترعرعت فاخذتها فضمتها إلى جناحين صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فشكوا ذلك إلى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آية تذهب بها فاصابتها صاعقة فلم ير لها اثر بعد ذلك فضربت بها العرب الأمثال في كلامها ثم قتل اصحاب الرس نبيهم فأهلكهم الله تعالى وقال بعضهم بلغني أنه كان رسان اما احدهما فإن اهله اهل بدو وعمد ذو غنم ومواشي فبعث الله لهم نبيا فقتلوه ثم آخر وعضده الله بولي فقتلوه ايضا وجاهدهم الولي حتى افحمهم وكانوا يقولون ان الهنا في البحر كانوا على شفيرة وكان الشيطان يخرج إليهم في كل شهر سرة من ذلك البحر فيذبحون عنده ويتخذون عيدا فقال لهم أرأيتم ان اطاعني الذي تدعونه الها اتجيبونني قالوا نعم وأعطوه مواثيق وخرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا على اربعة احوات وله عنق متعالية وعلى رأسه مثل التاج فلما نظروا اليه خروا له سجدا وخرج الولي اليه وقال ائتوني طوعا او كرها بسم الله الكريم فنزل عن احواته وقال الولي ائتني على احواتك راكبا لئلا يكون القوم في امرهم على شك فركب فاتت به الحيتان الى ان وصل البر فجعل الولي يجره ونقضوا العهد وكذبوه فأرسل

سبحانه ريحا فالقتهم في البحر ومواشيهم وذهبهم وفضتهم وآنيتهم فأتى الولي إلى البحر فأخذ الذهب والفضة والأواني فقسمها على اصحابه الكبير والصغير وانقطع ذلك النسل واما الآخر فهو نهر يسمى رسا وهو بمنقطع اذربيجان بينه وبين ارمينية وكانت فيهم انبياء كثيرة لا يقوم فيهم نبي الا قتلوه وكان اهل اذربيجان يعبدون النار واهل ارمينيه يعبدون الأوثان واصحاب الرس يعبدون الجواري الأنكار اذا تمت لاحداهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها وكان عرض نهرهم المسمى بالرس ثلاثة فراسخ يرتفع كل يوم وليلة حتى يبلغ نصف الجبال التي حوله ولا ينصب في بر ولا في بحر فبعث الله اليهم ثلاثين نبيا في شهر واحد فقتلوهم جميعا فبعث اليهم نبيا وأيده بنصره وبعث معه وليا وجاهدهم في الله حق جهاده ثم بعث ميكائيل عليه السلام ففجر نهرهم في البحر وبقى ما في اسفله وذلك في وقت وقوع الحب في الزرع وهم احوج ما كانوا الى الماء وبعث الله سبحانه خمسمائة الف من الملائكة اعوانا ففرقوا ما بقي في وسط نهرهم وقد سد ميكائيل منابعه من فوق ثم بعث جبريل فلم يدع في ارضهم نهرا ولا عينا الا ايبسه بقدرة الله جل وعلا وامر ملك الموت فأمات المواشي مرة واحدة وامر الله سبحانه الارياح الاربعة الصبا والدبور والجنوب والشمال فنسفت متاعهم وبلعت الأرض حليهم وذهبهم وفضتهم وآنيتهم فأصبحوا بلا ماء ولا طعام ولا مال فآمن منهم واحد وعشرون رجلا واربع نسوة وتبعهم صبيان واما الباقون فستمائة الف ما بين رجل وامرأة وصبي ماتوا كلهم عطشا وجوعا وهؤلاء المؤمنون لما رأوا تيبس الانهار ذهبوا إلى غار في الجبل ثم عادوا إلى منازلهم فوجدوها عاليها سافلها ولا أحد فيها فدعوا مخلصين ان يجيبهم الله بماء

وزرع وان يكون ذلك قليلا لئلا يطغوا فأجابهم الله لما علم منهم من الصدق فكانوا لا يبعث الله رسولا فيمن يليهم الا أعانوه فأقاموا على الطاعة الى ان انقرضوا فخلف من بعدهم خلف اطاعوا الله في الظاهر وعصوه في الباطن وكانت معاصيهم اكثر فكثر فيهم القتل وبقيت منهم شرذمة فأماتهم الله بالطاعون ولم يبق منهم احد وبقى بنهرهم ومنازلهم مائتي عام خالية ثم اتى الله بقوم نزلوها وكانوا صالحين ثم احدثوا فاحشة جعل الرجل يدعو بنته واخته وزوجته الى جاره واخيه وصديقه يلتمس البر والصلة ثم تركوا النساء واشتغل الرجل بالرجل حتى شغفن ثم جاءت الدلهمة بنت ابليس لعنه الله فشهت النساء ركوب بعضهن بعضا وعلمتهن كيف يصنعن فمن ذلك كان تراكب النساء فسلط الله عليهم صاعقة من اول ليلهم وخسفا في آخره وصيحة مع طلوع الشمس فلم تبق منهم بقية .

وروي ان رجلا من اشراف بني تميم جاء عليا فقال اخبرني عن اصحاب الرس وفي اي عصر كانوا واين منازلهم ومن ملكهم ومن نبيهم وبماذا هلكوا فاني اجد ذكرهم في كتاب الله ولا اجد خبرهم فقال لقد سألتني عن حديث ما سألني عنه احد قبلك ولا يحدثك به احد بعدي كانوا يعبدون يا اخا بني تميم شجرة يقال لها ادرجة غرسها يافث بن نوح على شفير نهر وانما سموا اصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في الأرض وذلك قبل سليمان بن داود وكانت لهم اثنتا عشرة قرية على شاطىء النهر وهو الرس ولم يكن لهم يومئذ في الأرض نهر اغزر منه ولا اعذب ولا اقوى ولا اكثر سكانا ولا عمرانا منه واعظم مدائنهم استفيد باد وهي التي يسكنها ملكهم ويسمي بركوت بن عاهور بن سارب بن النمرود بن

كنعان فرعون ابراهيم عليه السلام وفيها عين وفيها الشجرة المذكورة
وهي صنوبرة عظيمة وحرموا تلك العين لا يشربون منها هم ولا انعامهم
ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هي حياة الهنا ولهم في كل شهر من السنة
في كل قرية عيد يضربون على تلك الشجرة مظلة من الحرير ملونة
ويذبحون غنما وبقرا قربانا ويشعلون في القربان النار فاذا سطع الدخان
وهاج القتاد وحال بينهم وبين السماء الدخان خروا سجدا يبكون
ويتضرعون اليها أن ترضى عنهم فكان الشيطان يختبىء فيحرك أغصانها
ويصيح من ساقها صياح الصبي عبادي قد رضيت عنكم فطيبوا نفسا
وقروا عينا فيرفعون رؤوسهم من السجود وبهم من الفرح ما بهم
ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف يومهم وليلتهم ثم ينصرفون وبعث
الله سبحانه اليهم رسولا من ولد يهودا ابن يعقوب يدعوهم إلى الله زمانا
طويلا فأبوا فقال يا رب ان عبادك أبوا الا عبادة شجرة لا تنفع ولا تضر
فأيبس شجرتهم وأرهم قدرتك فأصبحوا وقد يبست فقالت فرقة سحر
هذا الرجل الذي زعم انه رسول رب السماء الهكم ليصرفكم إلى عبادة
الهه وقالت فرقة غضبت حين رأته يعيبها ويقع فيها ويدعوكم الى عبادة
غيرها فجبت حسنها لتغضبوا لها وتنصروها فأجمعوا على قتله وحفروا بئرا
ونزحوا ماءها وحفروا أخرى وسطها عميقة ضيقة فأرسلوه فيها وسدوا
فمها بصخرة عظيمة وقالوا الآن نرجو أن ترضى عنا ويعود نورها
ونضارتها فبقوا يومهم يسمعون أنين نبيهم يقول سيدي ترى ضيق مكاني
وشدة كربي فأرحم ضعفي وقلة حيلتي وعجل بقبض روحي ولا تؤخر
اجابة دعوتي حتى مات عليه السلام فقال الله لجبريل عليه السلام انطلق
الى عبادي الذين غرهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا

رسولي وأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عذابي واني حلفت بعزتي لأجعلنهم نكالا للعالمين فبينما هم في عيدهم إذ غشيهم ريح عاصف فتميروا وذعروا منها وتضاموا ثم صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت تتوقد وأظلتهم سحابة سوداء فكانت عليهم كالقبة وأمطرت عليهم حجرا يلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار فنعوذ بالله ومن غضبه ومكره آمين يا رب العالمين .

﴿**كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم اخوهم لوط**﴾ قال النقاش أن في مصحف بن مسعود وأبي حفصة اسقاط قوله أخوهم .

﴿**ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين**﴾ أتنكحون الذكران من بين أولاد آدم مع فرط كثرتهم وغلبة إناثهم على ذكرانهم فالمراد بالعالمين الناس أو اتنكحون وحدكم من بين العالمين الذكران وتختصون بهذه الفاحشة . فالمراد بالعالمين الرجال .

﴿**وتذرون**﴾ تتركون .

﴿**ما خلق لكم ربكم من أزواجكم**﴾ بيان لما أي وتذرون أزواجكم اللاتي خلقن لكم أو ما واقعة على اقبال الأزواج فمن للتبعيض أي أتتركون اقبالهن إلى أدبار الرجال أوتتركون اقبالهن إلى أدبارهن وفي هذا الأخير وصف لهم باتيان أدبار النساء كما يأتون أدبار الرجال وقرأ ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم وفيها مناسبة للتفسير الأخير واذا وقعت ما على اقبالهن جاز كون من للبيان أيضا على تقدير مضاف أي ما خلق لكم ربكم من اقبال أزواجكم .

﴿**بل**﴾ للانتقال .

﴿أنتم قوم عادون﴾ متجاوزون منهمكون في المعاصي معصية اتيان الأدبار وغيرها من المعاصي فمعصية اتيان الأدبار من جملة معاصيكم أو متجاوزون الحلال إلى الحرام .وأحق بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة التي لم يسبقكم احد بها أو متجاوزون حد الشهوة إذ زدتم على ساير الناس بل الحيوانات .

﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط﴾ عما تأمرنا به من توحيد الله وطاعته وعن نهينا عما نفعل وتقبيح أمورنا .

﴿لتكونن من المخرجين﴾ المعهودين ونخرجهم من قريتنا ونأخذ أموالهم ونعنف بهم أو المراد مجرد الاخراج وقال العالم العلامة الجامع بين المعقول أو المنقول الشيخ هود جازاه الله عن الاسلام خيرا لتكونن من المقتولين المخرجين منها قتلى .

﴿قال﴾ لوط .

﴿إني لعملكم من القالين﴾ معدود من جملة المبغضين وهذا أبلغ من قولك اني لعملكم قال كما أن قولك زيد من العلماء أي معدود في زمرتهم ومعروف بمساهمته ولهم أبلغ من قولك زيد عالم والقلاء البغض الشديد كأنه بغض بقلى الفؤاد والكبد وذلك لشدة كراهته للمعاصي وتباعده عنها حتى كان بغضه لفاعلها كالبغض الطبيعي فكيف أترك أمركم ونهيكم فذلك جواب لما أراد منه من الانتهاء ويجوز أن تكون الى أل للكمال أي من الكاملين في البغض وإن قلت جماعة كانت تقلي عملهم مثله حتى يكون منهم قلت والله اعلم أراد من آمن معه في بلدته وغيرها وقد كان أبونا ابراهيم في ذلك الزمان أو المراد الملائكة أو جميع ذلك أو اراد ان عملهم من شأنه أن يبغضه أولو الألباب وأصل عادون عاديون

عادوون قلبت الواو الأولى ياء لكسر ما قبلها ونقلت ضمة هذه الياء لثقلها إلى الدال فحذفت الياء لسكونها وسكون ما بعدها ولام لعملكم لام التقوية وبين قال وقالين شبه جناس فانهما يشبه أن يكون اشتقاقهما من لفظ واحد وليس كذلك فان قال من القول والقالين من القلا .

﴿**رب نجني وأهلي مما يعملون**﴾ من جزاء ما يعملون أو أعصمنا عن أن نعمل مثل عملهم وأهله من أمن من قومه سواء كان من أهل بيته أو غيرهم .

﴿**فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين**﴾ أمره أن يرحل بأهله فرحلوا فنجوا والعجوز امرأته والاستثناء منقطع أن أريد بالأهلية أهلية الإيمان فقط فبالإيمان يدخل فيها أهل بيته المؤمنون لا بأهلية البيت ومتصل أريد بها أهلية البيت والإيمان وأهلية الإيمان فقط لأن لها في أهلية البيت شركة وإن لم تشاركهم في الإيمان ولك أن تقول مطلقا هو متصل نظرا إلى لفظ الأهل وإن قلت اذا كانت التنجية العصمة من أن يعملوا مثلهم فكيف تستثني امرأته .انها لا تعمل قلت استثنت لأنها رضيت عملهم وأعانت عليه

والغابرون الباقون بغير تنجية من العذاب أو العمل وانما قال في الغابرين مع انها لم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم لأن المراد مقدرا غبورها فهو نعت مقدر كما تكون حال مقدرة .

﴿**ثم دمرنا**﴾ أهلكنا .

﴿**الآخرين**﴾ وهم قومه وامرأته كانت فيهم منافقة .

﴿**وأمطرنا عليهم مطرا**﴾ تفسير لتدميرهم .

﴿**فساء مطر المنذرين**﴾ أنذرهم لوط فلم يقبلوه فأمطر الله عليهم

حجارة من كبريت متقدة نارا وقيل أصحاب قريتهم خسفا وهو المراد التدمير ، وأصابت الحجارة من كان خارجها منهم من مسافر وغيرهم وكانت العجوز ممن أصابه حجر وهي خارجة مع لوط في الطريق لأنها منافقة وقيل انها لم تخرج بل بقيت في القرية وأن هذا هو المراد بقوله في الغابرين لأنها منافقة وقيل انها لم تخرج بل بقيت في القرية وان هذا هو المراد بقوله في الغابرين وعن ابن زيد لم يرض بالخسف حتى اتبعه مطرا من حجارة والمراد بمطر المنذرين الحقيقة حتى يكون فاعل ساء عاما والمخصوص محذوف أي مطرهم أي مطر الآخرين ولا مانع من أن يراد بمطر المنذرين مطر الآخرين فلا يقدر مخصوص كما جاز بعضهم أن يراد بالرجل في زيد نعم الرجل خصوص زيد .

﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب ليكة المرسلين﴾ بكسر التاء عند نافع وابن كثير وأبي عامر المرسلين التحقيق أن ليكة هي الأيكة لكن نقلت حركة الهمزة بلام قبلها فحذفت الهمزة فكتب كما يقرأ بإسقاط تلك الهمزة وهمزة أل من الخط وكذا في سورة (ص) ووجدا كذلك في الامام وذلك مما خالف فيه قياس الخط ويدل على هذا قراءة بعضهم أصحاب الأيكة بإسكان اللام بعده همزة مفتوحة وهي قراءة غير نافع وابن كثير وابن عامر في السورتين ويدل عليه أيضا كتبها بألف ولام وألف في سائر القراءة وأعني بالألف الآخرة الهمزة غير منقولة فتحها أو منقولة وهي طريقة ورس والعصة واحدة فكل من ليكة والأيكة إسم شجرة واحدة مخصوصة نسبوا اليها أو لجنس من الشجر وكانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقيل كلاهما اسم بلدة فيها ذلك الشجر وقرأ بعضهم ليكة بفتح الياء

على انه اسم بلدة ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث وأن اللام أصل لا لام أل والتحقيق ما مر وهذا انما غرة وجودها مكتوبة بلام فياء في الامام ونسب أبو عمرو الداني هذه القراءة الى نافع وابن كثير وابن عامر وكذلك في (ص) وكذا نسب الثعالبي وعلى هذا فتارة نسبوا الى بلدة معينة وهي ليكة بوزن ليلة ومرة الى الشجرة أو الشجر وقيل الأيكة الشجرة الكبيرة الملتفة على الاطلاق وقيل شجر معروف يألفه الحمام والقماري ونحوها له غضارة وذلك الشجر قرب مدين يسكنها قوم أرسل اليهم شعيب كما أرسل إلى أهل مدين .

﴿**اذ قال لهم شعيب**﴾ لم يقل أخوهم شعيب لأنه ليس منهم وانما هو من أهل مدين وفي الحديث أن شعيبا أخا مدين أرسل اليهم وإلى أصحاب الايكة .

﴿**ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل**﴾ أتموه .

﴿**ولا تكونوا من المخسرين**﴾ المنقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن .

﴿**وزنوا بالقسطاس**﴾ وقراءة حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف وهو الميزان بالرومية قاله ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير وقال مجاهد هو العدل بالرومية قال جار الله وقيل القسطاس القرسطون ويحتمل أن يكون غربيا فان كان من القسط فوزنه فعلاع بتكرير العين فالسين الثانية زايدة وإلا ففعلال بتكرير اللام ولا زايد فيه كذا ظهر لي .

﴿**المستقيم**﴾ السوى الكيل وافي وبه أمرهم وهو الواجب وطفيف وعنه نهى وزايد ولم يذكره فمن فعله فقد أحسن .

﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي لا تدموا أشياء الناس بما لم يكن فيها فأشياء بدل اشتمال من الناس وذلك في نحو البيع والشرى أو لا تنقصوهم أشياءهم أي مالهم من حقوق مثل أن يستأجره برياله ويعطيه ثلاثة ارباعها ومثل أن يشتري شيئا برياله فيأتيه بثلاثة ارباعها فقط .

﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ حال مؤكدة لعاملها لأن لا تعثوا بمعنى لا تفسدوا والماضي عثي كرضي فالمضارع يعثى بفتح الثاء بعدها الف ولذا سكنت الواو سكونا حيا وفتح ما قبلها حذفت الألف رفعا لالتقاء الساكنين ويقال أيضا عثا يعثوا كدعا يدعو وعاث يعوث كقال يقول وكانوا يقتلون ويغيرون ويقطعون الطريق ويفسدون الزرع ويفعلون غير ذلك من المفاسد .

﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة﴾ عطف على الكاف أي الخليقة وقريء باسكان الباء وتخفيف اللام والمعنى واحد وقيل هما على معنى المصدر فيقدر مضاف أي ذوي الجبلة أي الكثرة وفي القاموس الجبلة بكسر الجيم والباء وتشديد اللازم كطمرة الأمة والجماعة والكثرة من كل شيء انتهى بتصرف .

﴿الأولين﴾ فالمراد الأمم الماضية .

﴿قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا﴾ دخلت الواو هنا في قصة شعيب إيذانا من قومه أن كلا من التسحير والبشرية مناف لرسالته والرسول لا يكون مسحرا ثم ولا يكون بشرا ولم تدخل في قصة صالح لقصد معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم ولا يبعد أن يكون معنى الذي أسقطت فيه الواو كالذي أثبتت فيه كما تقول عمرو لا يصلح لقراءة العلم هو يكثر الأكل يرغب في النوم تريد أن كلا

من اكثار الأكل والرغبة في النوم مانعان من العلم وان محففة من الثقيلة .

﴿وان نظنك لمن﴾ لام الفرق .

﴿الكاذبين﴾ في دعواك .

﴿فأسقط علينا كسفا من السماء﴾ من الملائكة أو ادع ربك أن يسقط علينا من السماء وقيل الكسف القطع جمع كسفة ولا شك أن الكسفة قطعة واحدة وقرأ حفص هنا وفي (سبأ) بفتح السين مفرد بمعنى القطعة أو جمع كسفة القولان .

﴿إن كنت من الصادقين﴾ وانما امروه بالاسقاط والله أعلم لأن أمره إياهم بالتقوى بتوكيد وملازمة يتضمن تهديده اياهم وذلك منهم تصميم على الجحود .

﴿قال ربي أعلم﴾ وسكّن الياء غير نافع وابن كثير وأبي عمرو .

﴿بما تعملون﴾ فيجازيكم بإسقاط كسف أو بغيره والمراد بما يعملون من التطفيف وغيره .

﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ وهو عذاب شبيه باسقاط الكسف إن أرادوا بالسماء السحاب وإن أرادوا السماء العالية فقد أخذوا بعذاب غير شبيه باسقاط كسف منها كذا قيل وأقول بل هو أيضا شبيه على انه يحتمل أن يريدوا قطعة من فوق سواء كانت من السماء وبعضا منه أو كانت من السحاب ، والظلة سحابة أظلتهم روي أن الله جل جلاله حبس عنهم الريح سبعة أيام وسلط عليهم في السبعة الحر حتى غلت أنهارهم فصاروا لا ينتفعون بماءها فاذا دخلوا سربا للاستظلال وجدوه أحر وأخذ الحر بأنفاسهم ورأى بعضهم سحابة فجاء إلى ظلها

فوجد لها براد فدعا اليها وتداعوا حتى كملوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا .

﴿إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ تلك سبع قصص فتحت وختمت بما فتحت به الأخرى تقريرا للمعاني في الأنفس إذ لا أثبت للشيء من تكريره ولا سيما انها قصص طرقت بها آذان وقرعن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره تراكم عليها الصدا وفي ذلك مبالغة في تسلية رسول الله ﷺ وفي تهديد قومه بأن يصيبهم مثل ما أصاب تلك الأقوام إن لم يرتدعوا عن الكفر والاستهزاء وتعجيل العذاب فإن ما أصاب تلك الأقوام انما هو من قدرة بسبب أفعالهم من اتصالات فلكية ولا تكذيبهم غير مستوجب لما أصابهم .

﴿وإنه﴾ أي القرآن كما يدل عليه السياق اللاحق .

﴿لتنزيل رب العالمين﴾ أي منزله أو أن تنزيله تنزيل رب العالمين ، فعلى الأول هو مصدر بمعنى اسم مفعول أو مصدر سمي به وعلى الثاني مصدر صح الاخبار به عن الهاء لأن المضاف حينئذ مقدر قبل الهاء .

﴿نزل به الروح الأمين﴾ هو جبريل فانه أمين على وحي الله والباء للتعدية أي انزله الروح الأمين بأمر الله من السماء إلى الأرض أو للمصاحبة وقرأ بن عامر وأبوبكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح الأمين والباء للمصاحبة أي أنزل الروح الأمين الله مع القران أو للتعدية أي جعل الله الروح الأمين نازلا به أي موصلا إياه اليك وعليها اقتصر جار الله والمصاحبة أظهر في القراءة الأولى وفي ذلك تقرير لكون القصص المذكورة حقا وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة سيدنا محمد ﷺ

فان اخباره إياهم بها مع انه لم يتعلمها لا يكون إلا وحيا وانزال القرآن تعليمه لجبريل وتأديته الى سيدنا محمد ﷺ وقال بعضهم إظهار قراءته وانما يأخذه الملك من اللوح وقيل يلهمه الله فينخلع الملك إلى صورة البشر فيؤديه قبل أو ينخلع الرسول ﷺ الى صورة الملكية وهذا أضعف وأصعب وللوحي كيفيات الأولى أن يأتي مثل صلصة الجرس وهي أشد سائر الكيفيات عليه ﷺ والمراد انه صوت لا يفهمه في حال سماعه بل بعد وقيل هو صوت أجنحة الملك والحكمة في ذلك أن لا يبقى في قلبه موضع لغير الوحي وسأله ابن عمر هل تحس بالوحي قال : (اسمع صلاصل ثم اسكت فما من مرة يوحى الي الا ظننت أن نفسي تقبض) وقيل إنما ينزل على تلك الكيفية ما كان وعيدا وتهديدا ، الثانية أن ينفث في روعه أي يلقي في قلبه قال ﷺ (إن روح القدس نفث في روعي) وقيل هذه ترجع إلى الأولى ، والثالثة أن يأتيه في صورة الرجل فيكلمه كما قال ﷺ و(أحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول) زاد بعض قومنا (وهو أهون عليّ) ، الرابعة أن يأتيه الملك في النوم وعد بعضهم منها سورة الكوثر قال أنس غفا رسول الله ﷺ غفوة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك فقال : (نزلت عليّ آنفا سورة) فقرأ سورة الكوثر والظاهر أن القرآن نزل كله في اليقظة ولو كانت رؤيا الأنبياء وحيا ولا مانع من أن يقال مراده بالغفوة تلك الحال التي تعتريه عند الوحي .

﴿على قلبك﴾ خصه بالذكر لأنه المدرك وقال القاضي ان أراد بالقلب الروح فذاك وإن أراد العضو فتخصيصه لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما ينهما من التعلق ثم تتصعد منه

الى الدماغ فينقش بها لوح المخيلة والقلب رئيس الأعضاء وهي مسخرة له واذا فسد فسدت وفيه العقل على الحجج واذا كان فيه فرح أو حزن ظهر على الأعضاء .

﴿لتكون من المنذرين﴾ عما يسخط الرحمن .

﴿بلسان عربي مبين﴾ واضح المعنى واللسان أنه النطق واسناد العربية اليه باعتبار ما يتلفظ به والمراد به اللغة تسمية للشيء باسم آلته والباء متعلقة بالمنذرين ، فالمراد بالمنذرين من لسانهم عربي وهم هود وصالح وشعيب واسماعيل معنى كونه منهم انه مثلهم في العربية أو الباء متعلقة بنزل أي نزل به بلسان عربي لئلا يقولوا ما نصنع بمالا نفهم فاذا كان بلغتهم واضحا لم يبق لهم إلا مجرد المكابرة وفي قوله (على قلبك) إشعار بأنه عربي ولو كان عجميا لكان نزوله أولا على سمعه فانك اذا تكلم لك انسان بغير لغتك سمعت اللفظ دون أن يكون معناه في قلبك بل لو كلمك بلغة لم تنشأ عليها لكن عرفتها كان نظرك أولا في الألفاظ ثم في المعاني .

﴿وإنه﴾ أي القرآن أي معناه .

﴿لفي زبر الأولين﴾ كتبهم المنزله كصحف ابراهيم وموسى وداود وعيسى وبذلك احتج أبوحنيفة على جواز قراءة القرآن بالفارسية ولو في الصلاة ويقول انما ترجم به قرآن وهو فاسد ولا حجة له في الآية لجواز أن يكون المراد إن ذكر القرآن لفي

زبر الأولين بل هذا أولى فإن القرآن هو الجامع لمعاني الكتب سلمنا أن المراد أن معناه في الزبر لكن لا نسلم أن الألفاظ التي ببعض معناه تسمى قرآنا وانما يسمى قرآنا بألفاظه هذه فان الصحيح انه نزل بهذه الألفاظ

وبها كتب في اللوح وزعم بعضهم انه نزل بالمعنى لا باللفظ وعبر عنه رسول الله ﷺ بهذه الألفاظ واستدل بقوله على قلبك ولا دليل فيه وقيل نزل باللفظ غير هذه الألفاظ وعبر عنه بها وقيل الضمير لسيدنا محمد ﷺ أي أنه بصفاته مذكور فيها وهو ضعيف وكذا الخلاف في ضميري يكن وهاء أن يعلمه فقيل هما للقرآن وقيل لرسول الله .

﴿أولم يكن لهم آية﴾ أولم يكن لكفار مكة وغيرهم دليلا على صحته أي القرآن أو على نبوته ﷺ .

﴿أن يعلمه﴾ أي القرآن أو سيدنا محمد ﷺ .

﴿علماء بني اسرائيل﴾ أي ان يعرفه علماء بني اسرائيل بنعته المذكور وفي كتبهم وأن يعلمه في تأويل مصدر اسم يكن وآية خبره ولهم متعلق بيكن او المحذوف حال من آية أو اسم يكن ضمير القرآن أو النبي ﷺ وآية خبر ولهم متعلق يكن أو المحذوف حال من أية وأن يعلمه بدل من ضمير يكن بدل اشتمال لكن فيه الفصل قال ابن هشام اذا كانت معرفة ونكرة جعلت المعرفة اسما والنكرة خبرا ولا تعكس الا في الضرورة وإما قراءة ابن عامر أولم تكن لهم آية بعلمه بتأنيث تكن ورفع اية فان قدرت تكن تامة قلهم معلق بها أي أو حال من أية وآية فاعلها وأن يعلمه بدل من آية أو خبر لمحذوف أي هي أن يعلمه وأن قدرتها ناقصة فاسمها ضمير القصة وأن يعلمه مبتدأ أو آية خبره والجملة خبر كان أو آية اسمها ولهم خبرها وأن يعلمه بدل من آية أو خبر لمحذوف وإما تجويز الزجاج كون أية اسمها وان يعلمه خبرها فردوا لما ذكرنا أي من أن المعرفة هي التي تجعل اسما اذا كانت مع النكرة واعتذر له بأن النكرة قد تخصصت بلهم أي بأن يجعل حالا منها وقرى تعلمه بالمثناة الفوقية وعلماء بني

اسرائيل عبدالله بن سلام وغيره قاله ابن عباس ومجاهد قال بعضهم كانوا خمسة عبدالله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد قال مقاتل هذه الآية مدنية ومن قال مكية ذهب إلى أن علماء بني اسرائيل ذكروا لقريش أن في التوراة صفة النبي محمد ﷺ وان هذا زمانه قال ابن عباس بعث أهل مكة لليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ فأجابوهم بصفته وإن هذا زمانه .

﴿فصل﴾ قال عبدالله بن عمرو بن العاص والله لأنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا**﴾ وحرر للأميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله إلا الله ويفتح به أعينا عمياء وآذانا صماء وقلوبا غلفا وكذا عن عبدالله بن سلام وكعب الأحبار زاد ابن اسحاق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم ثم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقلة والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدي إمامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة وأسمى به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة وأجمع بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتته وأمم مفترقة واجعل امته خير أمة أخرجت للناس وفي التوراة عبدي أحمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة أمته الحامدون له على كل حال قال السهيلي وهو من علماء سهيل بلدة في الأندلس كان النعمان السباء من أحبار يهود

اليمن سمع بذكر النبي ﷺ فقدم اليه فسأله عن أشياء ثم قال للنبي ﷺ إن أبي كان يختم على سفر ويقول لا تقول على يهود حتى تسمع بنبي خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك فيه الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه انك خير الأنبياء وأمتك خير الأمم واسمك أحمد وأمتك الحامدون قربانهم دماؤهم وأناجيهم صدورهم لا يحضرون قتالا إلا وجبريل عليه السلام معهم واذا سمعت فيه فأخرج اليه وآمن به وكان ﷺ يحب أن يسمع أصحابه حديثه فأتاه فقال له النبي ﷺ يا نعمان حدثنا فحدثهم بذلك فرأى ﷺ يتبسم ثم قال أشهد أني رسول الله النعمان هذا هو الذي قتله الأسود العنسي وقطعه عضوا عضوا وهو يقول أشهد أن محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله تعالى ثم أحرقه وقال عيسى عليه السلام من أبغضني فقد أبغض الرب ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التي في الناموس انهم أبغضوني مجانا أي باطلا فلو جاء المنحمنا هذا الذي يرسله الله اليكم من عند الرب خرج وهو شهيد على فالمنحمنا بالسريانية محمد ﷺ وهو بالرومية البر قليطس وسمي في كتاب داود عليهما السلام بجبار وفيه نقلد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك وقال الله سبحانه لموسى عليه السلام أني أقيم لبني اسرائيل من اخوانهم نبيا مثلك اجعل كلامي على لسانه من عصاه انتقمت منه فان قيل ذلك يوشع فقد قال في التوراة لا يخلف من بني اسرائيل نبي مثل موسى لكن من اخوتهم أما العرب وأما الروم أما الروم فلم يكن منهم نبي إلا أيوب عليه السلام وهو قبل موسى فلا يمكن أن يكون هو المراد فلم يبق إلا العرب فهو إذا سيدنا محمد ﷺ قال الثعالبي وهو من علماء الجزائر وقد

وقفت على هذا الكلام في توراتهم والكلام الأخير به ختم التوراة ولفظه ولم يقم نبي في بني اسرائيل مثل موسى الذي كلمه الله مشافهة وهذا النص بعينه نقله بعض الأئمة المحققين من علماء قرطبة وهي أجل بلاد الأندلس في كتاب سماه مقامع الصلبان وروضات الإيمان أحسن والله فيه كل الاحسان وبين فيه غامضات الكتب القديمة غاية البيان وأقام الحجة على أهل الكتاب بما في كتبهم بغاية البيان وأوضح البرهان فلم يبق للمخالف منهم سوى العناد ومن يضلل الله فما له من هاد ونقل من كتبهم نصوصا بلا زيادة ولا نقصان اطلع عليها في كتبهم العبرانية بنفسه وطالع بعض تفاسيرها قال وما رأيت فيها من اضافة الحول والقوة لعيسى فتحريف منهم قال وقد قدمت في هذه الرسالة دلايل على ان عيسى ما ادعى الالهية وانما نقلت ما في انجيلهم حرفا حرفا قال ابن القطان وفي التوراة جاء النور من سيناء وأشرق من ساغين واستعلى من جبل فاران ومعه جماعة من الصالحين فمعنى مجيئه من سيناء أن الله أنزل التوراة فيه ومعنى اشراقه من ساغين أن عيسى كان أشرق بجبل ساغين وهي جبال الروم ومعنى استعلائه من جبل فاران ان الله يبعث محمدا ويوحي اليه فيه ولا خلاف ان فاران مكة ففي التوراة أن الله أسكن هاجر وابنها اسماعيل فاران وفي أول سفر من التوراة حكاية لخطاب خاطب الله به اسماعيل ستلد عظيما لأمة عظيمة وفي مقامع الصلبان وقد ناظر يوما احد أحبار اليهود وأهل الذكاء منهم في قوله في التوراة اني أقيم لبني اسرائيل من اخوانهم إلى آخر ما مر فقال لي هذا كله صحيح لا أجد اعتراضا عليه غير أنه قال سأقيم لبني اسرائيل ولم يكن محمد إلا إلى العرب قلت ما على الأرض من يجهل أن محمدا قال بعثت إلى الأحمر والأسود والحر

والعبد والذكر والأنثى وهذا كتابه ينطق انه مبعوث إلى الخلق كافة قال لا يمكنني ولا غيري دفع ذلك وبذلك أخبرنا اسلافنا الا فرقة من اليهود يقال لها العسيوفيه تقول بنبوته وتنكرانه مبعوث إلى غير العرب ولسنا على شيء مما هم عليه وبالله ما ادري كيف يكون الخلاص وغاية ما نأخذ به انفسنا النهي عن ذكره بسوء وفي التوراة حكاية لخطاب ام اسماعيل هاجر قد سمعت خشوعك في اسماعيل وستكون يده فوق يد الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع ولا محالة أن ولد اسماعيل لم تكن أيديهم إلا تحت أيدي ولد اسحاق لأن النبوة كانت في ولد اسحاق ولما بعث الله سيدنا محمدا جعل يد ولد اسماعيل فوق يد الجميع ورد النبوة فيهم ونماهم وعظمهم وبارك عليهم جدا جدا والمراد بهذا سيدنا محمد ﷺ ويدل لهذا قوله ويقاتل جميع الناس ويقاتلونه ويضع فسطاطه في بلاد اخوته ولا محالة أن هذه صفة سيدنا محمد ﷺ لاصفة اسماعيل ولو قال الله ذلك في اسماعيل بكثرة الكناية بالجد عن الحفيد قال في مقامع الصلبان قال في التوراة قبل السيد من سيناء ومن الثبير تراه لنا وأقبل من جبل فاران ومعه آلاف من الصالحين ومعه كتاب الناري وجميع الصالحين في قبضته ومن تدانى من قدميه يصب من علمه الناري النوراني وأنزلنا اليكم نورا مبينا وفيها أن الله قال لابراهيم حين دعاه ابنه اسماعيل قد اجبتك في اسماعيل وباركت عليه وكثرته وعظمته جدا جدا وقال اجعله لأمة عظيمة يريد أمة سيدنا محمد ﷺ . قال وفي الزبور تقلد أيها الجبار السيف فان ناموسك وشريعتك مقرونة بيمينك ومهامك مسنونة والأمم يخرون تحتك .

وفيه خطابا لداود سيولد لك ولد ادعى له أبا ويدعي لي ابنا يعني

عيسى فقال داود عليه السلام اللهم ابعث جاعل السنة وهو محمد ﷺ يعلم الناس كي يعلم الناس انه بشر وفي الانجيل الذي بأيدي النصارى اليوم فيما قال الثعالبي . قال المسيح اللهم ابعث البارقليط ليعلم الناس أن ابن الانسان بشر وقال فيه البارقليط لا يجيئكم مالم أذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه شيئا ولكنه ما يسمع يكلكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب الى أن قال وسيعظمني ، قال ويشهد لي كما شهدت له أنا اجيكم بأمثال وهو يجيئكم بالتأويل قال الثعالبي والبارقليط بلسانهم محمد ﷺ وهذا كان سبب اسلام بعض القسيسين في زماننا هذا وقد ورد على تصنيفه في الرد على النصارى وأخبر انه كان يقرأ على شيخه ويسأله عن البارقليط ويعرض عنه فألح عليه يوما في خلوته فقال له وما تريد من ذلك هو محمد النبي ﷺ قال فقلت له فما يمنعك من الإيمان به ؟ فقال له : أنا مؤمن به قال وما يمنعك أن تخرج إلى أرض الاسلام ففهم عني فقال لي إياك أن تظهر للنصارى شيئا مما تكلمنا به ولئن خالفتني لأنكرن وان رجموك رجمتك معهم وكتمت أمري إلى أن يسر لي مركب إلى مدينة تونس فركبت فيه ونزلت بحضرة تونس وأظهرت إسلامي والحمد لله انتهى كلام الثعالبي وحكايته قال في الانجيل الذي بأيدي النصارى اليوم انه قال لليهود وتقولون لو كان في زمان آبائنا لم نساعدهم على قتل الأنبياء يا ثعابين بني الأفاعي فكيف تنجون من عذاب النار وتمادي في خطابهم إلى أن قال وأنا أقول لكم لا تروني الآن حتى يأتي من تقولون له مبارك يأتي على اسم الله يعني سيدنا محمد ﷺ . قال وفي الانجيل الذي بأيديهم اليوم عن متى وهو رجل عن المسيح الحق اليقين أقول لكم ثم ذكر كلاما في فضل

يحيى ثم قال وأما الآن ان شئتم فاقبلوا فان ايل يأتي وايل هو الله أي فان رسول الله ﷺ يأتي وفي الانجيل الذي بأيديهم عن المسيح يذكر كلاما مفصحا عن الأمة قال في آخره سيزاح عنكم ملك الله ولتعطاه الأمة المطيعة العاملة ثم ضرب مثلا بصخرة وقال :

من سقط على هذه الصخرة يتكسر ومن سقطت عليه يتهشم يريد نبينا محمدا ﷺ وفي صحف أشعيا النبي ﷺ التي بأيدي النصارى ستملىء البادية والمدائن من آل قيدار يسبحون ويبثون تسبيحهم في البر والبحر وفي مصحف حزقائيل النبي يقول عن الله مؤيدا قيدار بالملائكة وقيدار ولد اسماعيل وقد صدق الله وعده ونصر عبده قال عبدي الذي أنزل عليه وحيي فيظهر في الأمم عدلي يوصي الأمم بالوصايا لا يضحك أي لا يكثر أولا يضحك حتى يسمع ضحكه من بعيد ولا يسمع صوته في الأسواق يفتح العيون الغور ويسمع الآذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما أعطيته لا أعطيه غيره أحمد يحمد الله حمدا حديثا نفرح البرية وسكانها يهللون الله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية لا يضعف ولا يغلب ولا يميل الى الهوى ولا يسمع في الأسواق صوته ولا يذل الصالحين الذين هم كالعصفة الضعيفة بل يقوي الصديقين وهو ركن للمتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفأ ولا يخصم حتى يثبت في الأرض حجته وينقطع به العذر وإليه ينقاد الخلق فهذا تصريح وتبشير بنبينا محمد ﷺ وفي صحف حبقون النبي التي الآن بأيدي النصارى جاء الله من المتين أي جاء دينه وتقدس وجبل فاران وامتلأت الأرض من تحميد أحمد وتقديسه وملك الأرض بهيبته وتضيء أور وستنزع في قسيك إغراقا وترتوي الشام بأمرك يا محمد ارتواء . وفي صحف أشعياء قيل لي قم ناظرا فأنظر فما

ترى تخبر به ، قلت أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل يقول احدهما لصاحبه سقطت بابل وأصنامها فصاحب الجمل هو نبينا ﷺ وصاحب الحمار عيسى باتفاقنا واتفاق النصارى وما زالت ملوك بابل يعبدون الأصنام من ابراهيم إلى زمان سيدنا محمد ﷺ وبه بطلت لا بعيسى . وفي صحف أشعياء : لتفرح أرض البادية العطش ولتبتهج الفلوات والبراري لانها ستعطي بأحمد محاسن لبنان كمثل حسن الدساكر والرياض . وفي صحف دانيال النبي ﷺ وقد نعت الكاذبين وقال : لا تمتد دعوتهم ولا يتم قربانهم وأقسم الرب أن لا تقوم لمدع كاذب دعوة اكثر من ثلاثين سنة وهذا بيان قاطع يحقق صحة نبوة نبينا ﷺ فانها قامت الفا ومائتين وثلاثا وسبعين سنة وهو وقتنا الذي قيدنا فيه هذه الأحرف هو وقت الظهر من اليوم الثاني عشر من ربيع الأول قال الثعالبي وقد أخبرني من أثق بصدقه أن كثيرا منهم مؤمنون يخفون إيمانهم خوفا على أنفسهم وأموالهم وقرباتهم وقال أشعياء مخاطبا لمكة : أبشري واهتزي يا أيتها العاقر التي لم تلد وانطقي بالتسبيح وافرحي إذ لم تحبلي فان اهلك سيكونون اكثر من أهلي يعني بالعاقر مكة اذ لم يبعث فيها منذ زمان اسماعيل إلا نبينا محمد ﷺ وأما الشام فمقر الأنبياء ، قال الثعالبي : وقفت على نسخة قديمة حسنة الخط صحيحة المعاني يذكر في أولها انها من رواية وهب بن منبه وغلب على ظني صحة نسبتها اليه لاعتنائه بكتب الأولين ومعرفته بخطوط الأقدمين وغلب على ظني أنها لم تدخل يدي أهل الكتب فهي سالمة من تحريفهم وذكر في أولها نحو عشرين دليلا على وعيد من كذب على الله وذكر فيها انها الزبور وذكر فيها في المزبور السابع والثلاثين بعد كلام في قصة آدم ولفظه (فلما كان

يوم من أيام اقترابه انما جعلتها آخر نظرة له لأن محمدا آخر الأنبياء تمت له السعادة فنظر فاذا بذكر حبيبي مكتوب على ساق العرش فلما قرأه ظن آدم اني أشركت معه آخر في الجنة فهو لم يسلم من الدغل والمكر أتسلمون يا بنيه وهو أطهر منكم فقال باكيا اللهم ما هذا فقلت رجل من ذريتك أظهره على الدين كله وبه يتم عمران الدنيا والآخرة وبه خلقت الجنة وابتدعت السماوات ثم قلت اين الحامدون فحضرت عنده ملائكة تصلي عليه قبل ان أخلق آدم بألفي حول ثم انصرف مستبشرا) وفي الزبور السابع والمائة (محمد الممدوح الرفيع الدرجة العزيز البرهان العظيم الحجة المحمود المهيمن المصطفى الصادق العزيز الطاهر الذي خلق من شجرة طهر الشديد البأس فيما يسخطني الذي يسبحني وهو في الأرحام الصحيح العزم الواثق اليقين الشديد الحريص على ديني الذي لم تغلبه زهرة الحياة الدنيا وبهجتها ففيه نور القمر والشمس وأنتم يا معشر الأنبياء نجوم عنده اذا وقرت السحاب أكثر من طاقتها مطرا سألتني بحقه فخففت حملها ، لولاه ما اهبطت آدم إلى الأرض ولا عمرت الدنيا تدري من هو يا داود وهو فرع من فروع ابراهيم من كفر به فعليه لعنتي وسيخرج يوما مدعوا الرهبانية يمحون اسمه من كتبي أو تدري يا داود من أولئك الكفار هذا من عقولهم لأن الشيطان واقع أمهاتهم مع آبائهم فاشركته نطفته مع نطفة ابيهم فضلوا وكفروا وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل من آمن بمحمد فقد استمسك بالإيمان به ومن كفر به فقد كفر بي وبكتبي ومن آمن بالتوراة والانجيل والزبور ولم يفرق بين شيء من كتبي أجزيته أجره موفورا) وفي موضع آخر (يا داود لم أجعل كتاب أحد نظما كما نظمت كتاب صاحب التوحيد الذي في آخر الدنيا

فيه البيان والشفاء وقد أنزلت عليكم معشر الأنبياء بعضه وجعلته كلاما في كتبكم اذا أبره العاقلون علموا أن الذي جاء به الأنبياء هو مني وأنا قلته) وفي آخر الزبور (يا داود سيأتي من بعدك نبي يسمى محمدا ﷺ صادق النية لا أغضب عليه أبدا لأنه قد غفرت له قبل أن يعصيني وأعطيت أمته نوافل لم أعطها الأنبياء والرسل وفرضت عليهم الفرائض التي فرضت على الرسل حتى يأتي يوم القيامة نورهم نور الأنبياء وذلك اني فرضت عليهم الصلوات والوضوء بالصلاة ولم أفرضه على الأنبياء من قبلهم وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء والرسل يا داود إني فضلت أمة محمد ﷺ كما فضلت محمدا ﷺ على جميع الأنبياء لا آخذهم بالخطا ما داموا يستغفرون ما قدموا من أموالهم طيبة بها أنفسهم أعجل لهم خلفه أضعافا وأعطيهم على البلاء والمصائب اذا صبروا وقالوا إنا لله وإنا اليه راجعون ، الصلاة والرحمة والهدى وأقول لهم ادعوني استجب لكم فإما ترونه عاجلا وإما أصرف عنكم شرا وإما أدخر لكم أجرا وأقول لك يا داود أشهد على أن من لقيني من أمة محمد يشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له صادقا بها قلبه ولسانه فهو معي في جنتي ومن لقيني وهو مكذب بمحمد ﷺ ورد على ما جاء به صببت العذاب عليه صبا وضربت الملائكة وجهه ودبره عند مسيره ـ يعني موته أو مسيره إلى المحشر ـ ثم أدخلته الدرك الأسفل من النار) ومعنى البار قليط المذكور في الانجيل روح الحق وقال ثعلب الذي يفرق بين الحق والباطل ، ومن أسمائه في الكتب السالفة ماد ماد ومعناه طيبت طيب وحمطايا والحاكم والخاتم ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا وفي التوراة أحيد وصاحب القضيب أي السيف وقع هذا مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من

حديد يعني السيف ومن أسمائه في الكتب مقيم السنة والمقدس وروح الحق والمختار والمتوكل .

﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾ جمع أعجمي بياء النسب لكن جمع بحذفها وإلا لم يجمع جمع المذكر السالم لأنه أفعل فعلاء كأحمر حمراء كذا ظهر لي ويدل له قراءة بعضهم (الأعجميين) بياء النسب وأجاز الكوفيون جمع أفعل فعلاء جمع المذكر السالم وهو لا يفصح ولو كانت نسبته ولغته عربيتين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانه لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم شبهوه بمن لا يفصح وقالوا لكل ذي صوت من الحيوان والطيور أعجم وقالوا أيضا لمن نسبته في العجم أعجم ولو كانت لغته عربية وكان أفصح الناس وقال الثعلبي المراد بالأعجم في الآية من لغته غير لغة العرب وقرأ الحسن (الأعجميين) بياء النسب نسبة إلى الأعجم نسبة تأكيد لأن المراد من هو أعجم لا من كان منسوبا إلى من هو أعجم وزعم أبو حاتم أن الأعجمي منسوب الى العجم ولعله أراد بيان أن المراد في الآية العجم الذين هم ضد العرب يتكلمون بغير لغتهم .

﴿فقرأه﴾ ذاك البعض وقيل فقرأه محمد ﷺ .

﴿عليهم﴾ على كفار مكة .

﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ لفرط عنادهم واستكبارهم ولعدم فهمهم واستكفافهم عن اتباع العجم قال القاضي وقوله لفرط عنادهم واستكبارهم عائد لقوله كما هو زيادة في اعجازه عقب قوله عز وجل ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾ قيل ما نزل الله كتابا إلا بالعربية ويترجم الرسول بلغة قومه قالوا من كتب : وأنه لتنزيل إلى مؤمنين . في

ورقة طومار وربطها في خرقة عذراء غير بالغة بخيط في إبرة ويعلق ذلك على جناح الديك الأبيض وقيل الأزرق ويطلقه في المكان المتهوم بالكنز والدفين في وقت الزوال فانه يقف الديك على الموضع ويحفر برجله ومنقاره وكذا لاستخراج السحر وقيل يكتب لاظهار ذلك قوله عز وجل ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون﴾ الآية .

﴿كذلك سلكناه﴾ أي مثل أدخلنا التكذيب به لقراءة الأعجمين أدخلنا التكذيب .

﴿في قلوب المجرمين﴾ كفار مكة بقراءة النبي ﷺ فالهاء لتكذيب المدلول عليه بقوله ﴿ماكانوا به مؤمنين﴾ أو للكفر كذلك وقيل الهاء للقرآن أي أدخلناه فيها فعرفوا معانيه وإعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا وهو الراجح والكفر خلق لله يفعله الانسان باختياره .

﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ الجملة مستأنفة لتقريره نسلكه في قلوبهم أو حالا ولا ينفعهم الإيمان اذا رأوا العذاب لانهم آمنوا قهرا وهو عذاب في الدنيا وزعم بعضهم أن المراد قيام الساعة وقيل المراد بالمجرمين مجرموا كل أمة أي عادة كل قوم مجرمين أن لا يؤمنوا حتى يروا العذاب فكذلك قريش .

﴿فيأتيهم﴾ العذاب .

﴿بغتة﴾ في الدنيا والآخرة وقرأ الحسن (فتأتيهم) بالتاء يعني الساعة وبغتة بفتح الغين كالباء وقرأه اني ويروه بغتة وبغتة حال من المستتر مبالغة أو التقدير باغتا او ذا بغتة او مفعول مطلق بحال محذوف أي باغتا بغتة أو يبغت بغتة .

﴿وهم لا يشعرون﴾ بإتيانه .

﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾ مؤخرون لنؤمن وهذا استفهام تندم وتحسر وقيل تمن أو طلب أي أنظرنا والمراد باتصال القول باتيان العذاب وترتيبه عليه الاتصال والترتيب في الشدة أي هلا يؤمنون لرؤية العذاب الأليم فاتيانه بغتة وما هو أشد من ذلك وهو سؤال النظرة .

﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ لما وعدهم بالعذاب قالوا متى وفي قولهم (متى) استعجال مع تصريحهم أيضا به إذ قالوا (فأمطر علينا حجارة من السماء) وقالوا (فأتنا بما تعدنا) فأجابهم الله كيف يستعجلون عذابا اذا جاءهم سألوا العود إلى الدنيا ولو طرفة عين فلا يجدونها والاستفهام توبيخي والمضارع للاستمرار تجددي فذلك كلام ونجوا به في الدنيا ويجوز ان يكون في الآخرة والمضارع للحكاية حال ماض فيكونون وبخوا بذلك عند طلب النظرة .

﴿أفرأيت﴾ اخبرني .

﴿إن متعناهم سنين﴾ كثيرة أو قليلة وقال عكرمة عمر الدنيا ، وقيل : سنين زائدة على أعمارهم .

﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ من العذاب وجواب أن محذوف أي إن منعناهم الخ فأخبرني .

﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ ما استفهامية مفعول لأغنى أي أي شيء أغنى أو مفعول مطلق أي أي أغناه أو حرف نفي وهو والاستفهام سواء لأن الاستفهام انكاري وما الاخرى فاعل واقعة على التمتيع أي التمتيع الذي كانوا يمتعونه أو حرف مصدر والمصدر فاعل غنى ويجوز أن يكون (أفبعذابنا يستعجلون) الخ .

وذلك أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم انه غير لاحق بهم وانهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن فكأنه قيل أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء وأنكالا على الأمد الطويل ثم قال : هب أن الأمر كما يعتقدونه من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم ، وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له : عظني ، فلم يزيده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فأبلغت وقريء (يمتعون) بالتخفيف .

﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ رسل منذرون و(من) صلة و(قرية) مفعول به على تقدير مضاف اليها ومضاف إلى هاء من قوله (لها) أي من أهل قرية إلا لأهلها منذرون ولك أن تقول المراد بالقرية وضميرها أهلها تسمية للحال باسم المحل ويجوز غير ذلك مما يأتي إن شاء الله وجملة (لها منذرون) حال من قرية ولو كانت نكرة لتقدم النفي ولو منتقضا بإلا ومن أجاز التفريغ إلى النعت أجاز كون الجملة نعتا لقرية وهو جار الله وأبو البقاء والرضى ويجوز كون الجملة نعتا لبدل محذوف أو منصوب على الاستثناء محذوف أي إلا قرية لها منذرون .

﴿ذكرى﴾ عظة وهو اسم مصدر ذكر بالتشديد وألفه للتأنيث وهو إما مفعول مطلق لمنذرون أي إلا لها منذرون انذارا فان الانذار والتذكير والوعظ متقاربة ويؤل منذرون بمذكرون أي إلا لها مذكرون تذكيرا وأما حال من المستتر في منذرون على المبالغة جعلوا لأمعانهم في التذكرة نفس التذكرة أو على تقدير مضاف أي ذوي تذكرة أو على تأويله بمذكرين وأما مفعول لأجله وأما صفة لمنذرون مبالغة أو بتقدير مضاف أو بالتأويل

بالوصف أو خبر لمحذوف أي هذه تذكرة والجملة مفترضة ومفعول لأجله ناصبة أهلكنا أي ما أهلكنا من قرية لها منذرون إلا ليكون أهلاكهم عظة لغيرهم فلا يعصوا منذريهم .

﴿وما كنا ظالمين﴾ فنهلك غير الظالمين أو قيل الانذار وكان المشركين يقولون أن الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد ﷺ كما يلقون على الكهنة ما يستمعون من الملائكة فكذبهم الله بقوله :

﴿وما تنزلت به﴾ أي بالقرآن .

﴿الشياطين﴾ وقرأ الحسن (الشياطون) اجراء له مجرى فلسطين وفلسطون في الأعراب بالواو تارة وعلى النون بعد الياء أخرى وعن الفراء قراءته غلط فانه جمع تكسير لا جمع مذكر سالم وقال النظر بن شميل أن جاز الاجتجاج يقول العجاج بن وربة جاز الاحتجاج بقول الحسن وصاحبه محمد بن السميقع مع انهما لم يقرءا به إلا وقد سمعا فيه وكان صاحبه محمد يقرأ (الشياطون) مثله .

﴿وما ينبغي﴾ أي يصح .

﴿لهم﴾ أن ينزلوا به .

﴿وما يستطيعون﴾ .

﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ الجملة تعليل لما قبلها أي لأنهم ممنوعون عن سمع كلام الملائكة بالشهب أو بأن نفوسهم شريرة ظلمانية لا يمكنها تلقي القرآن عن الملائكة كما هو .

﴿فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين﴾ قد علم انه لا يدعو غير الله ولكنه نهاه عن دعاء غيره ليزيد في الاخلاص ولطفا بسائر المكلفين وقد علم الله أيضا من يدعو غيره منهم ومن لا يدعو وخاطبهم

بخطابه على سبيل التعريض كذا ظهر لي ثم رأيت أن ابن عباس قال : يحذر الله بذلك غيره .

﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ قال الشيخ عامر رحمه الله هم ما دون خمسة آباء وانه صنع طعاما فدعا من بطون قريش أربعة آباء روي انه لما نزلت صعد الصفا فنادى الأقرب فالأقرب فخذا أفخذا لاشخصا شخصا قال : يا بني عبدالمطلب يا بني هاشم يا بني عبدمناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة النبي اني لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروى انه جمع بني عبدالمطلب وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذع ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فأكلوا وشربوا حتى صدروا ثم أنذرهم فقال يا بني عبدالمطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ، قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، وروي انه قال : يا بني عبدالمطلب يا بني هاشم يا بني عبدمناف أفدوا أنفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا . ثم قال : يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فاني لا أغني عنكن شيئا وهو ﷺ إما مأمور في الآية بتقديم الأقرب فالأقرب فالأجنب كما روي انه لما فتح مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ما أضعه ربا العباس . والإنسان اذا بدأ بنفسه أولا وبالأقرب فالأقرب لم يكن لأحد عليه طعن وكان لكلامه تأثير ، وإما مأمور فيها أن لا يأخذه القريب للقريب من الرأفة وأن لا يجانبهم في الانذار والتخويف بل الاهتمام بشأن الأقارب أهم . قال بعض العلماء : خص بإنذاره عشيرته لأنهم مظنة الطواعية ولأنه يمكنه من

الاغلاظ عليهم مالا يحتمله غيرهم ولأن الانسان غير متهم على عشيرته ، وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت الآية خرج ﷺ حتى صعد الصفا وقال يا صباحاه كلمة تقال عند مفاجأة عدو أو مكروه فقالوا : من هذا ؟ فاجتمعوا اليه ، فقال : أرأيتم إن اخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك كذبا . قال : فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد . وقال الكلبي : قام على الصفا وقريش في المسجد ثم نادى يا صباحاه ففزع الناس فخرجوا فقالوا : مالك يا ابن عبدالمطلب ؟ فقال : يا آل غالب يعني قريشا فقالوا : هذه غالب عندك ثم نادى يا آل لؤى ثم نادى يا آل كعب ثم نادى يا آل كلاب ثم نادى قصي فقالت قريش : أنذر الرجل عشيرته انظروا ما يريد ؟ فقال أبولهب : هذه عشيرتك قد حضروا فما تريد ؟ فقال النبي ﷺ : أرأيتم لو أنذرتكم جيشا يصيبكم أتصدقوني ؟ قالوا : نعم . قال : فاني انذرتكم النار فاني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا لا اله إلا الله فقال أبولهب لعنه الله : تبت يداك ألهذا جمعتنا . فأنزل الله سبحانه ﴿تبت يدا أبي لهب . .﴾الخ .

فتفرقت قريش عنه فقالوا : مجنون يهذي من أم رأسه فنزل ﴿فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون﴾ . وعن الحسن لما نزلت الآية دعا رسول الله ﷺ عشيرته بطنا بطنا ثم انتهى إلى بني عبداالمطلب : يا بني عبدالمطلب اني رسول الله اليكم لي عملي ولكم عملكم اني لا املك لكم من الله شيئا انما أوليائي المتقون ، ألا لا اعرفنكم تأتوني تحملون الدنيا على رقابكم ويأتي الناس يحملون الآخرة . وعنه ﷺ : يا علي ان

الله امرني أن أنذر عشيرتك الأقربين فضقت بذلك ذرعا كيف أبادي امتي فصمت حتى جاءني جبرائيل فقال : يا محمد إن لا تفعل يعذبك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل شاه واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع بني عبدالمطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعل ذلك علي ودعاهم وهم أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب ولما اجتمعوا دعا بالطعام فجاء به وتناول من لحمه شيئا وشقه بأسنانه فألقاه في نواحي صحفة ثم قال : خذوا باسم الله وشبعوا كلهم وكان الواحد يأكل ذلك وحده ثم قال : أسقهم فسقاهم العس ورووا وكان قدر ما يشرب الواحد ، ولما أراد ﷺ ان يكلمهم قال أبولهب لعنه الله : سحركم محمد ، فتفرقوا وقال لعلي أعد غداء مثل هذا الطعام وفعل فأكلوا وشربوا بعد أن دعاهم فقال ﷺ : يا بني عبدالمطلب اني قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم اليه فأيكم يؤازرني على أمري هذا ويكون اخي ووصي وخليفتي فيكم فأحجموا جميعا إلا عليا وكان أحدثهم سنا فقال أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال : هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقاموا يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لعلي وتسطيع وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت نادى على الصفا يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع ان يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاءوا ، فقال : أرأيتكم إن أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أتصدقوني ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا . قال : فإني لكم نذير بين يدي عذاب شديد . . فقال أبولهب : تبا لك ساير اليوم . . ألهذا

جمعتنا . . فنزلت ﴿تبت يدا أبي لهب . .﴾ الخ ، وعن زهير انه لما علا جبلا قال يا بني عبدمناف اني نذير لكم انما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق إلى أهله فخشى إذ يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه .

﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ أي الى جانبك لهم استعار الجناح لإلانة الجانب أخفض استعارة مركبة وكنى به عنه لأن الطائر اذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحيه واذا أراد النهوض رفعه وأعني بإلانة الجانب التواضع والاحسان و(من) للتبيين احترازا من التبعة في غير الدين أولم يتبعه أصلا وللتبعيض أي بعض المؤمنين على أن المراد بالمؤمنين الصادقون في الايمان والمشارفون له والمصدقون باللسان والبعض منهم هو الصادق فيه أو المراد المشارفون أو المصدقون باللسان أو الجميع والبعض من ذلك من ترك تلك المرتبة إلى الصدق في الإيمان بعد ان كان فيها .

﴿فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون﴾ مما تعملونه أو من عملكم والضمير للعشيرة .

﴿وتوكل﴾ بالفاء عند نافع وابن عامر قاله الامام أبو عمرو الداني وهي قراءة المدينة والشام والفاء عاطفة على الجواب أو للاستئناف وقيل هي وما بعدها بدل من قوله (فقل) وقرأ الباقون بالواو .

﴿على العزيز الرحيم﴾ ينصرك على من يعصيك والتوكل تفويض الرجال أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا : المتوكل من إن همه أمر لم يحاول دفعه بمعصية .

﴿الذي يراك حين تقوم﴾ إلى الصلاة أو حين تقوم الى العبادة ليلا من صلاة وغيرها وقيل حين تقوم للدعاء وقيل المراد يراك حيث كنت

وهو قول مجاهد وقتادة .

﴿وتقلبك﴾ عطف على الكاف والرؤية علمية والرؤية العلمية قد ترد متعدية لواحد كما هنا أي الذي أحاط علمك بك وبتقلبك .

﴿في الساجدين﴾ لا يخفى حالك عنه كلما قمت وكلما انقلبت في الساجدين والمراد بتقلبه فيهم تصفح أحوال المتهجدين ليعلم كيف كانوا من أمر الدين ، روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة الموالية ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما فيها من ذكر الله وتلاوة القرآن في الصلاة وغيرها والمراد بالساجدين المصلون وقيل المراد تقلبك في الساجدين بالقيام والركوع السجود والقعود اذا كان إمامهم وقيل المراد بالقيام والتقلب قيامه للصلاة بالناس وتصرفه فيهم بقيام وركوع وسجود وقعود وسأل مقاتل أبا حنيفة هل تجد صلاة الجماعة في القرآن ؟ فتلى الآية ، وقيل : يراك حين قيامك للصلاة وحدك وحين تقلبك في الساجدين إماما لهم ، وقيل : تقلبه ، فيهم محبته لهم واهتمامه بهم وقيل : تقلب بصره في المصلين فانه كان ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه عن انس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : «أحسنوا الركوع والسجود إذا ركعتم واذا سجدتم والذي نفسي بيده إني لأراكم من خلف ظهري كما أراكم من بين يدي) وعن أبي هريرة قال ﷺ : (هل ترون قبلتي ها هنا فوالله ما يخفى عليَّ خشوعكم ولا ركوعكم ولا سجودكم إني أراكم من وراء ظهري) وفي رواية عن ابن عباس أراد

تقلبه في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة و(في) على أصلها أي في جملة الساجدين أو معدود فيهم أو للمصاحبة وهي متعلقة بتقلبك أو بمحذوف حال من الكاف ووصف الله سبحانه نفسه بالعزة والرحمة والروية تأنيسا لرسوله ﷺ بأنه ينتقم له ويرحمه ويجازيه على الطاعة فيقوى توكله ويطمئن قلبه وزاد في ذلك بقوله .

﴿إنه هو السميع﴾ العليم بما تقول وما تفعل .

﴿العليم﴾ بما تنويه وقريء ويقلبك بمثناة تحتيه مضمومة وكسر اللام وضم الباء عطفا على يراك .

﴿هل أنبئكم﴾ أخبركم يا كفار مكة وهذا رجوع إلى قولهم لعنهم الله القرآن نزلت به الشياطين والأصل اتصال (وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين ، وما تنزلت الشياطين) و(ما يستطيعون إنهم عن السميع لمعزولون) و(هل أنبئكم على من تنزل) إلى اخيره لكن فصل بينهن ليكون الرجوع اليهن على طراوه مرة بعد أخرى وما تصدر كلامك بما تعتني به ثم لا تزال ترجع اليه وتبني عليه .

﴿على من﴾ متعلق بقول .

﴿تنزل﴾ أي تنتزل وحذفت احدى التائين .

﴿الشياطين﴾ جملة الفعل والفاعل وما تعلق به الفعل سدت مسد المفعول الثاني والثالث لا نبي المعلق بالاستفهام فان من استفهامية قال جار الله أصل أسماء الاستفهام الدلالة على مسيميات فقط بدون استفهام فتكون الهمزة قبلها لكن ضم إلى مسمياتها استفهاما .

﴿تنزل﴾ مستأنفة .

﴿على كل أفاك أثيم﴾ هم الكهنة والمنبئة والعراف كمسيلمة. وشق وسطيح والأفاك الكذاب والأثيم الكثير الذنب .

﴿يلقون السمع﴾ أي تلقي الشياطين اسماعهم على ما تقول الملائكة وتأتي به الى الكهنة أو يلقون مسموعهم الى الكهنة فينتج من ذلك أن الشياطين لا تنزل على النبي ﷺ لأنه ليس بأفاك أثيم كهؤلاء الكهنة ونحوهم ولأنه اذا أخبر عن مغيب خرج على وفق أخباره بخلافهم فان أكثرهم كاذبون لأن اكثر الشياطين الملقين اليهم كاذبون كما قال الله سبحانه .

﴿وأكثرهم كاذبون﴾ يسمعون كلمة من الملائكة ويلفقون اليها كل ما على حسب تخيلهم لا يطابق أكثرها الخارج فعلمهم ناقص ويجوز رجوع ضمير يلقون وأكثرهم للأفاكين الآثمين أي يلقون اسماعهم الى ما تقول الشياطين ويكذبون والمشهور أن الالقاء والأكثرية والكاذبية للشياطين وقال ﷺ (الكلمة يحفظها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة) وهو الواضح وبالجملة قل ما يصدق الكاهن عن أمر السماء لأنه يكذب اكثر من مائة كذبة ولأن الجني انما يسمع عن الملائكة مع شدة كلام الملائكة وغموضه وقصور فهم الجن وضبطهم وكذبهم وتزلزلهم توقعا من الرجم وكان الرجم قبل البعثة وكثر بعدها وخرج بالأكثر القليل فإن بعض الجن وبعض الكهنة لا يزيدون في الكلام الملقي ويكذبون في ساير الكلام وقيل المراد وكلهم كاذبون فعبّر بالأكثر ولك أن تقول عبر بالأكثر عن أقوالهم فالأكثر باعتبار أقوالهم وجمع كاذب جمع مذنب تبعا للفظ فان الظاهر اكثر الشياطين أو الكهنة والمراد انه يضمون الى الكلام الملقي كذبا كثيرا ولك أن تقول

الاصل وأكثر أقوالهم فحذف المضاف وناب عنه المضاف اليه فنسبت الأكثرية اليهم نسبة اضافية فكان الخبر طبقهم جمع سلامة وكل وجه من ذلك دافع لما قد يستشكل من نسبة الافك والاثم للكل ونسبة الكذب للأكثر وجملة يلقون مستأنفة أو نعت لكل أو لأفاك نظرا للمعنى أو حال من ضمير تنزل .

﴿والشعراء﴾ وقرأ عيسى بن عمرو بالنصب على الاشتغال .

﴿يتبعهم الغاوون﴾ واتباع محمد ليسوا ، لغواة فليس محمد شاعرا وقريء (يتبعهم) بتشديد التاءوكسر الباء وضم العين وقريء بالتخفيف وإسكان العين مع فتح الباء وزعم بعضهم أن هذه قراءة نافع ووجه الاسكان التشبيه بجواب الشرط أو تشبيه الباء والعين والهاء بعضد فسكنت العين كما تسكن ضاد عضد تخفيفا ، والمراد بالشعراء شعراء المشركين الذين يهجون رسول الله ﷺ كعبدالله بن الزبعري السهمي وهبيرة بن وهب المحزمي ومسافع بن عبدمناف وأبي عزة بن عبدالله الحجمي وامية بن أبي الصلت الثقفي يقولون الشعر ويقولون نحن نقول كما يقول محمد ويهجونه وأصحابه والذين يتبعهم الموصوفون بالغواية هم الأعراب الذين يجتمعون اليهم من قومهم يستمعون أشعارهم وأماجيهم ويروونها عنهم قاله عكرمة : وقال ابن عباس المتحسنون لاشعارهم المصاحبون لهم وعن عكرمة السفهاء الضالون وقيل الشياطين ويدخل في ذلك بالمعنى كل من يقول شعرا في ذم من لا يستحق أو مدح من لا يستحق أو القذف أو نحوه من المعاصي وكل من يستحسنه ويحضره أو يرويه إبقاء لمعناه وقيل : إن رجلين من الأنصار تهاجا على عهد رسول الله ﷺ مع كل منهما رغواة من قومه فنزلت الآية .

﴿ألم تر﴾ تعلم .

﴿انهم في كل واد﴾ أي فن من فنون الكلام .

﴿يهيمون﴾ يمضون ويجاوزون الحد في المدح والذم شبه فنون الكلام بالأودية ورشح ذلك بيهيمون أو ذلك مجاز تمثيلي مركب شبه حالهم في تكلمهم والافتخار الباطل ومدح من لا يستحق الذم ومدح شيء ثم ذمه وقلة مبالاتهم حتى انهم يفضلون أجبن خلق الله على عنترة وأشحهم على حاتم وتفسيق التقي وبهت البري والغوص على القوافي التي أرادوها كائنا ما كان بحال من يدخل واديا يهيم فيه على وجهه حائرا لا مقصد له ولا يتقي مهلكه بل كل ما وجدت المجاز المركب فابن عليه فانه أولى من المفرد ونتج من ذلك أن القرآن غير شعر لأنه لا هيوم فيه وما فيه إلا الحق وأن قائله غير شاعر .

﴿وانهم يقولون مالا يفعلون﴾ يكذبون في اشعارهم ويمدحون شيئا ولا يفعلونه ويذمون شيئا ويأتونه ويذمون الناس بأدنا شيء يصدر منهم ونتج من هذا أيضا انه ﷺ غير شاعر لأنه ما يقول شيئا من الخير لا سبق الناس الى العمل به وما نهى عن شيء إلا كان أشد الناس مجانبة له وأما الشعر الذي لا معصية فيه فقد نفاه والشعر الذي فيه المعصية بقوله ﴿وما علمناه الشعر﴾ الخ .

﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ من الشعراء فلا ضير عليهم ولا على من يتبعهم .

﴿وذكروا الله كثيرا﴾ في أشعارهم وغيرها ولا يشغلهم الشعر عن ذكر الله بل انما يقولون الشعر في التوحيد والثناء على الله ورسوله ودينه والحث على ذلك وذم المشركين ولا يقولون شعرا فيه معصية بل شعرا فيه

نصر الله ورسوله ودينه كما قال .

﴿وانتصروا﴾ بهجو الكفار .

﴿من بعد ما ظلموا﴾ بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ وقال كثيرون المراد ذكر الله في غير الشعر لكن اذا قالوا شعرا كان في الطاعة والموعظة والزهد والآداب الحسنة وغير ذلك مما لا معصية فيه ويدخل في ذلك شعراء المؤمنين إلى آخر الدهر اذا لم يدخلوا في أشعارهم معصية وقال ابن زيد المراد ذكر الله في أشعارهم وفي الحديث أفضل العباد الذاكرون الله كثيرا هم أفضل من الغازين في المشركين حتى تنكسر سيوفهم وتختضب دما ، وقال : ذكر الله خير أعمالكم وأزكاها وخير من انفاق الذهب والورق ومن ان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قال بعضهم أراد بالمستثنين عبدالله بن رواحة رحمه الله وحسان بن ثابت ولا ولاية له في مشهور المذهب وكعب بن مالك وهو كذلك وكعب بن زهير رحمه الله وعلي وهو في البراءة ولم تثبت له التوبة في مشهور المذهب ولا يتولى هو ونحوه بالآية لأن الآية انما دلت على انه لا ضير عليهم من حيث أشعارهم وأن أشعارهم طاعة لأنهم غير مشركين وذكروا الله وانه لا ضير على من تبعهم فان الآية سبقت في ذلك وفي هذا الاستثناء رد على من قال الشعر مكروه لذاته ولو لم تكن فيه معصية قال الشافعي الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبحه كقبحه وكذا قالت عائشة رضي الله عنها وعن عطاء بن يسار شق على شعراء المسلمين قوله (والشعراء يتبعهم الغاوون) فنزل الاستثناء بالمدينة وأما رواية جابر بن عبدالله (من مشي

سبع خطوات في شعر كتب من الغاوين) ورواية أبي هريرة (لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا خيرا له من أن يمتلىء شعرا) في شعر فيه معصية . قال رجل من العلوية لعمر بن عبيد أن صدري ليجيش بالشعر ، فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس فيه وقال ﷺ لكعب بن مالك (أهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل) وكان يقول لحسان (قل وروح القدس معك) وقال ﷺ (إن المؤمن يجاهد بنفسه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنكم ترمونهم بالنبل) وقال يوم قريظة أهج المشركين فان جبريل معك وكان يضع له منبرا في المسجد يمدحه ويهجو المشركين قائما وقال (إن الله يؤيده بروح القدس ما فاخر عني) وقال (أهجوا قريشا فإنه أشد عليهم من رشق النبل) وقال (إن من الشعر لحكمة - إن من البيان لسحرا ومن الشعر حكما) وقال لأبي عمرو بن الشريد هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء فأنشده بيننا فكان يشير اليه أن زد ان زد حتى انشد له منه مائة بيت وقال (لقد كاد يسلم في شعره) وعن جابر بن سمرة جالست رسول الله ﷺ اكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم وكان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما وعلي يقولون الشعر وأشعرهم علي وقيل ما قال الا بيتا وبيتين وكان ابن عباس ينشد الشعر في المسجد الحرام ويستنشده ودعا عمر بن ربيعة المخزومي فاستنشده قصيدته التي أولها :-

* أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر *

وهي قريبة من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعادها جميعا حفظها من سماع واحد ودخل ﷺ مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه يقول :-

* خلوا بني الكفار عن سبيله * نضربكم في اليوم عن نزيله *
* ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله *
فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا كعب بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله سبحانه تقول الشعر فقال رسول الله ﷺ (خل عنه يا عمر فلهي فيهم اسرع من النبل) ، وفي رواية وابن رواحة بين يديه والأولى أصح لأن ابن رواحة مات في غزوة مؤته وعمرة القضاء بعدها كذا ظهر لي ثم راجعت سير الغزوات فاذا أن عمرة القضاء سنة سبع وغزوة مؤتة سنة ثمان وأرسل الى ابن رواحة فهجاهم فلم يرض وأرسل إلى كعب بن مالك ثم الى حسان وقال هو الأسد الضاري فجاء فقال والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلسان فري الاديم فقال(لا تعجل فان أبا بكر أعلم قريشي بالأنساب وإن لي فيهم نسبا حتى يخلص لك بشيء) فأتاه حسان ورجع فقال والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم سل الشعرة من العجين فهجا فقال ﷺ هجاهم حسان فشفى واستشفى قال :-

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا تقيا * رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء
فإن أعرضتم عنا اعتمرنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لضراب يوم * يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء
لهم في كل يوم من معد * سباب أو قتال أو هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له خفاء

قال بعض العلماء أنصف بيت قالته العرب قول حسان :-

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

وكانت العرب تفد اليه وتقول أشعارا في مدحها وفي مدحه وهو يسمع واستسقى بعد موت عمه أبي طالب فسقوا فتفكر قول ابي طالب في وصفه ﷺ ..

وابيض يستسقي الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال من ينشدني قوله فأنشده علي البيت وما بعده هكذا ..

يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل

فقام رجل فقال :

لك الحمد والمدح ممن شكر * سقينا بوجه النبي المطر

دعا الله خالقه دعوة * واشخص منه اليه البصر

فلم يك الا كلف الردي * وأسرع حتى اتتنا الدرر

فكان كما قاله

عمه أبو طالب أبيضا ذا غرر به أنزل الله صوب الغمام

وهذا العيان وذاك الخبر فقال ﷺ (ان كان شاعرا يحسن فقد أحسن) وسمع شباب الأنصار وجواري بني النجار عند ورود المدينة ..

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

فانشد له كعب قصيدته بانت سعاد فخلع عليه بردته فاشتراها معاوية بعشرة آلاف درهم وروي أن حسانا جاءه وهو في مسجده فقال : يا

رسول الله أيأذن لي الله أن محمدا رسول الله ؟ فقال ﷺ : (وأنا أشهد) وقال :

وإن أبا يحيى ويحيى كليهما * له السهم في الدين الذي يتقبل
وإن الذي عادى اليهود بن مريم * رسول اذ كل الخلائق مرسل

فقال ﷺ (وأنا أشهد) وكان يتمثل بقول طرفه :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالأخبار من لم تزود

لكن يجري على لسانه ويأتيك من لم تزود بالأخبار وكان يكسر البيت على لسانه فيقول له أبوبكر : يا رسول الله انما قال الشاعر كذا اشهد انك رسول الله ما علمك الشعر وما ينبغي لك وقال ﷺ لحسان (هل قلت في أبي بكر شيئا) ؟ فقال نعم . قال فقل :

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به إذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله غالبه * عن كل شيء فلم يعدل به بدلا

فتبسم ﷺ وسمع النابغة الجعدي يقول :

بلغنا السماء مجدنا وسناءنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له : (الى اين يا ابن ابي ليلى) فقال : الى الجنة . فقال ﷺ (إن شاء الله) فقال :

ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان تكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حكيم اذا ما أورد القوم اصدرا

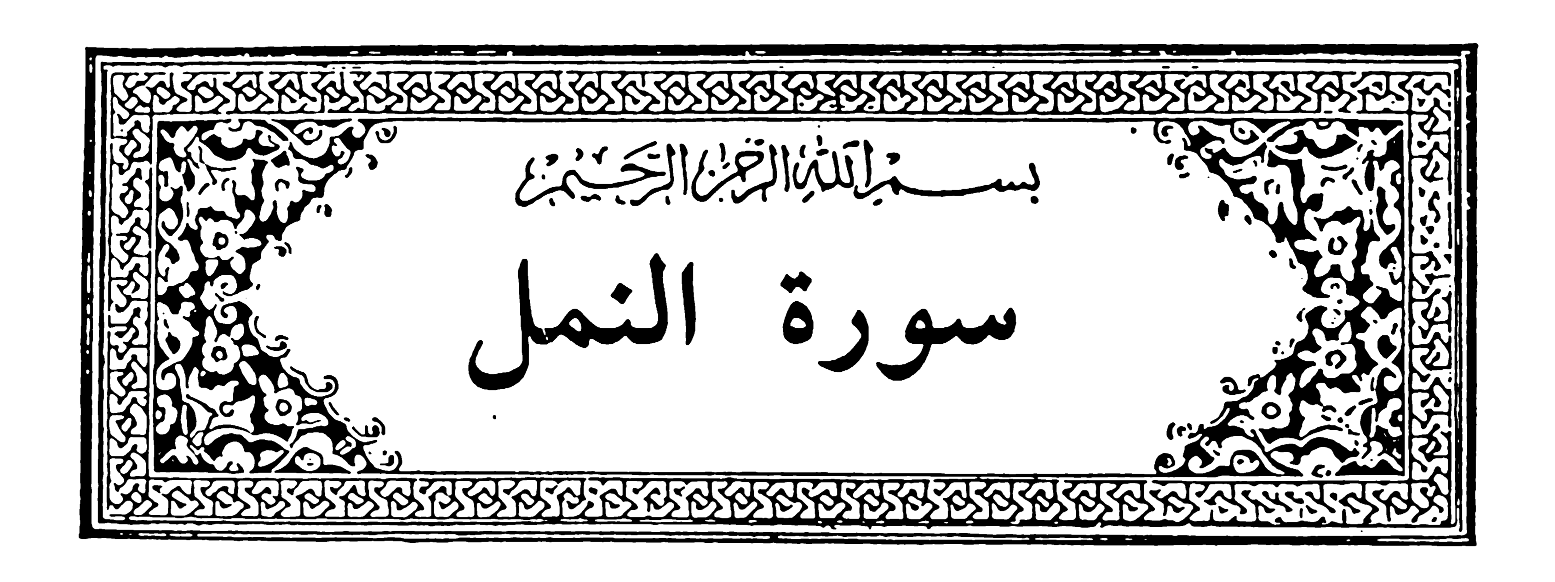
فقال ﷺ (أجدت لا يفضض الله فاك) فعاش مائة وعشرين سنة وهو أحسن الناس شعرا ولم تزل عنه سن وقال أبوبكر حين قدم المدينة :

كل امرء مصبح في أهله * والموت ادنى من شراك نعله

ومن شعر بلال :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ أي اسم استفهام واقعة على الانقلاب مفعول مطلق لينقلبون ومنقلب مصدر ميمي بمعنى الانقلاب وجملة منقلبون سدت مسد مفعولي يعلم لتعليقه بالاستفهام والمراد بالذين ظلموا الشعراء المشركون وغيرهم من المشركين ولا بعد ان يراد بهم كل ظالم مشرك أو موِّحد ، والانقلاب الرجوع إلى الله بالموت او بالبعث قال ابن عباس الى جهنم وبئس المصير ختم السورة بمالا أهيب منه ولا اصدع منه لأكباد المتدبرين لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي ابهام المنقلب وكان السلف يتواعظون بها ويتناذرون والآية مؤيسة للكفار من الانقلاب عن العذاب وقد قرأ ابن عباس أي منقلب ينقلبون . اللهم ببركة نبيك محمد ﷺ وبركة السورة أخز النصارى وأهنهم واكسر شوكتهم وغلّب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ★


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة النمل

وتسمى سورة سليمان عليه السلام وهي مكية وكلها الف وسبع عشرة وحروفها أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون وآياتها ثلاث وتسعون وقيل اربع وتسعون وقيل خمس وتسعون . قال ﷺ (من قرأ سورة ﴿طس﴾ كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بسليمان ومن كذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب عليهم السلام ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله إلا الله) وقالوا : من كتبها في رق غزال وجعلها في جلد مدبوغ لم يقطع منه شيء وجعله في صندوق فلا يقرب المكان الذي هو فيه حية ولا عقرب ولا خفاش مؤذ ولا سبع ولا دابة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓ﴾ اخلص بعض فتحة الطاء والفها وأمالهما بعض كما مر .

﴿تلك﴾ قيل الاشارة إلى آيات السورة فانه كما يشار الى موجود يشار الى ما يوجد .

﴿آيات القرآن﴾ أي في آيات من القرآن .

﴿وكتاب مبين﴾ اللوح المحفوظ وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يعّينه للناظرين ، فيه إبانة او القرآن او السورة وابانتهما انهما بينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرايع وأن إعجازها ظاهر مكشوف وإضافة الآيات الى الكتاب للتفخيم لأن المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه وآخر الكتاب المبين باعتبار تعلق علمنا به أن قيل انه القرآن وقد مر في الحجر لأنه مخلوق.قبل القرآن وتنكيره للتعظيم على

أي وجه فسروا إذا أريد به القرآن فعطفه عطف إحدى الصفتين على الاخرى كقولك : جاء زيد السخي والجواد الكريم وأنت تريد بالسخي والجواد الكريم زيدا فكأنه قيل آيات المجموع والمقروء والمكتوب المبين وقرأه ابن أبي عبلة وكتاب المبين بالرفع على أن الأصل وآيات كتاب مبين فحذف المضاف فأنيب عنه المضاف اليه في الرفع .

﴿هدى﴾ أي هو هدى أي هاد أو ذو هدى أو جعله نفس الهداية مبالغة والضمير للقرآن ويجوز تقدير هي أي الآيات ذات هدى أو هادية أو نفس الهداية مبالغة أو بدل من آيات أو خبر ثان أو حال من آيات أو من القرآن ولو مضافا اليه لأن المضاف جزئه والناصب من معنى الاشارة ووجه كونه هدى انها سبب اهتداء من هو في علم الله يؤمن أو انها تزيدهم ايمانا .

﴿وبشرى﴾ أي مبشر أو مبشرة أو ذو تبشير أو ذات تبشير أو هو أو هي نفس البشري مبالغة وفيه الأوجه المذكورة لكن بواسطة العطف والألف للتأنيث .

﴿للمؤمنين﴾ يهديهم ذلك ويبشرهم بالجنة وهو متعلق بمحذوف نعت لهدى وبشرى او متعلق بهدى لكن اللام للتقوية حينئذ وفي تعليقها خلف ويقدر آخر نعتا لبشرى لا متعلقا به ولامه للتقوية لأن بشرى مؤنث بالألف والمؤنث بالألف من المصادر وأسماءها لا ينصب المفعول به الصريح فضلا عن أن يضعف عنه فيقوى .

﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ يأتون بها على وجهها .

﴿ويؤتون الزكاة﴾ المفعول الثاني محذوف أي الفقراء أي يجعلون الزكاة آتية لهم أي واصلة إياهم وذلك هو إعطاءهم إياها والثاني غير

معتبر هنا وغير مرادة ملاحظته .

﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ يعلمونها بالاستدلال كأنهم يشاهدونها والجملة مستأنفة في مدحهم أو معطوفة على يقيمون أو يؤتون أو الواو للحال وعلى الوجهين فالجملة من تمام الصلة وعبّر بالجملة الاسمية مع أن المطابق لقوله يقيمون ويؤتون أن يقال بالآخرة ويوقنون للدلالة على قوة إيقانهم وثبوته وكرّر لفظ (هم) تأكيدا ولا سيما قد فصل بينه وبين الأول فكان عادته مستحسنة والتحقيق أن هذه العبارة لا تفيد الحصر لأنه لم يقل هم الموقنون واذا جعلناها مستأنفة فهي فاصلة ومعترضة بين قصة المؤمنين وقصة الكافرين ولعل هذا مراد جار الله بالاعتراض أو لعله لا يشترط في الاعتراض أن تكون الجملة بين متلازمين كالفعل والفاعل .

﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم﴾ يحتمل أن يكون تعالى شبه اطالته أعمارهم وتوسيعه أرزاقهم ونحو ذلك مما تذرعوا به الى البطر والنفار عن التكاليف بتزيين الأعمال الفاسدة اليهم وسمي ذلك تزيينا واشتق منه زين بمعنى وسع واطال وذلك لأنهم جعلوا إنعام الله عليهم ذريعة الى البطر واتباع الشهوات ويطابق ذلك قول الملائكة (ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر) ففي ذلك استعارة تبعية ويحتمل أن يكون أسند التزيين الى نفسه لأنه الذي خلق الشيطان المزين لهم ووكله وإياهم فيكون التجوز في الاسناد ويجوز أن يكون المراد زينا لهم الأعمال التي وجب عليهم أن يعملوها ورغبّناهم فيها بذكر الثواب عليها فصدوا عنها وانما نسبها اليهم لوجوبها عليهم .

﴿فهم يعمهون﴾ يعرضون عما يترتب من المضار على الأعمال الفاسدة

بأن لا يتفكروا في ذلك أو عما يترتب من المنافع على الأعمال الصالحات أو يعمهون يتحيرون .

﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ شديد العذاب وعن بعضهم : أشد العذاب والمراد القتل والأسر .

﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ الكاملون خسارا في الآخرة وفي إعادة الضمير ما مر غير ان هذه العبارة تفيد الحصر .

﴿وإنك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم﴾ إنك يا محمد لتؤتى القرآن من عند من هو متقن لما أنزل اليك ولغيره من الأشياء عليم بكل شيء والتنكير للتعظيم وفي الجمع بين الحكمة والعلم إشعار بأن القرآن منه ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنه قصص وأخبار الغيب وفي هذا النوع حكم ، ولدن مبينة قيل : لَتضمنها معنى (من) الابتدائية واذا دخلت (من) عليها فعلى جهة التأكيد وقيل : لشبهها الحرف في الجمود وعدم التصرف اذ لا تثّنى ولا تجمع ولا تصّغر ولا تخرج عن الظرفية نعم تدخل عليها وقيل للحمل على لغة من يقول لد بضم لام أو كسرها أو فتحها وإسكان الدال أو ضمها وذلك لغات وضعت فيها على حرفين وهو باطل اذ لا يبنى اللفظ في لغة والآية تمهيد لما يسوق بعدها من الأقاصيص وما فيها من لطائف حكمته ودقائق علمه .

﴿إذ قال﴾ اي اذكر وقت قال والمراد ذكر قصته الواقعة في ذاك الوقت ويجوز تعليقه بعليم .

﴿موسى لأهله إني آنست نارا﴾ أبصرتها من بعيد وانما هي نور لكن ظنه نارا بل كانت عنده لبعدها نارا وقيل هي نار حقيقية ، وأهله زوجته وذلك عند مسيره من مدين إلى مصر وسكّن الياء غير منافع وابن كثير

وأبي عمر .

﴿سآتيكم منها﴾ أي من أهلها أو من حاضرها .

﴿بخبر﴾ عن حال الطريق لانه قد ضل حينئذ عن الطريق وانما جمع الضمير مع أن الأهل مراده به زوجته ولم يكن معه وقتئذ سواها نظرا للفظ الأهل ويحتمل أن يكون معه غيرها فيراد بالأهل الزوجة وغيرها بل قيل : انها قد ولدت فالمراد هي وما ولدت في ذلك الوقت والسين لبعد النار عنه فوعد أهله انه يأتي بذلك ولو أبطى عنهم ففيه تصبير لهم وشد على قلوبهم .

﴿أو آتيكم بشهاب﴾ شعلة نار .

﴿قبس﴾ مقبوسة فقبس نعت شهاب أو بدل من شهاب وذلك قراءة الكوفيين قيل ويعقوب وقرأ غيرهم بالاضافة وأضيف الشهاب الى القبس وهو النار المقبوسة لأن الشهاب يكون قبسا وغير قبس فالاضافة للبيان وبها نقرأ ومرادي بالكوفيين الكسائي وحمزة وعاصم وان قلت سآتيكم يقين ولعلي آتيكم ترج فيتنافيان قلت سآتيكم آيضا ترج ذكره الله على صورة اليقين لقوة الرجاء أو لعلي آتيكم يقين جاء به على صورة الرجاء توطينا لأنفس أهله على الصبر فلا يقلقوا إن أبطأ بخلاف ما اذا يتقنوا فإنه اذا أبطأ اشتد عليهم إبطاءه وجاء بأو دون الواو اشعارا بأنه ان لم يظفر بحاجته جميعا لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق أو اقتباس النار ثقة بالله ان لا يجمع له بين حرمانين .

﴿لعلكم تصطلون﴾ تستدفون من البرد والوقت شتاء وهو من الاصطلاء والطاء عن التاء والثلاثي صلى كرسي وصلى كرضى وقد يطلق الصلى على النار العظيمة .

﴿فلما جاءها نودي أن بورك من في النار﴾ ان مفسرة لأن في النداء معنى القول دون حروفه أو مصدرية خفيفة أو مخففة فيقدر الجار أي بأن بورك واذا جعلت مخففة فإن جعل بورك على طريقة الدعاء فلا إشكال وان جعل اخبارا فذلك مما لم يفصل فيه بين ان المخففة وما بعدها على القلة ويقدر مضافا أي في مكان النار وهو البقعة الواسعة المذكورة في قوله (نودي من شاطىء الوادي) الخ وبارك يتعدى بنفسه تارة وبأحرف اخرى ومن حولها أي حول مكانها من سائر الوادي وأرض الشام فانها مقر الأنبياء أحياءا وأمواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله موسى فيها وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وهو قول الحسن وابن عباس وقيل المراد بمن في النار الله وبورك قدس عن الحلول والجهات وسائر النقص وصدّر الخطاب بذلك بشارة انه قد قضى له أمر عظيم تنتشر بركته في أقطار الشام وفي مصحف أبي (ان بوركت النار ومن حولها) وعنه أن تباركت الأرض ومن حولها الضمير في حولها عائد إلى الشجرة .

﴿ومن حولها وسبحان الله رب العالمين﴾ هذا من جملة ما نودي موسى له ومعناه تنزيه الله عن الحلول في الأماكن وعن الجهات وعن اللسان والجوارح ونحو ذلك من صفات الخلق دفعا لما يتوهم من سماع الكلام وفيه تعجب من عظمة ذلك الأمر أو ذلك من كلام موسى تعجبا مما دعاه من عظمة الله سبحانه .

﴿يا موسى﴾ متصل بما بعده أو بما قبله وان جعل ما قبله من كلام موسى فيما بعده .

﴿أنه﴾ أي الشأن .

﴿أنا الله﴾ جملة مفسرة له أو الهاء للمنادي بكسر الدال وأنا خبر والله

عطف بيان للخبر ، روى أن موسى قال : من المنادي ؟ فقال : انه أنا الله .

﴿العزيز الحكيم﴾ أي القادر على ما تستبعده الأوهام كقلب العصا حية المتقن لكل ما فعل الذي لا يفعل شيئا عبثا فذلك تمهيد لما أراد أن يظهره لموسى عليه السلام .

﴿وألق عصاك﴾ عطف على بورك أي ان بورك وان الق كما قال في آية أخرى .

﴿ألق عصاك﴾ بعد قوله يا موسى .

﴿فلما رآها﴾ أي فألقاها فلما رآها .

﴿تهتز﴾ تتحرك باضطراب .

﴿كأنها جان﴾ حية خفيفة سريعة صغيرة وقيل الحية مطلقا لانها تجن نفسها أي تسترها وانما التقى ساكنان لأن الأول حرف مد والثاني مدغم وهما في كلمة وبعض العرب لا يجمع بين ساكنين ولو في مثل ذلك فكان يهمز الألف ويفتحه فيقول جان ودابة وبهذه اللغة قرأ الحسن كأنها جان جدا في الهروب من اجتماعهما .

﴿ولىّ مدبرا ولم يعقب﴾ أي يرجع بعد الهروب حال مؤكد لعامله وهو ولي وانما هرب خوفا وظن أنه المراد بها فأسكن الله تعالى قلقه بقوله .

﴿يا موسى لا تخف﴾ منها ولا من غيرها وثق بي أو لا تخف فانك من أولياء المرسلين كما قال .

﴿اني لا يخاف﴾ تعليل مستأنف .

﴿لديّ المرسلون﴾ من حية ولا من غيرها فاني لا أخزيهم أو لا

يخافون من شيء اذا أمرتهم به واذا أمنتهم أو لا تخف سواء العافية فان المرسلين لا يخافونها لعلمهم بأنهم سعداء فلا تخف أن أسخط عليك وأسلط عليك دابة وخوف الرسل خوف إجلال وحياء من تقصير وربما عظم خوفهم حتى انهم يخافون مع ما سبق لهم من السعادة فيخافون عذاب النار والأنبياء أخوف الناس . قال ﷺ : «أنا أخشاكم لله» .

﴿إلا من ظلم ثم بدّل حسنا بعد سوء﴾ الاستثناء منقطع استدرك به ما يخطر بالبال من نفي الخوف عن جميعهم مع أن فيهم من فرطت منه صغيرة يخاف منها قطعا كما فرطت من آدم ويونس وداود وسليمان وأخوة يوسف وموسى بوكزه القبطي فقال لكن من ظلم نفسه وجعل الطاعة بدل المعصية .

﴿فإني غفور رحيم﴾ له فلا يخاف أيضا ويحتمل أن يكون ذلك تعريضا بموسى لوكزه القبطي وسماه ظلما كما سماه موسى ظلما في قوله ﴿رب اني ظلمت نفسي﴾ وقيل الاستثناء متصل والمعطوف عليه محذوف أي إلا من ظلم منهم فانه يخاف ومن ظلم ثم بدّل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم له وقال الفراء وجماعة الاستثناء منقطع أخبارا عن غير الأنبياء وقال الاخفش والفراء وأبو عبيدة إلا هنا حرف عطف بمعنى الواو ومن معطوف بها على المرسلين وعن ابن جريح ان الله سبحانه قال لموسى إني أخفتك لقتلك النفس قيل فالمعنى أن من أصاب من المرسلين ذنبا خفته روى أن موسى تعمد ضرب القبطي ولم يتعمد قتله وقريء ألا بفتح الهمزة وتخفيف اللام فيكون حرف تنبيه وفي رواية عن ابي عمرو (ثم بدل حسنا) بفتح الحاء والسين .

﴿وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ من غير آفة

كبرص ومرَّ تفسير الجيب وقيل الجبيب القميص انه يجاب أي يقطع وعن بعض كانت له مدرغة صوف لا كمَّ لها والتحقيق أن الجيب لوضع الذي تدخل منه اليد وتخرج أو الرأس في الجبة أو القميص وكان لونه أدم فلما أدخل يده وأخرجها كانت بيضاء كالشمس لما أخرجها بيضاء وعن بعض خرجت كالشمس أو البرق وعن الحسن كالمصباح .

﴿فصل﴾ قال الثعلبي في عرائس القرآن وهو كتاب ألفه في القصص والأخبار المواقعة في القرآن ومنه أخذهما في هذا التفسير من القصص والأخبار .

الباب الثامن في خروج موسى من مدين وتكليم الله إياه في الطريق وإرساله إلى فرعون واستعانته بأخيه هارون وكيفية ذهابهما إلى فرعون لتبليغ الرسالة قال الله تعالى ﴿**فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا**﴾ ، قالت العلماء بأخبار الأنبياء : لما ورد موسى ماء مدين وأتى عليه من وروده تسع سنين ستين قال له شعيب اني وهبت لك من أغنامي كل بلقاء وأبلق من الحملان والجديان التي تضعها أغنامي في هذه السنة العاشرة أراد بذلك مسدة موسى ووصلة امرأته صفورا بنت شعيب فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك الماء الذي هو مستقى الأغنام ففعل ثم سقى الأغنام فما تخطت واحدة من تلك الأغنام إلا وضعت ولدين بلقاء وأبلق فعلم شعيب أن ذلك رزق رزقه الله موسى وأهله وسلم الأغنام اليه إلا ما ولدت فقصد الشام بزوجته في شهر ولادتها وبأغنامه وعدل إلى البرية عادلا عن العمران والمدائن محفة الملوك وكان أكبر همه طلب أخيه هارون واخراجه من مصر ويجير في الطريق فوقع في جانب الطور الأيمن الغربي في عشية شاتية شديدة البرد

وأظلم عليه الليل وارعدت السماء وأبرقت وأمطرت وأخذ امرأته الطلق فعمد الى زناده فقدحه مرات فلم يور فتحير وقام وقعد اذ لم يكن عهد بمثل ذلك في الزناد وتأمل ما قرب وما بعد فتحير وتسمع طويلا هل يسمع حسا أو حركة فبينما هو كذلك إذ رأى نورا فحسبه نارا ﴿**فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى**﴾ أي دالا على الطريق ولما أتاها رأى نورا عظيما ممتدا من عنان السماء إلى شجرة عظيمة هناك هي عوشجة وقيل العناب فتحيّر إذ رأى نارا عظيمة لا دخان لها تلتهب من جوف شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا الشجرة الا خضرة ولما دنا منها تأخرت منه فرجع خائفا ذكر حاجته إلى النار فرجع اليها فدنت منه .

﴿**فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى**﴾ فنظر فلم ير أحدا فنودي :

﴿**يا موسى اني أنا الله رب العالمين**﴾ أدن فدنا فخفق قلبه وكل لسانه وضعفت قوته وصار حيا كميت ما فيه إلا روح تتردد وأرسل اليه ملكا يشد ظهره ويقوّي قلبه ولما رجع اليه عقله نودي﴿**فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى**﴾، قال ابن مسعود عن النبي ﷺ أمر بخلعهما لأنهما من جلد حمار ميت وفي خبر غير مدبوغتين وعن مجاهد وعكرمة أمر بخلعهما لتمس قدماه الأرض العالية فتناله بركتها لأنها قدست مرتين .

وعن سعيد بن جبير أمر بذلك لأن المشي على الحفا من علامة التواضع والاحترام ولا يبعد أن يكون سبب الأمر ذلك كله وقال أهل الإشارة النعلان عبارة عن المرأة أي أفرغ قلبك من شغل اهلك ثم قال تسكينا لقلبه واذهابا لدهشته .

﴿وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي﴾ ﴿قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هي حية تسعى﴾ عظيمة صارت شعبتيها فما ومحجنها عرفا في ظهرها وهي تهتز ولها انياب والحكمة في هذا ان لا يفزع اذا رآها كذلك عند فرعون ولما رآها كذلك هرب خائفا فقال له الله عزوجل ﴿خذها﴾ وكانتعليه جبة صوف فلف يده في كمه وهو لها هائب ونودي أن اكشف يدك فكشفها فأدخلها بين لحيي الحية فاذا هي عصاه ويده بين شعبتيها ، حيث كان يضعها ثم قال له :

﴿أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ وانما قال له جيبك لأنه لم يكن لملبوسه كم واسع فأدخل يده في جيبه ثم أخرجها وعليها نور يكل البصر ثم ردها فخرجت كما كانت وأمره بالذهاب إلى فرعون مع أخيه فقال : يا موسى اني قد أوقفتك موقفا لا أجعل بعده لأحد سبيلا . وعليه يومئذ مدرعة خللها بخلال وجبة من صوف وثوبان من صوف وقلنسوة من صوف وقال له : يا موسى انطلق برسالتي فأنت بعيني وسمعي ومعك قوتي وبصري بعثتك الى خلق ضعيف بطر بنعمتي وآمن مكري وعبد دوني وغرته الدنيا حتى جحد حقي وأنكر ربوبيّتي وزعم انه لا يعرفني واني احلف بعزتي وجلالي لولا الحجة والعذر اللذان جعلتهما بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار تغضب لغضبه السماوات والأرض والبحار والجبال والشجر والدواب فلو أذنت للسماء لحصبته وللأرض لابتلعته وللجبال لدكته وللبحار لأغرقته ولكن سقط من عيني وهان عليَّ وصغر عندي ووسعه حلمي وأنا الغني عنه وعن جميع خلقي وحق ذلك لي وأنا خلقت الغني والفقير وأنا المغني والمفقر لا غني إلا من أغنيته ولا فقير إلا من أفقرته فأبلغه رسالتي وادعه إلى عبادتي

وتوحيدي والاخلاص لي وحذّره نقمتي وبأسي وذكّره آياتي وأعلمه انه لا يقوم لغضبي شيء وقل له فيما بين ذلك قولا لينا وكنّه في خطابك إياه ولا يغرنك ما ألبسته الدنيا من لباسها فان ناصيته بيدي ولا ينطق ولا يتنفس إلا عن علمي وأخبره اني الى العفو أقرب مني إلى الغضب والعقوبة وقل له أجب ربك فانه واسع المغفرة وقد أمهلك هذه المدة وفي كلها تدعي الربوبية دونه وتصد عن عبادته وفي كل ذلك يمطر عليك السماء وينبت لك الأرض ويلبسك العافية حتى لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء لعاجلك بالنقمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم . ثم أمسك عن موسى سبعة ايام ولياليها ثم قيل له أجب ربك يا موسى فيما كلمك .

﴿ قال رب اشرح لي صدري ويسرلي أمري﴾الى﴿بصيرا﴾،فقال له ﴿قد أتيت سؤلك يا موسى﴾:نجاهده بنفسك وأخيك، وخطر بقلب موسى أن فرعون في جند عظيم وأنا وأخي وحيدان فريدان فقال له تعالى انكما جندان عظيمان من جندي﴿انني معكما اسمع وأرى﴾أبصركما وأكون معكما فلا تستضعفان ولا تستقلان ولو شئت لأتيته بجنود لا قبل له بها لفعلت ولكن ليعلم ذلك الشقي الضعيف الذي قد أعجبته نفسه وجنوده أن القليلة ولا قليل معي تغلب الكثيرة بإذني ولا تعجبنكما ولا تهولنكما عدته فلو شئت لزينتكما بزينة الدنيا حتى يبهت فرعون فلا تأسفا عما أزوي عنكما من متاع الدنيا فان ذلك مالي أذودهم عن نعيم الدنيا ولذاتها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن المراتع السيئة لكي يستكملوا نصيبهم من كرامتي واعلم انه لا يتزين احد من عبادي بزينة هي أبلغ من الزهد في الدنيا وهي زينة الأبرار . ويقال : إن الله تعالى كلّمه في ذلك الوقت

الف كلمة وأربعة عشرة كلمة يقول له مع كل كلمة .
﴿قتلت نفسا﴾ وقيل لموسى بم عرفت أن الذي كلمك هو الله تعالى ؟ قال : بأني قد سمعته من كل جهاتي بأعضائي كلها ولما تم الأمر اشتغل قلب موسى بختن ابنه فجاء به الملك لموضعه ملفوفا وحك حجرا بآخر حتى صار كالسكين فختنه به وعالج الملك محل الختان فبريء من ساعته ورده الى امه وما زالوا في ذلك الموضع حتى مر بهم راع من اهل مدين فعرفهم واحتملهم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغه غرق فرعون فبعثهم إلى موسى بمصر وخرج موسى من ذلك المكان الى مصر ولا علم له بالطرق ولا زاد ولا صاحب ولا شيء غير عصا ومدرعة صوف وقلنسوة صوف ونعلين يظل صائما ويبيت قائما ويستعين بالصيد حتى ورد مصر وأوحى الله إلى أخيه هارون يبشره بقدوم موسى ويخبره انه جعله لموسى وزيرا ورسولا معه إلى فرعون وأمره أن يمر يوم السبت لعشر من ذي الحجة متبكرا الى شاطىء النيل فالتقيا فيه قبل طلوع الشمس واتفق انه كان يوم ورود الاسد الماء وكان لفرعون أسد يحرسه في غوطه محيطة بالمدينة من حواليها وكانت ترد الماء ظباء وكان في مدينة حصينة عليها سبعون الف مقاتل من وراء تلك المدينة سوران بينهما ساقية وانهار ذات مزارع وارض واسعة في كل سور سبعون الف مقاتل من وراء المدينة غوطة تولى فرعون غرسها بنفسه وسقاها بالنيل وأسكنها الاسد فتناسلت واذا وردت النيل ظلت عليها يومها تهدر الى الليل وأخذها جندا تحرسه وجعل خلال تلك الغوطة وطرقا تمضي الى باب المدينة فمن اخطأ وقع في الغيطة وأكلته الأسود فلما التقا موسى وهارون يوم ورودها مدت أعناقها ورؤسها اليهما وشخصت بأبصارها وقذف الله في قلوبها

الرعب فانطلقت الى الغوطة مسرعة هاربة على وجهها يطأ بعضها بعضا وكان لها من يسوقها ويرسلها فخاف هؤلاء الذين يسوسونها من فرعون فانطلق موسى وهارون في تلك الساعة حتى وصلا باب الملك باب المدينة الذي هو أقرب أبوابها إلى منزل فرعون ومنه يدخل ويخرج وذلك يوم الاثنين بعد هلال ذي الحجة فأقاما عليه سبعة أيام فكلمهما واحدا من الحرس قال : هل تدريان لمن هذا الباب ؟

قال موسى : إن هذا الباب والأرض كلها وما فيها لله رب العالمين وأهلها عبيد له فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله ولم يظن أن أحدا يقوله فيسرع إلى كبريائه الذين فوقه فقال سمعت كلاما أشنع مما أصابنا في الأسد وما ذلك إلا لسحر لهما عظيم فتداول الناس الخبر حتى انتهى إلى فرعون ، وقال السدي سار موسى بأهله نحو مصر حتى أتاها ليلا فضاف بأمه وهي لا تعرفه فجاء هارون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته انه ضيف فدعاه ليأكل معه فلما قعدا وتحدثا سأله هارون من أنت فقال أنا موسى فدنا كل واحد إلى أخيه فتعانقا فقال لهارون انطلق معي إلى فرعون فان الله أرسلنا اليه . فقال له هارون : سمعة وطاعة ، فصاحت فقالت انشدكما بالله ألا تذهبا اليه فانه يقتلكما فأبيا عليها فمضيا وقرعا بابه ليلا ففزع هو والبواب فقال من هذا الذي يقرع بابي ؟ فأشرف عليهما البواب فقال موسى اني رسول رب العالمين فأخبره البواب بما سمع وقال : ان في الباب مجنونا يزعم انه رسول رب العالمين ، قال ابن اسحاق : يخرج موسى هو وهارون إلى باب فرعون كل غدوة وعشية سنتين يقولان إنا رسول رب العالمين فأذنوا بنا هذا الرجل ولم يجتر أحد أن يخبره حتى دخل بطال له يلعب معه

ويضحكه فقال له : أيها الملك ان على بابك رجلا يقول قولا عجيبا يزعم ان له إلها غيرك . فقال فرعون : أدخلوه ، فأدخلوه هو وهارون قال . .

ذكر دخول موسى وهارون على فرعون

قال الله سبحانه :

﴿اذهبا إلى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ وقولا له أن لك ربا ومعادا بين يديك وجنة ونارا لعله عند ذلك يتذكر أو يخشى عندكما وهو عندي لا يتذكر ولا يخشى ولا اهلكه قبل الانذار فلما دخلا عليه دعا موسى لا اله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم سبحان رب السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن رب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، اللهم اني أدرأ بك كيده في نحره وأعوذ بك من شره وأستعين بك عليه فأكفيه بما شئت فتحول ما في قلب موسى أمنا بك وكذا كل خائف دعا بهذا الدعاء يزول خوفه وتهون عليه سكرات الموت ثم قال فرعون لموسى : من أنت ؟ قال : أنا رسول رب العالمين ، فتأمله فقال : ألم نربك فينا وليدا الخ .

وروى انه لما قال فأت بها وألقى موسى عصاه كانت ثعبانا فاتحا فاه وضع لحيه الأسفل على سور القصر والأعلى في السماء ثمانين ذراعا ورآه من كان خارج مصر ثم توجه إلى فرعون فوثب عن سريره وأحدث أربع مائة وأحدث بعد ذلك في اليوم أربعين مرة وكان لا يسعل ولا يصيبه ما يصيب الناس وكان يقوم في أربعين يوما مرة واحدة وأكثر ما يأكل الموز لئلا يكون له ثقل لما يحتاج الى القيام ولذلك قال اني إله إذ لم يكن له شبيه في ذلك ، وروي : انه لما قصدته الحية صاح يا موسى أنشدتك بالله وحرمة الرضاع إلا ما أخذتها كففتها عني وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذها فكانت عصى ثم ادخل يده في جيبه وأخرجها

بيضاء كالثلج لها شعاع كشعاع الشمس فقال له : هذه يدك ثم أدخلها وأخرجها ولها نور ساطع في السماء تكل منه الأبصار قد أضاءت ما حولها دخل نورها البيوت ويرى من الكوى ولم يستطع فرعون النظر اليها ثم أدخلها وأخرجها على لونها فهم فرعون بتصديقه فقام اليه هامان وجلس بين يديه فقال له : أيها الملك بينما أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد ، فقال فرعون : أمهلني اليوم إلى غد فأوحى الله إلى موسى قل لفرعون انك إن آمنت بالله وحده عمّرك في مملكتك وردك شابا طريا ولما كان الغد دخل عليه هامان وأخبره بما وعده موسى فقال له هامان لو ردك شابا ما عدل هذا عبادة هؤلاء يوما واحدا . ثم قال : أنا أردك شابا فخضب له لحيته بالسواد وهو أول من خضب به ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن الخضاب به ولما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحال هاله ذلك فأوحى الله سبحانه اليه لا يهولنك وذلك فانه ليس يلبث إلا قليلا فيعود إلى حاله الأول ولما انصرف موسى وهارون من عند فرعون أصابهما مطر في الطريق فأتيا عجوزا من أقارب امهما ووجه فرعون في أثرهما طلبة وناما في دارها ليلا ولما جاءوا إلى بابها وهي منتبهة خافت عليهما فخرجت العصا من الباب فقتلت منهم سبعة ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبها أخبرتهما بقصة الطلبة ونكاية العصا فيهم فآمنت بهما وصدقتهما .

﴿في تسع آيات إلى فرعون وقومه﴾ في متعلقة بمحذوف حال من ضمير تخرج وإلى متعلق بمحذوف حال من ضمير أدخل أي مرسلا أو مبعوث إلى فرعون وقومه أو حال من تسع أي مرسلا أنت بها الى فرعون وقومه أو بمحذوف نعت لتسع أو لآيات أو بمحذوف مستأنف أي اذهب الى فرعون وقومه أو (في) متعلقة بمحذوف خبر لمحذوف أي تلك الآية في

تسع أو تتعلق (في) و(الى) بـ(اذهب) أي اذهب في تسع الخ .
و(في) على الاصل أو بمعنى (مع) أو بمعنى (من) التبعيضية وعليه فالآيات تسع وعلى انها بمعنى (مع) اكثر من تسع وعلى انها بمعنى (في) يحتمل تقول زيد في تسعة رجال وهو عاشرهم أو أحد من التسع والآيات التسع فلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم والنقصان في ثمارهم وان عددت اليد والعصا فالآيات احدى عشرة ولك أن تعدهما آيتين وتعد الجدب والنقصان آية وتترك عد الفلق كأنه لم يبعث به الى فرعون فتكون الآيات تسعا واذا قدرنا اذهب في تسع احتمل أن يكون المراد اذهب بتسع غير اليد والعصا ويحتمل أن يكون المراد اذهب بهن زيادة .
﴿إنهم كانوا قوما فاسقين﴾ مستأنف تعليل للارسال .
﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ مبصرة للناس باصرين فهو من أبصر المتعدي ويجوز أن يكون من أبصر اللازم جعلت الآيات باصرة بنفسها لوقوع البصر بها أو لفرط وضوحها وقرأ على بن الحسين وقتادة (مبصرة) بفتح الميم والصاد أي يكثر التبصر بها أو تأملوها كقولهم أرض مسبعة أي كثيرة السباع .
﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ واضح .
﴿وجحدوا بها﴾ أي انكروها فالباء زائدة في المفعول والمراد انهم لم يقروا انها من الله أو أصل على التلويح الى معنى كفروا بها .
﴿واستيقنتها﴾ أيقنت بها جدا .
﴿أنفسهم﴾ انها من الله .
﴿ظلما وعلوا﴾ ظلما حال أي ظالمين أو ذوي ظلم أو هم نفس الظلم

مبالغة أو مفعول لأجله والناصب على كل حال جحدوا الواو واستيقنتها للحال بلا تقديره عند بعض وبتقديرها عند بعض والظلم ظلم أنفسهم وموسى والآيات والعلو والترفع عن الايمان والكبر أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وكان كفرهم عنادا أو يجوز كون جملة واستيقنتها معترضة وقريء (عليا) بضم العين وكسرها مع كسر اللازم فيهما .

﴿فانظر﴾ يا محمد .

﴿كيف﴾ خبر كان .

﴿كان عاقبة المفسدين﴾ كان الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة .

﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما﴾ التنكير للتنويع أي نوعا من العلم او للتعظيم أي علما سنيا عزيزا وهو علم القضاء والسياسة وعلّم داود تسبيح الجبال والطير وعلّم سليمان منطق الطير والدواب الى غير ذلك مما علمّهما الله بفضله .

﴿وقالا الحمد لله﴾ عطف بالواو دون الفاء لأن قولهما (الحمد لله) ليس مسببا عن ايتاء العلم بل هو مما أوتيا العلم لأجله والمعطوف عليه جملة (آتينا) ولك ان تقول انه مسبب عنه والعطف على محذوف أي ففعلا ما فعلا شكرا وقالا الحمد لله .

﴿فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ بالنبوة والكتاب والملك وإلانة الحديد من جهة داود وتسخير الجن والانس من جهة سليمان وغير ذلك والمراد بكثير من عباده المؤمنين من لم يكن له العلم أو لم يكن له علم كعلمهما ومن يكن نبيا وفضلا انفسهما على كثير لانهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير للتواضع وقال الشيخ هود رحمه الله المراد من في

زمانهما وفي الآية دليل على شرف العلم فان نعمته من اجل النعم وان من أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير وسمى رسول الله ﷺ العلماء ورثة الأنبيا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة فلزمهم لهذه الفاضلة حمد الله على ما أوتوه والتواضع وان يعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير والعلماء هم القوام بما بعثت به الرسل فقربت منزلتهم للرسل قال عمر رضي الله عنه : كل الناس أفقه من عمر ولا أرى للعالم أحسن وأدعى للاخلاص والتواضع والسلامة أي يقول كهذا القول .

﴿وورث سليمان داود﴾ ورث نبوته أو علمه أو ملكه بل جميع ذلك بأن قام مقامه في ذلك بعد موته وكان لداود تسعة عشر ابنا وورثه سليمان فقط لا ارث مال وزيد له تسخير الجن والريح وقيل خص داود بإلانة الحديد قال مقاتل : كان سليمان أعظم ملكا من داود وكان داود أشد تعبدا وسليمان أشكر لنعم الله عز وجل .

﴿وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾ وانما نادى الناس تشهيرا للنعمة وتعظيما لها واعترافا بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي معرفة منطق الطير وغير ذلك من عظائم الأمور والمنطق ما يعبر به ويتلفظ مفردا أو مركبا من عاقل أو غيره لقول العرب نطقت الحمامة وهو من غير العاقل حقيقة وقيل مجاز تنزيلا منزلة صوت العاقل ولم يخص سليمان بمعرفة صوت الطير بل كان يعرف أيضا أصوات الحيوان ولم يذكر غير الطير لأن الطير هي الجند المحتاج اليه في التظليل والبعث في الأمور وقيل يختص بالطير وهو قول قتادة قال : والنمل طائر لأنه ربما كان له جناحان ، بل قيل : أن النملة التي سمع كلامها وفهمه لها جناحان وكثيرا ما سمع سيدنا محمد ﷺ كلام الجمادات كما اشتهر تسليم الحجارة

عليه فكيف بالحيوان وكثير من ذلك في كتب مدحه ﷺ قال كعب الأحبار : صاح ورشان عند سليمان عليه السلام ، فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، قال يقول لدوا للموت وابنوا للخراب ، وصاحت فاختة فقال : أتدرون ما تقول ؟ قالوا : لا . قال : إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا ، وصاح طاووس . فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا . قال انه يقول : كما تدين تدان . وصاح هدهد فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا . قال : يقول اتقوا الله يا مذنبين - وفي رواية - استغفروا الله يا مذنبين . ولذا نهى نبينا ﷺ عن قتله . وصاح طوطوي فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا . قال : يقول كل حي يموت وكل جديد بال . وصاح خطاف فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا . قال : يقول سبحان ربي الأعلى ملء سمواته وملء أرضه . وصاح قمري فقال : أتدرون ما يقول ؟ فقالوا : لا . قال : يقول سبحان الحي الذي لا يموت وفي رواية عن سليمان يقول الخطاف قدموا لأنفسكم خيرا تجدوه ونهى عن قتله . وفي رواية صاحت حمامة فقال أتدرون ما تقول ؟ قالوا : لا . قال : تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمواته وأرضه . وصاح غراب فقال : أتدرون ما يقول ؟ فقالوا : لا . قال انه يدعو على العشارين . وصاحت حدأة فقال : أتدرون ما تقول ؟ قالوا : لا . قال : تقول كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون . وصاحت قطاة فقال : أتدرون ما تقول ؟ فقالوا : لا . قال : تقول من سكت سلم . وصاحت الببغاء فقال : أتدرون ما تقول ؟ فقالوا : لا . فقال : تقول ويل لمن الدنيا همه . وصاح باز فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا . قال : يقول سبحان ربي العظيم

وبحمده . وصاح الضفدع وقال : يقول سبحان ربي القدوس والضفدعة تقول سبحان المذكور في كل مكان وفي رواية بكل لسان ، وعن مكحول صاح دراج عند سليمان فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا . قال : أنه يقول الرحمن على العرش استوى .

وعن الحسن عن رسول الله ﷺ الديك يقول في صياحه أذكرو الله صباحا يا غافلين وعن الحسن بن علي يقول النسر : ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول : في البعد من الناس الراحة ، والقنبر يقول : اللهم إلعن مبغض آل محمد ـ وفي رواية أن الخطاف يقول : الحمد لله رب العالمين الخ .

ويمد ﴿ولا الضالين﴾ كما يمد القارىء ومر سليمان ببلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا . قال يقول : أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وفي رواية الدمار ، وعن ابن مسعود كنا مع النبي ﷺ في سفر فمررنا بشجرة فيها أفراخ فأخذناهم فجاءت أمهم الى النبي ﷺ : «من فجع هذه بفراخها» فقلنا : نحن فقال : «ردوهم الى موضعهم» وباضت قنبرة في طريق سليمان فقال زوجها ويحك ألم أنهك أن تبيضي في طريق سليمان الملك لو ركبت لحطم بيضنا . فقالت : ويحك هو أرحم بنا من ذلك فسمع سليمان كلامها فبعث جنيا حين أراد أن يركب وقال له اجعل بيضها بين رجليك وإياك أن يصيبها شيء فمر بموكبه فجاوزها فقالت : ألم أقل لك أن نبي الله أرحم بنا من ذلك فقال لها : فتعالي نهدي للملك هدية . قالت : وما عندك ؟ قال : عندي جرادة ادخرتها لزادي وقالت عندي تمرة ادخرتها لولدي فأخذا التمرة والجرادة ثم طارا حتى وقفا بين يدي

سليمان وهو على سريره في مجلسه فوضعاهما بين يديه وسجدا فدعا لهما ومسح على رؤوسهما مما على رأسهما من مسحة .

ومر سليمان في مركبه على نملة فقال : سبحان الله لقد أوتي آل داود ملكا عظيما ففسر نطقها لجنده وقال : ألا أنبئكم بأعجب من هذه النملة قالوا : بلى ؟ قال : اتقوا الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضى والغضب .

وخرج يوما يستسقي ومر بنملة عرجاء ناشرة جناحيها رافعة رأسها وفي رواية مر بنملة رافعة يديها تقول : اللهم أنا خلق من خلقك لا غنى لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا . فقال لمن معه : سقيتم ارجعوا .

ودبت عليه نملة فرمى بها فقالت ما هذه الصولة وما هذا البطش أما علمت اني امة من انت عبده فغشي عليه ولما أفاق قال : إئتوني بها فسألها فقالت جلدي رقيق وبدني ضعيف فأخذتني ورميت بي فقال : اجعليني في حل فإني لم أقصد ذلك . قالت : بشروط . قال ما هي ؟ قالت : ان لا تنظر الى الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق في ضحك ولا يستعين احد بجاهك إلا بذلت له جهدك . فقال : قد فعلت . قالت : انت في حل . وفي رواية تقول الرخمة : سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه وتقول القطاة : من سكت سلم ، والعقاب : في البعد من الناس إنس ، والضفدع : سبحان ربي القدوس وروي أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة أشياء فان أخبرتنا بها امنا قال : سلوا تفقها لا تعنتا ، قالوا : اخبرنا ما يقول القنبر في صفيره ، والديك في صعيقه والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله

والزرزور والدراج ؟ قال : أما القنبر فانه يقول اللهم إلعن مبغضي محمد وآل محمد . والديك يقول : اذكروا الله يا غافلين . والضفدع يقول : سبحان الله المعبود في البحار . والحمار يقول : لعن الله العشار . والفرس يقول : اذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح . وأما الزرزور فانه يقول : اللهم اني أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق ، والدراج يقول : الرحمن على العرش استوى ، فأسلموا وحسن إسلامهم وروي ان نصرانيا جاء من الشام في خلافة الصديق رضي الله عنه يسأل عن أشياء إن أخبره بها أسلم وأرسل الى علي . فقال للرسول وهو سليمان أرسل الى الصديق لأجل النصراني فقال له : نعم فجاء فلما رأى النصراني قال له : انت شرحبيل . قال : نعم من اخبرك ؟ قال : حبي محمد ﷺ فسأله عن مسائل واجابه وسأله عما يقول الكلب في نباحه فقال يقول : ويل لأهل النار من غضب الجبار وعما يقول الحمار فقال : ويل لكل عشار ، وعما يقول الثور قال : حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعاه ، وعما يقول الأسد قال : اللهم اني كلب من كلابك فلا تسلطني على أهل المعروف وسلطني على عاق لوالديه ومال لا يزكى وعما يقول البعير قال : سبحان المعبود ولا عين تراه ، وعما يقول البلبل : قال رضيت بالله ربا ومن الدنيا بقوت وعما يقول الهدهد قال : شر الناس من لا يعرف خير الناس ، وعما تقول الفاختة قال : كل نفس ذائقة الموت ، وعما تقول اليمامة قال : سبحان المعبود سبحان من لا يحول ولا يزول وعما يقول الطاووس قال : سبحان من يجود بالنعم وعما يقول الغروج قال : أذكر يا غافل ، وعما يقول الضفدع قال : سبحان المعبود في لحج البحار سبحان من تسبح له الأطيار والأشجار ، وسأله عن غير

ذلك وأجابه فأسلم .

﴿وأوتينا من كل شيء﴾ هذا تكثير لما أوتي لا تعميم على ظاهره كما تقول فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء والضمير في علمنا وأوتينا لسليمان وقيل له ولابنه وعن ابن عباس وأوتينا من أمر الدنيا والآخرة وقيل ما أوتي الأنبياء والملوك فائد كنت كثيرا ما تخطر ببالي ثم اطلعت عليها في كلام جار الله كما هي عندي قال فان قلت كيف قال علمنا وأوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه وأباه والثاني أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على صفته التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد تتعلق بتحمل الملك وتفخيمه وإظهار ساسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وكان ﷺ يفعل نحوا من ذلك اذا وفد اليه وفدا وأراد الترجح في عين عدو ألا ترى كيف أمر العباس بأن يحبس أبا سفيان حتى تمر عليه الكتائب .

﴿إن هذا لهو الفضل المبين﴾ شكر وحمد كما قال ﷺ «ولا فخر» بعد قوله «أنا سيد ولد آدم اني اقول ذلك شكرا لا فخرا» وكان سليمان ملك الدنيا كلها أربعين سنة بانسها وجنها وطيرها ودوابها وعلم مقطفها وفي زمانه صنعت الصنائع العجاب .

﴿وحشر﴾ جمع يوما من الأيام .

﴿لسليمان جنوده من الجن والانس والطير﴾ انما قدم الجن لأن جمعها وملكه إياها وإظهارها أعجب غير متفق لأحد وقدم الانس لأنهم أعظم منفعة من الطير وأقرب الى الجن من الطير والطير ربما اجتمع منها اثنان أو ثلاثة أو اكثر الى عشرين وإلى مائة فصاعدا في قفص زيد أو عمرو

وعن بعضهم حشر ذلك له في مسيره .

﴿فهم يوزعون﴾ يحبس أولهم ليلحق آخرهم لكثرتهم ولئلا يتقدموا سليمان عليه السلام وقد جعل لذلك نقباء يزعون . قال قتادة : لكل صنف وزعة وتقدم أن عسكره مائه فرسخ فانظر سورة الأنبياء ، وقيل نسجت الجن بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ يوضع كرسيه في وسطه فيقعد حوله الأنبياء على كراسي من ذهب وحولهم العلماء على كراسي من فضة وحول العلماء الانس وحول الانس الجن وحول الجن الدواب والوحش وتظله الطير بأجنحتها عن الشمس واذا ركب حمل معه أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام كل قدر تسع عشرة من الابل فيخبز الخبازون ويطبخ الطباخون والريح تجري بهم واتخذ موضعا للدواب فهي فيه تجري أمامه وروي أن ريح الصبا ترفع بساطه وتجري به وقيل يأمر الريح العاصف فتحمله والرخاء فتسيره وبينما هو يسير أوحى الله اليه اني قد زدت في ملكك أن لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمعك .

ومر بحراث فقال : لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في أذنه فأمر الريح فسكنت فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى مالا تقدر عليه ولتسبيحة واحدة خير مما أوتي آل داود .

﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل﴾ عدي الاتيان بعلى لأنه من فوق أو من قولك اتيت على الشيء اذا نفذته وبلغت آخره فهم إما يريدون النزول عند منقطعه أو نازلون فيه وعند وصولهم سمعت الأصوات النملة وقالت ما قالت ووادي النمل واد بالشام تسكنه النمل وروي انه واد تسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم وهو نمل كالذئاب وقيل كالنجاتي

وقيل هو النمل الصغير قيل كنملنا هذا قال بعض وهو المشهور وقيل فيه صغير وكبير وقيل القابلة كالذيب وغيرها صغير وهي ملكتهم وقال كعب : ذلك واد من أودية الطائف واعراب واد مقدر على الياء المحذوفة نطقا وخطا وبعض العرب يعرب الوادي على الدال ويسقط ياءه ويقف هنا بإسكان الدال وكذا في غير هذا الموضع وغيره يقف باثبات الياء والنمل حيوان فطن قوي شمّام جدا يدخّر ويتخذ القرى ويشق الحف قطعتين لئلا ينبت ويشق الكزبرة أربع قطع لانها تنبت اذا قسمت شقين ويأكل في عامه نصف ما جمع ويستقي سايره عدة والحق عندي أن للحيوانات أفهاما وعقولا قصارا لا يتعلق بها التكليف ثم رأيت ابن العربي قال في احكامه : لا خلاف بين العلماء في أن الحيوانات كلها لها أفهام وعقول قال الشافعي : الحمام أعقل الطير وقريء :

﴿على واد النمل﴾ قالت نملة بضم ميمها وكان الاسكان تخفيف منه وقريء بضم نونها وميمها وروي ان سليمان سار من اصطخر يريد اليمن فوصل مدينة رسول الله ﷺ فقال هذه دار هجرة نبي يكون في آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه قال في عرائس القرآن عن كعب الأحبار ثم وافا مكة فرأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله فجاوز البيت فبكى البيت فأوحى الله اليه ما يبكيك وهو أعلم فقال : يا رب هذا نبي من انبيائك وقوم من أوليائك مروا علي فلم يهدوا في ولم يصلوا عندي ولم يذكروك بحضرتي والأصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله اليه لا تبك فاني أملك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا عربيا وأفرض على عبادي فريضة يزفون اليك زفيف النسور الى اوكارها يحنون اليك حنين الناقة الى اولادها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الأوثان وعبدة

الشياطين ثم أمر سليمان أن ينزل عنده ويصلي فيه ويقرب عنده قربانا ففعل ، نحر عنده خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين الف شاة وقال لمن حضر من قومه ان هذا مكان يخرج منه نبي عربي يعطى النصر على جميع من ناوأه ويكون سيفه نقمة على من خالفه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم . قالوا : كم بيننا وبينه ؟ قال قدر الف عام .

﴿قالت نملة﴾ انا إلى الآن لا ادري أهي ذكر أم انثى ولا تغرني تاء (قالت) كما غرت أبا حنيفة فان ما يفرق بينه وبين جمعه بالتاء في المفرد يؤنث مفرده إلا أن تبين مذكره فانه يذكر ودخل قتادة الكوفة فالتف عليه الناس فقال اسألوا عما شئتم وكان أبوحنيفة حاضرا غلاما حدثا فقال اسألوه عن نملة سليمان أذكر أم انثى فسألوه فافحم . فقال أبوحنيفة : كانت انثى ، فقيل له : من اين عرفت ؟ فقال : من قوله تعالى (قالت) ، ولو كانت ذكر لقال قال نملة وارتضاه جار الله وقال : أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى فميّز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وفي قول أبي حنيفة ولو كانت ذكرا منافاة الكلام نفسه فافهم فانه أنّث النملة مع الأخبار عنها بالذكر إلا أن أراد تأويلها بدابة وهي نملة عرجاء تتكاوس ، وعن الشعبي : كانت ذات جناحين . قال الضحاك : اسمها طاخية وقيل : جرمي .

﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ قلت ذلك وقد رأت جند سليمان فقيل سمعت الصوت وخاطبت النمل بضمير العقلاء لأن النمل عقلاء عندها وكل من النمل عاقل عند آخر كما تتخاطب العقلاء منا ، زعم بعضهم أنها لم تنطق حقيقة وأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت

عنهم مخافة الحطم فتبعها غيرها فصاحت صيحة نبهت بها ما بحضرتها من النمل فتبعها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أجروا خلق الله فيها العقل والنطق اهـ ولعل هذا البعض أراد انها لم تنطق بكلام بني آدم وانما نطقت بغيره ففهمه سليمان وانه لا يمتنع ان يخلق الله فيها الكلام بلغة بني آدم والكل محتمل .

﴿لا يحطمنكم﴾ لا يكسرنكم .

﴿سليمان وجنوده وهم﴾ أي سليمان وجنوده .

﴿لا يشعرون﴾ بهلاككم والظاهر عندي أن لا ناهية وهو الأوفق بالتأكيد بالنون وان المراد النهي عما هو ملزوم للحطم وهو عدم الانتقال عن مواضعهن فعبّر باللازم وأراد الملزوم وان شئت فقل عبر بالمسبب وأراد السبب فكأنه قال لا تقعدوا في مواضعكم فيحطمنكم سليمان وجنوده كقولك لا ارينك هاهنا تريد لا تحضر فأراك والظاهر عندي انه كما يمكن خطم الجنود النمل يمكن خطم سليمان إياه بلا عمد فالكلام على ظاهره ويجوز ان يكون المراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بم هو أبلغ كقولك اعجبني زيد وعلمه وأنت تريد أعجبني علم زيد ويجوز أن تكون لا نافية وهي وما بعدها جواب للأمر أي ان دخلتم مساكنكم لا نحطمنكم واذا جعلناها ناهية فالجملة مستأنفة أو بدل من ادخلوا كقوله أقول له إرحل لا تقيمن عندنا وقريء (مسكنكم) بالافراد وقريء (لا يحطمنكم) بنون التوكيد الخفيفة وقريء (لا يحطمنكم) بفتح الحاء وتشديد الطاء مكسورة أصله يحتطمنكم قلبت التاء طاء وادغمت في الطاء بعد نقل فتحتها الى الحاء وتوكيد الفعل المنفي بلا قليل غير مقيس وقيل مقيس في السعة والضرورة وجملة هم لا يشعرون مستأنفة أو حال

احترزت بها عما لو شعروا بهن فانهم لا يتعمدون حطمهن فإن الانبياء معصومون عن الظلم وقد علمت النملة ان ليس في سليمان ما في الملوك من تجبروتية وان قلت كيف يحطم سليمان وجنوده وهم بين السماء والأرض النمل في الأرض ؟ قلت : خافت النملة ان ينزلوا في الموضع الذي هن فيه أو لعل مركبهم تارة يعلو وتارة يقرب من الأرض وقيل أحست بصورة الجند ولم تعلم انهم في الهواء فأمر الريح فسكنت لئلا يذعرن وقيل كانوا في هذا المسير ماشين على الأرض بأرجلهم ودوابهم وسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال حملته اليه الريح ولما بلغ وادي النمل حبس جنده حتى دخل النمل بيوتهم وروي انه لما سمع كلامها نزل وقال : ائتوني بها فقال : لها لم حذرت النمل من ظلمي أما علمت اني نبي عدل قالت : أو ما سمعت قولي وهم لا يشعرون مع اني لم ارد حطم الأجسام وانما اردت حطم القلوب خشية أن نتمني مثل ما اعطيت فنفتتن ونشغف بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها عظيني . فقالت : أعلمت لم سمي أبوك داود ؟ قال لا . قالت : لأنه داوى جرحه فود . وهل تدري سميت سليمان ؟ قال : لا . قالت : لأنك سليم القلب ولذلك أوتيت الملك . قالت : أتدري لم سخر الله لك الريح ؟ قال : لا . قالت : أخبرك أن الدنيا كلها ريح . وروى انه طار البساط يوما بسليمان وجنوده حتى مس السماء وسمع تسبيح الملائكة ثم هبط حتى مس البحر فنودي جنوده لو أن في قلب صاحبكم مثقال حبة خردل من الكبر لخسف بكم .

(فتبسم ضاحكا من قولها) وضاحكا حال مقدرة كان تبسمه ابتداء وضحك انتهاء والممنوع عن الأنبياء الاستغراق في الضحك واستعلاء

الصوت لا الضحك الخفيف واما ما روي عنه ﷺ انه ضحك حتى بدت نواجذه ، فالغرض منه المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي وقيل التبسم هنا هو الضحك او الضحك هو التبسم فالحال مؤكدة لعاملها وقرأ ابن السميفع (ضحكا) وهو يريد هذا القول كقولك جلس قعودا ويحتمل تفسير الضحك بالضاحك او بذي ضحك ، أو يضحك ضحكا فتوافق قراءة الجمهور في الاعراب وان قلت ما وجه ضحكه من قولها ؟ قلت : وجهه انه تعجب من حذرها وتحذيرها سائر النمل من ان يحطمها وقمن له ان يتعجب من اهتدائها الى مصلحتها هذا الاهتداء ومصلحة رعيتها كأنها ملك مشفق على رعيته او وجهه السرور فيما خصه الله سبحانه من ادراك كلامها المهموس مع بعد المسافة ومع كونه بغير لغته على ما مر ولذلك شال التوفيق الى الشكر .

﴿وقال ربي أوزعني﴾ الهمني او اجعلني وازعا للشكر أي حابسا له عندي لا ادعه يتفلت وسكن الباء غير البزي وورش .

﴿أن أشكر﴾ مفعول لأوزع ثان .

﴿نعمتك التي أنعمت عليَّ﴾ أي أنعمتها أي أوصلتها إلى لأتنعم بها وقدر بعضهم أنعمت بها .

﴿وعلى والديَّ﴾ أدرج ذكر والديه في النعمة تكثيرا لهما وتعميما لأن النعمة على الوالدين نعمة على الولد والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما ولا سيما الدينية فان الولد ينفع والديه بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما بسببه ان كانا في الولاية .

﴿وأن أعمل صالحا ترضاه﴾ نعمت صالحا وهذا تمام للشكر واستدامة للنعمة .

﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ أي اجعلني في جملتهم أي اجعلني منهم أو ادخلني الجنة وأنا في جملتهم ومنهم والمراد العموم وقيل ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين عليهم السلام .

﴿وتفقد الطير﴾ نظر اليها ليرى احوالها ونظر اليها ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت التراب لاحتياجه الى الماء للصلاة وهو قول ابن سلام او لما أحس بالشمس من موضع الطير تفقدها وهو قول فرقة .

﴿فقال مالي﴾ وفتح الياء ابن كثير وعاصم والكسائي وهشام .

﴿لا أرى﴾ حال من الياء .

﴿الهدهد﴾ استفهم لم لم ير ما لساتر مثلا أو لضعف في بصره ولما حقق النظر ظهر له انه لم يكن مع الطير فاضرب عن ذلك بقوله ﴿أم﴾ أي بل .

﴿أم كان من الغائبين﴾ فأم منقطعة لمجرد الاضراب الابطالي ويحتمل ان يكون عند قوله ﴿ام كان من الغائبين﴾ غير متحقق غيبوبته فأم منقطعة للاضراب والاستفهام أي بل كان من الغائبين ويجوز ان يكون الاستفهام تعجبا لانه لا يغيب إلا بإذن سليمان فلما لم يبصره مكانه تعجب من حال نفسه في عدم ابصاره اياه روي أن نبي الله سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم وتجهز للمسير واستصحب كل الجن والانس والطير والوحش وبلغ عسكره مائة فرسخ وكانت الجن يومئذ تظهر للانس يحجون ويعتمرون ويصلون جميعا ويرتب الناس في مسيره وجلوسه على قدر منازلهم في الدين ولما وافى الحرم أقام به ما شاء الله كل يوم ينحر خمسة آلاف ناقة

ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين الف شاة ما أقام فيه وقرب وقضى المناسك وبشر أهله ومن حضر من الأشراف بخروج نبينا محمد ﷺ وانه سيد المرسلين وخاتم النبيين فليخبر الشاهد الغائب وسار الى اليمن من مكة صباحا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء تزهر خضرتها فأحب النزول بها ليصلي ويتغذى فطلب الماء فلم يجده وكان الهدهد دليله على الماء كان يرى ما تحت الأرض ، كما يرى أحدكم كأسه بيده فينقر الأرض فيعرف موضع الماء وعمقه ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الجلد ويستخرجون الماء وذلك الهدهد سيد الهداهد وقد أعطيت الهداهد معرفة الماء ورؤيته في الأرض دون الطير وروى انه اذا نقر في الأرض عرف سليمان كم بينه وبين الماء . قال سعيد المسيب : ذكر ابن عباس ذلك فقال له نافع بن الأزرق يا وصاف انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب فيجبي الهدهد وهو لا يبصر الفخ فيقع فيه فقال له ابن عباس رحمه الله : ويحك إذا جاء القدر حال دون البصر وفي رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر وبعد فان كلام ابن عباس انما هو في الماء انه يراه الهدهد لا في كل ما تحت الأرض وقد صدق قول ابن عباس قوله ﷺ رواه انس : «أنهاكم عن قتل الهدهد فانه كان دليل سليمان على قرب الماء من بعده وأحب أن يحمد الله في الارض» ووجه غيبة الهدهد انه رأى سليمان مشتغلا بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر طول الدنيا وعرضها فنظر يمينا وشمالا فرأى بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيه فإذا هو بهدهد آخر فهبط عليه وكان اسمه يعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير اليمن ليعفور سليمان من أين أقبلت وأين تريد ؟ قال أقبلت من الشام

مع صاحبي سليمان بن داود ملك الجن والانس والشياطين والطير والوحش والرياح . قال له يعفور سليمان من أين انت ؟ قال : من هذه البلاد وان لنا امرأة ملكت أهل اليمن وتحت يديها مائة الف قيل مع كل قيل مائة الف مقاتل والقيل هو القائد بلغة اهل اليمن وملك صاحبك عظيم ولكن ملكها عظيم أيضا فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها ؟ قال : أخاف أن يفقدني سليمان لوقت الصلاة اذا احتاج الى الماء . قال : الهدهد اليمني ان صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها وما رجع الى سليمان إلا وقت العصر وطلب سليمان الماء في وقت الظهر وقد نزل على غير ماء فسأل الانس عن الماء فقالوا لا نعلم هنا ماء فسأل الجن والشياطين ولم يعلموا فتفقد عند ذلك الهدهد وتهدده وتوعده ، قال ابن عباس في رواية عنه : وقعت الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا هو موضع الهدهد فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما ادري اين هو وما أرسلته موضع فغضب عند ذلك سليمان عليه السلام فقال كما قال الله عنه :

﴿لأعذبنه عذابا شديدا﴾ هو أن ينتف ريشه وذنبه ثم يلقيه في بيت النحل فتلدغه وقال الضحاك : لأنتفن ريشه ولأشدن رجليه ولأشمسنه وقال مقاتل : لأطلينه بالقطران ولأشمسنه وقيل : لأودعنه القفص وقيل : لأفرقن بينه وبين إلفه وقيل : لأمنعنه من جواري وخدمتي وقيل : لأجمعنه مع غير جنسه وعن ابن عباس : لانتفن ريشه فلا يمتنع عن النمل وقيل : لألزمنه خدمة الأقران والأول قول اكثر المفسرين .

﴿أو لأذبحنه﴾ بالف بعد اللام الف في كتب المغاربة لوجودها في

الامام كذلك ومثل هذا مما هو خلاف قاعدة الخط قد اكتبه على رسمه في كتبهم وقد اكتبه قاعدة الخط وان قلت كيف يجوز له ان يعذبه او يذبحه انتقاما انتفاعا ؟ قلت : الطير مأمورة بطاعته مكلفة كتكليفنا لكن لا يعذبها الله بنار الآخرة فبمعصيتها لسليمان استوجبت عقابا كما ذكره سليمان وليس عقابه انتقاما لنفسه ولكن لمجرد الردع لذلك الطائر وغيره عن المعصية والتصرف والانصراف بغير إذن وبذلك يتم ملكه الذي أعطاه الله إياه كذا ظهر لي ثم رأيت والحمد لله مثله لجار الله اذ قال : يجوز ان يبيح الله له ذلك لما رآه فيه من المصلحة والمنفعة كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من اجله الا بالتأديب والسياسة جاز ان يباح له ما سيصنع به .

﴿أو ليأتيني﴾ وقرأ ابن كثير ﴿أو ليأتينني﴾ بنونين أولاهما مشددة مفتوحة .

﴿بسلطان مبين﴾ برهان ظاهر على عذر والحلف في الحقيقة على التعذيب او الذبح بتقدير عدم الاتيان بالسلطان المبين لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الثلاثة ثلث الأمرين بقوله ﴿أو ليأتيني﴾ كأنه قال والله ليكونن أحد الثلاثة الإتيان بالسلطان المبين او التعذيب او الذبح ان لم يكن الاتيان بالسلطان ، ثم دعا العقاب وهو سيد الطير وأشده فقال له : عليَّ بالهدهد الساعة فارتفع حتى رأى الدنيا كالقصعة فالتفت يمينا وشمالا فإذا هو بالهدهد مقبلا من اليمن فانقض العقاب يقصده بسوء فناشده الله وقال بحق الذي قواك وأقدرك عليَّ إلا رحمتني ولم تتعرض لي بسوء وقال ويحك ثكلتك أمك ان نبي الله عليك غضبان وقد حلف ليعذبنك أو يذبحنك ثم طارا متوجهين نحو سليمان عليه السلام فلما

انتهى الى العسكر تلقته النسور والطير وقالوا له ويلك أين غبت في يــومــك هــذا

فلقد توعدك نبي الله وأخبروه بما قال فقال الهدهد : وما استثنى ؟ قالوا : بلا أو ليأتيني بسلطان مبين قال : نجوت اذاً فطار العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب : قد أتيتك به يا نبي الله . فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما إلى الأرض تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه فقال : أين كنت لأعذبنك عذابا شديدا أو لأذبحنك ؟ فقال الهدهد : أذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد وعفى عنه وما كان وقت غيبته الا قليلا خوفا من سليمان عليه السلام كما قال الله تعالى جل وعلا ﴿فمكث﴾ بضم الكاف وفتحه وعاصم ﴿غير بعيد﴾ أي زمانا غير بعيد أي غير طويل فهو ظرف زمان أو الأصل مكثا غير بعيد فهو مفعول مطلق وقدر الله سبحانه مكثه غير بعيد ليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما أعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل .

﴿فقال احطت﴾ أي فجاء فقال أحطت وقرأ ابن مسعود (فمكث ثم جاء فقال احطت) وقرأ أبي (فتمكث ثم قال احطت) وروي انه قال : (احطت) الخ . . بعد ما سأله سليمان عما لقي في غيبته وقرأه بادغام الطاء بإطباق وبغير إطباق .

﴿بما لم تحط به﴾ الاحاطة بالشيء علما أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم أخبره اني علمت مالم تعلم بنفسك وجنودك نبهه الله على أن في أدنى خلقه وأضعفه علما لم يؤته الله سليمان مع ما أعطاه من علوم كثيرة وحكم ونبوة لتصاغر اليه نفسه وعلمه تصاغرا زائدا على ما

عنده من التصاغر ويزداد بعد عن الاعجاب الذي هو أعظم فتنة العلماء وفي ذلك بطلان لقول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد اعلم منه ، وعن عكرمة صرف الله سليمان عن ذبح الهدهد وتعذيبه التعذيب الشديد لبرلك الهدهد بوالديه ، وروي انه عذبه عذابا يحتمله مثله ردعا له ولغيره ولم يعذبه عذابا شديدا لاتيانه بسلطان مبين .

﴿وجئتك من سبأ﴾ بالصرف اسما للموضع واسما للحي سمي الموضع او الحي باسم الأب الأكبر أو المراد الأب على حذف أبي من موضع سبأ أو حيّه وقرأ ابن كثير في رواية البزي وابو عمرو بمنع الصرف لاعتبار البلدة او القبيلة ، وعن الحسن سبأ اسم بلدة وكذا قتادة وقرأه بسكون الباء مع الصرف وعلمه وقرأه سبى بألف محذوفة كفتى على الصرف وسبا بالألف على غير الصرف وقرأ قنبل بسكون الهمزة على نية الوقف وذلك كله هنا وفي سورة سبأ والجمهور على ان سبأ اسم رجل ويؤيده ما جاء من حديث فروة رمسيك انه سأل النبي ﷺ عن سبأ ؟ فقال : (كان رجل له عشرة أولاد تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة وسميت به مدينة وهي قارب وبينها وبين صنعاء ثلاثة ايام) قال جار الله : ويحتمل ان تراد المدينة والقوم وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ﴿بنبأ﴾ هو الخبر العظيم ﴿يقين﴾ محقق وبين سبأ ونبأ جناس ناقص لاختلافهما في حرف وهو السين والباء لاحقا لتباعد مخرجي السين والباء مكررا ومرددا ومزدوجا لاتصال اللفظين ﴿اني وجدت امرأة تملكهم﴾ والهاء لسبأ مراد به القبيلة أو لأهله مرادا به الموضع او البلدة وتلك المرأة واسمها بلقيس بنت أسرح ويلقب بالهدهاد وكان ملكا عظيما ولده

أربعون ملكا هو آخرهم وملك أرض اليمن وقيل اسمها بلهمة بنت شراحيل بن ذي خدن بن أسرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبار بن يشجب بن يعقوب بن قحطان فعلى هذا (أسرح) جدها وقيل بنت مراحيل بن مالك بن الريان وكان أبوها يقول لملوك الأطراف ليس أحدكم كفواً لي فأبى أن يتزوج امرأة من الانس فتزوج جنيه اسمها ريحانة بنت السكن وكان الانس ترى الجن وتخالطهم فولدت له بلقيس لا غير ولا ولد له غيرهما وعنه ﷺ من طريق أبي هريرة (أحد أبوي بلقيس جني) وقال بعض العمانيين : ان ذلك لم يصح . وقيل سبب اتصاله بالجن حتى خطب منهم : انه كثير الصيد ربما اصطاد الجن على صورة الظباء فيخلي عنهم واصطاد يوما ظبيا فاذا هو ملك الجن فأطلقه وشكره على ذلك فكان صديقا له فزوجه ابنته بعدما خطبها وقيل خرج متصيدا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء وقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فأفاقت وأطلقها ولما رجع الى داره جلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل فخاف منه فقال له لا تخف أنا الحية البيضاء التي أحييتها والأسود الذي قتلته عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن إن كانت لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته وولدت له بلقيس ولما مات ولم يخلف ولدا غير بلقيس طمعت بلقيس في الملك فبايعها قوم من قومها وعصاها آخرون وملكوا على أنفسهم رجلا وكان ابن اخي ابيها وكان خبيثا سيء السيرة حتى انه يمد يده الى حريم رعيته ويفجر بهن ولم يقدر أصحابه على خلعه فأدركت بلقيس الغيرة فأرسلت اليه تعرض نفسها عليه فأجابها وقال : والله ما منعني ان ابتدأ بك بالخطبة إلا

الاياس منك . فقالت : والله لا ارغب عنك لانك كفو كريم فأجمع رجالا من قومي واخطبني اليهم فجمعهم وخطبها فقالوا : ما نراها تفعل هذا . فقال لهم : ابتدأتني وأنا احب ان تسمعوا قولها وتشهدوا عليها فلما جاؤوها وذكروا ذلك لها قالت لهم : نعم أجبت الولد ولم أزل أرغب عن هذا فالساعة قد رضيت به فزوجوها منه ولما زفت اليه خرجت في ناس كثير غطوا منازلهم ودورهم ولما جاءته سقته الخمر حتى سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما اصبح الناس والملك قتيل ورأسه منصوب على باب داره علموا ان تلك المناكحة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها : انت أحق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا العار والشان ما قتلته ولكن عم فساد فأخذتني الحمية حتى فعلت به ما فعلت فملكوها على انفسهم وقيل حزت رأسه وذهبت به الى منزلها ليلا فلما أصبحت أرسلت الى وزرائه فقرعتهم وقالت : أما كان فيكم من يأنف كريمته او كرائم عشيرته ؟ ثم أرتهم إياه قتيلا ، وقالت : اختاروا رجلا تملّكونه عليكم فقالوا : لا نرضى غيرك فملّكوها . وعن اسماعيل بن مسلم عن الحسن بن ابي بكرة لما بلغ رسول الله ﷺ ان اهل فارس قد ملكوا على أنفسهم بنت كسرى قال : «لن يفلح قوم ملّكوا عليهم امرأة» .

﴿**وأوتيت من كل شيء**﴾ يحتاج اليه الملوك من آلة وعدة لائقة بمثلها .

﴿**ولها عرش عظيم**﴾ سرير ضخم عال من الذهب مكلل بالدرر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مقفل قال ابن عباس عرشها ثلاثون

ذراعا في كل جهة من الجهات الأربع وطوله من في السماء ثلاثون ذراعا وقيل ثمانون في السماء وطوله في غير السماء ثمانون في ثمانين وقيل طوله ثمانون وعرضه اربعون وارتفاعه ثلاثون ذراعا وقيل مقدمه من ذهب مفصص بالياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر ومؤخره من فضة مكلل بأنواع الجواهر وله أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أخضر وقائمة من ياقوت أصفر وقائمة من زمرد أصفر وصفائح السرير من ذهب وانما استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان بالنسبة اليها أو لأن مثله لم يكن لسليمان مع ان ملكه أعظم . قال الشعبي : يروى أن بلقيس لما ملكت أمرت ان يجلب اليها خمس مائة اسطوانة طول كل اسطوانة خمسون ذراعا وأمرت بها فنصبت على تل قريب من مدينة صنعاء وجعل بين كل اسطوانتين عشرة اذرع ثم جعلت فيها سقفا مبسوطا بأنواع الرخام وألحم بعضها الى بعض بالرصاص حتى صارت كلها لوحا واحدا ثم بني فوق ذلك قصر مرتفع من ذهب وفضة مرّصع بأنواع الجواهر الرفيعة وجعلت فيه شراريف مطلية بماء الذهب الاحمر مفصصة بأنواع الجواهر الرفيعة وكانت الشمس اذا طلعت على ذلك القصر التهب الذهب والجواهر كالتهاب النيران يغشى العيون وتحير فيه الأبصار وجعلت باب القصر ما يلي باب المدينة بدرج من الرخام الأبيض والاحمر وفي جانبها حجر لحجابها وبوابها وخدمها وحشمها قدر مراتبهم .

﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ وكانوا مجوسا وذكر بعض انها قالت لوزرائها ما كان يعبد آبائي الماضون ؟ قالوا : يعبدون إله السماء قالت واين هو؟ قالوا : في السماء والارض .

بالعلم . قالت : كيف أعبد من لا أراه ؟ وقالتْ : أنا أعبد الشمس لشدة نورها فحملت قومها على السجود للشمس اذا طلعت واذا غربت وكانوا قبل ذلك كفرة وزعم بعضهم ان الوقف على (عرش) والابتداء بقوله (عظيم) يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها الى آخره فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله وفي حذف ان المخففة .

﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ الفاسدة وأغراهم عليها .

﴿فصدهم عن السبيل﴾ طريق الحق وهو الاسلام .

﴿فهم لا يهتدون﴾ اليه .

﴿ألا يسجدوا﴾ بدل من الأعمال على ان لا نافية أو من السبيل على انها زائدة بدل بعض او التقدير الى الا يهتدوا فيعلق بيهتدون ولا زائدة او الاصل لان لا يسجدوا فيعلق يصد ولا نافية وقرأ الكسائي ويعقوب ألا يسجدوا بالتخفيف على أن (ألا) للتنبيه و(يا) للتنبيه أيضا تأكيدا أو حرف نداء والمنادى محذوف أي يا قوم حذف المنادي وحذف الف ياء للساكن بعده واسقط هو وهمزة الوصل من الخط كما أسقطا نطقا فوصلت الياء بالسين وفي مصحف ابن مسعود (هلا) بقلب الهمزة (هاءِ) وهي قراءة الأعمش وعن ابن مسعود (ألا تسجدون) بالتاء على الخطاب والتشديد وقرأه أبي (ألا تسجدون) بالتخفيف والخطاب .

﴿لله الذي يخرج الخبء﴾ مصدر بمعنى اسم مفعول أي المخبوء من المطر والنبات وغيرهما من جميع ما انشأه الله فانه قبل إيجاده غير موجود فضلا عن ان يوصف بالظهور .

﴿في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون﴾ يظهرون وقرأ

ابي (ويعلم سركم وما تعلنون) وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم (ما تخفون وما تعلنون) بالخطاب والكسائي ويعقوب يقفان على ألا يا من قراءتها ألا يسجدوا قرأ الخب بحذف الهمزة والاعراب على الباء او بحذفها ونقل حركتها الى الباء وقرأ ابن مسعود ومالك ابن دينار الخبا بقلب الهمزة الفا والقراءتان تخفيف على لغة من يقول في الوقف هذا الخب ورأيت الخبا ومررت بالخب لا على لغة من يقول الكماه بالهمزة ولغة من يقول الكلمات بالالف فانها قيل ردية .

﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ الذي هو أول الأجسام وأعظمها والمحيط بجملتها وبين عظم عرش الرحمن وعرش بلقيس بون بعيد وذلك كله من قول الهدهد عند ابن زيد وابن اسحاق ويحتمل ان يكون من كلام الله وقراءة تشديد ألا تعطى ان الكلام للهدهد وهي قراءة الجمهور وقراءة الكسائي وحفص عن عاصم تخفون وتعلنون بتاء الخطاب تعطي انها من خطاب الله تعالى لأمة محمد ﷺ . قال الثعالبي قال القاضي قراءة الكسائي ويعقوب (ألا يسجدوا) بالتخفيف يصح عليها ان يكون استئنافا من الله سبحانه وتعالى أو من سليمان عليه السلام والوقف على (لا يهتدون) ويكون أمرا بالسجود واما على قراءة التشديد فذم على تركه وعلى كل حال فالآية تقتضي وجوب السجود المطلق لله عز وجل لا عند قراءتها أما السجود عندها فتخصيص جاء من السنة وزعم الزجاج ان السجدة واجبة في قراءة التخفيف دون التشديد قال جار الله من خفف وقف (لا يهتدون) او على يا ومن شدد وقف على (العرش

العظيم) غير قلت أو على يعلنون وأعلم أن الله عز وجل أو سليمان أو

الهدهد ذكر الذي يخرج الخبا الخ .. ايجابا لاختصاصه سبحانه بالسجود لتفرده بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره قال جار الله : قيل من قوله (أحطت) الى (العظيم) من كلام الهدهد ، وقيل : كلام رب العزة وفي اخراج الخباء إمارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته للماء تحت الأرض وذلك بإلهام من يخرج الخباء في السماوات والأرض ومن أكثر من شيء عُرِفَ به ومن اختص بصناعة ظهرت عليه لذي الفراسة وقد ورد (ما عمل عبد عملا إلا ألقى الله عليه رداء عمله) وانما خفي عن سليمان مكان بلقيس مع ان بينه وبين صنعاء ثلاثة ايام لمصالح كثيرة منها إجراء ذلك على يد طائر كما أخفى الله مكان يوسف على يعقوب ولا يبعد معرفة الهدهد بالتهدي الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار السجود للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه ألهمه الله ذلك كما ألهم الطيور وغيرها معرفة الله والتسبيح له وسائر المعارف اللطيفة ولا سيما في زمان نبي سخرت له الطير وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له .

﴿قال﴾ سليمان للهدهد .

﴿سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾ أي سنتأمل أصدقت فيما أخبرت أم كذبت وانما قال أم كنت من الكاذبين دون ام كذبت للفاصلة والمبالغة فانه اذا عرف بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر فلم يوثق به ثم دلهم الهدهد على الماء فحفروا ورووا وأووا دوابهم وتوضوا وصلوا ثم كتب سليمان كتابا من عبدالله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ .. بسم الله الرحمن الرحيم السلام عل من اتبع الهدى أما بعد ألا تعلوا عليّ وأتوني

مسلمين ولم يزد على هذا وكانت الأنبياء توجز في الخطاب ولما كتبه طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد :

﴿إذهب بكتابي هذا فألقه﴾ بالاشباع وقرأ عاصم وابوعمرو وحمزة (فألقه) بإسكان الهاء في الوصل واختلس قالون كسرتها في الوصل .

﴿إليهم﴾ إلى المرأة وقومها .

﴿ثم تولَّ﴾ تنحَّ .

﴿عنهم﴾ جانبا يتوارى فيه تسمع ما يقولون .

﴿فانظر ما يرجعون﴾ ما يردون من الجواب ، روي انه دخل عليها من الكوة فألقى الكتاب إليها وتوارى في الكوة ، وزعم بعضهم انه انما قال (فألقه اليهم بالجمع) لأن الهدهد قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس ، فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بأمر الدين واشتغالا به عن غيره وزعم بعضهم ان المعنى فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم اي انصرف اليّ ، روي انه حمل الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وهي بلقيس بأرض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء وحولها القادة والوزراء والجنود فرفرف ساعة وهم ينظرون فرفعت رأسها فألقاه في حجرها وهو رواية قتادة . وقيل : وجدها نائمة على قفاها وأغلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وذلك عادتها اذا أرادت النوم وألقاه على نحرها وهذه رواية مقاتل وروي انه نقرها فانتبهت فازعة وقال بن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فسد الهدهد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظر فألقاه اليها فلما رأت الخاتم ارتعدت وكان ملك سليمان عليه والسلام بخاتمه

وعرفت ان مرسل الكتاب أعظم منها ملكا فقرأته وكانت تقرأ وتأخر الهدهد غير بعيد وقعدت على سريرها وجمعت الاشراف فقالت ما قال الله عنها .

﴿قالت يا أيها الملأ﴾ اي الاشراف قال ابن عباس رضي الله عنهما كان معها مائة قيل مع كل قيل مائة الف والقيل الملك دون الملك الأعظم وقيل : كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل على عشرة آلاف نادتهم وقالت لهم بعد ما أخذوا مجالسهم .

﴿إني﴾ بتخفيف همزة الملأ وبتسهيل همزة إن بقلبها واوا مكسورة .

﴿ألقي إليّ كتاب كريم﴾ عن ابن عباس كرامة الكتاب ختمه رواه حديثا وذلك قول ابن الضحاك وعن ابن عباس شريف لشرف صاحبه على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقيل : حسن ما فيه والمشهور الأول لكن الختم إما بمعنى الطي والالصاق أو بمعنى وضع الخاتم عليه وكان رسول الله ﷺ يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به ، وقيل : كرمه تصديره بـ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ، أو كرمه غرابة شأنه اذا جاء طائر وألقاه على نحرها وقيل على بطنها وقيل بين ثدييها .

﴿إنه﴾ أي الكتاب او العنوان .

﴿من سليمان﴾ استئناف بياني كأنه قيل ممن هو وما هو أي ما الذي يتضمن فقالت انه من سليمان .

﴿وإنه﴾ أي متضمنه او المكتوب .

(بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا عليّ واؤتوني مسلمين) مؤمنين

وقيل خاضعين لي ، وقرأ ابن مسعود (انه من سليمان) بفتح الهمزة على الابدال من كتاب او على تقدير لام التعليل اي لانه من سليمان وهذا يقتضي انها عارفة به وبفتح الثانية ايضا وان في ﴿ألا تعلوا﴾ مفسرة ولا ناهية ويجوز ان تكون مصدرية على تقدير المبتدأ فلا نافية أي هو أن لا تعلوا أو المقصود ان لا تعلوا او على الابدال من كتاب قال ابن هام : على ان كتاب بمعنى مكتوب وعلى ان الخبر بمعنى الطلب بقرينة . ﴿وأتوني﴾ اهـ . ولا مانع مع إبقائه إخبارا ، والعلو التكبر على عادة الملوك ، وقرأ ابن عباس (ان لا تغلوا) بالغين المعجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد وقرأ أبي (ان من سليمان وان بسم الله وأن لا تعلوا) في التأويل اسم لأن الثانية واسم الأولى محذوف لدلالة المذكور واعلم ان قوله سبحانه (انه من سليمان) هو من كلام بلقيس وكانت عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري وانما كتب سليمان (بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين) لا غير .

وأول الكتاب البسملة وقيل قوله (إنه من سليمان) من كلام سليمان الى المسلمين وهو الذي أسلفته عليه فانما قدم اسمه على اسم الله لتأنس بسليمان اذعرفته أو عرفت انه بشر ولا تعرف الله سبحانه فلو قدمه لنفرت ولم تقبل فتقديمه تمهيد لاسم الله واعلم ان قوله (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين) كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا والتزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والأمر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الأمر فيه للانقياد قبل إقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان

إلقاء الكتاب اليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة قاله القاضي ، واذا امتنع عليك حال وانت تقسم عليه فاذكر في القسم هذه الآية فانه يحضر عاجلا .

﴿قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري﴾ اي أشيروا عليّ فيما عرض لي قريء بتخفيف همزة ﴿الملأ﴾ وهمزة ﴿أفتوني﴾ وبقلب همزة ﴿أفتوني﴾ واوا .

﴿ما كنت قاطعة أمرا﴾ قاضية أمرا كما هو قراءة ابن مسعود بالضاد والياء .

﴿حتى تشهدون﴾ أي تحضروني وانما استفتتهم تطييبا لهم وجلبا لهم ولآرائهم وأصل الفتوى جواب الحادثة وجواب الحادث قال جار الله اشتقت على طريق الاستعارة من الفتى في السن .

وكانت اذا أرادت خطابهم قعدت في الكرسي وخاطبتهم ووجها منكشفا لهم .

﴿قالوا نحن أولوا قوة﴾ في الأجساد والآلات والعدد والعدة .

﴿وأولو بأس شديد﴾ شجاعة شديدة وهذا تعريض لها منهم بأنهم يكفونها أمر القتال إن شاءت القتال وفوضوا اليها بقولهم .

﴿والأمر اليك﴾ أي لك أو (إلى) على أصلها اي منته اليك كما قاله ابن هشام والكون على الأول عام أي ثابت لك أو خاص أي مسلم لك وعلى الثاني خاص أي منته اليك أو موكول اليك .

﴿فانظري ماذا تأمرين﴾ فإنا نطيعك فأنت ذات الرأي والتدبير وإنا ذووا الحرب وماذا منصوب على نزع الباء متعلقة بتأمرين وتأمرين مفعول للنظر معلقا بالاستفهام او ماذا مفعول لتأمرين مضمنا معنى تقولين او

تثبتين او مستعملا بمعنى الارادة او ما مبتدأ وذا خبر وتأمرين صلة ذا اي ما الذي تقولينه او تثبتينه او تريدينه وجملة المبتدأ والخبر مفعول للنظر وأرتهم الفساد في حبهم الحرب .

﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية﴾ عنوة أعني قهرا .

﴿أفسدوها﴾ خربوها ذلك تفسير ابن عباس فيما رواه الداوودي وذلك أن الحرب دول فما يدري أحد لمن تكون الدولة فلعل سليمان يغلبكم ويأخذ أموالكم ويفسد ما أراد افساده .

﴿وجعلوا أعزة﴾ جمع عزيز .

﴿أهلها أذلة﴾ جمع ذليل أي أهانوا عظماءها لئلا ينازعوهم فيستقيم لهم الأمر والأصل اعززه وأذللة باسكان ثانيهما وكسر ثالثيهما نقل الكسر للساكن وادغم الثالث في الرابع أنشد أبو القاسم الحبيبي :

* ان الملوك بلاء حيث ما حلوا * فلا يكن لك في أكنافهم ظل *
* ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا * جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا *
* وان أجبتهم اجلتك خدعتهم * واستثقلوك كما يستثقل الكل *
* فاستغن بالله عن أبوابهم ابدا * ان الوقوف على أبوابهم ذل *

﴿وكذلك يفعلون﴾ أي هذا عادة مستمرة لهم لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ولات وقيل إن (وكذلك يفعلون) من كلام الله وعليه جرى الشيخ هود رحمه الله تعالى وهو تفسير ابن عباس رضي الله عنه فيكون تصديقا من الله سبحانه لبلقيس قال جار الله : وقد يتعلق الساعون في الأرض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لأنفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين انتهى .

﴿وإني مرسلة إليهم بهدية﴾ أداريه بها عن ملكي واختبره أملك هو ام نبي فان

كان ملكا قبل الهدية ورجع عنا وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا إلا باتباع دينه كما قال .

﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ الذين ارسلتهم بالهدية الى سليمان وقومه فاذا علمت بماذا رجعوا عملوابحسبه ومفعول مرسلة محذوف و(بم) متعلق بيرجع وما استفهامية حذفت ألفها لدخول الجار عليها وجملة (يرجع المرسلون) مفعول للنظر معلقا عنها وقال الحوفي الباء متعلقة بناظرة ويرده كما قال ابن هشام ان الاستفهام له الصدر .

قال في عرايس القرآن كانت بلقيس امرأة لبيبة قد ساست الأمور فأهدت اليه وصفانا ووصايف . قال ابن عباس : ألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف الذكر من الأنثى وقال مجاهد ألبست الغلمان لباس الجواري والجواري لباس الغلمان فعن ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة وقال وهب خمس مائة غلام وخمس مائة جارية وأرسلت له الصفائح من الذهب في أوعية الديباج وبالصفائح فسر ثابت البنان الهدية ولما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الآجر لذهب ثم أمر به فألقي في الطريق فلما جاءوا ورأوه ملقى في الطريق في كل مكان قالوا : جئنا نحمل فصغر في أعينهم ماجاءوا به شيئا نراه ها هنا ملقى ما يلتفت اليه وقيل : كانت اربع لبنات من ذهب قال ابن منبه جعلت في سواعدهم أساورة من ذهب وفي آذانهم أقراطا من ذهب وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجواري على خمس مائة مكة والغلمان على خمس مائة برذون على رأس كل فرس لجام من ذهب مرصّع بالجواهر وغواشيها من الديباج الملون وبعثت اليه خمس مائة لبنة من الذهب وخمس مائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدرر والياقوت الرفيع وأرسلت أيضا المسك والعنبر وعمدت إلى حقة فجعلت فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوجة الثقبة ودعت رجلا

من أشراف قومها يقال له : المنذر بن عمر وضمت اليه رجالاً من قومها أصحاب رأي وعقل وكتبت معهم كتاباً كنسخة الهدهد وقالت : ان كنت نبيا فميز بين الوصفان والوصايف وأخبر بما في الحقة قبل أن تفتحها وأثقب الدرة ثقباً مستوياً وادخل الخيط في الخرزة وقالت للغلمان : اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنث ككلام النساء وأمرت الجواري أن يكلمنه بكلام غليظ ككلام الرجال وقالت للرسول : أنظر إذا دخلت عليه فان نظر إليك نظر غضب فاعلم أنه ملك لا يهولنك منظره فأنا أعز منه وان رأيت رجلاً بشاشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم قوله ورد الجواب فأنطلق الرسل بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعاً الى سليمان عليه السلام فأخبره الخبر كله فأمر بضرب لبنات الذهب والفضة فنعلوا وأمر ببسطها من موضعه الذي هو فيه الى سبع فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حائطا شرافاته من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم قال : أي الدواب أحسن ما رأيتم في البحر قالوا : يا نبي الله إنّا رأينا دواباً في بحر كذا منمرة مختلفة الألوان لها أجنحة وأعراف ونواص قال : سليمان عليَّ بها الساعة فأتوا بها . فقال : شدوها على يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة وألقوا لها علفانها ، ثم قال للجن : عليَّ بأولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان ويساره وقعد على كرسيه ووضع أربعة آلاف كرسي عن يمينه وكذا عن يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفاً فراسخ وأمر الجن فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره ، فلما دنى القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان عليه السلام ورأوا الدواب التي لم ترَ أعينهم مثلها تروّت

على لبن الذهب والفضة وتقاصرت إليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا ، وفي بعض الروايات أن سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر اللبنات التي معهم فلما رأى الرسل موضع اللبنات خالياً وكل الأرض مفروشه خافوا أن يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان ولما رأوا الشياطين نظروا إلى منظر عجيب ففزعوا فقيل لهم جوزوا فلا بأس عليكم ، وكانوا يمرون على كراديس الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام وله منظر حسن ووجه طليق وقال : ما وراءكم ؟ فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا به وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال : اين الحقة ؟ فأُتى بها فحركها فجاء جبرائيل عليه السلام فأخبره بما فيه فقال : أن فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوّجة الثقب فقال الرجل : صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الخرزة فقال سليمان عليه السلام : من لي يثقبها ؟ فسأل الإنس ولم يكن عندهم علم بذلك ثم فسأل الشياطين فقالوا ترسل الى الأرضة ، فأرسل اليها فجاءت فأخذت شعرة في فمها فدخلت فيها وخرجت من الجانب الآخر فقال سليمان عليه السلام : حاجتك فقالت : تُصيّر رزقي في الأشجار ، فقال : لك ذلك ، ثم قال : من لهذه الخرزة فيسلكها الخيط ؟ فقالت دودة بيضاء : أنا لها يا نبي الله ، فأخذت الدودة الخيط في فمها ودخلت الثقبة حتى خرجت من الموضع الآخر ، فقال سليمان عليه السلام : حاجتك ؟ فقالت : تجعل رزقي في الفواكه قال : ذلك لك ، ثم ميّز بين الجواري والغلمان بأمرهم بغسل الأيدي والوجوه فجعلت الجارية تأخذ الماء بإحدى يديها

ثم يديها تجعله على الأخرى ثم تضرب به على الوجه والغلام ، كما يأخذه من الآنية يضرب به على وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعديها والغلام يحدر الماء على يديه احداراً ، وردّ إليها الهدية كما قال الله سبحانه .

﴿فلما جاء﴾ رسول بلقيس أو ما أهدت اليه وقرأ ابن مسعود فلما جاؤوا .

﴿سليمان قال﴾ سليمان .

﴿أتمدونني﴾ خطاب للرسول ومن معه ، أوله ولبلقيس ولو غائبة تغليبا للخطاب وعليه فعبر بالجمع ، أما لأن اقل الجمع اثنان أو للتجوز أو الخطاب للرسول ومن معه وبلقيس الغائبة وغيرها ممن معها غائبا تغليبا للخطاب ، وقرأ حمزة قيل : ويعقوب بإدغام نون الرفع في نون الوقاية وقُرىء بترك الإدغام ولكن مع حذف الياء وقُريء بنون الوقاية ، والإمداد التقوية والزيادة بالعطية .

﴿بمال﴾ مربيان هذا المال وهو الهدية ، ذكر جار الله أن الخيل التي ركبتها الغلمان الخمس مائة مُغشّاة بالديباج محليات اللجّم والسروج بالذهب المرصّع بالجواهر ، وان الخمس مائة جارية على رماك في زي الغلمان وأنها ارسلت الف لبنة من ذهب وفضة وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت والمسك والعنبر وانها أرسلت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل ، وذكر القاضي ان الذي أخبره بما أرسلت وبما أرادت هو جبريل .

﴿فما آتاني الله خير مما آتاكم﴾ أعطاه الله الدين والنبوة والحكمة والملك الذي لا يدركه أحد ولا أحتاج الى هديتكم ولا وقع لها عندي ،

ويقف نافع على (أتمدونني) بحذف الياء ، وأما ياء أتاني فاثبتها مفتوحة في الوصل ساكنة في الوقف قالون وحفص وابو عمرو بخلاف عنهم في الوقف وفتحها في الوصل ، وحذفها في الوقف ورش ، وحذفها في الحالين الباقون ، ذكر ذلك ابو عمرو الداني وذكر أن الكسائي وقف على وادي النمل بالياء والباقون بغير ياء .

﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ قال في عرائس القرآن : لأنكم أهل المفاخرة والمعاندة بالدنيا لا تعرفون غير ذلك وليست الدنيا من حاجتي قال : ثم قال للمنذر ابن عمرو امير الوفد .

﴿ارجع اليهم﴾ الهدية .

﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها﴾ الآية ان لم يأتوني مسلمين أنتهي ولا أفرح ولا أرضى عنكم إلا بالإسلام وترك المجوسية وانما قال : (فما أتاني الله خير) بالفاء الاستئنافية فقال جار الله : التعليلية لأنهم خفيت عنهم حاله عليه السلام فهو يخبرهم أنه غنيٌ عن ماهم ولو قاله بالواو لأفاد أنهم عالمون بغناء عنه وزيادته عليهم فيه ، وهم مع ذلك يمدونه به والمراد بالفرح فرح إفتخار بالهدية على الملوك بقدرتكم على إهداء مثلها ، فالهدية مضافة الى مهديها أو فرح زيادة المال ، فانهم يفرحون بما يهدى اليهم خباً لزيادة المال ولذلك أهدوا إلى سليمان لعله ممن يفرح بالهدية كما يفرحون بها فالهدية مضافة الى المهداة هي اليه وذلك ان الهدية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمُهدى له واعلم ان الإضراب عن إنكار الإمداد بالمال وعن قوله : (فما أتاني الله خير مما أتاكم) انما هو الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياسهم حاله إلى حالهم في قصور الهمة على الدنيا والقبل الطاقة وحقيقية المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون

على القتال وقرأ ابن مسعود (لا قبل لهم بهم) وقرأ (إرجعوا اليهم) وقيل : الخطاب في إرجع للهدهد محتملا كتاباً آخر .

﴿ولنخرجنهم منها﴾ من سبأ .

﴿أذلة﴾ ذاهباً عنهم ما هم فيه من العز والملك .

﴿وهم صاغرون﴾ واقعون في أسر واستعباد لا يقتصر بهم ان يجعلوا سوقة بعد أن كانوا ملوكاً وفي عرائس القرآن : كما رجعت رسل بلقيس اليها من سليمان عليه السلام قالت : والله ما هذا ملك وما لنا به من طاقة فبعثت اليه اني قادمةٌ عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ، ثم أمرت بعرشها فجعلته في آخر تسعة أبيات بعضها داخل بعض في آخر قصر من سبع قصور ثم أغلقت دونه الأبواب ووكلت به حرسة يحفظونه وقالت لمن خلفت على سلطانها : إحتفظ بما في قبلك وسرير ملكي فلا تخلص له احداً حتى آتيك ، وأمرت منادياً فنادى في أهل مملكتها لتؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان عليه السلام في إثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت كل قيل مائة الف مقاتل قال ابن عباس رضي الله عنه : كان سليمان عليه السلام رجلاً مهيبا لا يخبره احد بشيء حتى يسأله عنه ، وخرج يوماً وجلس على سرير ملكه فسمع صوتاً ودوياً فقال : ما هذا ؟ قالوا : بلقيس يا نبي الله قال : وقد نزلت بهذا المكان ؟ قالوا : نعم ، أو كانت على مسيرة فرسخ منه قال ابن عباس رضي الله عنهما : بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فأقبل على جنوده فقال :

﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها﴾ اي بسريرها .

﴿قبل أن يأتوني مسلمين﴾ مؤمنين أو منقادين لي قال ابن زيد :

غرضه في استدعاء عرشها أن يريها القدرة التي من عند الله وأن يظهر لها معجزة دالة على نبوته وأمراً عظيما خصه الله به من إجراء العجائب على يده وكأنه أوحي اليه باستيثاقها من عرشها ففعل ذلك وقال قتادة : أراد أخذه قبل إسلامها فيمنعه عنه الإسلام وكان من ذهب وفضة مرصعاً بالياقوت والجواهر ، وروي أن الهدهد وصفه له ، والقول الأول أليق بمنصب النبوة فيتعين حمل الآية عليه والقول الثاني بعيد عنها ، وقيل غرضه أن يغيره ليختبر بذلك عقلها ، وقيل أراد ان يعرف قدر ملكها لأن السرير على قدر المملكة وقيل عن قتادة : أن الهدهد وصفه له فأراد أن يراه .

﴿قال عفريت من الجن﴾ العفريت من الرجال الخبيث المنكر الذي يعثر أقرانه أي يطرحهم على العفر وهو التراب ومن الشياطين الخبيث المارد القوي الكافر ، واسمه دكوان وقال وهب : إسمه كوري ، وقيل : إسمه كوران ، وعن ابن عباس : العفريت الداهية ، وقيل : هو صخر المارد وكان كالجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه .

﴿أنا آتيك به﴾ فعل مضارع ومفعول أو إسم فاعل ومضاف إليه وهو أولى لأن الأصل في الخبر الإفراد .

﴿قبل أن تقوم من مقامك﴾ مجلس قضائك ، قال ابن عباس : وكان له كل يوم مجلس الى وقت الظهر قاله قتادة ومجاهد ، وقيل : قبل أن تستوي من جلوسك قائماً .

﴿واني عليه لقوي أمين﴾ أي قوي على حمله والمجبي به أمين على ما فيه من الجواهر وغيرهما ، قال سليمان : أريد أسرع من ذلك .

﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ المنزل وقيل : اللوح وهو

آصف بن برخيا من بني اسرائيل كان صديقاً يعرف إسم الله الأعظم الذي اذا دعي به أجاب قيل وهو كاتب سليمان وقيل : وزيره قيل وهو ابن خالته وكون المراد اصف بن برخيا هو قول الجمهور ، وقيل رجل اسمه أسطوم وهو قول ابي هريرة ، وقال قتادة : تلميخا ، وقيل : جبريل وقيل : ملك أيد الله به سليمان ، وقيل : الخضر ، وقيل : جني مؤمن يحفظ اسم الله الأعظم .

﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد﴾ يرجع .

﴿اليك طرفك﴾ قال الشيخ هود رحمه الله : دعا ياذا الجلال والإكرام والمنن العظام والعز الذي لا يرام ، وذلك هو الاسم الأعظم ، وقيل : يا حي يا قيوم وهو قول عائشة روته حديث وقيل : يا ذا الجلال والاكرام وهو قول مجاهد ، وقال الحسن : الله والرحمن ، وقال الزهري وعثمان بن مظعون : يا الهنا واله كل شيء إلها واحداً لا إله إلا أنت ، دعا بذلك ، وقال عقبة : إئتني بعرشها ، وعن مقاتل عن ابن عباس : أن آصف بن برخيا قال لسليمان حين صلى ركعتين ودعا : مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد طرفه نحو اليمن فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يشقون به الأرض شقاً حتى انخرقت به الأرض بين يدي سليمان ، وعن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح كان في جزيرة من جزائر البحر خرج ذلك اليوم ينظر هل يعبد الله سكان الأرض أم لا فوجد سليمان عليه السلام فدعا باسم من أسماء الله فإذا بالعرش حُمل فأُتي به سليمان قبل ان يرتد اليه طرفه ، وروي انه لما دعا الذي عنده علم من الكتاب جاءت الملائكة بالعرش بين السماء

والأرض ، واختلفوا في قوله (قبل ان يرتد اليك طرفك) قال ابن جبير وقتادة : معناه قبل أن يصل اليك من يقع عليه طرفك في أبعد ما ترى ، وقال مجاهد : معناه مده مد البصر دون تغميض فإذا العرش معه جاءه من اليمن وهو في الشام ويجوز أن يكون المراد استقصار المدة كما تقول افعل كذا في لحظة وفي رد طرف تريد السرعة لا الحقيقة والخطاب لسليمان .

و(آتيك) مضارع او اسم فاعل وقال محمد بن المكندر (الذي عنده علم من الكتاب) هو سليمان ورده السهيلي بأنه لا يصح في سياق الكلام وعلى هذا القول فكان سليمان استبطأ العفريت فقال له : أنا أريك ما هو أوسع مما تقول تحداهم أولا ثم أراهم انه يتأتى لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم وروي انه لما قال العفريت ما قال قال سليمان (أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) فدعا فحضر وقيل : قال للعفريت هات فقال له انت النبي ابن النبي وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت فخر ساجدا ودعى بالاسم الأعظم فحضر في الوقت من تحت الأرض والطرف تحريك الأجفان فوضع موضع النظر فقيل أرسل الطرف ورد الطرف فارتد ويطلق ايضا على العين .

﴿فلما رآه﴾ رأى سليمان العرش .

﴿مستقرا عنده﴾ في طرفة عين والرؤية بصرية ومستقرا حال وانما ظهر لأنه لم يورد به مطلق الوجود فضلا عن أن يكون كونا عاما واجب الحذف بل المراد الوجود المتيقن الخالي عن التزلزل هو كون خاص قال ابن هشام زعم ابن عطية ان مستقرا هو المتعلق الذي يقدر في أمثاله قد ظهر والصواب ما قاله أبو البقاء وغيره من أن هذا الاستقرار معناه عدم

التحرك لا مطلق الوجود والحصول فهو كون خاص له .

﴿قال هذا من فضل ربي﴾ تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى احضار العرش في تلك المدة القصيرة وحقه مسيرة شهرين .

﴿ليبلوني﴾ ليفعل بي فعل المختبر .

﴿ءاشكر﴾ بابدال الهمزة الثانية الفا وتسهيلها وادخال الف بين الأولى والمسهلة وتخفيفهما .

﴿أم أكفر﴾ وعن الحسن انه لما دعي الداعي وجاء العرش وقع في نفس سليمان مثل الحسد له ثم فكر وقال ليس هذا الذي قدر على ما لم أقدر عليه إلا مسخرا لي يعمل في الأنعام عليَّ هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر أم أكفر والشكر صرف الجوارح فيما خلقت لأجله ضد الكفر وان شئت فقل العبادة في مقابلة الاحسان وبسطه في الفقه ، قيل : جملة أشكر وجملة أكفر محلهما النصب على الابدال من الياء والثانية بدل بواسطة العطف وقيل الجملة مفعول ثاني معلق عنها الابتلاء .

﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ لعود نفع شكره اليه لأنه يستوجب به دوام النعمة وتمامها والزيادة كما قيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة قال بعض المتقدمين أن كفران النعمة بوار وقل ما اقشعت نافرة فرجعت نضابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم وأهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوع النعمة وستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا .

﴿ومن كفر﴾ النعمة .

﴿فإن ربي غني﴾ عن شكره .

﴿كريم﴾ بالأنعام على من لم يكفرها أو بالأنعام على من كفرها ثانيا

فهو تعالى لا يقطع النعم بكفرانها وكان الأنبياء والمخلصون من عباد الله يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر .

﴿قال نكِّروا لها عرشها﴾ أبهموه عنها بتغير هيئته وشكله حتى تنكره اذا رأته ، قيل : وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله وجعلوا مكان الجوهر الأحمر الأخضر ومكان الأخضر الأحمر وقيل زادوا أو نقصوا وعليه جرى الشيخ هود رحمه الله .

﴿ننظر﴾ بالجزم في جواب الأمر وحركة الراء بحركة الهمزة نقلا في قراءة ورش وقريء بالرفع على الاستئناف .

﴿أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ ننظر أتهتدي الى معرفته أم لا أو الى الجواب الصائب اذا سئلت عنه او الى الدين والايمان بنبوته اذا رأت المعجزة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه عدة ابواب ونصبت عليه حرسا واختبر بذلك عقلها قال وهب ومحمد بن كعب القرضي وغيرهما : ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفشي اليه امر الجن لأن امها جنية واذا ولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فأساؤا والثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا أن في عقلها شيئا وان رجليها رجلا حمار وانها شعرة الساقين فاختبر عقلها بتنكير العرش ونظر الى رجليها ببناء الصرح وكذلك قال محمد بن اسحاق .

﴿فلما جاءت قيل﴾ لها والقائل لها بعض قوم سليمان .

﴿أهكذا عرشك﴾ أمثل هذا عرشك .

﴿قالت كأنه هو﴾ لم تقل هو ولا ليس بعرشي لرجاحة عقلها اذ لم تقطع في المحتمل قال الحسن بن الفصل شبهوا عليها فشبهت عليهم ولو

قالوا هذا عرشك لقالت نعم . قال بعضهم : لم تقل لا ولا نعم خوفا من التكذيب فعرف سليمان كمال عقلها وقيل : اشتبه عليها أمر العرش لأنها تركته مغلقا عليه أبواب وما جعلت عليه حرسة ومعها المفاتيح قيل لها فانه عرشك فما اغنى عنك اغلاق الابواب قال سليمان :

﴿وأوتينا العلم﴾ لا لله ودينه أو بأنها تسلم .

﴿من قبلها﴾ أي من قبل المرأة بلقيس والواو للاستئناف او للعطف على جوابها لما في جوابها من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا وإحضاره ثم من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا يظهر إلا على الانبياء اي وأوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها .

﴿وكنا مسلمين﴾ منقادين لحكم الله لم نزل على دينه ويكون غرضه فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا أو الواو للعطف على محذوف كأنهم قالوا عند قولها كأنه هو قد أصابت في جوابها وهي عاقلة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة والواو للحال وقيل أن جعلت للحال قدرة قد ولا بد وقيل وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين هو من كلام بلقيس والضمير للحالة او المعجزة كأنها ظنت انه أراد اختبارها واظهار معجزة لها فقالت وأوتينا العلم بكمال قدرت الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات كإرسال الهدهد .

﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله﴾ ما فاعل صد أي صدها عن دين الله ما كانت تعبد من دونه وهو الشمس او ما مصدرية والمصدر فاعل أو فاعل صد ضمير يعود الى الله وما منصوب على نزع الخافض أو

مفعول على حذف مضاف او مصدرية والمصدر مفعول أي منعها الله عبادة ما كانت تعبد او منعها العبادة من دونه وذلك بتوفيقها لدينه وقيل الفاعل ضمير سليمان .

﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ يعبدون الشمس وقرأ بعضهم بفتح الهمزة على الابدال من فاعل صد بدل اشتمال ان جعل الفاعل ما او المصدر او بدل اشتمال من (ما) على انها مفعول او منصوب على النزع او من المصدر او يقدر اللام اي لأنها واذا جعل فاعل صد غير سليمان صح أن يكون ذلك من كلام أو من كلام سليمان واذا جعل الفاعل ضمير سليمان فمن كلام الله .

﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ القصر وقيل صحن الدار وقيل الصرح القصر قبل عرصة الدار قال محمد بن كعب أمر سليمان الجن فصنعت له صرحا وهو أملس وهو السطح في الصحن من غير سقف وبنته كالسهريج مملوءً ماء وبث فيه السمك وطبقه بالزجاج الأبيض الشفاف وبهذا جاء صرحا والصرح أيضا كل بناء عال والكل من التصريح وهو الاعلان البالغ وقيل الصرح صحن الدار والقى تحته في الماء السمك والضفادع وغيرها من دواب الماء ووضع كرسيه في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وفعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته ولتكشف عن ساقيها فيرى هل هما شعرا وان أم لا وهل هما كحافر حمار ام لا وذلك ان الجن بهتوها بذلك لئلا يتزوجها فيولد له ولد منها فيجمع فطنة الجن والانس فيملك بعده فلا ينفكون من التسخير بل يشتد التسخير ولئلا تفشي اليه ما كتموه من أمر الجن وقيل عمل الصرح

ليختبر فهمها كما فعلت بالوصفان والوصائف ويعاتبها بذلك وهو قول بن منبه .

﴿فلما رأته حسبته لجة﴾ ماء عظيما .

﴿وكشفت عن ساقيها﴾ لتخوضها الى سليمان ولا تبتل ثيابها .

﴿قال﴾ سليمان .

﴿إنه صرح ممرد﴾ مملس .

﴿من قوارير﴾ الزجاج وليس بماء قال لها ذلك بعد أن رآها أحسن الناس قدما وساقا الا انها كانت شعراء الساقين وكف بصره عنها بعد ذلك وأخبرها انه ليس بماء فسترت ساقيها وروي ان الجن قالوا لها ذلك أيضا بعد ان رآها وقرأ ابن كثير (سأقيها) بهمزة الألف قال الكلبي : اجروا الماء أو حفروه في أرض بيضاء وبنوا عليه بالزجاج وتحته دواب البحر وعن مجاهد كان الصرح بركة ماء ضرب عليها سليمان الزجاج وزعموا عنه أن امها جنية وأن مؤخر رجليها كحافر الدابة فكانت اذا وضعته على الصرح هشمته وروي ان بعض الجن قال أنا اصرفه عن تزوجها وجاءه فقال له لم تلد جنية من انسي إلا وكان رجلها رجل حمار فوقع ذلك في نفس سليمان فجاءه جني يحبه فقال له يا نبي الله أنا أعمل لك شيئا تختبرها به فعمل الصرح وعلمت أن ملك سليمان من الله تعالى وآمنت بالله وبنبوته .

﴿قالت رب إني ظلمت نفسي﴾ بعبادة غيرك وقيل لما بلغت الصرح ظنته لجة فقالت في نفسها أن سليمان يريد أن يغرقني وكان القتل أهون من هذا ولما تبين لها غير ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي بذلك الظن .

﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ والظاهر أن هذا الكلام منها

يوجب ولايتها والقطع انها من أهل الجنة فانظر كتب الفقه ثم أن بعض العلماء يقول لا علم لأحد وراء قولها وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين اذ لم يرد أمرها في الكتاب ولا في السنة وقيل أمرها بعد ذلك انه تزوجها سليمان وكره كثرة شعر ساقيها فسأل الانس عما يذهب ذلك ؟ فقال : الموسى فقالت : انه لم يمسني حديد قط فكره سليمان الموسى وقال : انها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا : لا ندري فسأل الشياطين فكتموا فألح عليهم فقالوا : نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام ولم يكونا قبل ذلك وأحبها سليمان حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها في اليمن سلحين وبينون وغمدان ثلاثة حصون لم ير مثلها ارتفاعا وحسنا وكان يزورها من الشام كل شهر مرة على الريح فيقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له ابنا سمّاه داوود ومات في حياته وقال الضحاك : تزوجها وأسكنها الشام وعن ابي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ (أول من اتخذ الحمام سليمان عليه السلام ولما ألصق ظهره للجدار قال أواه من عذاب الله) وعن محمد ابن اسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه انهم زعموا أن سليمان قال لها لما أسلمت وفرغ أمرها : اختاري رجلا من قومك أزوجكه فقالت : ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي من قومي الملك والسلطان قال : نعم لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما أحل الله لك . فقالت : ان كان ذلك لا بد منه فزوجني تبعا ملك همدان فزوجه إياها وردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يعمل لتبع ما استعمله فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان وحال الحول وعلمت الجن بموته فغنى رجل منهم بأعلى

صوته يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين فرفعت الجن ايديها عن الخدمة وانقضى ملكه وملك تبع وملك بلقيس فسبحان من لا ينقضي ملكه . وروي انه لما دخلت الصرح وأعلمها انه غير ماء وجلست معه ، قالت : عليك السلام يا نبي الله أريد أن أسألك عن شيء . قال : سليني . قالت : أخبرني عن ماء روي ليس من السماء ولا من الأرض وكان سليمان عليه السلام اذا جاءه شيء لا يعلمه سأل الانس فان كان عندهم علم وإلا سأل الجن فان علموا وإلا سأل الشياطين فسأل الشياطين فقالوا : ما أوهن ذلك من الخيل فلتجر واملأ الآنية من عرقها .

فقال عليه السلام : هو عرق الخيل ، قالت : صدقت ، فقالت : أخبرني عن لون ربك تعالى الله عن اللون فوثب عن سريره وخر ساجدا لله فقامت عنه وتفرقت جنوده وجاء جبريل عليه السلام فقال له : يا نبي الله يقول لك ربك ما شأنك قال يا رب أنت اعلم بما قالت قال فان الله تعالى يأمرك ان تعود إلى سريرك فترسل اليها والى من حضر من جنودك تسألها عما سألتك ففعل سليمان عليه السلام ذلك فلما دخلوا عليه قال لها : عماذا سألتني ؟ قالت : سألتك عن ماء ليس من الأرض ولا من السماء ؟ فأجبت فقال : وعن أي شيء سألتني أيضا ؟ قالت : ما سألتك عن شيء إلا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها أنساهم الله تعالى ذلك وكفى سليمان الجواب ثم دعاها للاسلام فأسلمت .

﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا﴾ سماه أخا لأنه من قبيلتهم .

﴿أن اعبدوا الله﴾ أي بأن اعبدوا أو أن مفسرة أي وحدوه وقرأه أبوعمرو وعاصم وحمزة بكسر النون .

﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ فريق مؤمنون من حين ارساله اليهم وفريق كافرون كل يقول الحق معي وجملة يختصمون خبر ثان فقد روعي اللفظ والمعنى أو نعت فريقان فقد روعي المعنى وقيل الفريقان صالح وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد .

﴿قال﴾ سليمان للفريق المكذب .

﴿يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾ بالعذاب قبل الرحمة حيث قلتم ان كانا ما أتانا به صالح حقا فليأتنا بالعذاب وقيل السيئة العقوبة والحسنة التوبة وكانوا يقولون أن العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ وتقبل توبتنا حينئذ والا فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم على حسب اعتقادهم .

﴿لولا﴾ أي هلا .

﴿تستغفرون الله﴾ من الشرك والمعاصي قبل نزول العذاب .

﴿لعلكم ترحمون﴾ فلا تعذبون وذلك تنبيه لهم على الخطأ فيما قالوا وتجهيل .

﴿قالوا اطيرنا﴾ أصله تطيرنا كما قرأ به بعض ابدلت التاء طاء وسكنت وادغمت في الطاء وجلبت همزة الوصل وهذا بوزن على أصله لا على حاله فوزنه تفعلنا لا اتفعلنا ومعناه تشاء منا .

﴿بك وبمن معك﴾ من المؤمنين وذلك انهم قحطوا وجاعوا فقالوا أصابنا ما أصابنا لأجلك ولاجل من معك ، وقيل : قالوا ذلك ليفرق كلمتهم فريق مؤمن وفريق كافر وكان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر

فيزجره فان مر الى جهة اليمين تيمن ومضى وان مر الى الشمال تشاءم ورجع ، قال جار الله : ولما نسبوا الخيروالشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله ومن عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك أي قدر الله الغالب الذي ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذي تشاء به وتتيمن .

﴿**قال طائركم عند الله**﴾ أي سببكم الذي يجبى منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة وقيل : سمى عملكم طائرا بسرعة صعوده الى السماء .

﴿**بل أنتم قوم تفتنون**﴾ تختبرون بتعاقب السراء والضراء وقيل تعذبون وقيل يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم بالطيرة وقيل تختبرون بطاعة الله ومعصيته وقال الحسن تصرفون عن دين الله وبل للاضراب عن طائرهم الذي هو أول ما يحيق بهم الى ما ذكر ما هو الداعي اليهم .

﴿**وكان في المدينة**﴾ مدينة ثمود وهي الحجر .

﴿**تسعة رهط**﴾ أي أنفس أو رجال ولكونه بمعنى الجمع أضيف اليه التسعة ولا يقال لو كان بمعنى انفس لم يقرن العدد بالتاء لأن عدد المؤنث يجرد عنها لأنا نقول النفس يذكر كما يؤنث ولأن الأنفس هنا رجال قيل الفرق بين النفر والرهط انه من الثلاثة او السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة وبسطه في النحو وكانت التسعة من ابناء شرف القوم واغنياءهم وهم أصحاب نذار وقيل قذار منهم قال وهب هم الهذيل ابن عبد رب وقيل هذيل بن مبلغ خال قذار وغنم بن عنم وقيل رعيا بن غنم ورباب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمرو بن كردبة وعاصم بن

مخرمة وسبيط بن صرفة وشمعان بن صيفي وقذار بن سالف .

﴿يفسدوا في الأرض ولا يصلحون﴾ أي شأنهم الافساد الذي لا يشوبه شيء من الاصلاح ورأسهم قذار بن سالف وهم عاقروا الناقة ومن افسادهم قرض الدنانير والدراهم .

﴿قالوا﴾ أي قال بعض التسعة لبعض .

﴿تقاسموا﴾ فعل امر وفاعل أي أحلفوا .

﴿بالله لنبيتنه وأهله﴾ أي لنأتينهم ليلا من حيث لا يشعرون فنقتلهم وأهله هم المؤمنون قال ذو القرنين : أشيروا علي بالبيات فقالوا : ليس من أمر الملوك استراق الظفر وقرأ حمزة والكسائي بالتاء خطابا من بعضهم لبعض مع ضم التاء الثانية قال الطبري : ويجوز ان يكون تقاسموا فعلا ماضيا وفاعلا والجملة حال من واو قالوا والجمهور على الأول وعليه فمقول القول (تقاسموا) وما بعده وعلى الثاني مقوله (لنبيتنه) الخ أي قالوا متقاسمين بالله لنبيتنه وبالله معلق بتقاسموا ويجوز كونه قسما لما بعده في غير استعطاف وجعله بعضهم فعلا ماضيا وفاعلا وقدر قد وجعل الجملة حالا ويجوز على كون الفعل ماضيا كون الجملة بدلا من قالوا وبدل على كونه ماضيا قراءة بعضهم (ليبيتنه) بالتحتية وضم الفوقية على الالتفات السكاكي وقراءة ابن مسعود باسقاط قالوا تدل على الماضوية والابدال .

﴿ثم لنقولن﴾ وقريء بالمثناة تحت وبالمثناة فوق على حد ما مر وقريء ما يأتي على طبق تلك القراءات .

﴿لوليه﴾ ولي دمه .

﴿ما شهدنا﴾ حضرنا .

﴿مهلك أهله﴾ أي اهلاكهم او مكان اهلاكهم أو زمانه والفعل اهلك وقريء (مهلك) بفتح الميم واللام وكسرها من هلك فانظر شرحي على اللامية والكسر قراءة حفص وفيها الأوجه الثلاثة لكن المصدر على غير قياس والقياس الفتح لكسر عين المضارع ومثله المرجع بمعنى الرجوع والفتح قراءة ابي بكر فيكون مصدرا والمراد انا ما شهدنا مهلك اهله فضلا عن ان نكون المتولين لقتله روي أن هؤلاء التسعة أخبرهم صالح بمجيء العذاب لعقر الناقة اتفقوا أن يقتلوه وأهله في ديارهم ليلا فان كان كاذبا كنا قد أوقعنا به ما يستحق أو صادقا كنا قد عجلناه قبلنا وشفينا به نفوسنا واختبوا لذلك في غار قريب من داره فانحدرت عليهم صخرة شدختهم جميعا وقيل أطبقت عليهم الغار فهلكوا فيه حين هلك قومهم وكل فريق لا يعلم بما جرى على الآخر وقيل سبب ارادتهم قتله انه السبب في ذبح أولادهم كما مر في الأعراف وروي انه كان لصالح مسجد في الشعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاثة فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاثة فخرجوا الى الشعب فقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من هضب جبالهم فبادروا فطبقت عليهم الصخرة باب الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه نجى صالحا ومن معه وقيل جاءوا بالليل شاهري سيوفهم وقد أرسل الله الملائكة ملأ داره فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا .

﴿وإنا لصادقون﴾ أي ونحلف إنا لصادقون في ذلك أو ذلك من جملة المقول أو الواو للحال ووجه صدقهم في زعمهم انهم ما شهدوا مهلك

أهله فقط بل شهدوا مهلكهم ومهلكه كما تقول ما رأيت رجلين تريد انك رأيت رجالا لا رجلين أو المراد ما شهدنا مهلكهم فقط بل شهدناه وتوليناه ولعل هذا مراد القاضي فلا يرد عليه ما أورد فانظر كيف نتج الكذب عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم حتى انهم قصدوا قتل النبي ولم يرضوا لأنفسهم ان يكونوا كاذبين فالتمسوا حيلة يخرجون بها عن الكذب .

﴿**ومكروا مكرا**﴾ اخفوا تدبير الفتك بصالح وأهله بعد ناقته .

﴿**ومكرنا مكرا**﴾ أي جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب من حيث لا يشعرون كما قال .

﴿**وهم لا يشعرون**﴾ بذلك أو لما كان مكرهم سببا للعذاب الذي جوزوا به سماه مكرا او لمجاورة لفظ المكر .

﴿**فانظر كيف كان عاقبة مكرهم**﴾ العاقبة اسم كان وكيف خبرها أو كان تامة وعاقبة فاعلها وكيف حال منه قال ابن هشام او كان زائدة وكيف الخبر وعاقبة مبتدأ واذ لم نجعل كان زائدة فاسما لم تقرن بالتاء لأن عاقبة ظاهر مجازي التأنيث ولأن المعنى كيف كان آخر امرهم .

﴿**إنا دمرناهم وقومهم أجمعين**﴾ أهلكناهم بالصخرة وأهلكنا قومهم بالصيحة والجملة مستأنفة وقرأ الكوفيون قيل ويعقوب بفتح الهمزة على الخبرية لمحذوف أي هي تدميرهم وتدمير قومهم والبدلية من عاقبة سواء جعل عاقبة اسما او فاعلا او مبتدأ قيل أو خبر لكان وكيف حال قيل أو على تقدير اللام أي لانا .

﴿**فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا**﴾ خاوية حال من بيوتهم عمل فيها معنى الاشارة وتقدم بحث في هذا بعلي شيخا وقرأ عيسى بن عمرو

بالرفع أي هي خاوية أو خبر ثانٍ لتلك والباء سببية وما مصدرية ومعنى خاوية كخوي البطن اذا خلا أو خوى النجم اذا سقط وهذه البيوت هي التي قال ﷺ فيها عام تبوك : «لا تدخلوا بيوت المعذبين إلا أن تكونوا باكين وإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم» ، ومر بواديهم على فرس أشقر فقال اسرعوا فانكم بواد ملعون والظلم والشرك والمعاصي .

﴿إن في ذلك لآية لقوم يعلمون﴾ فيتعظون .

﴿وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ الشرك والمعاصي وهم صالح ومن معه وهم أربعة آلاف .

﴿ولوطا﴾ أي واذكر لوطا .

﴿إذ﴾ بدل من لوطا أو وأرسلنا لوط لدلالة ولقد أرسلنا فاذ ظرف .

﴿قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾ تعلمون بفحشها واقتراف الفاحشة من العالم بفحشها أقبح أو المراد وأنتم يبصر بعضكم بعضا لأنهم يعلنون بها فتكون أفحش وفي الآية تلويح إلى أن ما كان قبيحا عند الناس فهو أقبح عند الله لأنه أعلم وأحكم أو المراد وأنتم تبصرون آثار العصاة قبلكم .

﴿ أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء﴾ قرىء بتسهيل الهمزة الثانية وبتحقيق الهمزتين وبادخال الف بينهما على الوجهين والاتيان كناية عن الجماع او المراد لتأتونهم للجماع وشهوة قال أبوحيان : مفعول لأجله وفائدته تقبيح ذلك والتنبيه على أن الحكمة في الواقعة طلب النسل لا مجرد قضاء الوطر والجملة بيانا بإتيان الفاحشة وانما قال دون النساء تأكيدا للقبح ودون ظرف فيه معنى المغايرة ومعلوم أن

الرجال غير النساء وان قيل انهم تركوا النساء واكتفوا بالرجال فذلك تأسيس لا تأكيد وعلى كل حال ففي الكلام تقوية للقبح أي أتأتون الرجال الذين لم يخلقوا لذلك وتتركون النساء اللاتي خلقن لذلك . عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : «لعن الله من عمل عمل قوم لوط» .

﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ عاقبة فعلكم أو تفعلون فعل من جهل قبحها أو يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبح والجملة خبر ثان أو نعت لقوم ولو كانت للخطاب والقوم اسم ظاهر والاسم الظاهر من قبل الغيبة لأن المراد به من أريد باثم وقرأ بعض بالتحتية فتكون الجملة نعتا .

﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم﴾ جواب بالنصب خبر كان والمصدر مما بعد أن اسمها وقرأ الأعمش برفع جواب على عكس ذلك قال ابن هشام واعلم انهم حكموا لأن وان المقدرتين بمصدر معرف بحكم الضمير لأنه لا يوصف كما أن الضمير كذلك فلهذا قراءة السبعة (ما كان حجتهم إلا أن قالوا) فما كان جواب قومه إلا أن قالوا والرفع ضعيف لضعف الأخبار بالضمير عما دونه في التعريف .

ومعنى قالوا قال بعضهم لبعض وآل لوط المؤمنون أو أقاربه مطلقا أو هم ومن آمن .

﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ تعليل جملي والمراد بالتطهر التنزه عن أدبار الرجال وعن غيرها من أفعالنا ويعدون ذلك قذرا وينكرونه علينا وعن

مجاهد يتطهرون عن أدبار الرجال والنساء ، وعن ابن عباس : التطهر الاستهزاء .

﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها﴾ جعلناها بقدرنا .

﴿من الغابرين﴾ الباقين في العذاب .

﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾ عظيما كما يدل عليه التنكير مع التنوين وهو حجارة السجيل أهلكناهم وروي انه خسف بمدنهم الثلاث ورمي من كان خارجا منها .

﴿فساء﴾ بئس .

﴿مطر المنذرين﴾ بالعذاب والمخصوص الذم محذوف أي مطرهم .

﴿قل﴾ يا محمد .

﴿الحمد لله﴾ على هلاك كفار الأمم الخالية .

﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ عطف على جملة الحمد لله فيكون مأمورا بقوله أمر رسوله ﷺ بعد ما قص عليه القصص الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وعظم شأنه وعلى ما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بحمده وبالسلام على من اصطفاه من عباده من الأنبياء والرسل والمؤمنين شكرا على ما أنعم وعلمه من أحوالهم وعرفا بفضلهم وحق تقدمهم في الدين اجتهادهم فيه وقيل المراد بعباده الذين اصطفى أصحاب سيدنا محمد ﷺ وهو تفسير ابن عباس رضي الله عنهما وقيل المراد كل مؤمن من الأولين والآخرين وفي الآية تعليم حسن وتوقيف على أدب جميل وبعث على التبرك بالحمد والسلام على المصطفى وعلى الاستعانة بهما على قبول ما يلقى الى السامعين ولقد تواتر ذلك في أوائل الوعظ والخطب والكتب وقد قال

جار الله : ان المراد بذلك مطلق الحمد على النعم والسلام على المصطفين تمهيدا لما يتلى بعد ذلك وقيل الخطاب للوط عليه السلام أن يحمد الله على هلاك قومه الكفار وأن يسلم على من اصطفاه الله وعصمه من الفواحش . قال ابوالحسن الشاذلي ابن بطال : ان أردت ان لا يصدي لك قلب ولا يلحقه هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من قولك سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا اله إلا الله اللهم علمها في قلبي واغفر لي ذنبي واغفر للمؤمنين والمؤمنات وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى انتهى .

﴿ءالله خير أما يشركون﴾ بإبدال همزة أل الفا وتسهيلها وبتحقيق الهمزتين همزة الاستفهام وهمزة أل وبادخال الف بين المسهلة والأخرى وتركه وادغام ميم إم العاطفة في ميم (ما) والخطاب لأهل مكة وقريء بالمثناة التحتية وهي قراءة ابي عمرو وعاصم ويعقوب ومعلوم أن لا خير فيما أشركوه اصلا حتى يوازن فيما بينه وبين من هو خالق كل شيء ومالكه وانما هو إلزام لهم وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء إلا لداع يدعوه إلى إيثاره ومن زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينتبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط ونبذ التميز والمفعول واضلالهم ذلك وليعلموا الايثار بين ان يكون للخير الزائد وكان ﷺ اذا قرأها قال : (بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم) قاله جار الله .

﴿أمّن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء﴾ وأم هذه للاضراب أي بل من خلق السماوات والأرض التي هي أصول الكائنات

ومباد المنافع وأنزل لكم من السماء ماء خير ، وعن بعض أن اللام للتعليل وقرأ الأعمش (أمن) بالتخفيف على أن (من) بدل من الله وقرن بالاستفهام لقرن المبدل منه به وليس هذا القرن بلازم وانما يلزم اذا كان المبدل منه اسم استفهام او مضافا لاسم استفهام .

﴿فأنبتنا به حدائق﴾ قال الحسن : الحديقة النخل وقال الكلبي الحائط من الشجر والنخل ، قال قوم : لا يقال حديقة إلا لما عليه جدار قد أحدق به قال قوم يقال ذلك كان الجدار أو لم يكن لأن البياض محدق بالأشجار .

﴿ذات بهجة﴾ أي ذات حسن لأن الناظر يبتهج بها والوصف بذات لأن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة وعبّر بالتكلم بعد الغيبة على طريق الالتفاف للتأكيد تأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على أن إنبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع والألوان والطعوم والأشكال مع حسنها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو ألا ترى كيف رسخ معنى الاختصاص بقوله .

﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ شجر الحدائق أي ليس ذلك في قدرتكم .

﴿أءله مع الله﴾ بتحقيق الهمزتين وبتسهل الثانية وبادخال الف بينهما على الوجهين في مواضعه السبعة أي كيف يكون له شريك وقد انفرد بالخلق والتكوين وقريء بالنصب على المفعولية لمحذوف أي أتدعون إلها وتشركون إلها .

﴿بل هم﴾ أي كفار مكة .

﴿قوم يعدلون﴾ يسوون غير الله بالله في العبادة أو يجعلون له عديلا ومثيلا أو يميلون من هذا الحق الظاهر إلى الباطل .

﴿أمّن جعل الأرض قرارا﴾ يستقر الخلق عليها ولا تميد بهم .

﴿وجعل خلالها﴾ أي بين أجزائها .

﴿أنهارا﴾ تجري .

﴿وجعل لها رواسي﴾ جبالا فيها معادن ثبتت بها الأرض فلا تميل .

﴿وجعل بين البحرين﴾ البحر العذب والمالح أو بحر فارس وبحر الروم .

﴿حاجزا﴾ يمنع من اختلاط أحدهما بالآخر وهو أرض وقال مجاهد حلزا لا يرى .

﴿أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ الحق فهم يشركون به .

﴿أمن يجيب المضطر اذا دعاه﴾ المضطر الذي أحوجه شدة ما به الى اللجوء إلى الله تعالى من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة أو الضر والمضطر اسم مفعول فراؤه المدغمة في نية الفتح ويكون اسم فاعل فتكون في نية الكسر والمراد المظلوم والمكروب والمريض وال فيه للحقيقة لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر وحقيقة معناه الذي مسه الضر وأصل طاءه تاء . وعنه ﷺ : «وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل» ، قال ابن عطاء : الله ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا أسرع لك بالمواهبة لك مثل الذلة والافتقار وعن حبيب بن سلمة وكان مجاب الدعاء سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يجتمع ملأ فيدعو بعض ويؤمن بعض إلا أجابهم الله» .

وعن ابن عباس : المجهود وعن السدي : الذي لا حول له ولا قوة ، وقيل المضطر هنا المذنب يلتجيء الى الله سبحانه .

﴿ويكشف﴾ يزيل .

﴿السوء﴾ عنه وعن غيره .

﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ ورثتموها ممن قبلكم وتصرفتم فيها ، وقيل : المراد الملك والتسلط وقيل يجعل أولادكم خلفاءكم وقيل خلفاء الجن في الأرض ، قال بعض : الاضافة بمعنى في .

﴿أءله مع الله﴾ الذي أعطاكم هذه النعمة العامة والخاصة الموجبة لكثرة التذكر .

﴿قليلا ما تذكرون﴾ تتعظون وقيل (قليلا ما يذكرون نعمه) وقليلا نعت المصدر محذوف أي تذكرون تذكيرا قليلا وأخر العامل وحذف المنعوت و(ما) صلة لتأكيد القلة أو قليلا ظرف على حذف المنعوت أي زمانا قليلا متعلق بمحذوف خبرا و(ما) مصدرية والمصدر مبتدأ والمراد بالقلة النفي والحقارة المزيحة للفائدة وأصل (تذكرون) تتذكرون أبدلت التاء الثانية ذالا وسكنت الذال وأدغمت ، وقرأ أبوعمرو وهشام وروح (يذكر) بالتحتية وحمزة والكسائي وحفص بالفوقية وحفص بالفوقية وتخفيف الذال ساكنة .

﴿أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ بالنجوم وعلامات الأرض والظلمات ظلمات الليالي وأضافها للبر والبحر للملابسة أو المراد بالظلمات الطرق التي لا منار بها يقال طريقه ظلماء وأطلق الظلمة على الطريق مبالغة .

﴿ومن يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته﴾ الرحمة المطر ويداها

قدامها والنشر الملقحات للسحاب أو المنتشرات قيل : والغالب في سبب وجود الريح معاودة الأدخنة المتصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتمويجها بالهواء وهذا السبب فاعله الله وفاعل السبب فاعل المسبب .

﴿أءله مع الله﴾ يقدر على مثل ذلك .

﴿تعالى الله عما يشركون﴾ من عاجز مخلوق أو عن الاشراك .

﴿أمّن يبدأ الخلق﴾ في الأرحام من نطفة .

﴿ثم يعيده﴾ يبعثه بعد الموت اعلم أن الكفار ولو أنكروا والبعث رأسا لكنهم قد مكنوا من أن يعرفوا البعث ويصدقوا به الحجج الدالة عليه حتى انه لا عذر لهم في الانكار فجعلوا كأنهم مقرون به فقيل لهم من يبدء الخلق ثم يعيده هذه الاعادة التي عرفتم أهو أم غيره .

﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾ بالمطر والنبات .

﴿أءله مع الله﴾ يفعل ذلك والاستفهامات كلها انكارات وأم في ذلك كله للاضراب وابطال كون الأصنام خيرا وهي منقطعة فالمرفوع بعدها مبتدأ محذوف الخبر أي خير إلا الاولى فمتصلة عاطفة وقال القاضي ﴿أمن جعل الأرض قرارا﴾ بدل من أمن خلق السماوات ، قال شيخ الاسلام نظرا الى ما تضمنته الجملتان من دلالتهما على اختصاصه تعالى بهذه الأفعال التي لا يقدر عليها غيره فانها دالة على التوحيد ونفي الضد اهـ .

﴿قل﴾ يا محمد .

﴿هاتوا برهانكم﴾ على أن غير الله سبحانه وتعالى يقدر على شيء من ذلك .

﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن مع الله إلها آخر وسأله المشركون عن قيام

الساعة متى هو فنزل .

﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ والتفرد بعلم الغيب كالازم للقدرة التامة الفائقة العامة المذكورة والاستثناء منقطع قالت عائشة : من زعم انه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية . وعن بعض : أخفي الغيب لئلا يؤمن مكره لأن الله جل وعلا لا يوصف بكونه في السماوات والأرض ككون الخلق فيهن فمن غير شامل له تعالى أي لكن الله يعلمه كما أن الاستثناء منقطع في نحو ما جاء زيد إلا عمرا وما جاء بنوا زيد الا بني عمر ولعدم شمول لفظ زيد لعمرو وعدم شمول بني زيد لبني عمرو وانما ارتفع مع الانقطاع بناء على لغة تميم من جواز الابدال في المنقطع واختيرت لغتهم هنا تلويحا الى معنى قولك : ان كان الله ممن في السماوات والأرض ففيهن من يعلم الغيب ولا يخفى انه ليس في بني آدم والجن والأصنام والملائكة وغيرها من يعلم الغيب فعلم أن الاله ليس شيئا من ذلك فعلمهم الغيب محال كاستحالة كون الله منهم ومن أجاز الجمع بين الحقيقة والمجاز بلفظ واحد أجاز جعل الاستثناء متصلا وأن كون الخليقة في السماوات والأرض على معنى الحلول وهو حقيقة وكون الله فيهن على معنى العلم مجاز فيكون قوله (من في السماوات والأرض) شاملا للخليقة ولله جل وعلا ومن منع الجمع بينهما مع ذلك وهو مذهب جار الله والمنع في الآية أولى حذر للابهام ابهام التسوية بين كون الخلق فيهن والابهامات مزالة عنه وعن صفاته وأجاز القاضي أن يكون متصلا على أن المراد بمن في السماوات والأرض من تعلمه بها واطلع عليها الاطلاع الخاص فيها فانه يعم الله تعالى وأولي العلم من خلقه وهو موصول أو موصوف فاعل بعلم وجعل ابن مالك

الاستثناء متصلا بتقدير متعلق الظرف خاصا أي من يذكر في السماوات والأرض فيكون من مفعولا والغيب بدل اشتمال مه والله فاعلا .

﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ أيان بسيطة وقيل : مركبة من أي وان وقرىء بفتح الهمزة وكسرها والضمير لمن وقيل الكفرة وإيان ظرف زمان اسم استفهام متعلق بيبعثون والجملة مفعول يشعرون معلق عنها .

فائدة . قال جار الله : لو سمي بإيان لكان فعالا من أن بين ولا نصرف .

﴿بل ادارك علمهم في الآخرة﴾ الأصل تدارك أبدلت التاء دالا وسكنت وأدغمت في الدال فجيء بهمزة الوصل فائما وزنه تفاعل لا افاعل وهذه قراءة نافع وابن عامر وحمزة والكسائي أي تتابع علمهم حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك او انتهى بأن يتحقق في الآخرة فلا يكذبون فيها وهو تفسير ابن عباس والزجاج وقريء بل تدارك على الاصل والمعنى واحد وذلك أن القيامة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفتها وهم شاكون جاهلون كما قال الله تعالى :

﴿بل هم في شك منها بل هم منها﴾ أي عنها .

﴿عمون﴾ لا يدركون دليلها أو من للابتداء فان اتصافهم بالعمى جاء لهم من قبل أمر الآخرة وعمون جمع عم بتخفيف الميم كفرح لكن حذفت الياء منه كحذفها من قاض ولما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرن البعث ووقته وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد من كونه وهو البعث للجزاء لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه

واستحكام العلم به أو وصفهم باستحكام العلم تهكما بهم كما تقول للأجهل : ما اعلمك ، حيث شكوا في البعث انه أمر واضح فكيف يعرفون وقته الذي لا طريق الى معرفته واذا رددنا الضمير للكفرة فلا اشكال وان رددناه الى من في السماوات والأرض فالحكم على من فيهن بالتدارك والشك والعمي حكم على المجموع ومحطه الكفرة كما تقول : بنوا فلان يفعلون كذا . وقرأ عاصم (بل ادرك) باسقاط الألف بوزن افتعل اصله اذ ترك ابدلت التاء دالا وادغمت فيها الدال ومعناهما قد مر ، ويقال الدرك بمعنى انتهى وادركت الثمرة بلغت الأوان الذي تقطع فيه وقد فسره الحسن باضمحل وقرأ (بل ادرك) بالنقل وتركه ، بوزن اكرم بمعنى انتهى ايضا وهي رواية عن ابن كثير وابي عمرو بترك النقل وهمزته قطع والهمزات في القرآن السابقة وصل وقريء (بل ادراك) بضم الكاف وتشديد الدال بوزن الافتعال ابدلت التاء دالا وادغمت فيها الدال وهو مبتدأ وهمزته للوصل والخبر قوله (في الآخرة) أي ادراك علمهم في أمر الآخرة او تناهيه في الآخرة بأن يتحقق عند القيامة وقريء (بل ادراك) بهمزة الاستفهام وهمزة ادرك بوزن اكرم بتحقيق وبتسهيل وبادخال الف بينهما وبل ادرك بالاستفهام والتشديد وحذف همزة الوصل من بين همزة الاستفهام والدال بالنقل وتركه في هذه القراءة والتي قبلها بأوجهها والاستفهام انكار لادراك علمهم وقريء (بلى ادرك) بتخفيف وبالتشديد و(بلي تدارك) و(ام ادرك) بالتشديد و(ام تدارك) وام بمعنى بل والهمزة وجه القراءة ببلى انه أثبتَ بها ما نفي بقوله (وما يشعرون) على التهكم مبالغة في النفي وفسر هذا المثبت بقوله (ادارك علمهم في الآخرة) وبل بعد ذلك اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان

شعورهم بها انهم شاكون بل عمون او ردا لشعورهم او المعنى ان شعورهم به وقت الآخرة انهم لا يعلمون وقتها ووجه القراءة ببلى مع الاستفهام ان المعنى بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونه لم يحصل لهم شعور بوقته لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة في شأن الآخرة ومعناها ، والاضرابات الثلاث تنزيل لا حوالهم والأول إضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم وقيل : (في) بمعنى (الباء) أي بتحقق علمهم ويثبت بالآخرة .

﴿وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون﴾ من حال الموت لحال الحياة أو من القبور للجزاء بأعمالنا والاستفهام انكار وهمزة ان تسهل وتحقق وبالتسهيل نقرأ وجملة (أءِنا) لمخرجون مفعول القول وجواب (اذا) محذوف وقرأ غير نافع (أءذا) بهمزتين بتسهيل الثانية وبتحقيقها وقرأ ابن عامر والكسائي (أننا) بهمزة واحدة ونونين وقريء (أءذا) و(أئنا) بهمزتين فيهما لتأكيد الانكار وآباء معطوف على الف كنا للفصل وذلك كالبيان لعلمهم أي ان علمهم هو انكار البعث .

﴿لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل﴾ أي قبل محمد متعلق بوعد أو بمحذوف حال من آباء لما كان المقصود هنا بالذكر هنا هو البعث قدّم اسم الاشارة الدال عليه المشار اليه به ولما كان المقصود بالذكر في (قد أفلح) المبعوث قدم (نحن) .

﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي ما سطر من الكذب جمع اسطورة .

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ بانكار البعث وعاقبتهم هلاكهم بالعذاب وهذا تهديد لكفار مكة على التكذيب

وتخويف بأن ينزل بهم ما نزل بالمكذبين قبلهم والمجرمون الكافرون والتعبير بالاجرام رفق للمؤمنين في ترك الجرائم .

﴿ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون﴾ ما مصدرية أي من مكرهم والضيق حرج الصدر ومن متعلقة لضيق او بتكن والمراد تسلية النبي ﷺ أن لا يحزن على تكذيبهم واعراضهم فانه الله سبحانه ناصره عليهم ولا تأخذك بهم رأفة فإنهم لم يؤمنوا فالنار طبقهم وقرأ ابن كثير بكسر الضاد (ضيق) وهو مصدر كالمفتوح ويجوز ان يكون المفتوح وصفا مخففا من ضيق بالفتح وتشديد الياء كما يخفف هين ولين وميت وسيد أي في امر ضيق وتناسبه قراءة بعض بالتشديد وعن بعضهم أن الآية نزلت في المستهزئين .

﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ فيه يعنون الوعد بالعذاب أو الوعد بمعنى الموعود به وهو العذاب وعلى الأول فالتقدير متى أثّر هذا الوعد وذلك استعجال منه .

﴿قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون﴾ اسم عسى ضمير الشأن وبعض اسم يكون وفي ردف ضمير البعض والجملة خبر الكون ويكون في تأويل المصدر خبر عسى ولا يقال كيف يكون المصدر خبر لضمير الشأن وانما يفسر ضمير الشأن بجملة لأنا نقول ليس مصدرا صريحا بل مأولا فلفظ الجملة كاف اعني جملة يكون واسمها وخبرها ولا يقال كيف يقدم خبر الكون الفعلي على اسمه لأنا نقول انما يمنع تقديم الخبر الفعلي الموقع في ليس ولا يخفى ان قوله بعض اسم ليكون تقدم او تأخر نعم يجوز ان يكون اسم يكون ضمير الشأن وهو الذي في عسى ايضا فيكون بعض فاعلا لردف والجملة خبر الكون ويجوز ان يكون

بعض اسم عسى وفي يكون وردف ضميره وردف بمعنى قرب واتصل بكم والذي يستعجلون هو العذاب ولام لكم صلة في المفعول للتأكيد أو أصل على أن ردف بمعنى دنا ونحوه مما يتعدى باللام وقرأ الأعمش بفتح الدال والكسر أفصح وقد ردفهم ذلك العذاب يوم بدر والكلام هنا على التحقيق لكن من عادة الملوك التعبير حيث التحقيق بنحو عسى ولعل اظهارا لوقارهم ولأنهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم ووثوقهم بأن عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة كافية من جهنم وعليه جرى وعد الله ووعيده .

﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ جميعا بتأخير عقوبتهم على المعاصي وقيل المراد ناس مكة أو المراد بالفضل الانعام وتأخير النقمة والفضل بمعنى التفضل .

﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ لا يشكرون تأخير العذاب ولا الأنعام فهم يستعجلون العذاب .

﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ أي ما تخفيه صدورهم وقريء تكن بفتح التاء أي ما تستر كذا قيل والحق ان الاخفاء والستر واحد وان كن واكن بمعنى .

﴿وما يعلنون﴾ يظهرون من عداوة رسول الله ﷺ فيجازيهم ومن كتب وان ربك ليعلم الى قوله مسلمون بماء مطر وماء ورد وزعفران في حوصلة طائر يسمى فجاع وجعله في صدر نائم او نائمة أخبره بما عمل .

﴿وما من غائبة﴾ من صلة للتأكيد وغائبة صفة لمذكر محذوف فتاؤه للمبالغة اي ما من شيء غائبة او لمؤنث محذوف فالتاء للتأنيث أي ما من

فعله أو جملة غائبة او اسم لما غاب فالتاء للتأنيث أي ما من فعلة او جملة غائبة او اسم لما غاب فالتاء تاء النقل من الوصفية كالعاقبة والعافية والنصيحة والأولى أولى أي ما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء عن الخليقة .

﴿في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ مثبت في اللوح المحفوظ وهو المبين الظاهر لمن ينظر فيه من الملائكة .

﴿إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل﴾ عليه السلام .

﴿أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ من أمر الدين في زمان رسول الله ﷺ نزل ببيان ما اختلفوا فيه ولو اخذوا به لسلموا وذلك ان اليهود والنصارى اختلفوا أحزابا فهم يتلاعنون فقائل بالتشبيه وقائل بالتنزيه وقائل في أحوال الجنة كذا وقائل كذا وكذا في عزير والمسيح .

﴿وانه لهدى﴾ من الضلالة .

﴿ورحمة للمؤمنين﴾ من العذاب والمراد المؤمنون مطلقا فإنهم المنتفعون به دون غيرهم وقيل المؤمنون من بني اسرائيل .

﴿ان ربك يقضي﴾ يحكم .

﴿بينهم بحكمه﴾ اي بني اسرائيل .

﴿وهو العزيز﴾ الذي لا يرد قضاءه .

﴿العليم﴾ بكل شيء وقيل يقضي بينهم معناه يقضي بين من آمن بالقرآن منهم ومن كفر وان قلت كيف فسرت يقضي ليحكم وقد قال بعد ذلك بحكمه ؟ قلت : هو كقولك أكرمني السلطان بإكرامه أي بالاكرام العظيم الذي يصدر منه عادة فالمراد الحكم العدل او المراد بالحكم المحكوم به او حكمته كما قريء بحكمه بكسر الحاء وفتح الكاف

جمع حكمة وعن بعضهم : العليم بمن يقضي له ومن يقضي عليه والعزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين .

﴿فتوكل على الله﴾ ثق به ولا تبال بأعداء الدين .

﴿إنك﴾ تعليل جملي اي لانك .

﴿على الحق المبين﴾ الواضح وصاحب الحق حقيق بالنصر وبالوثوق بالنصر .

﴿إنك لا تسمع﴾ ماضيه اسمع .

﴿الموتى﴾ المفعول الثاني محذوف اي الموعظة او الحق والكلام او نحو ذلك والمراد موتى القلوب وهم الكفار شبههم بالموتى فان سماعهم لا ينفع فهو لا كسماع والجملة تعليل آخر لا امر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعهم من ايمانهم ومعاضدتهم رأسا كما آيس من الموتى فلم يبق الا التشبث بالتوكل الذي هو مجمع النصر .

﴿ولا تسمع الصم﴾ جمع صم كالحمر جمع احمر وهو من لا يسمع شبه الكفار بالصم لأن سماعهم كلا سماع .

﴿الدعاء﴾ النداء .

﴿اذا﴾ بتحقيق الهمزتين وبتسهيل الثانية .

﴿ولوا مدبرين﴾ أي ولىَّ الصم مدبرين شبه الكفار في عدم الانتفاع بسماعهم بالصم الذين ولو داعيهم ظهورهم ومضوا متباعدين عنهم فانه أشد لعدم سمعهم وقرأ ابن كثير (ولا يسمع) بياء مفتوحة وميم مفتوحة ورفع الصم وكذا في الروم وبذلك قرأ الحسن .

﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ وقرأ حمزة وابن مسعود (وما انت تهدي العمي) بتاء مفتوحة وهاء سائكنة ونصب العمي وهو جمع

أعمى شبههم بالعمي فانهم ولو كانوا يبصرون لكن لم ينفعهم بصرهم فهم كمن لا يبصر ويجوز كون العمى عمى القلب استعارة من عمى البصر لعدم نور القلب وعدى الهداية بعن لتضمنها معنى الابعاد واذا فسرنا العمى بعمي القلب فالضلالة الكفر والمعاصي واذا فسرناه بعمي البصر وقلنا العمي من لا بصر لهم استعير لمن ليس في قلبه نور فالضلالة الكفر والمعاصي مراعاة لجانب الشبه به والضلالة عن الطريق الحسي مراعاة لجانب المشبه مشارا بها الى الكفر والمعاصي .

﴿إن﴾ أي ما .

﴿تسمع﴾ سماع قبول .

﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ من سبق في علمنا أن يؤمن بالقرآن

﴿فهم مسلمون﴾ مخلصون بتوحيد الله واذا وقع القول عليهم اي دنا وقوعه واستعمال الفعل في المشارفة مجاز والمراد بالقول المقول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب والغضب وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يرجى صلاح ولم يبق منيب ولا تائب .

﴿واذا وقع أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾ ذكر ابن عمر انها تخرج من الصفي تكلمهم بالعربية تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقوله :

﴿أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ أما من كلام الله سبحانه وتعالى مستأنف واما من جملة كلام الدابة فيكون مفعولا لتكلم لانه بمعنى تقول ويدل لهذا قراءة بعضهم وهم الكوفيون بفتح همزة (أن) اي بأن الناس وآياتنا القرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب والثواب ولا اشكال في نسبة الدابة الآيات الى نفسها فان آيات الله تنسب الى كل من آمن به-والناس على العموم وقيل كفار مكة وقيل تكلمهم تجرحهم شدد

للمبالغة ، كما تكلمهم بفتح التاء واسكان الكاف من الكلم وهو الجرح كذا ظهر لي والحمد لله .
ثم رأيت جار الله ذكر انه يجوز أن يكون تكلمهم من الكلم على معنى التكثير وانه يجوز الاستدلال عليه بقراءة التخفيف وانه يجوز ان يستدل على انه من الكلام بقراءة أبي (تنبئهم) اي تخبرهم بقراءة ابن مسعود تكلمهم بأن الناس وان القراءة بكسر الهمزة حكاية لقول الدابة إما لأن الكلام بمعنى القول او بإضمار القول اي تقول الدابة ذلك او هو حكاية لقول الله عز وجل عند ذلك وان الدابة اضافة الآيات الى نفسها حكاية لقول الله او على حذف مضاف اي بآيات ربنا او اضافتها لنفسها لاختصاصها بالله كما يقول بعض خاصة الملك : خيلنا وبلادنا . وانما هي خيل الملك وبلاده روي عن ابن عباس ان تلك الدابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم تخرج من بعض اودية تهامة وعن ابن عمر تخرج من مكة فيفزع الناس الى الصلاة فتأتي الرجل وهو يصلي فتقول له طوّل ما أنت مطوّل فوالله لاخصمنك ويومئذ يعرف المؤمن من المنافق ولو شئت لوضعت قدمي على الموضع الذي تخرج منه وعن الحسن سأل موسى عليه السلام ربه ان يريه الدابة فخرجت في ثلاثة ايام ولياليها ولا يرى طرفها فرأى منظرا كريها فقال رب ذرها فرجعت . وعن ابي الطفيل نحن جلوس عند حذيفة فذكر الدابة فقال حذيفة تخرج ثلاث خرجات تخرج مرة في بطن الوادي ثم تمكث ثم تخرج حتى تذكر في القرى بينما الناس في المسجد الحرام اذ ارتفعت الأرض وخرجت وقد بقيت عصابة من المؤمنين يقولون لن ينجينا من أمر الله شيء وتمسح وجه المؤمن وتحطم وجه الكافر لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب ، قالوا وما الناس

يومئذ يا حذيفة ؟ قال : شركاء في الأموال أصحاب في الأسفار . وعن عبدالله بن عمر قال يبيت الناس يسيرون الى جمع وتبيت الدابة تسري اليهم فيصبحون قد جعلتهم بين رأسها وذنبها فما تمر بمؤمن الا مسحته ولا بكافر إلا حطمته وان التوبة اليوم لمفتوحة ولا تقوم الساعة حتى يجتمع اهل بيت على إناء واحد يعرف مؤمنهم من كافرهم وعنه تخرج دابة الأرض فتمسح كل انسان على مسجده فالمؤمن تكون نكتة بيضاء في وجهه حتى يبيض وجهه لها والكافر تكون في وجهه نكتة سوداء فيسود وجهه ويتبايعون في أسواقهم كيف تبيع هذا يا مؤمن كيف تأخذ هذا يا كافر وروي انها تسم المؤمن في جبهته والكافر في أنفه وعن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ : «تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم وجه الكافر بالخاتم» ، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص عنه ﷺ : «أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا» ، وعنه ﷺ «يكون للدابة ثلاث خرجات تخرج في أقصى اليمن فيكثر ذكرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيكثر ذكرها في البادية والقرية بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله يعني المسجد الحرام ولم يرعهم إلا هي في ناحية المسجد فتدنو ويدنون قيل تخرج بين الركن الأسود وبين باب بني مخزوم عن يمين الخار في وسط من ذلك فيفر الناس عنها وتثبت لها عصابة عرفوا انهم لا يعجزون الله فتخرج عليهم تنفض من التراب فتمر بهم فتجلي وجوههم فتتركها كالكوكب الدري ثم تولي في الأرض لا يدركها طالب ولا

يعجزها هارب حتى أن الرجل ليقوم فيعود منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه وذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال حذيفة رضي الله عنه من اين تخرج ؟ قال : (من أعظم المساجد حرمة عند الله) فبينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اضطربت الأرض تحركت والقناديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يخرج رأسها ذات وبر وريش لن يدركها الطالب ولن يفوتها الهارب تسنم المؤمن وتترك وجهه ككوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن فلا يشقى وتنكت بين عيني الكافر نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر فلا يسعد وقرع ابن عباس رضي الله عنهما الصفا بعصاه وهو محرم فقال : ان الدابة لتسمع قرع عصائي هذا . وعن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ (بئس الشعب شعب اجياد) مرتين او ثلاثا قيل ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال (تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين) وعن ابن الزبير : رأسها رأس ثور وعينيها عين الخنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وقيل خاصرة فهد وذيلها ذيل كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا ، وعن ابن عمر يمس رأسها السحاب وعن علي : ليست بدابة ليس لها ذنب ولكن لها لحية . وقال وهب : وجهها وجه رجل وسائرها كخلق الطائر فتخبر من رآها ان اهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يؤمنون . وفي الحديث (طولها سبعون ذراعا) وعن ابن جريج : عنقها عنق نعامة وخفها خف بعير وبين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وعن ابي هريرة : فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ

للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن بعضهم ان معنى قولها (ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) انهم لا يوقنون بخروجي وتقول ألا لعنة الله على الظالمين . وعن السدي : تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الاسلام ، وعن ابن عباس : تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفده ثم المشرق كذلك ثم الشام ثم اليمن . وقيل : طولها ستون ذراعا وتسمى الجساسة بالحاء المهملة وبالجيم وقيل : يرى رأسها من المغرب والمشرق فتزلزل الأرض في ذلك اليوم ثلاث ساعات وقيل تخرج من بحر سدوم وفي رواية عن ابن عمر انه ضرب رجله على الأرض بالطائف وقال : من ها هنا تخرج . وقيل : من بين الصفا والمروة وعن ابن عباس : الدابة هي الثعبان الذي كان في البيت بين ابي قبيس وبين البيت فارسل الله عقابا فاختطفه فطرحه بأصل حراء حيث خسف بالعمالقة له جناحان واسمها اقصى واذا خرج رأسها وحده بلغ السحاب ولا تقبل توبة بعد خروجها وعن بعضهم انها انسان ففيه يناظر أهل البدع والكفر ويغلبهم فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، قال القرطبي : وهو باطل ، وقيل : هي فصيل ناقة صالح عليه السلام . قال القرطبي : ويدل له وصفها بالرغاء في بعض الاحاديث ، ولقد احسن من قال واذكر خروج فصيل ناقة صالح يسم الورى بالكفر والايمان .

وذكر القرطي تتكلم الدابة لتكون آية فان الدواب في العادة لا تتكلم وانه ﷺ ذهب ببريدة الى موضع بالبادية قريب من مكة فاذا ارض يابسة حولها رمل فقال ﷺ له (تخرج الدابة من هذا الموضع) وانه ﷺ

قال بين الناس في المسجد الحرام (لم يرعهم الا الدابة ترغو بين الركن والمقام ترفض التراب عن رأسها وتصطلح أهل الأمصار يومئذ) وانه قيل : تنفخ في وجه المؤمن فينتقش فيه مؤمن وفي وجه الكافر فينتقش فيه كافر ويحتمل ان يكون هذا النفخ زيادة على السمة وان يكون هو السمة عند القائل وعن ابن عمر تخرج الدابة من صدع في الكعبة وفي حديث عن ابي هريرة : (تخرج من أجياد فيبلغ صدرها الركن ولم يخرج ذنبها بعد) وعن ابن العاصي تخرج من مكة من شجرة في ايام الحج يبلغ رأسها السحاب وما خرجت رجلاها من التراب وقال القرطبي : تخرج من صدع من الصفا قال وروي انها تخرج من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح عليه السلام وقيل من الطائف وعن ابن عمر انها على خلقة الآدميين وعن ابن عباس انها الثعبان المشرف على جدار الكعبة الذي اقتلعه العقاب حين ارادت قريش بناء الكعبة والله اعلم .

﴿و﴾ اذكر .

﴿يوم نحشر من كل أمة فوجا﴾ جماعة .

﴿ممن يكذّب بآياتنا﴾ وهم رؤساؤهم المتبوعون وعن بعضهم الفوج الجماعة الكبيرة قال ابن عباس : هم ابوجهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة . من الاولى للتبغيض والثانية للتبيين والامة تشمل المصدقين والمكذبين .

﴿فهم يوزعون﴾ يحبسون أولهم على آخرهم ليتلاحقوا فيساقون وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم .

﴿حتى إذا جاءوا﴾ مكان الحساب .

﴿قال﴾ تعالى .

﴿أكذبتم﴾ أنبيائي .

﴿بآياتي ولم تحيطوا بها علما﴾ الواو للحال أي أكذبتم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وبأنها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب او للعطف أي اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لم تحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقرأه ويتفهم مضامنه ويحيط بمعانيه .

﴿أماذا كنتم تعملون﴾ مما أمرتم به أدغمت ميم أم في ميم الاستفهامية وهي مبتدأ خبرها ذا الموصولة بجملة تعملون او ماذا مفعول لتعملون مركب ذلك الاستفهام للتبكيت اذ لا يقدرون ان يقولوا عملنا غير التكذيب .

﴿ووقع القول﴾ الموعود به من العذاب .

﴿عليهم بما ظلموا﴾ بظلمهم وهو الشرك أو هو وغيره .

﴿فهم لا ينطقون﴾ اذ لا حجة لهم ولا عذر ينطقون بهما أو لشغلهم بالعذاب وقيل لأن أفواههم تختم وانما يخفف الله سبحانه وتعالى هول يوم القيامة على تحمل الهمَّ في الدنيا خوفا من مقام ربه .

﴿ألم يروا أنا جعلناه﴾ أي خلقنا .

﴿الليل ليسكنوا فيه﴾ كغيرهم .

﴿والنهار مبصرا﴾ أي مضيا لهم حتى صيرهم بصيرين أو يبصر فيه وذلك ليتصرفوا فيه ويجوز ان يكون اسند الأبصار الى النهار مبالغة كأنه بنفسه بصير من أبصر اللازم ومن قدر على تعقيب الظلمة بالضوء والضوء بالظلمة قادر على البعث ومن خلق الليل والنهار لمنافع الخلق لا

يخفى ان ما أمرهم به أو نهاهم عنه ما هو الا لمنافع لهم في معاشهم ومعادهم وأغنى عن ذكر علة جعل النهار ذكر مبصرا وكأنه قيل والنهار ليتصرفوا فيه لوجود الضوء وبسطت ذلك في غير هذه الآية .

﴿إن في ذلك لآيات﴾ دلالات على قدرة الله سبحانه الكاملة وقيل التوحيد والبعث والارسال .

﴿لقوم يؤمنون﴾ وغيرهم ولكن خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها دون غيرهم .

﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ يوم معطوف على يوم أو مستأنف مفعول لمحذوف وفي الصور نابت ينفخ والصور القرن والنافخ اسرافيل والمراد النفخة الاولى نفخة الصعق والثانية نفخة البعث وقال ابو هريرة : النفخات ثلاث نفخة الفزع وهي المراد في الآية ونفخة الصعق ونفخة البعث . ويجوز ان يراد بالنفخ في الصور التمثيل لانبعاثهم بانبعاث الجيش اذا نفخ لهم في البوق واستدل من قال بالنفختين فقط بقوله ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ والأخرى انما يقال في الثانية وقال عياض الأصح القول بالثلاث والاخرى يقال في الثالثة ايضا كما قال ومنات الثالثة الاخرى ويأتي كلام في هذه الآية ان شاء الله وقد يقال لا دليل في قوله (ثم نفخ فيه اخرى) الخ .

ولو قيل ان الاخرى لا يقال في الثالثة لجواز ان يكون عبّر بالاخرى في الثالثة باعتبار انها ثانية والثانية اول لها .

﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض﴾ أي ماتوا كذا قال بعض وقيل الفزع شدة الخوف .

﴿إلا من شاء الله﴾ هم الشهداء متقلدي سيوفهم حول العرش احياء

عند ربهم يرزقون لا يصلهم الفزع قاله ابوهريرة حديثا وابن عباس وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل يبقون بعد النفخة .

ويقول الله لعزرائيل خذ نفس اسرافيل فيأخذه فيقول الله سبحانه : من بقى ؟ فيقول : أنت الباقي الدائم بقى جبرائيل وميكائيل وعزرائيل ، فيقول : خذ نفس ميكائيل فيأخذها فيقع كالطود العظيم فيقول : من بقى ؟ فيقول : سبحان ربي بقى جبرائيل وعزرائيل ، فيقول : مت يا ملك الموت فيموت ، فيقول : يا جبرائيل من بقى ؟ فيقول : وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الفاني ، يا جبريل لا بد من الموت . فيقع ساجدا يخفق بجناحيه وجسمه اضعاف ميكائيل ، وقيل : يموت آخر الخلق عزرائيل يخر بين الجنة والنار ميتا . ويروى انه يؤمر بالسير بينهما فيسير فيموت ويروى انه يقول لو علمت شدة الموت لخففت عن المؤمنين ويروى انه يبقى مع الأربعة حملة العرش فتقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم حملة العرش ثم عزرائيل فاذا لم يبق الا الله طوى السماء كطي السجل ويقول أنا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجاب فيقول : ﴿لله الواحد القهار﴾ . وعنه ﷺ : (ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات والأرض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه اخرى فأكون أول من رفع رأسه فاذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري أكان ممن استثناه الله أم رفع رأسه قبلي ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب) وقيل : الذي استثنى الله هم رضوان والحور ومالك خازن النار وعن الضحاك الحور والخزنة والحملة وقيل موسى لانه صعق مرة وفي مختصر القناطر انه قرأ (الصور) بفتح الواو جمع صورة وينفخ فيها فتحيى بإذن الله وهو قول الحسن وقتادة وان الاكثر انه قرن يعني

فيقرء بضم فاسكان ويدل لهذا قوله فيه (لا فيها) الا ان تكون الصور في القرن فيكون النفخ فيه نفخا فيها وان مجاهدا قال قرن كقرن الثور وانه قيل رواية عن النبي ﷺ وانه قال (والذي بعثني بالحق لعظم دوره كعرض السماءوالأرض ينفخ فيها ثلاث نفخات ونفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث) وفي رواية نفختان . وانه قيل : من شاء هم الأنبياء . وان مقاتلا قال : هم الملائكة وانه لما قال ﷺ (ان أهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها امتي ويدخل الجنة منها سبعون الفا بغير حساب) قام عكاشة فقال : ادع ان يجعلني منهم ، فقال (انت منهم) أو قال (اللهم اجعله منهم) ، وقال آخر مثل ذلك فقال (سبقك بها عكاشة) وان زلزلة الساعة قبل اشراطها وقيل الرجفة عند البعث وقال أبيّ : النفخة الأولى ينادي مناد من السماء الدنيا : يا ايها الناس أتى أمر الله ، فيسمعه جميع اهل الأرض فيفزعون فزعا شديدا وانه ﷺ قال (من أراد ان ينظر الى القيامة رأي العين فليقرأ (اذا الشمس كورت) وان الآية في النفخة الأولى وان المستثنين من الفزع هم من ذكره) وان ابن عباس قال : هم الشهداء وان الثانية هي المشار اليه بقوله ﴿ونفخ في الصور فصعق﴾ اي مات ﴿من في السماوات والأرض إلا من شاء الله﴾ قال كعب : جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ثم يموتون . وقيل : الشهداء ، وقيل : رضوان ومالك والزبانية والحور والولدان ، ثم يقول للملائكة المستثنين : موتوا فيموتوا . وانه قال الحسن : نفختان الأولى أماتة كل حي والثانية أحيتهم . وعن الربيع بن انس : قسم الله الماء الذي كان عليه عرشه قبل ان يخلق الخلق نصفا تحت العرش وهو البحر المسجور ولا تنقص منه قطرة حتى ينفخ في الصور النفخة الأولى فينزل

منه ماء كالنقطة فتنبت به الاجسام وتصفا تحت الأرض السفلى .

﴿وكل آتوه داخرين﴾ ذليلين وآتوه اسم فاعل وقرأ حفص وحمزة (أتوه) بصيغة الماضي فلا الف بعد الهمزة والتاء مفتوحة وسكون الواو حي واسم الفاعل في القراءة الاولى مستعمل في الاستقبال وفي الماضي لتحقق الوقوع كأنه قد وقع احياء الخلق بعد موتهم كلهم ووقع الاتيان والماضي في الثانية كذلك مستعمل في المستقبل بمعنى المضارع أو في المضي تجوزاً في تنزيل غير الواقع منزلة الواقع وقريء (آتاه) على الافراد مراعاة للفظ كل ولا يخفى ان الاتيان المجيىء بالبعث ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم اليه وقريء (دخرين) باسقاط الالف وعن عكرمة : النفخة الاولى من الدنيا والاخرى من الآخرة وعن ابن عمر انه ينفخ ملكان في السماء الثانية رأس احدهما بالمشرق ورجلاه بالمغرب ورأس احدهما في بالمغرب ورجلاه بالمشرق وقيل ينادي اسرافيل من صخرة بيت المقدس .

﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ تبصرها وقت النفخ تظنها واقفة مكانها لعظمها .

﴿وهي تمر مر السحاب﴾ تسير سيرا مثل سير المطر اذا ضربته الريح حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبسوسة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا فتصير الأرض كلها مستوية ويقال جمد الشيء أي سكن وروي ان الجبال تجتمع فتسير فاذا نظر اليها ناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الاجرام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تتبين حركتها .

﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ صنع مفعول مطلق مؤكد لمضمون

الجملة قبله وعامله محذوف وجوبا وأضيف الفاعل ذلك العامل والأصل صنع الله ذلك صنعا والمضمون الجملة في يوم ينفخ في الصور تقدر هكذا أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين يوم ينفخ في الصور وكان كذا وكذا فمعنى صنع الله أثابه والعقاب والاتقان أحكام الشيء فان مقابلة الحسنة بالحسنة والسيئة بالسيئة من جملة اتقان الأشياء واحكامها فانه عليم بأفعال العباد ومجازيهم عليها كما لخص ذلك بقوله :

﴿إنه خبير بما تفعلون ، من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ الخ ، وقرأ (يفعلون) بالتحتية ابن كثير وابو عمرو وهشام قيل : لا اله الا الله وقيل : الاخلاص في العمل وقيل : الحسنة كل طاعة قال الشيخ هود : الحسنة أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله وانما جاء به حق من الله وعمل صالحا وعمل جميع الفرائض ، والأول قول ابن عباس ومراده من جاء بها غير منقوصة بانكار نبي أو موت على كبيرة وهو نفس كلام الشيخ هود . وعن علي ابن الحسين كنت في بعض خلواتي فرفعت صوتي بلا اله إلا الله فسمعت قائلا يقول : انها الكلمة التي قال الله فيها من جاء بالحسنة وخير منها هو الجنة وخير اسم تفضيل ومن تفضيلية ومعنى كونها خيرا من إلا الله مع انه لا شيء أفضل منه انها نعم لا تحصى ولا تنقضي وقولك لا اله إلا الله النطق به واعتقاده والعمل بمقتضاه غير صعب بالنسبة اليها عند التوفيق وقيل : الذي هو خير منها رضوان الله وهو أفضل من كل شيء قيل : جزاء الأعمال الجنة وجزاء الايمان رضوان الله وقيل : معنى قوله (خير منها) انه يضاعف لها الثواب لأن الحسنة بعشر فاكثروا معنى كونها خيرا منها ان الجنة تدوم والعمل لا يدوم واما عمل الله وهو الاثابة بالجنة خير من عمل العبد وقيل الخير ما يرغب فيه

وليس اسم تفضيل فمن سببية متعلقة له او ما تعلق به له وانما علقته بله لنيابته عما يجوز التعليق به ويجوز كونها ابتدائية اي يحصل له الخير من جهتها وهو قول عن ابن عباس ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ باضافة فزع ليوم وخفض اليوم بالاضافة وفتح اليوم فتح بناء لاضافته لمبني وبتنوين فزع ونصب اليوم على الظرفية او فتحة للبناء فيعلق بآمنون قال ابو عمرو الداني : قرأ الكوفيون فزع بالتنوين والباقون بغير تنوين والكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها . والمراد بالفزع الذي يأمنون منه الفزع الذي يصيب الشقاة من العذاب فلا ينافي ﴿ففزع من في السماوات ومن في الأرض﴾ فان الفزع الذي يصيب الانسان عند مشاهدة الأهوال فلا ينفك عنه احد والا من يتعدى بنفسه وبالجار وان قلت ما هذا الفزع الواحد في قراءة التنوين ؟ قلت : فزع خاص بمن هو شقي وهو فزع مفرط لا يوصف وقيل : خوف النار لعلمهم لانهم سعداء وربما أصابهم خوف لنسيان ذلك .

﴿ومن جاء بالسيئة﴾ الشرك او النفاق .

﴿فكبت وجوههم في النار﴾ أي كبوا فعبر بالبعض وهو الوجوه عن الكل خصت الوجوه بذلك لأنها أعز الأعضاء الظاهرة وموضع الشرف أو المراد حقيقة الوجوه فيكون خصها بالذكر لأنها اذا كبت فغيرها أولى ولأنهم يكبون عليها منكوسين قال الشيخ هود قال الحسن قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة على رجل يشهد ان لا اله الا الله ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر» وعن عبدالله بن عمر : تنفخ النفخة الأولى وما يعبد الله يومئذ في الأرض ، وقال جابر بن عبدالله قال رسول الله ﷺ : «من مات لا يشرك بالله شيئا وعمل بفرائض الله دخل الجنة ومن مات يشرك

بالله دخل النار» ، وانما قرن الجواز بالفاء لمجيئه على طريقة الدعاء .

﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ لا تجزون إلا جزاء عملكم أو الا جزاء ما تعملونه من الشرك والمعاصي وفي الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب والكلام على اضمار القول أي تقول لهم الخزنة عند الكب هل تجزون الخ .

﴿قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة﴾ مكة وخصها بالذكر وأشار اليها بلفظ القريب لأنها أحب البلاد اليه سبحانه وهي مهبط وحيه وموطن نبيه أمره أن يقول لهم بعد ما بين لهم أمر المبدأ والمعاد وشرح لهم أحوال القيامة اني أمرت أن اخص بعبادتي خالق هذه البلدة الشريفة كغيرها ولا أشرك به شيئا كما فعلتم يا قريش وفي ذلك تلويح بأنه قد تم الدعوة وما عليه إلا الاشتغال بشأنه والاستغراق في عبادة ربه .

﴿الذي﴾ نعت رب وقريء (التي) فهو نعت البلد .

﴿حرمها﴾ وعلى القراة الثانية تكون الصلة جارية على غير ما هي له ومعنى تحريمها تعظيمها لا يسفك فيها دم انسان ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يقطع أو يقلع نباتها وذلك موجود انعاما على قريش وترى القتل والظلم وغيرها مما شاع في البلاد وكذلك قال النبي ﷺ حين خرج مهاجرا وبلغ العرورة واستقبلها بوجهه الكريم : «اني اعلم انك احب البلاد الى الله سبحانه ولولا أن اهلك اخرجوني ما خرجت» . وانما ذكر الله سبحانه انه هو الذي حرمها لأن العرب معترفون بأن الذي حرمها لا الأصنام .

﴿وله كل شيء﴾ خلقا وملكا .

﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ لله بتوحيده وعبادته الدائمين على

ذلك .

﴿وأن أتلو القرآن﴾ أي أقرأه فهو من التلاوة او اليه بالقراءة والعمل به لا أرغب عنه فهو من التلو كقوله ﴿واتبع ما يوحى اليك﴾ وعلى كل حال فالقصد ادامة تذكيرهم به حتى ينكشف شيئا فشيئا وقرأ ابيّ وابن مسعود ﴿وان اتل﴾ بالتفسيرية والأمر وقريء ﴿واتل القرآن﴾ وقريء ﴿واتل عليهم هذا القرآن﴾ .

﴿فمن اهتدى﴾ للقرآن .

﴿فانما يهتدي لنفسه﴾ أي منفعة اهتدائه راجعة اليه لا اليّ .

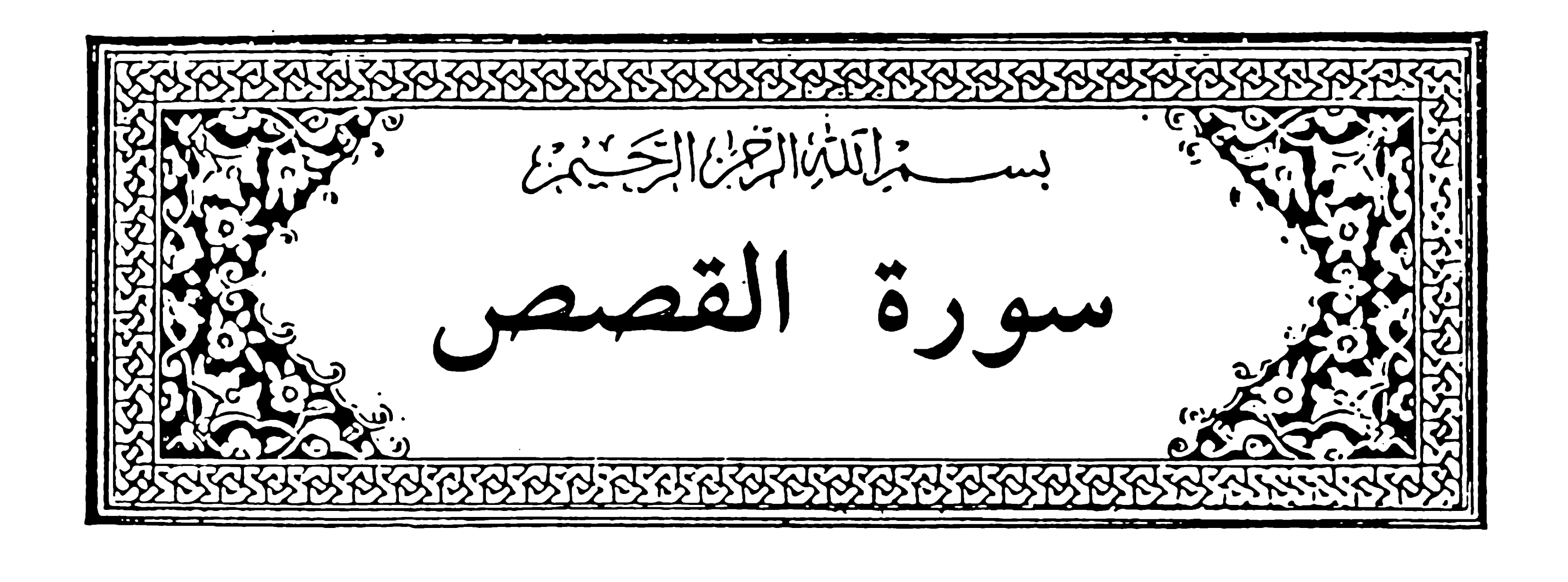
﴿ومن ضل﴾ عنه .

﴿فقل إنما أنا من المنذرين﴾ المخوفين وما عليّ إلا التبليغ قيل الآية منسوخة بآية السيف والظاهر انه لا نسخ في مثل هذا لأن الاهتداء والضلال راجعان اليهم على كل حال بعد الأمر بالقتال وقبله والجملة جواب من والرابط محذوف اي من المنذرين له أو لكم او للناس والعموم يكفي رابطا والجواب محذوف أي فوبال ضلاله عليه .

﴿وقل الحمد لله﴾ على الرسالة التي لا يقاربها شيء وعلى سائر النعم الدنيوية والأخروية قالوا من أراد أن يعرف الدراهم الزيفة ومثلها من المغشوشات فليقرأ ﴿قل الحمد لله﴾ الى آخر السورة .

﴿سيريكم آياته فتعرفونها﴾ أراه يوم بدر القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجلهم الى النار وذلك حيث لا ينفعهم الندم وزعم بعضهم ان الآيات هنا آيات السماء والأرض وآيات في أنفسكم وقيل آية في الآخرة وقال الكبي : الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من النقمات يوم بدر .

﴿**وما ربك بغافل عما تعملون**﴾ وانما يمهلكم لوقت وهذا وعيد لهم أيضا وقريء بالتحتية اللهم ببركة سيدنا محمد ﷺ وبركة السورة أخز النصارى وأهنهم واكسر شوكتهم وغلِّب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة القصص

مكية كلها قاله الشيخ هود رحمه الله وقال السيوطي الا ﴿**ان الذي فرض عليك القرآن**﴾ الآية فنزلت بالجحفة في سفر الهجرة و﴿**الا الذين آتيناهم الكتاب**﴾ الى الجاهلين فان الطبراني اخرج عن ابن عباس انها نزلت هي وأواخر الحديد في اصحاب النجاشي الذين قدموا وشهدوا وقعة أحد وآيها ثمان وثمانون وكلمها أربعمائة واحدى وأربعون وحروفها خمسة آلاف وثمانمائة ، وعنه ﷺ : «من قرأ طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك في السماوات والأرض إلا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا ان كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون» ، وعن علي بن أبي طالب عنه ﷺ : «من خرج في سفره ومعه عصا من لوز مر وتلا ﴿**ولما توجه تلقاء**﴾ الي ﴿**والله على ما نقول وكيل**﴾ أمنه الله من كل سبع ضار ولص عاد وسم حتى يرجع الى منزله وكان معه سبعة وسبعون من الملائكة يستغفرون له حتى يرجع ويضعها ولا يجاوره شيطان» ، وقال عليه الصلاة والسلام : «من كتب السورة وعلقها على مبطون وصاحب الطحال ووجع الكبد والخوف زال عنه بإذن الله تعالى» (ومن كتب ﴿**ولما ورد ماء مدين**﴾ الى الظالمين أو قرأها لخوف جائر أو ظالم كفي شره بإذن الله تعالى) (ومن صام ثلاثة ايام اولها يوم الخميس من أول الشهر وكتب ﴿**ولقد وصلنا لهم**﴾ إلى الجاهلين في جام زجاج ومحاه بماء نهر جار وشرب منه كل ليلة قبل طلوع الفجر حفظ العلم والمعاني الخفية واظهار الحكم وثبوت الحق واليقين في

قلبه) ومن قرأ ﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ الى ترجعون سبع مرات وقرأ ﴿والله غالب على أمره﴾ ثلاثا بين يدي سلطان أو حاكم أمنه الله من أن يشهد عليه أحد بزور أو يحكم عليه الحاكم أو السلطان يجور .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين﴾ قيل الاشارة إلى آيات السورة والكتاب قيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ووصفه بالمبين لوضوحه أو لأنه يبين الحلال والحرام والحدود والأحكام .

﴿نتلو عليك من نبأ موسى﴾ خبره والمراد بقوله نتلوا نقرأ وبقراءة جبريل عليه السلام او استعمل التلاوة بمعنى الانزال مجازا .

﴿وفرعون﴾ مفعول نتلوا محذوف منعوت بالجار والمجرور أي بعضا من نبأ موسى وفرعون وقيل من تبعيضية وانها ومجرورها مفعول وقيل من التبعيضية اسم مضاف مفعول به ومن أجاز زيادة من في الاثبات ومع المعرفة أجاز كون نبأ مفعولا به ومن صلة .

﴿بالحق﴾ أي بالصدق .

﴿لقوم يؤمنون﴾ أي لأجل قوم يؤمنون بالقرآن .

﴿إن فرعون علا﴾ أي طغى .

﴿في الأرض﴾ أرض مصر والجملة جواب لسؤال محذوف كأنه قيل كيف كان نبأهما .

﴿وجعل أهلها شيعا﴾ فرقا في خدمته فرقة في بناء وفرقة في حرث وفرقة في حفر وهكذا ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو جعلهم

يشيعونه فيما يريد أي يتبعونه أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو أغرى بينهم بالعدواة فكانوا فرقا متباغضين فلا يتفقون عليه والمراد بأهلها بنوا اسرائيل والقبط وعن بعضهم انه انما استعمل في الخدمة بني اسرائيل فقط .

﴿يستضعف طائفة منهم﴾ هي بنوا اسرائيل عليه السلام والجملة حال من ضمير جعل أو نعت لشيعا او مستأنفة والسين والتاء لتأكيد الاضعاف وقوله :

﴿يذبح أبناءهم﴾ بدل من الجملة قبله والتشديد للمبالغة والتأكيد واسند التذبيح لفرعون مع انه فعل الجيش لانه سبب أمر .

﴿ويستحيي نساءهم﴾ أي يتركهن بلا قتل والسين والتاء للتأكيد وسمي تركهن بلا قتل احياء ، كما قال النمرود أنا أحيي وأميت أو للطلب بأن يكون اذا خرق بطن واحدة او جعل لها ما تسقط به عالج برئها وسبب ذبح الأبناء انه قال له كاهن : يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده ولا يخفى ان فرعون لعنه الله أحمق فانه ان صدق الكاهن في ان ذلك المولود يذهب ملكه على يده فالقتل للأبناء لا يدفع ذهاب ملكه وان كذبه فلا وجه للقتل وقضاء الله لا يرد .

﴿إنه كان من المفسدين﴾ بالقتل وغيره .

﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة﴾ بتسهيل الهمزة الثانية وبإبدالها ياء وبتخفيفها كالتي قبلها والمفرد إمام وهو من يقتدى به يجعلهم أئمة يقتدى بهم في الدين والدنيا وعن مجاهد دعاه الى الخير وعن قتادة أولاه الأمور وجملة نريد حال من ضمير يستضعف على تقدير المبتدأ أي نحن نريد كذا قيل والمراد انها خبر لمحذوف

والمجموع حال او الجملة معطوفة على ان فرعون علا في الأرض لأن كلا منهما تفسير لنبأ موسى عليه السلام وفرعون ونريد حكاية حال ماضية ولما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم فلا يقال كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم مع انه اذا اراد الله عز وجل شيئا كان ولم يتوقف الى وقت آخر ويجوز ايضا ان يكون تعلق الارادة بخلاصهم تعلقا استقباليا .

﴿ونجعلهم الوارثين﴾ ملك فرعون وقومه ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ ، قيل أرض مصر والشام والمراد بالتمكين جعلهم متصرفين في الأرض لا يرد قولهم أو فعلهم وذلك حقيقة وقيل مجاز حقيقة مكن له بمعنى جعل له مكانا كقولهم أرض له أي مهد له الأرض .

﴿ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم﴾ أي بني اسرائيل متعلق بنري أو بمحذوف حال من (ما) في قوله .

﴿ما كانوا يحذرون﴾ وما مفعول ثان والرؤية بصرية تعدت الى الثاني بنفسها والى الأول بالهمزة وقرأ حمزة والكسائي (ويري) بمثناة تحتية مفتوحة وفتح الراء نعدها الف ورفع فرعون وهامان وجنود والذي يحذرونه هو ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود وهامان وزير فرعون وأكبر رجاله .

﴿وأوحينا الى أم موسى﴾ وحي الهام وعلمت انه من الله أو ربا وقيل على لسان ملك وقيل هي نبية واسمها بوخابد من نسل لاوي بن يعقوب وقد قيل بنبوة ست نسوة حواء وسارة وهاجر وأم موسى وآسية ومريم وذكر الشواني أربعا من ذلك على خلاف والصحيح انه لم تكن امرأة نبية ورأيت في حاشية على المواهب ان بعضا يقول بنات النبي نبيات وهو

قول قبيح يؤدي الى الكفر .

﴿أن ارضعيه﴾ أن تفسيرية .

﴿فإذا خفت عليه﴾ القتل .

﴿فألقيه في اليم﴾ البحر وهو النيل روي انها أرضعته ثمانية اشهر وقيل اربعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وتربيه ولا يبكي ولا يتحرك في حجرها .

﴿ولا تخافي ولا تحزني﴾ لا تخافي عليه ضيعة ولا غرقا ولا شدة ولا تحزني لفراقه الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه .

﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ قال ابن عباس لما كثر بنوا اسرائيل بمصر استطالوا على الناس بمصر وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى ان نجاهم الله على يد نبيه موسى ، نهاها الله عن خوف القتل وخوف الغرق والضيعة عن الحزن وملأ قلبها سرورا برده اليها ويجعله من المرسلين وفي الآية بشارتان ونهيان وأمران وخبران فانظر السؤلان روي ان فرعون لعنه الله ذبح في طلب موسى تسعين الف وليد ، روي انه كان يقتل الولدان فكثر الموت في بني اسرائيل ولدانهم بالقتل وكبارهم بالهرم فقالت القبط كاد العمل يقصر علينا فكان يقتل عاما ويترك عاما ولد هارون في عام الترك وموسى في عام القتل وذكر بعضهم انه أرضعته ثلاثة اشهر ثم الح في طلب المواليد والتفحص عنهم فيمكن ان يريد هذا القاتل انه ابتداء القتل بعد الثلاثة الاشهر ويحتمل انه كانت الثلاثة من العام الذي يترك وخافت عليه القتل ولو لم يولد في عام القتل والأول

اوضح وروي انه قيل له : ان مولودا يولد في هذا العام يذهب ملكك فشرع في القتل فيه وهو عام ولادة موسى قال في عرائس القرآن لما مات الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف الذي ولى يوسف أرض مصر وأسلم على يده ملك بعده قابوس بن مصعب فرعون يوسف الثاني وكان جبارا وطال ملكه ولما مات ملك أخوه أبوالعباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن أراسه بن بروان بن عمر بن قارون بن عملاق بن لاوي بن سام بن نوح وكان أعتى من قابوس وأكثر واشتدت ايام ملكه وكثرت بنوا اسرائيل وهم تحت ايدي العمالقة وهم على بقايا دينهم دين يوسف ويعقوب وابراهيم حتى جاء فرعون موسى ولم يكن اعتى وأعظم قولا وأقسى قلبا وأطول عمرا وأسوأ مملكة لبني اسرائيل في هؤلاء الذين قبله منه استعمل بني اسرائيل في أصناف الخدمة من الحرث ونقل العذرة وتزوج منهم آسية بنت مزاحم وقيل هي آسية بنت مزاحم بن عيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول أسلمت على يد موسى قال مقاتل : لم يسلم من أهل مصر إلا آسية وحزقيل ومريم بنت ناموسا التي دلت موسى على قبر يوسف وروي أن فرعون ملكهم أربعمائة سنة يسومهم سوء العذاب . قال السدي : أن فرعون رأى في منامه أن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحرقت بيوت مصر والقبط وتركت بني اسرائيل فدعا الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا له يولد في بني اسرائيل غلام يسلبك ملكك من ارضك ويبدل دينك ويغلبك على سلطانك ويخرجك من أرضك وقد أضلك زمانه الذي يولد فيه وأمر بقتل كل غلام ولد في بني اسرائيل فجمع القوامل من النساء من أهل مملكته فقال لهن لا يولد على أيديك غلام من بني اسرائيل إلا

قتلته ولا جارية إلا تركتها قال مجاهد : كان يأمر بالقصب فيشق حتى يجعل مثل الشفار ثم يضاف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بني اسرائيل فيوقفن عليه فتجري اقدامهن حتى أن المرأة منهن تضع ولدها فيقع بين رجليها فتظل تطأه بقدميها تتقي به حر القصب عن رجليها لما يبلغ بها من الجهد وكان يقتل الغلمان الذين في وقته ويقتل من يولد منهم ويعذب الحبالى حتى يضعن ما في بطونهن وأشرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤساء القبط على فرعون فقالوا له :

إن الموت قد وقع في بني اسرائيل وأنت تذبح صغارهم وتميت كبارهم فيوشك أن يقع العمل كله علينا فأمر فرعون أن تذبح الأولاد سنة وتترك سنة وولد هارون في عام ترك القتل وموسى في عام القتل ولما أرادت وضعه اشتد عمها فأوحى الله تعالى اليها ﴿أن ارضعيه﴾ فاذا خفت عليه ﴿فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني﴾ الخ فلما وضعته في خفية أرضعته ثم اتخذت له تابوتا قيل جعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلت فيه قلت انما يجعل المفتاح من داخل اذا كان من يفتحه في داخل قال مقاتل : الذي صنع التابوت قيل من آل فرعون وجعلت فيه قطنا محلوجا وجعلت فيه موسى وقيرت رأسه ثم ألقته في النيل ولما توارى عنها أتاها الشيطان فوسوس اليها فقال لها ماذا صنعت بابنك لو ذبح عندك فواريته وكفنته كان أولى من أن تلقيه في البحر بيدك لدواب البحر ثم عصمها الله فانطلق الماء بموسى ترفعه موجة وتضعه اخرى حتى أدخلته بين الأشجار عند دار فرعون إلى عرصة في مستقى جواري فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير في دار فرعون في بستانه فخرجت جواري آسية امرأة فرعون يغتسلن ويستقين فوجدن التابوت فأخذنه وظنن ان فيه مالا

فحملته على حاله حتى أدخلته على آسية فلما فتحته رأت الغلام فألقى الله محبة منه فرحمته آسية وأحبته حبا شديدا فلما سمع الذباحون أمره أقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الصبي فقالت لهم آسية انصرفوا فان هذا لا يرى في بني اسرائيل وأنا آت فرعون وأستوهبه منه فان وهبه لي كنتم أحسنتم وان أمر بذبحه لم ألمكم ، فأتت به فرعون وقالت قرة عين لي ولك واستوهبته منه فوهبه بعد امتناع شديد من أن يهبه مخافة أن يكون من بني اسرائيل . قال ابن عباس وغيره ان أم موسى لما قربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فلما ضربها الطلق أرسلت اليها فقالت : قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك الآن ، فقالت : نعم . فعالجت ولادتها فلما وقع موسى الى الأرض هالها نور بين عينيه حتى ارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى في قلبها وقالت لها يا هذه ما جئت حين دعوتني الا وفي قلبي قتل ولدك وأخبر فرعون بذلك ولكن وجدت لابنك هذا حبا شديدا ما وجدت حب شيء مثله فاحفظي ابنك فاني أراه عدونا فما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاءوا الى بابها ليدخلوا على موسى فقالت اخته يا أماه هذا الحرس بالباب فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع خوفا على موسى عليه السلام فلفته في خرقة ووضعته في التنور وهو مسجور وأم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن وقالوا ما أدخل عليك هذه القابلة قالت مصافية لي فدخلت علي زائرة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت لاخت موسى أين الصبي قالت لا ادري سمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت اليه فوجدته قد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فاحتملته . قال ابن اسحاق عن مقاتل عن الضحاك

عن ابن عباس : ثم ان أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ولدها فألقى الله في نفسها أن تتخذ له تابوتا ثم تقذفه في اليّم فانطلقت الى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت أخبيء فيه ابنا لي وكرهت ان تكذب قال ولم قالت اخشى عليه كيد فرعون فلما اشترته وحملت التابوت انطلق النجار للذباحين ليخبرهم بأمرها فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه وجعل يشير بيده ولم يدر الأمناء ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله تعالى عليه لسانه فانطلق أيضا يريدهم فأتاهم وأخذ الله تعالى لسانه وبصره فخر ساجدا لله وعلم أن ذلك من الله تعالى وآمن به فانطلقت أم موسى وألقته في البحر بعد ما أرضعته ثلاثة اشهر وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن لفرعون ولد غير وكانت أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعهن اليه وكان بها برص شديد وقد جمع أطباء مصر والسحرة والمنجمين فنظروا في أمرها فقالوا له أيها الملك لا تبرأ الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه انسان ويؤخذ من ريقه ويلطخ به برصها فتبرأ وذلك يوم كذا من شهر كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا! فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية وأقبلت بنت فرعون وجواريها حتى جلست على شاطىء النيل مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذ اقبل النيل بالتابوت فقال فرعون ان هذا شيء ائتوني به فابتدروه من كل جانب بالسفن فأخذوه ووضعوه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرأت في جوفه نورا لم يره

أحد غيرها للذي أراد الله تعالى من اكرامها وهدايتها فعالجته ففتحته فاذا هي بصبي صغير في مهده واذا النور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منه لبنا فألقى الله تعالى محبة موسى في قلبها رضي الله عنها وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت وقيل لما نظرت الى وجهه برأت وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون إنا نظن ان ذلك المولود الذي تتحرز به من بني اسرائيل هو الذي رمى به في البحر فزعا منك فاقتله فهمَّ بقتله فاستوهبته آسية فوهبه لها ثم قالت له سميه فقالت قد سميته موسى لأنه وجد بين الماء والشجر ثم قالت أم موسى لأخته مريم قصيه أي اتبعي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكراً أهو حي أو أهلكته دواب البحر ونسيت وعد الله تعالى فبصرت به عن جنب أي بُعد وهم لا يشعرون انها اخته وكانت آسية قد أرسلت الى من حولها من كل انثى لها لبن لتختار له مرضعة ولم يقبل عن واحدة وأشفقت آسية أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج الى السوق لجمع الناس لما ترجو أن تصيب له مرضعا ولم يقبل عن واحدة فذلك قوله تعالى ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ فقالت اخت موسى حين أعياهم أمره وأعيا المراضع هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فقالوا ما يدريك بنصحهم فقالت لأجل رغبتهم في الارضاع للملك ورجاء منفعته فتركوها فانطلقت الى امه فأخبرتها بالخبر فجاءت فلما وضعته في حجرها ترامى على ثديها فشرب منه حتى امتلأ اجنباه فانطلق البشير الى آسية يبشرها ان قد وجدنا لابنك مرضعا فأرسلت اليه فأتت به فلما رأت ما

يصنع بها قالت امكثي عندي ترضعي ابني هذا فاني لم أحب شيئا مثل
حبه قط فقالت لا استطيع ان ادع بيتي وأولادي فيضيعوا فان طابت
نفسك ان تعطنيه فأذهب به الى بيتي فيكون معي.ولا آلوه خيرا فعلته
وإلا فأنا غير تاركة بيتي وذلك لأنها تذكرت ما وعد الله فتعاسرت على
امرأة فرعون وأيقنت أن الله منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها قيل
غاب عنها موسى ثلاثة ايام قالت آسية يوما لأم موسى إتيني بابني فوعدتها
يوما تأتيها به فقالت لقهارمتها لا تبقى واحدة الا استقبلت ابني بهدية
وانا باعثة أمينة تحصي عنك فلم تزل الهدايا تستقبله من وقت خروجه
من بيت امه الى ان دخل على آسية ولما دخل عليها اكرمته وفرحت به
وأعجبها ما رأت من حسن ايثارها عليه وقالت انطلق به الى فرعون
ليكرمه فلما دخلت به على فرعون فوضعته في حجره فتناول موسى لحية
فرعون حتى هزها ونتف منها وكان فرعون طويل اللحية ويقال انه لطم
وجهه وفي بعض الروايات انه كان يلعب بين يديه وبيده قضيب صغير
يلعب به اذ ذهب يضرب رأس فرعون فغضب غضبا شديدا وتطير منه
وقال هذا هو عدوي المطلوب فأرسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك
امرأة فرعون فجاءت امرأة فرعون تسعى الى فرعون فقالت له ما بدا لك
في هذا الصبي الذي وهبته لي فأخبرها بما فعل فقالت له انه صبي لا
يعقل وانما صنع هذا من صباه واني اجعل بيني وبينك فيه امارة تعرف
فيها الحق اضع له حليا من الذهب والياقوت والجوهر وطاسة فيها الجمر
فان اخذ الذهب والياقوت فهو يعقل فاذبحه وان اخذ الجمر علمت انه
صبي فمد يده للجوهر فحول يده جبريل للجمر فقبض على جمرة
فوضعها في فيه على لسانه فأحرقته فكانت عقدة لسانه فقالت ألا ترى ما

فعل فكف عن قتله والقى محبته في قلبه وقلوب الناس جميعا كل من رآه أحبه سئل ابليس هل أحببت أحد من المؤمنين قال لا إلا موسى بن عمران لأن الله ألقى محبته في القلوب فلم أتمالك أن أحبه فكانت أمه كتمت امره حين كان في بطنها ولم يظهر فيه .

﴿فالتقطه آل فرعون﴾ العطف على محذوف أي وصل البركة التي في وسط الجنان فالتقطه آل فرعون أو بمعنى ثم فانه قيل بين القائه والتقاطه ثلاثة ايام وقيل ليلة وحدها والمراد التقاطه بالتقاط التابوت وكان تابوتا من شجر يسمى برديا مطليا بالقار من داخله وآل فرعون أعوانه أو خدمه أو أقاربه أقوال .

﴿ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ هذه لام المال لأنه ليس غرضهم في التقاطه ان يكون عدوا أو حزنا لهم بل غرضهم أن يكون لهم ابنا ولكن مرجعه الى العداوة والحزن واللام موضوعة للدلالة على أن التقاطه للمحبة والتبني واستعيرت في الآية للدلالة على أن المرجع الى العداوة والحزن استعارة تبعية وايضاحها انه شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب نحو المحبة والتبني عليه ثم استعملت اللام الموضوعة للدلالة على المشبه به الذي هو ترتب المحبة والتبني ونحوها في المشبه الذي هو ترتب العداوة والحزن والجامع داخل في مفهوم الطرفين وهو الترتب الأعم فلما كان الترتب الأول من جنس الترتب الثاني الذي هو المشبه به استعيرت اللام في هذا الثاني فالاستعارة جارية اولا في المعنى العام الحر وهو العلية وثانيا في اللام تبعا وحكم اللام في الآية حكم الأسد المستعار للشجاع حيث استعيرت لما يشبه العلبة لكن الاستعارة في الأسد أصلية وفي اللام تبعية ويجوز ان تكون الاستعارة بالكناية في نفس

الكون المجرور باللام على انه اضمر تشبيه العداوة والحزن بنحو المحبة والتبني بجامع مطلق الترتب ولم يصرح إلا بالمشبه وهو العداوة والحزن ودل على التشبيه المضمر بذكر ما يخص المشبه به وهو اللام الموضوعة للتعليل وكيفية اجراء مكنية السكاكي في الآية ان يكون استعمل العداوة والحزن في المحبة والتبني بادعاء انهما عين المحبة والتبني وقاعدة ذلك انه ان قدرت التشبيه في مدخول الحرف فالاستعارة مكنية والحرف قرينة او في معناه العام وهو العلية فتبعية ولا يقال الترقب المشبه حاصل بالفعل والترتب المشبه به غير حاصل فيلزم عدم الجامع وحصول الجامع يجب أن يكون في المشبه أقوى لانا نقول المشبه به هو ترتب مطلق المحبة والتبني وهو حاصل وأقوى لا ترتب محبة موسى وتبنيه خصوصا كذا ظهر فافهم وقرأ حمزة والكسائي (وحزنا) بضم الحاء واسكان الزاء قاله الامام الداني وهو لغة والحزن هنا بمعنى اسم الفاعل من حزن المتعدي يقال : حزنه فهو حازن .

﴿فائدة﴾ ذكر بعضهم انه يقال : التقطه عثر عليه من غير طلب وتلقطه أخذه من ها هنا وها هنا قلت : لا يصح هنا لانهم قصدوا التقاطه بعد أن رأوه من بعيد فالمراد بالتقاطه مجرد أخذه وقد يقال اعتبر رؤيتهم إياه أولا فانها من غير طلب ثم التقطوه ولم يجيئوا أولا الى الشاطىء لالتقاطه ولكن الأقرب انهم جاءوا مع فرعون لقول السحرة انه يخرج كذا من البحر لساعة كذا ولعله مع ان الأمر كذلك يصدق انهم لم يقصدوا التقاطه لأنهم ولو رأوا التابوت والتقطوه لكن لا على علم أن فيه الذي قال لهم السحرة .

﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ الخطأ عادة لهم فليس

خطأهم في تربية عدوهم ببدع ، أو خاطئين بمعنى مذنبين فعاقبهم الله بأن ربي عدوهم الذي هو سبب هلاكهم على أيديهم وقريء خاطين بدون همزة إما حذفت تخفيفا وإما طلبت باء فحذفت للتقاء الساكنين بعد سلب حركتها للثقل وأما من الخطأ غير المهموز الذي هو بمعنى المجاوزة أي جاوزوا الصواب وزعم بعض ان الخاطىء متعمد الخطأ والمخطىء الذي لم يتعمده وهو قراءة أبي جعفر مطلقا وحمزة في الوقف والجملة معترضة لتأكيد خطأهم أو لبيان موجب ما ابتلوا به .

﴿**وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك**﴾ يا فرعون قالت ذلك بعد إخراجه من التابوت لأنه لما أخرج رأوه أحبوه أو لأنه برئت بنته به وقيل رأت في المنام أن شفاء بنتها في إياب مولود يقذفه اليم ولما أخرج من التابوت وجدت على شفتيه من لعابه كالرغوة لشدة بكائه فمسحت على برص بنتها به ونفد قبل أن ينفد البرص ، وفي حديث رواه قومنا انها لما قالت : قرة عين لي ولك قال : لك لا لي ولو قال قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها ولسلم كما أسلمت أي لكن قضى الله أن لا يقول ولا يسلم ، وروي انها قالت : لعله من قوم آخرين لا من بني اسرائيل ، وقرة خبر لمحذوف اي هو قرة عين ولي نعت قرة او نعت عين ويضعف جعله مبتدأ مخبرا عنه بقوله ﴿لا تقتلوه﴾ لأن لا تقتلوه طلب فلو كان كذلك فالنصب على الإشتغال أولى ويدل قيل على انه ليس مبتدأ مخبراً عنه بقرة قراءة ابن مسعود لا تقتلوه قرة عين بتقديم لا تقتلوه ويرده انه لا مانع من تقديم الخبر الفعلي على المبتدأ حيث لا يوقع المبتدأ في الإلتباس بالفاعل ، والخطاب لفرعون والجمع تعظيم له أو له ولخاصته او له ولمن يلون الذبح وقد قيل انه وأعوانه همّوا بقتله .

﴿عسى أن ينفعنا﴾ قالت ذلك لما رأت فيه من مخايل اليمن ودلائل النفع كالنور بين عينيه وارتضاع اللبن من إبهامه وبرىء البرصاء بريقه قال ابن عباس : لو ان عدو الله قال في موسى كما قالت : ﴿عسى أن ينفعنا﴾ للنفعه الله ولكن أبي للشقاء الذي كتبه لله عز وجل عليه .

﴿أو نتخذه ولدا﴾ فانه أهل لأن تتخذه الملوك ولدا .

﴿وهم لا يشعرون﴾ انهم على خطأ عظيم في التقاطه وفي النفع منه او التبني ، وزعم وهب ان فرعون لما نظر اليه قال عمر : ان من الأعداء وغاظه ذلك كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية رضي الله عنها من خيار النساء وبنات الأنبياء وكانت أما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنب هذا الوليد : اكبر من ابن سنة وانت أمرت ان يذبح ولدان هذه السنة فدعه يكن عندي والجملة حال من ال أو من امرأة القائلة والمقول له المحذوف اي قالت امرأة فرعون له أعني لفرعون والضمير لصاحب الحال ويجوز ان تكون حال من المستتر في تتخذوا من الهاء على ان الضمير للناس او من الهاء على ان الضمير للناس أي وهم لا يشعرون انه لغيرنا ، وذكر الثعالبي ان موسى ولد للسنة الرابعة من أمره بقتل الولدان وان بني اسرائيل اعتزوا بذلك الارضاع وان موسى يعلم في نفسه انه منهم وكان يحميهم .

﴿فأصبح فؤاد أم موسى﴾ وقريء موسى بهمزة ساكنة أصلها او لانه لما كانت الواو بعد ضمة جعلت كان الضمة عليها فقلبت همزة كما تقلب الواو المضمومة همزة نحو وجوه وأجوه .

﴿فارغاً﴾ من كل شيء إلا من ذكر موسى عليه السلام أو فارغا من العقل لما سمعت بوقوع موسى في يد فرعزن والقلب هو مركز العقل

والأول قول ابن عباس والثاني قول مالك ، وعبارة بعضهم ان قلبها فارغ من الصبر وقيل فارغا مما أوحى الله اليها من رده لها وجعله من المرسلين اذ وسوس اليها الشيطان انك قتلته بإلقائه في اليم او إذ بلغها وقوعه في يد فرعون فنسيت ذلك لعظم البلاد ، قيل يجوز ان يكون المعنى فارغاً من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او لإستماع ان فرعون عطف عليه وتبناه ، قيل ويدل للثاني قراءة بعضهم (فرغا) بكسر الفاء وإسكان الراء كقولهم دماءهم بينهم فرغ اي هدر اي بطل قلبها وبقيت بلا قلب من شدة البلاء وقرىء (فرْغا) بفتح الفاء واسكان الراء وبفتحها وكسر الراء أي خاليا .

﴿ان﴾ مخففة واللام فارقة .

﴿كادت لتبدي به﴾ أي لتظهر بموسى أي بأمره وقصته لفرط الضجرة او الفرح بتبيينه أو لنظر بأنه إبنها وعُدي تبدي بالياء لتضمنه معنى تفضح او تلفظ او الباء صلة في المفعول ، وعنه ﷺ : «كادت ام موسى ان تقول : وا ابناه وتخرج سايحة على أوجهها» وكذا عن ابن عباس : كادت تقول : واابناه ، وقيل لما رأت التابوت ترفعه الأمواج وتضعه خشيت الغرق فكادت تصيح شفقة عليه وقيل كادت تبدي بالوحي الذي أُوحى اليها ان يرده عليها .

﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ شددنا عليه بالصبر والثبات والتقوية والتأنيس كما يربط الشيء المنكسر او المتصدع فيطمئن ويقر ، وإن مصدرية داخله على الماضي والمصدر هو المبتدأ الذي يقع بعد لولا .

﴿لتكون من المؤمنين﴾ المصدقين بوعد الله الواثقين بحفظه لا يتبنى فرعون ، وعطفه وجواب لولا دل عليه ما قبلها .

﴿وقالت لاخته﴾ واسمها مريم .

﴿قصيه﴾ اتبعي أثره حتى تعلمي خبره .

﴿فبصرت﴾ أي الأخت .

﴿به﴾ أي اتصل نظرها به ، والباء للإلصاق المجازي وقرأ بعض بكسر الصاد .

﴿عن جنب﴾.أي عن بعد أو باختلاص تنظر إليه كأنها لا تريده بالنظر ، وقرىء بإسكان النون وقرىء عن جنابة أي بعد وعن جانبه .

﴿وهم لا يشعرون﴾ أي والناس لا يشعرون انها أخته وأنها ترقبه .

﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ التحريم المنع قيل استعارة لأنه سبحانه منعه ان يرضع ثديا ، والمراضع جمع مرتضع بضم الميم وفتح التاء والضاد مصدر ميمي او اسم مكان وهو الثدي جمع بحذف التاء او جمع مرضع بفتح الميم والضاد مصدر ميمي او اسم مكان وهو الثدي او جمع مرضع بضم الميم وكسر الضاد وهو المرأة التي ترضع .

﴿من قبل﴾ أي رجوعه إلى أمه قيل مكث ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس : أن امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد من يقبل ارضاعها كلما اتى بمرضعة لم يقبل عنها وقيل من قبل بمعنى من قبل قصها أثره .

﴿فقالت﴾ أي الأخت .

﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ بالإرضاع وغيره .

﴿وهم له ناصحون﴾ مخلصون ما يحتاج اليه من الفساد وتعلقوا بها فقالوا لها : انت تعرفين هذا الصبي فأنكرت وقالت : لا غير أني أعلم من أهل البيت الحرص على التقرب الى الملكة والجد في خدمتها ورضاها

فتركوها وسألوها إنجاز ما وعدت به من الدلالة فجاءت بأم موسى وهو في يدي فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي بطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون : ومن انت منه ؟ فقد أبى كل ثدي إلا ثديك . فقالت : اني امرأة طيبة الرائحة واللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه اليها وأذن لها في الإنصراف به بعد امتناع كما مر وهاء له للصبي ، وروي أنها لما قالت ﴿وهم له ناصحون﴾ قالوا : انك قد عرفت الصبي فدلينا على أهله قالت : ما أعرفه ولكن أردت وهم للملك ناصحون وقيل قالت : لم أقل هم له ناصحون لمعرفتي بالصبي ولكن لرغبتي في سرور الملك ، وقيل : قالوا لها : من هم ؟ قالت : امي . قالوا : ولأمك ولد ، قالت : نعم هارون ولد في السنة التي قتل فيها . قالوا : صدقت . فانطلقت فأخبرت أمها وجاءت وأرضعته بأجرة قيل كانوا يعطونها كل يوم دينارا فرجع معها ، كما قال : ﴿فرددناه الى أمه كي تقر عينها﴾ بلقائه .

﴿ولا تحزن عليه﴾ وان قلت : كيف تأخذ الأجرة على إرضاع ابنها من فرعون ؟ قلت : هم أعطوها أجرة وهي أخذت غنماً لمال الحربي وان قلت : فما الحكم في الملة السمحة ؟ قلت : لا يجوز أخذ مال حربي بخديعة وأمن بل بقتال مع امام عادل قيل او مع جائر ، قيل أو بقتال ولو مع غير إمام او بقتالك وحدك وذلك بعد الدعوة ، ورخص بعض العلماء ان يؤخذ مال الحربي ، كما يؤخذ الجراد حين وجد جهرا أو سرا سواء كان عنده أو كان عندك بأمانة أو بخديعة في بيع وشراء أو غير ذلك .

﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾ والمراد الوعد برده وجعله مرسلا .

﴿ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾ أي لكن اكثر الناس لا يعلمون الحق ، وقيل : المراد بأكثرهم جماعة آل فرعون وهي القبط ، وعن بعضهم ان اكثر الناس لا يعلمون أن موعده حق فهم يرتابون فيه وذلك أنهم سمعوا أن مولودا يذهب ملك فرعون ولم يوقنوا إلا قليلا منهم مثل آسية وأم موسى وصانع التابوت أو المراد أنهم لا يعلمون ان العرض الأصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع ، قال جار الله : ذلك يشبه التعريض بما جرى منها حيث سمعت بخبر موسى فجزعت وقيل ان أكثر الناس بهذا الوعد ولا بأن هذا اخته وهذه أمه ولما فطمته ردته إلى فرعون ورباه كما قال ﴿ألم نربِّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ .

﴿ولما بلغ أشده﴾ أربعين سنة روى انه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين لكمال العقل حينئذ وقيل : أشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوة وذلك من ثلاثين الى أربعين وقال مجاهد : أشده عشرون سنة وقيل ثلاثون وقيل ثلاث وثلاثون وقيل ما بين ثمانية عشر عاما الى ثلاثين وذلك زمان شدة البدن واستحكام قوته والأول قول الجمهور .

﴿واستوى﴾ أي قوي واشتد وكمل وذلك يكون حيث بلغ الأربعين وقيل المراد ببلوغ الأشد ما تقدم في الأقوال غير الأول وبالإستوى بلوغ الأربعين .

﴿آتيناه حكما﴾ أي حكمة .

﴿وعلما﴾ بالدين دين ابراهيم وذلك حال النبوة وقيل الحكم والنبوة والعلم علم الحكماء والعلماء وقيل : الحكم علم الحكماء والعلم علم العلماء أعطاهما الله إياه قبل النبوة فيكون المراد ببلوغ الأشد وبالإستواء ما قبل الأربعين وهو قبل النبوة لا يفعل ولا يقول ما يستجهل فيه فانما

رسله بعد الهجرة وقيل الحكم السنة والعلم التوراة وحكمة الأنبياء سنتهم .

﴿وكذلك﴾ أي مثل ما فعلنا بموىً وأمه من الجزاء .

﴿نجزي المحسنين﴾ على إحسانهم .

﴿ودخل المدينة﴾ مصر وقيل منيف من أعمال مصر وقيل حلبين على فرسخين من مصر وقيل مدينة عين الشمس وذلك بعد ان غاب مدة عن مصر ودخلها بعد ذلك وهذا على أن المدينة مصر .

﴿على حين غفلة﴾ أي في حين .

﴿من أهلها﴾ نعت لغفلة ، قال السدي : عن ابن عباس كان موسى يركب لركوب فرعون ويركب مراكبه ويلبس لباسه وكان يدعى بابن فرعون وركب فرعون يوما وموسى غائب وسار الى مدينة من مدائن مصر فركب موسى بعد ان جاء وأخبر بمسير فرعون ولحق بتلك المدينة في وقت القايلة وهو حين الغفلة ، وقيل عن ابن عباس : حين الغفلة ما بين المغرب والعشاء وقال علي والحسن : هو يوم عيد لهم فهم في لهوهم ولعبهم وقيل : لما جاء موسى وكان غائبا وأخبر بمسير فرعون لحقه وأدركه المقيل بمنيف فدخلها فهي المدينة وقيل كان لموسى شيعة من بني إسرائيل يسمعوه منه ولما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفه في دينه جهرا حتى انكروا ذلك عليه وخافهم وخافوه فكان لا يدخل قرية إلا مستخفياً على حين غفلة من أهلها ، وقيل لما ضرب فرعون بالعصى في صغره فأراد قتله فقالت امرأته : هو صغير أمر باخراجه فلم يرجع حتى بلغ أشده ودخل على حين غفلة لئلا يروه أو على حين غفلة من أهلها عن ذكره وقد نسوا خبره لبعد عهدهم به .

﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾ يتخاصمان ويتضاربان .

﴿هذا من شيعته﴾ أي من بني اسرائيل وقيل عبر بالشيعة لان هذا الاسرائيلي قد شايع موسى على دينه .

﴿وهذا من عدوه﴾ وهم القبط فليتون وقيل الذي من شيعته هو السامري وقيل المعنى هذا مؤمن وهذا كافر واعتز بنوا اسرائيل حتى لا يقدر قبطي يظلم اسرائيليا لما بلغ أشده وكانوا يعلمون انه منهم .

﴿فاستغاثه﴾ وقرأ سيبويه فاستعانه .

﴿الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ فقال له موسى خل سبيله فقال لقد هممت أن أحمل هذا الحطب عليك وقيل قال له انما اخذته ليحمل الحطب الى مطبخ أبيك فنازعه فقال القبطي لقد هممت أن احمل عليك . وروي انه لما غلب الاسرائيلي من موسى الغوث والنصر اشتد غضب موسى وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم قيل ولا يعلم الناس ذلك إلا من قبل الرضاع .

﴿فوكزه﴾ ضرب القبطي بمجمع كفه وأصابعها منضمة مجتمعة وقيل الوكز الضرب في الصدر وقيل الدفع بأطراف الاصابع وقرأ ابن مسعود (فلكزه) باللام أي ضرب صدره بكفه .

﴿موسى﴾ وروي انه ضربه بالعصا .

﴿فقضى عليه﴾ أي قتله وفرغ من أمره ولم يكن قاصدا لقتله ولكن كان قويا شديد البطش وروي انه فرق بينهما فأخطأت يده الى القبطي من غير عمد ومات ولما مات دفنه في الرمل وذكر بعضهم أن اللكز في المحي والوكز في القلب وذكر بعض أن أصل قضى عليه انهى حياته كقوله (وقضينا اليه ذلك الأمر) .

﴿قال هذا﴾ أي قتله .

﴿من عمل الشيطان﴾ قيل لما هيج الشيطان غضبه حتى قتله جعل القتل عملا له وانما جعله من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادة الأنبياء والأولياء في استعظام المحقرات التي صدرت منهم وروي انه قال ذلك لأنه قتله قبل أن يؤمر بقتالهم وعن ابن جريج انه ليس لنبي ان يقتل مالم يؤمر وايضا هو فيهم مأمون فلم يكن له الاغتيال بقتلهم ولا يقدح ذلك في نبوته وعصمته لأنه خطأ .

﴿انه عدو مضل مبين﴾ معاد لابن آدم مضل له عن الصواب بين الاضلال والمعاداة وقيل الاشارة الى المقتول على حذف مضاف أي هذا المقتول من أهل عمل الشيطان أو عمله من عمل الشيطان لكفره بالله ومعصيته وقيل اشارة الى عمل المقتول أي هذا العمل الذي صدر من المقتول من عمل الشيطان .

﴿قال﴾ نادما .

﴿رب﴾ يا رب .

﴿إني ظلمت نفسي﴾ بقتله من غير أمر وقيل هذا اتضاع لله سبحانه واعتراف بالتقصير في حق الله ولم يكن هناك ذنب أو ظلمت نفسي أحللت على نفسي القتل فانه اذا عرف فرعون ذلك قتلني .

﴿فاغفر لي﴾ ذنبي أو ترك المندوب او استر علي فلا يتوصل فرعون الى قتلي .

﴿فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ ذكر في عرائس القرآن بينما موسى

يمشي في ناحية المدينة اذا هو برجلين يقتتلان وكان الذي هو من عدوه قبطيا خباز لفرعون واسمه قانون وكان اشترى حطبا فسخر اسرائيليا وهو الذي من شيعة موسى وهو السافري ليحمله وقال له دعه فقال أخذته في عمل أبيك فأبى أن يدعه فغضب موسى فبطش به وخلصه من يده ونازعه القبطي فوكزه فقتله ثم قال ﴿**رب إني ظلمت نفسي**﴾ بقتل القبطي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم . قال وهب : (أوحى الله الى موسى وعزتي وجلالي لو ان النفس التي قتلت أقرت لي طرفة عين اني أنا الله الذي لا اله إلا أنا خالق كل شيء ورازقه لأذقتك طعم العذاب وانما غفرت لك لأنها لم تقر ساعة اني اله خالق ورازق) انتهى ببعض زيادة ونقص ومع غفران الله جل وعلا له لم يزل يكرر تلك الفعلة على نفسه حتى انه في القيامة يقول وقتلت نفسا لم أومر بقتلها كما صح في حديث الشفاعة .

﴿**قال رب**﴾ يا رب .

﴿**بما أنعمت عليَّ فلن أكون ظهيرا للمجرمين**﴾ الباء للقسم الاستعطافي والجواب محذوف لقسم على الله بما أنعم عليه أن يعصمه أي بما أنعمت عليَّ اعصمني أو لقسم غير استعطافي أي بما أنعمت عليَّ لأتوبن والاستعطاف طلب الرحمة وما مصدرية أي بانعامك او اسم فالرابط محذوف على القلة لأن الباء لم يعلق بمثل ما يعلق به الرابط وجاره اي بما أنعمت به او محذوف على الكثير فيقدر منصوبا لتضمن الأنعام معنى الالقاء أي بما القيته علي من النعم والفاء للاستئناف أو رابطة لجواب شرط محذوف أي إن عصمتني فلن أكون ويجوز كونها صلة فتكون الباء غير قسمية فتعلق بأكون أو بظهيرا بناء على قول الجمهور انه

لا صدر للن والظهير المعين ولام الجر للتقوية او تعلق بمحذوف نعت لظهيرا والمراد بالأنعام الأنعام بالمغفرة وغيرها وقيل الأنعام بقوة الجسد والقلب والمراد بمظاهرة المجرمين وهم المشركون أما صحبة فرعون وانتظامه في جملة من كان معه وتكثير سواده اذ كان كما مر يركب بركوبه ويركب مركوبه ويلبس لباسه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابنا لفرعون واما مظاهرة من تؤدي مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى قتل من لم يؤمر بقتله وقد قيل أن هذا الاسرائيلي داخل في جملة المجرمين وكان مشركا كما مر انه السامري عند بعض وقد قيل المعنى بما أنعمت عليَّ من القوة أعين أوليائك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك قال ابن عباس رضي الله عنه لم يستثن في قوله لن أكون ظهيرا للمجرمين لم يقل ان شاء الله فابتلاه الله تعالى في اليوم الثاني وهذا مبني على ان لن في الآية لمجرد النفي وعن بعضهم انها للدعاء أي لأجعلني الله كائنا ظهيرا للمجرمين وعليه فلا يحتاج للاستثناء وفي الحديث انه ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة أي جعل فيها ليقة أو براء لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه ما أنعمت عليَّ من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة أوليائك وأهل طاعتك والايمان بك ولا أدع قبطيا يغلب أحدا من بني اسرائيل .

﴿فأصبح في المدينة خائفا يترقب﴾ يتوقع ما يكره من جهة المقتول من القتل به أو الاخبار وما يقال فيه .

﴿فإذا الذي استنصره﴾ طلب منه النصر .

﴿بالأمس﴾ أي في الأمس .

﴿يستصرخه﴾ يستغيث به من بعيد على قبطي آخر واستشقاقه من الصراخ .

﴿قال له موسى إنك لغوي﴾ ضال .

﴿مبين﴾ بيّن الغواية لانك قاتلت بالأمس رجلا فقتلته بسببك وها أنت ذا تقاتل آخر وتستغيثني عليه وكلا الرجلين قبطي وكان مع قوله ذلك أن ينصره كما قال .

﴿فلما أن﴾ صلة .

﴿أراد﴾ موسى .

﴿أن يبطش بالذي هو عدو﴾ وهو القبطي .

﴿لهما﴾ أي لموسى والمستنصر بالأمس والبطش الضرب الشديد والباء للالصاق أي أن يوصل به ضربا شديدا .

﴿قال﴾ أي المستنصر وسماه عدوا لهما لمخالفتهما في الدين على القول بأن الاسرائيلي مسلم أو لأن بني اسرائيل عدو القبط .

﴿يا موسى أتريد أن تقتلني﴾ ظن انه أراد البطش به لوصفه بأنه غوي مبين ولغضبه والمفزع من قوته .

﴿كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ فسمع القبطي ذلك فعلم ان القاتل موسى وقد كانوا لا يعلمون قاتله فانطلق الى فرعون فأخبره بذلك ويجوز رجوع ضمير قال للذي هو عدو توهم انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي والجبار الذي يضرب أو يقتل ولا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله ولما بلغ

فرعون انه الذي قتل القبطي بالأمس باخبار القبطي ظنا أو باخباره عن قول الاسرائيلي مع ان الاسرائيلي يغلب تصديقه على موسى في النفوس مع ما كان لموسى من المقدمات وقع في نفس فرعون انه الذي يفسد المملكة فارسل الذباحين ليقتلوه أو يأتوا به للقتل فأخذوا في الطريق اليه .

﴿وجاء رجل﴾ مؤمن من آل فرعون او اسرائيلي يسمى حزقيل أو شمعون او شمعان .

﴿من أقصى المدينة﴾ من آخرها أي الموضع إلا بعد فيها .

﴿يسعى﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من الطريق الذي سلكوه فسبقهم اليه وأخبره .

﴿قال يا موسى إن الملأ﴾ الجماعة من قوم فرعون .

﴿يأتمرون﴾ يتشاورون .

﴿بك﴾ فيك .

﴿ليقتلوك فاخرج﴾ من المدينة .

﴿إني لك من الناصحين﴾ ومن متعلق بجاء او بمحذوف نعت لرجل ويسعى نعت لرجل ايضا ويجوز ان يكون حالا منه اذا جعلنا من اقصى نعتا له وان يكون حالا من ضميره في من اقصى اذا جعل نعتا وأصل يأتمرون بهمزة ساكنة قلبت الفا ولم تقلب تاء وتدغم في التاء بعدها لشذوذ ذلف في ذي الهمز وانما ذلك في ذي الواو والياء كاتصل واتسر بقلب الواو من وصل والياء من يسر تاء او بقلب الواو ياء وقلب الياء تاء وادغام التاء في التاء ويأتمرون بوزن يفتعلون بوزن يفتعلون قال الأزهري الباء في قوله (يأتمرون بك) بمعنى في يقال إئتمر القوم اذا تشاور بعضهم

بعضا وانما سمي التشاور إئتمارا لأن كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر
فالافتعال للمطاوعة ويجوز كون الباء سببية أي يتشاورون لسبيك ولك
متعلق بمحذوف حال من الناصحين ان اجزنا تقديم الحال على صاحبه
المجرور بحرف او بمحذوف خبر فيكون من الناصحين خبرا اولا او
متعلق بناصحين محذوفا قبله او بمحذوف حال من ناصحين مقدرا قبله
او من ضميره فيكون من الناصحين مكررا للتوكيد ولا ينافي الحذف
التوكيد لدلالة قوله (لك) عليه أي من الناصحين لك من الناصحين لا
متعلق بناصحين أو بمحذوف حال منه او من الضمير فيه الا على قول
مجيز تقديم معمول الصلة على الموصول وان قلت لم قدم رجل هنا وأخر
في يس ؟ قلت قال السمين قدم هنا لأنه من أقصاها وأخر هنالك لانه
ليس منه وهو مبني على احد الاعاريب المذكورة .

﴿**فخرج منها خائفا يترقب**﴾ لحوق الطالب وجملة يترقب في الموضعين
حال ثان او حال من ضمير خائفا .

﴿**قال رب نجني من القوم الظالمين**﴾ المشركين قوم فرعون قيل من
خاف من امير ظلما فقال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبسيدنا محمد
رسولا وبالقرآن حكما واماما نجاه الله منه . قال في عرائس القرآن : ان
موسى لما مد يده للقبطي ظن الاسرائيلي انه اياه عني فقال له يا موسى
(أتريد أن تقتلني) الآية فكان سبب معرفة الناس ان القاتل بالأمس هو
موسى فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوه وقال لهم اطلبوه في ثنيات شتى
فانه غلام لا يهتدي الى طريق فطلبوه في الثنيات وسلك الطريق الأعظم
وسبقهم اليه حزقيل وكان من بقية أهل دين ابراهيم وكان أول من
صدق بموسى فأخبره فاختصر طريقا قريبا فسبق الذباحين اليه وتحير

موسى ولم يدر أين يذهب فجاء ملك على فرس بيده عنزة وهي رميح بين العصا والرمح فيه زج والزج حديدة في أصل الرمح فقال له اتبعني فاتبعه فهداه الى مدين قال ابن عباس في ثمان ليال وهو مسافة ما بينهما إلا أن يكون اختصرها بالاسراع ولا زاد له إلا ورق الشجر ولما وصل اليها وقع خف قدميه إذ لا نعل له وان خضرة البقل لتتريا من بطنه انتهى باسقاط ما تقدم منه ومن ذلك الكتاب ينقل الخازن القصص قال الخازن قال ابن عباس وذلك المسير بلا زاد ولا نعل أول ابتلاء من الله لموسى .

﴿ولما توجه﴾ قصد .

﴿تلقاء﴾ قبالة .

﴿مدين﴾ قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن تحت يد فرعون ولم يكن يعرف طريقا غير انه متوكل على الله في مطعمه ومشربه وسيره بلا نعل وفي هداية طريقها .

﴿قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ أي أوسط طريق اليها ومعظم نهجه وانما قصدها لأنه وقع في نفسه أن بينه وبينهم قرابة لأن أهل مدين من ولد ابراهيم وهو من ولد ابراهيم وبابن ابراهيم سميت كما علمت .

﴿ولما ورد ماء مدين﴾ أي بلغه المراد بئر يسقون منها مواشيهم .

﴿وجد عليه﴾ أي على شفيره .

﴿أمة﴾ جماعة كثيرة مختلفة .

﴿من الناس يسقون﴾ مواشيهم ..

﴿ووجد من دونهم﴾ أي غير الجماعة أو في مكان أسفل من مكانهم وقيل : بعيدا عن الجماعة .

﴿امرأتين﴾ وصل اليهما قيل الوصول الى الأمة .
﴿تذودان﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء لئلا تختلط بأغنام الناس وخوفا من السقات الأقوياء ولئلا تختلطا بالرجال ، وعن بعض تأخرتا حتى يصدر الرعاة فتسقيا أغنامهما مما بقي في حياضهم وتقديري مواشيهم بعد يسقون وأغنامهما بعد تذودان بيان للواقع وبيان لكون المفعول محذوفا ولا يمنع اثبات المفعول لهما كون موسى عليه السلام رحم الابنتين على مطلق الذياد والحال ان قومهما على السقي لا لكون مذودهما غنما ومسقيهم ابلا او ابلا وغيرها لجواز ذكر المفعول وتعليق الحكم بناصية بدون النظر اليه وصحح ابن هشام انه لا مفعول لهما قال : ومما لا يقدر له مفعول على الأصح (ولما ورد ماء مدين) الآية ألا ترى انه ﷺ انه رحمهما كانتا على صفة الذياد وقومهما على السقي لا لكون مذودهما غنما ومسقيهم ابلا وكذلك المقصود من قولهما ألا نسقي السقي لا المسقي ومن لم يتأمل قدر يسقون ابلهم وتذود أن غنمهما ولا نسقي غنمنا .
﴿قال﴾ لهما موسى .
﴿ما خطبكما﴾ ما شأنكما لا تسقيان .
﴿قالتا لا نسقي﴾ أغنامنا .
﴿حتى يصدر﴾ أي يرجع .
﴿الرعاء﴾ جمع راع من السقي قرأ ابوعمر وابن عامر بفتح الياء وضم الدال وقرأه الباقون بضم الياء وكسر الدال وبهذا نقرأ فيقدر له مفعول وهو رباعي أي يصرفوا أغنامهم وقريء بضم نون نسقي وراء الرعاء فيكون اسم جمع وذكر جار الله أن الرعاء بالكسر قياس كصيام وقيام .

﴿وأبونا شيخ كبير﴾ لا يقدر أن يسقي فلذلك أرسلنا للسقي ومالنا رجل يقوم بذلك ولا نقدر على مزاحمة الرجال فتأخرنا فبان لك ان شعيبا انما أرسلهما للسقي عن ضرورة مع انه ليس بمحظور شرعا والأحوال متباينة والعرب خلاف العجم في الأحوال وأحوال البدو غير أحوال الحضر والمشهور أن أبوهما هو شعيب وقيل ثيرون بن أخي شعيب وكان شعيب قد مات بعد ما كف بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب وقيل هو سيد ذلك الماء يومئذ فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاقتلع صخرة عن فم بئر أخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها إلا أربعون رجلا وقيل عشرة وكانت آبارهم تغطى بالحجارة .

﴿فسقى لهما﴾ غنمهما وقيل زاحم القوم فسقى لهما وقيل لما فرغ الرعاء من السقي غطوا رأس البئر بحجرة لا يرفعه إلا عشرة رجال فرفعه موسى وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم وروي وقيل أن الرعاة كانوا يضعون على البئر حجر لا يرفعه إلا سبعة رجال وقيل أربعون وقيل مائة ورفعه موسى وحده وقيل سألهم دلوا فأعطوه فملأها مرة وصبها في الحوض ودعى بالبركة وكفى الغنم ، وفي ذلك دليل على قوة دليل دين موسى وعدله فانه عليه السلام مع كونه ثمانية أيام أو أقل لم يأكل إلا الحشيش مع ما هو فيه من السير بلا نعل قوي على حمل تلك الصخرة ولم يترك الرغبة في الخير اذ رحمهما وسقي لهما لله تعالى والسلام للنفع وقيل للتعليل وانما حذف مفعول سقى ونسقي لأن الغرض اسقي وبيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى رحمتهما .

﴿ثم تولى إلى الظل﴾ انصرف الى ظل سمرة من شدة حر الشمس وهو جائع .

﴿فقال رب﴾ يا رب .

﴿اني لما أنزلت إليَّ من خير فقير﴾ اللام بمعنى الى متعلق بفقير وفقير بمعنى محتاج ومن خير بيان لما أو لراجعها المحذوف واللام للتقوي على ان فقيرا مضمن معنى طالب والتنوين والتنكير للتقليل والتحقير أي لأي شيء أنزلت اليَّ من خير قليل او كثير غث أو سمين والماضي بمعنى المضارع أي لما تنزل ولكن عبر بالماضي استعجالا للخير حتى كأنه قد نزل . قال بعض : ما قال موسى ذلك إلا وخضرة البقل تترايا في بطنه من الهزال وما سأل الله إلا أكلة ، وعن ابن عباس بلغ به الجوع الى ان اخضر لونه من اكل البقل ورئت خضرة البقل في بطنه وانه لأكرم الخلق يومئذ على الله ولقد افتقر الى شق تمرة وعن بعضهم ما سأل إلا الخبز وقد بان لك الخير هنا هو الطعام وعن ابن جبير كان فقيرا الى شق تمرة وذلك الكلام منه سؤال بكناية لا بتصريح اذ لم يقل رب انزل اليَّ من الخير والانزال بمعنى الاحضار ومن السؤال بالكناية قول الفقير للغني اني ذو عيال وقد أمسيت بلا تمرة ولا حبة شعير ونحو ذلك ويجوز أن يريد بالخير النجاة من الظالمين والفوز بالدين وذلك منه شكر لله تعالى ورضى بذلك بدلا مما كان فيه من الدنيا عند فرعون كأنه قال اني لما انزلت اليَّ من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والمشهور الأول وعن معاذ عن رسول الله ﷺ : «من أكل طعاما فقال الحمد لله أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر» . ولما سقى لهما رجعتا الى أبيهما في زمان أقل مما كانتا ترجعان فيه فسألهما عن ذلك فأخبرتاه بمن سقى لهما فقال لأحدهما أدعيه لي .

﴿فجاءته إحداهما﴾ وهي التي تزوجها هي الكبرى واسمها صفوراء

وقيل اسمها صفراء وقيل هي الصغرى واسمها ليا ويقال لها خنونا وقيل صفيراء .

﴿تمشي﴾ وقوله .

﴿على استحياء﴾ حال والاستعلاء مجازي روي انها جاءت واضعة كم درعها على وجهها حياء منه حياء شديدا وعن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ : «الحياء من الايمان والايمان في الجنة والبذاء من الجفا والجفا في النار» ، وعن بعضهم استحيت منه لأنها دعته لتكافيه وقيل لأنها رسول أبيها .

﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ ما مصدرية أي أجر سقيك لنا فذهب معها ولكن في قلبه كراهة أخذ الأجرة فيما عمل لله قبل ولكن كان جائعا فلم يجد بدا من الذهاب وعن بعضهم كأنها قصدت للمكافأة إن كان ممن يريدها ووجه ذهابه إما النجاة من الموت بالقوت واما أن يختبر مراد الأب ولو قالت الابنة بالأجرة روي انها مشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتصف عجزها وفخذها وتكشف ساقيها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق ففعلت ذلك وقال اذا اخطأت فاضربي لي حجرا أمامي. وروي انه قال لها امشي خلفي ودليني على الطريق فاني من بني يعقوب لا انظر الى اعجاز النساء فنعتت له الطرق الى ان وصل الى منزل ابيها ومشت خلفه حتى دخلت على شعيب فاذا بالعشاء مهيئا فقال : اجلس يا فتى فتعش فقال موسى : اعوذ بالله قال شعيب ولم ذلك ألست بجائع ؟ قال : بلى ، ولكن أخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وأنا من أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة فقال له شعيب : لا والله يا فتى ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري

الضيف ونطعم الطعام فجلس وأكل ورأى أنه لما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا من أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا وانما عمل بقول امرأة لجواز العمل بخبر الواحد ذكر او انثى ولا سيما في غير أمر الدين وانما ماشاها منفردين لأنه قد علم من نفسه عدم الخيانة مع انه قد احتاط بأن تمشي خلفه وانما أكل مع انه سقى لهما لوجه الله تعالى لقول شعيب كل على عادتنا من قراء الضيف فسقى موسى لله وطعمه شعيب لله أو اكل موسى لضرورة ثم انه اما ان يكون شعيب دعاه أولا على نية أخذ الأجرة كما قالت ابنته ولما امتنع منها أطعمه على طريق النفل والضيافة ، أو دعاه اولا على طريق النفل والضيافة ولكن توهمت بنته انها دعته بالأجرة او مرادها ليجزيك أجر ما سقيت لنا ان كنت ممن يأخذ الأجرة . وفي عرائس القرآن قال الاستاذ ابوسعيد عبدالملك بن ابي عثمان الواعظ ان تلك البئر غير التي يستقي منها الرعاة قال : وقد حضرتها ورأيتها قال ابن عباس قال موسى : اني لما انزلت الآية ولو شاء انسان ان ينظر الى امعائه من شدة الجوع لنظر ما شاء الله اهـ . وقد قص موسى عليه السلام الخبر لشعيب بعد التقائه كما قال الله سبحانه .

﴿فلما جاءه وقص عليه القصص﴾ مصدر بمعنى المقصوص فهو مفعول به لا مفعول مطلق اي ذكر له ما من شأنه ان يذكر وهو قتل القبطي وقصدهم قتله وخوفه من فرعون .

﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ فرعون وقومه اذ لا سلطان لهم على مدين .

﴿قالت إحداهما﴾ وهي التي قالت : ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما

سقيت لنا على الخلف فيها .

﴿يا أبت استأجره﴾ اتخذه اجيرا يرعى بدلنا .

﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ اما ان تريد بالقوي الأمين موسى نفسه وتكون ال للحضور كأنها قالت ان خير من استأجرت هذا القوي الأمين فأستأجره يا أبت لقوته وأمانته واما ان تريد الحقيقة فيكون في ذلك تلويح الى ان في موسى القوة والأمانة وعلى كل حال فالجملة تعليل مستأنف جار مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار فانه اذا اجتمعت القوة والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وجعل اسم ان خيرا لا القوي اعتناء باثبات كون موسى افضل ومثله قوله :ـ

* ألا ان خير الناس حيا وهالكا * أسير ثقيف عندهم في السلاسل *

وعبر بالماضي للدلالة على ان ذلك امر قد جرب وعرف ان القوي الأمين أولى بالاستئجار وان موسى قد جربت قوته وأمانته وعن ابن عباس رضي الله عنه ان شعيبا أخذته الغيرة اذ قالت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين فقال لها من أين عرفت قوته وأمانته فذكرت له ما فعل في شأن السقي من رفع الحجر العظيم او مزاحمته الناس حتى سقى قبلهم فهذه قوته وذكرت له انه صوب رأسه حتى بلغته الرسالة وانه غض بصره حين السقي وانه أمرها بالمشي خلفه وروي انه قال لها امشي خلفي حتى لا تصف الريح بذلك فازداد شعيب به رغبة فأراد ان ينكحه بنته وان قلت مزاحمة الناس وقد سبقوه ظلم فكيف ينسب الى موسى قلت ان صحة المزاحمة والسقي قبله فهي على وجه جائز بأن يكون الماء معطلا بكثرة الزحام فسبق اليه وانتهزه .

﴿قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين﴾ أي ان أزوجك

احداهما وتين تثنية تاء حذفت الفه وقريء في السبع كما مر بتشديد النون عوضا عنها وذلك من شعيب عرض لا عقد اذ لو كان عقداً البينّ المعقود عليها ولقال انكحتك ولم يقل اريد ان انكحك وقد عين له بعد ذلك احداهما وزوجها له قال ابن العربي وروي ان شعيبا عليه السلام قال أيتهما تريد فقال الصغرى . قال بعضهم ان هذا هو قول الأكثرين وان اسمها صفوراء وانها هي التي ذهبت في طلب موسى وقيل زوجّه الكبرى قيل وفي قوله هاتين اشارة الى ان له غيرها .

﴿على أن تأجرني﴾ تكون أجيرا لي في رعي غنمي أو تأجر نفسك مني او تثيبني من قولك اجرك الله .

﴿ثماني حجج﴾ ثماني سنين جمع حجة بكسر الحاء وثماني ظرف زمان ان قلنا معنى تأجرني في رعيتي ثماني حجج .

﴿فإن أتممت عشرا﴾ عشر سنين في الرعي أو رعي عشر .

﴿فمن عندك﴾ أي فاتمامها من عندك تفضلا لا من عندك الزاما عليك .

﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ بالزامك اتمام العشر أو بالمناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال كما يفعل المتعاسرون من المسترعين وهكذا كانت الأنبياء عليهم السلام يأخذون بالمساهلة والمسامحة وحقيقة قولك شفقت عليك وشق عليه الأمر ان الأمر اذا عظم على الانسان فكأنه شق عليه ظنه باثنين تارة تقول اطيق وافعل وتارة تقول لا اطيق ولا افعل .

﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته

ذلك واشتراط مشيئة الله تبارك وتعالى أو اتكال على توفيقه وعونه ولم يرد انه ان شاء الله عمل الصلاح وان عمل خلافه والذي عندنا انه لا يجوز لاحد ان يقول افعل ان شاء الله او ليقول لا افعل ان شاء الله مع انه في قلبه خلاف ما قال اعتمادا على الشرط ثم رأيت في بعض كتبنا ترخيصا وان قلت كيف يجوز ان يكون الصداق خدمة وانما يكون مالا كالدنانير والدراهم والنخل والابل ؟ قلت : يجوز ذلك عندنا معشر الاباضية وعند الشافعي اذا كانت خدمة معلومة محدودة ولعل ذلك جائز في تلك الشريعة وسنع ابوحنيفة ان يتزوج الرجل امرأة على ان يخدمها سنة واجاز على ان يخدمها عبده سنة او يسكنها داره سنة ويجوز ان يكون الصداق شيئا آخر وانما اراد ان يكون راعي غنمه في المدة ويعطي له أجرة رعيه ويزوجه بنته بصداق وعلق الانكاح بالرعي على معنى اني انكحك احداهما ان رعيت غنمي أجيرا وذلك معاهدة لا عقد ويجوز ان يستأجره للرعي بمعلوم يوفيه له ثم ينكحه ابنته ويجعل قوله ﴿على ان تأجرني﴾ عبارة عما جرى بينهما .

﴿قال ذلك بيني وبينك﴾ لا يخرج احدنا عنه .

﴿أيما الأجلين قضيت﴾ أي شرطية مفعول لقضيت وما صلة لتأكيد ابهام اي والاجلين مضاف اليه والمراد بها ثماني سنين وعشر وقريء (أيما) باسكان الياء وقرأ ابن مسعود (أي الأجلين ما قضيت) بالتشديد واسقاط ما بعد أي واثباتها قبل قضيت تأكيدا للقضاء أي : الأجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له والقضاء الوفاء .

﴿فلا عدوان﴾ وقرأ ابن قتيبة بكسر العين .

﴿عليَّ﴾ أي لا تتعدى عليَّ بطلب الزيادة عليه كما لا أطالب بالزيادة

على العشر لا اطالب بالزيادة على الثمان وعلق العدوان بهما جميعا لانه ان طولب بالزيادة على العشر كان عدوانا بلا شك فكذلك ان طولب بالزيادة على الثمان وأراد بذلك تقرير أمر الخيار والمعنى لا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك ان فعلت كذا فلا اثم عليَّ ولا تباعة .

﴿والله على ما نقول﴾ أنا وأنت .

﴿وكيل﴾ أي حفيظ أو شهيد ولكونه قيل بمعنى شهيد عدي بعلى واصله التعدي بالى يقال وكل اليه الأمر يكله قال سعيد بن جبير سألني يهودي من أهل الحيرة اي الأجلين قضى موسى ؟ فقلت لا ادري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى اكثرهما وأطيبهما ان رسول الله ﷺ اذا قال فعل وقال ﷺ لأبي ذر : «اذا سئلت أي الأجلين قضى موسى فقل خيرهما واذا سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما فتزوج صغراهما وقضى أوفاهما» ، وقال وهب : أنكحه الكبرى وروى شداد بن أوس بكى شعيب حتى عمي فرد الله عليه بصره وقال له (ما هذا البكاء أشوقا الى الجنة أم خوفا من النار فقال لا يا رب لكن شوقا الى لقائك فقال له هنيئا لك لذلك أخدمتك موسى كليمي) ولما تم الخطاب بينهما انكحه بنته وعيّنها وعيّن الصداق وهو الرعاية او غيرها فأمرها ان تعطيه عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصا الأنبياء عند شعيب فوقع في يدها عصا آدم حملها معه آدم من الجنة وهي من اس الجنة فأخذها موسى بعلم شعيب وكانت الأنبياء تتوارثها قبل وكانت لا يأخذها غير نبي إلا أكلته وروي ان شعيبا قال له بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فأخذها فمسها شعيب وكان مكفوفا فظن بها فقال خذ غيرها فردها ليأخذ غيرها فما وقع في يده

الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا وقيل اخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل أودعها شعيبا ملك في صورة رجل وأمر بنته ان تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات لم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه واختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فأتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها شعيب فلم يطقها فرفعها موسى . وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي نودي منها موسى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه فأما ان تكون قطعت منها قبل السير بأهله او بعده وقيل هي مما يكون وسطه ورق الريحان وقيل غصن من الخبيزي ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها اكثر فان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم واخذت الغنم ذات اليمين فأجهد في ردها ولم يستطعها فمشى على أثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى وفيها دم ولما استيقض أبصرها دامية والتنين مقتول ارتاح لذلك وعلم ان لها شأنا وولدت ابنة شعيب أولادا وكان شعيب يزوره كل سنة فاذا قعد للأكل عند موسى قام موسى على رأسه كالخادم ويكسر له الخبز ويلقيه بين يديه ويقول له كل والله ما نعرف غيره وعن مقاتل كان جبريل هو الذي دفع العصا لموسى وهو متوجه الى مدين بالليل قال كعب لما قدم عبدالله بن عمرو بن العاص قال قوم سلوه عن ثلاث فان اخبركم فعالم عن شيء من الجنة وضعه الله للناس في الأرض وعن أول موضع في الأرض وعن أول شجرة في الأرض فأجاب ان الأول الحجر الأسود والثاني قبر هود والثالث

العوسجة التي قطعت منها عصا موسى ولما بلغ ذلك كعبا قال صدق
وقيل اول موضع في الأرض موضع الكعبة وكتب صاحب الروم الى
معاوية يسأله عن اربعة أشياء لم تركض في رحم ولما قرأ معاوية الكتاب
قال أخزاه الله وما علمي بما ها هنا فقيل اكتب الى ابن عباس فاسأله عنه
فكتب اليه فأجاب بأن ذلك آدم وحواء وكبش ابراهيم وعصا موسى انه
تصير ثعبانا . وفي عرائس القرآن قال اكثر العلماء كانت عصا موسى من
اس الجنة وطولها عشرة أذرع على طول موسى حملها من الجنة معه الى
الأرض قال سعيد بن جبير اسمها ماشا وقال مقاتل اسمها نفقة وقال بن
حيان اسمها غياث وقال آخرون اسمها عليق انتهى وهنا رجع موسى
من وادي التنين الى شعيب مس الغنم فأخبره موسى ففرح وعلم ان
لموسى والعصا شأنا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل
ادرع ودرعاء فأوحى الله الى موسى في المنام ان اضرب بعصاك مستقى
الغنم ففعل فسقى الغنم منه فما أخطأت واحدة الا وضعت ادرع
ودرعاء فوّفى له شرطه وقيل اراد شعيب بعد ما قضى الأجل موسى ان
يجازيه على حسن رعيته اكراما له وصلة لابنته فقال اني وهبت لك من
اولاد غنمي كل ابلق وبلقاء في هذه السنة فأوحى الله في المنام الى موسى
ان اضرب بعصاك الماء ثم اسق الأغنام منه ففعل فما اخطأت واحدة الا
وضعت ما بين ابلق وبلقاء فعلم شعيب ان هذا رزق رزقه الله موسى
وامرأته وقيل لما قضى الأجل سلم شعيب اليه ابنته فقال لها موسى اطلبي
من ابيك ان يجعل لنا بعض الغنم فطلبت فقال لكما ما ولدت الغنم على
غير شبهها فأوحى الله الى موسى اذا ملأت الحياض قربتها لتشرب فألق
عصاك في الحياض ففعل ووضعت كل واحدة غير شبهها .

﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ بفرضه وهو ثمان سنين ونفلة وهو سنتان وزعم بعض انه مكث بعد ذلك عشر اخرى .

﴿وسار بأهله﴾ بزوجته باذن ابيها الى نحو مصر ليدخلها .

﴿آنس﴾ أبصر من بعيد .

﴿من جانب الطور﴾ اسم جبل ومن بمعنى في متعلقة بمحذوف حال من نار او للابتداء لأن النار تراءت له من جانب الطور وانما لم اعلقه بآنس لانه لم يصدر منه الايناس وهو في جانب الطور وان قلنا انه حينئذ في جانبه علقناه به .

﴿نارا﴾ هي نور على مامر .

﴿قال لأهله﴾ وقريء بضم الهاء .

﴿امكثوا﴾ هنا .

﴿إني آنست نارا لعلي آتيكم﴾ فعل مضارع أو وصف وانما خاطب زوجته بضمير الجماعة تعظيما أو لأن معها ولدا ولدته هنالك او لغير ذلك مما مر والاثنان يخاطبان بخطاب لجمع مجازا وقيل حقيقة .

﴿منها بخبر﴾ عن الطريق وكان قد أخطأها في ليلة مظلمة شديدة البرد وقد أخذ الطلق امرأته او ولدت .

﴿أو جذوة﴾ وقرأ عاصم بفتح الجيم وهمزة بضمة وهما لغتان وهو عود غليظ لا نار فيه او فيه نار ولذلك بين علي ان فيه نارا بقوله .

﴿من النار﴾ وقيل لا يقال جذوة إلا لعود اشتعل طرفه وسكن غير نافع وابن كثير وأبي عمرو ياء (اني آنست) وياء (اني أنا الله) وياء (اني أخاف) وياء (ربي أعلم) وياء (عندي أو لم) وياء (ربي أعلم) وفتحهن هؤلاء وروى أبوربيعة عن قنبل عن البزي (عندي أو لم) بالاسكان

وسكن غير نافع ياء (اني أريد) و(ستجدني) وسكن الكوفيون بأي (لعلي آتيكم) و(لعلي اطلع) .

﴿لعلكم تصطلون﴾ تنتفعون من الصلى أبدلت الطاء من التاء والثلاثي صلى بكسر اللام وفتحها والاسطلاء الاستدفاء .

﴿فلما أتاها نودي من شاطىء﴾ جانب .

﴿الوادي الأيمن﴾ من جانب الوادي الذي عن يمين موسى أو الأيمن من اليمن وهو البركة والصحيح الأول .

﴿في البقعة﴾ وقريء بفتح الباء المباركة لموسى لسماع كلام الله فيها ولجعله نبيا وارساله فيها وقيل المراد البقعة المقدسة وفي متعلقة بنودي او بمحذوف حال من شاطىء .

﴿من الشجرة﴾ بدل من قوله من شاطىء بدل اشتمال لأن الشجرة كانت نابتة بالشاطىء كذا قيل والظاهر انها ان كانت في الشاطىء فيدل بعض وهي شجرة عناب عند ابن عباس او عليق او عوسج قال السهيلي : العوسج اذا عظم قيل فيه الغرقد وعن ابن مسعود سمرة وعن بعضهم من ناحية الشجرة وهو واضح .

﴿أن يا موسى﴾ ان مفسرة لا مخففة .

﴿اني أنا الله رب العالمين﴾ ذكر بعضهم ان موسى عليه السلام لما رأى النار في الشجرة الخضراء علم انه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجر الا الله فعلم ان الكلام من الله وقد مر توجيهه وقيل خلق الله عز وجل علما ضروريا في موسى ان الكلام من الله وقيل علم ذلك لانه سمع الكلام بجميع اجزائه ومن جميع الجهات .

﴿وأن ألق عصاك﴾ فألقاها واهتزت .

﴿فلما رآها تهتز﴾ تتحرك .

﴿كأنها جان﴾ أي حية في الهيئة والخفة او في السرعة وقد مر ذلك .

﴿ولّى مدبرا﴾ حال مؤكدة لعاملها وهو ولي فان التولية والادبار بمعنى وهو الرجوع الى خلف او توليتك ظهرك لغيرك مع الذهاب وقيل مدبرا بمعنى هاربا استعمالا للعام في الخاص فالحال مؤسسة .

﴿ولم يعقب﴾ لم يرجع اليها بعد توليه وادباره وقيل لم يلتفت وكان يراها تبلع الصخور والعظام والشجر العظام ويسمع صرير اسنانها والدخان خارج من ذلك .

﴿يا موسى﴾ أي فقيل له يا موسى .

﴿أقبل﴾ أيتها .

﴿ولا تخف إنك من الآمنين﴾ عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون .

﴿أسلك﴾ ادخل .

﴿يدك﴾ اليمين وهي الكف وأصابعها .

﴿في جيبك﴾ هو طرف القميص .

﴿تخرج بيضاء﴾ وقد خرجت كالشمس وكالمصباح .

﴿من غير سوء﴾ أي برص أو عيب ولقد بسط ذلك .

﴿واضمم اليك﴾ أي الى نفسك كذا يقدرون في مثل ذلك حذرا من تسلط فعل على ضميرين لواحد الذي يظهر لي انه يجوز ذلك اذا كان تسلطه على أحدهما بحرف كما هنا فلا يحتاج الى تقدير .

﴿جناحك من الرهب﴾ وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابوبكر بضم الراء واسكان الهاء وقرأ بعض بضمها وبعض بفتح الراء واسكان

الهاء والجناح اليدان سماهما جناحا لأنه بسطهما يتقي بهما الحية ويد الانسان بمنزلة جناحي الطائر وانه اذا خاف بسطهما ومن للتعليل والرهب الخوف لما قلب الله العصا حية خاف واضطرب فاتقاها بيده كما يقدم الخائف من الشيء يده وقاية مع انها لا ترد عنه الحية فأمر بترك ذلك الاتقاء وبادخالها تحت إبطه فذلك هو الضم فيظهر للأعداء انك غير مكترث بتلك الحية مع اتيانك بتلك المعجزة التي هي الحية مع الأخرى وهي اليد البيضاء والرهب حاصل من الحية وقيل من اليد البيضاء وما من خائف بعد موسى إلا اذا وضع يده تحت ابطه زال خوفه

تحت ابطه زال خوفه ولا سيما ان وضع هذه اليد تحت ابط هذه وهذه تحت ابط هذه كما هو المراد في الآية في احد احتمالات وقيل اذا وضع يده على صدره زال خوفه وبه قال ابن عباس وقيل المراد بضم الجناح ادخال

اليدين معا في الجيب بعد قلب العصا اظهارا لعدم اكتراثه بالحية وهو غير ادخال السابق قبله وقيل أمر بضمهما لابطيه او لصدره لازالة الرهب الحاصل من بياضها وقيل حصل له رهب من بياضها فأمر بضمهما وهو ادخالهما في الكم وقيل المعنى اني اذا قلبت العصا حية أو أخرجت يدك بيضاء وحصل لك فزع فاز له بادخالها تحت الابطين وضمهما فيه الى الابطين كل واحد الى ابط الاخرى او أهالك شعاعها فافعل ذلك او اذا هالك خوف ما فافعل ذلك يزل ويجوز ان يراد بضم الجناح التجلد وضبط النفس عند انقلاب العصا حية وعند خروج اليد بيضاء حتى لا تضطرب استعادة من فعل الطائر فانه كما مر اذا خاف نشر جناحيه كما يروى ان كاتبا لعمر بن عبدالعزيز كان يكتب بين يديه فخرجت منه

ريح فخجل فقام فضرب بقلمه الأرض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرج روعك فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها مني قال في (طه) ﴿واضمم يدك الى جناحك﴾ وهنا ﴿واضمم اليك جناحك﴾ لأن المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليسرى وكل يد جناح ومجموعهما جناحان فيتحصل من السورتين معا انه ادخل يمناه تحت عضد يسراه وبالعكس وقيل الجناح اليدان فيتحصل ذلك من كل من السورتين وقيل الرهب الكم بلغة حمير وردة جار الله. بأن لباسه وقت ذلك لا كم له وانه لا يطابق ذلك التفسير نظم الآية وانه لم يسمع ذلك من الاثبات الثقات الذين ترضى عربيتهم .

﴿فذانك﴾ وقرأ بعضهم بالتشديد وهو ابن كثير وابوعمرو ورويس والاشارة لليد والعصا وانما ذكرهما في الاشارة لان الخبر مذكر .

﴿برهانان﴾ حجتان سمي الحجة برهانا لبياضها وانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام وبرهاء وبره الرجل ابيض والنون زائدة فالبرهان فعلان لما رأيت من اسقاط النون في ذلك وفي قولهم ابره الرجل اي اتى بالبرهان وقيل أصل لقولهم برهن بوزن فعلل لمدحرج لكن يحتمل زيادة النون للالحاق .

﴿من ربك﴾ أي اتيان او مرسلان من ربك .

﴿إلى فرعون وملئه أنهم كانوا قوما فاسقين﴾ خارجين عن الطاعة فهم أحقاء ان يرسل اليهم او الفسق الشرك .

﴿قال رب﴾ يا رب .

﴿إني قتلت منهم نفسا﴾ يعني القبطي .

﴿فأخاف أن يقتلون﴾ به .

﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا﴾ معينا وقرأ غير نافع رداء بالهمز .

﴿يصدقني﴾ أي هارون عند فرعون بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة أو يصدقني الردي والحقيقة واحدة او يصدقني فرعون او الملأ والجزم في جواب ارسل وقرأ حمزة وعاصم بالرفع على أن الجملة نعت لردي .

﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ قيل هذا دليل على أن التصديق فعل لفرعون وانه انما أسند الى هارون مجازا للملابسة لأنه السبب بأن يصل جناح كلام موسى بالبيان وقد مر انه يجوز عود الضمير لفرعون أو الملأ ويدل لرجوعه اليه والى الملأ قراءة بعض (يصدقوني) .

﴿قال سنشد عضدك بأخيك﴾ أي نقويك وكان هارون بمصر كما مر والعضد ما فوق المرفق فعبر بشدها عن التقوية لأن اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوي بشدة اليد على مزاولة الأمور أو لأن الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد حتى انه ليعبر غن الرجل باليد .

﴿ونجعل لكما سلطانا﴾ حجة وغلبة .

﴿فلا يصلون إليكما بآياتنا﴾ متعلق بلا أي انتفى بسبب آياتنا وصولهم اليكما بسوء أو بمحذور أي اذهبا بآياتنا أو بمحذوف حال من الكاف أو نجعل او بمحذوف نعت لسلطانا أو سلطانا أو يتغلب محذوفا أي تغلبانهم بآياتنا أو بالغالبون بعده بناء على جواز تقديم معمول الصلة ولا سيما أن الموصول والمعمول ظرف او على ان ال حرف تعريف او الباء للقسم وجوابه محذوف دل عليه لا يصلون اليكما .

﴿أنتما ومن اتبعكما﴾ في ديننا .

﴿الغالبون﴾ لهم .

﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات﴾ واضحات حال .

﴿قالوا ما هذا﴾ اي هذا المذكور وهو الآيات وافرد الاشارة لأنه يجيء بآياته شيئا فشيئا وكلما اتى بشيء قالوا هذا سحر .

﴿إلا سحر مفترى﴾ تعمله انت ثم تفتريه على الله تقول انه من الله ولم يعمل أحد مثله قبلك أو سحر تعلمه ثم تفتريه على الله ، أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر ولم يكن معجزة من الله .

﴿وما سمعنا بهذا﴾ اي السحر أو ادعاء النبوة .

﴿في آبائنا الأولين﴾ أي كائنا فيهم أي في زمانهم واياهم .

﴿وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ من عند الرب وقرىء باسقاط الواو وهي قراءة ابن كثير ووجهها ان قال موسى جواب لمقالهم ووجه قراءة الجمور بالواو ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد واعلم بمعنى عالم وقيل اسم تفضيل باق على معناه أي اعلم منكم اني أو انتم محق .

﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ هي العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الأصلية الجنة لأنها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود ومنها بالذات الثواب والعقاب وانما قصدت بالعرض وقرأ حمزة والكسائي بالياء قاله القاضي تبعا لجار الله والذي عندي انه يجوز كون الدار هي الآخرة والاضافة للبيان اي من تكون له عاقبة هي الجنة والباء للالصاق اي اتصل علمه بمن جاء بالهدى أو صلة في مفعول فعل محذوف أي يعلم من جاء بالهدي ومن أجاز نصب المفعول باسم التفضيل مطلقا وان خرج عن معناه أجاز كون من مفعولا لا علم والباء

صلة ومن معطوفة على من .

﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ الكافرون أي لا يفوزون بعاقبة الدار لفقدهم الهداية .

﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾ لم يجد شبهه يلبس بها الأمر على الناس فتعمد صريح الكذب والعناد الواضح فنفى عن نفسه العلم بوجود اله غيره لهم ومراده اشعارهم بأنه لا اله سواه وقد علم انه لا اله إلا الله وقيل الكلام على ظاهره من انه لا يعلم بوجود اله سواه ولم يكن عالما بوجود سواه ولا عالما بعدم وجود سواه فأمره ببناء الصرح للاطلاع لاله موسى اما مخرفة ومجرد عناد ولعدم جزمه بعدم اله سواه .

﴿فأوقد لي ياهامان على الطين﴾ اطبخ لي الآجر قيل انه اول من اتخذ الآجر وبنى به .

﴿فاجعل لي صرحا﴾ قصرا عاليا واضحا وقيل منارة .

﴿لعلي أطلع إلى إله موسى﴾ ان كان له إله كأنه توهم انه ان كان له إله فهو جسم في السماء يمكن الترقي اليه أو أراد ان يبني له رصدا فيرى بالكواكب ما يدل على بعث الرسل وتبدل الدولة .

﴿وإني لأظنه﴾ أي موسى .

﴿من الكاذبين﴾ في قوله ان للأرض والسماء وما فيهما إلها غيري وهذا دليل على ان قوله (الى اله موسى) انما هو على طريق الظن لا على طريق الجزم بأن لموسى الها وانما قال (أوقد لي ياهامان على الطين) ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لانه اول من عمل الآجر فهو يعلّمه لصنعه ولأن هذه العبارة أحسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه بكلام

الجبابرة ولذلك نادى هامان في وسط الكلام لا في أوله ولما سافر عمر رضي الله عنه الى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال : ما علمت أن أحدا بنى بالآجر غير فرعون ، قال في عرائس القرآن قالت العلماء أن الله تعالى قد أملى لفرعون في كل باب من أبواب التملك والتسلط والثروة والتنعم والترفه وادعاء الربوبية مع ما أنعم الله عليه من العمر الطويل والقوة والمنعة والسعة والجنود والشوكة وقوة بنيته وربما مكث اربعين يوما بلياليها لا يخرج للفضاء إلا مرة واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يبزق ولا يتمخط ولا يتوجع ولا يسعل ولا يتوجع بطنه ولا ترمد عيناه ولا تصيبه آفة في نفسه ولا كراهية قال سعيد بن جبير ملك فرعون اربعمائة سنة لا يرى مكروها ولو كان له في تلك المدة وجع يوم أو حمة ليلة لما ادعى الربوبية وأقدم على خطب عظيم وخطر جسيم لم يمسه سوء ولا مكروه ولا يتلقاه الا محبوب وكان له قصر من قصوره مشرف على المدينة ينيف على الف عتبة سخر الله له دابة من دوابه يركبها فيصعد ذلك القصر عليها ويهبط عليها مع أنعم الله عليه به استدراجا ولما عاين من أمر موسى ما عاين لم يزده ذلك إلا عتوا وعلم من قومه الخوف وخاف أن يأمنوا لموسى ويخالفوه فأمر هامان ببناء الصرح وجمع له العمال والفعلة فلم يترك أحدا ممن يقدر عليه من يعمل البنيان إلا جمعه للبناء فاجتمع له خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء فمن يعمل الآجر والجص وينجر الخشب والأبواب ويضرب المسامير سهل الله له استدراجا وتم كما يريده سبع سنين وارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد منذ خلق الله السماوات والأرض فشق ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه : أن دعه وما يريد فاني مستدرجه ومبطل عمله في ساعة واحدة

وكان ذلك الصرح اذا طلع الشمس ضرب ظله نحو المغرب واذا دنى
غروبها ضربه نحو المشرق بحيث لا يعلم أحد منتهاه إلا الله سبحانه
فبعث الله سبحانه جبريل فضربه بجناحه فقذف به على عسكر فرعون
فقتل الف الف رجل ولم يبق احد ممن عمل فيه الا أصابه موت وتيبست
أيدي النجارين والحدادين والبنائين واحترق عاملوا الآجر والجص ومات
القهارمة والعمال ايضا وذلك كله ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس
ولما رأى فرعون ذلك علم أن حيلته لم تغن وأمر أصحابه فنصبوا الحرب
لموسى وقالوا انك ساحر وعبد من عبيد فرعون كفرت نعمته وأبقت منه
ونسيت منته حين القتك امك في اليّم لعلمها بما تصير اليه من سوء الحال
فاستنقذك منه فآواك وجئته عدوا محاربا فلا ننتهي عنك حتى نردك الى
عبادته وخدمته ونذيقك الذل والهوان بترك طاعته . وروي انه لما تم
بناءه صعد فرعون الى أعلاه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه
وهي ملطخة دما فقال قد قتلت إله موسى فان صحة هذه الرواية فاما ان
يخلق الله دما في النشابة او صادفت طائرا او حوتا من بحر بين السماء
والأرض وذلك استدراج وتهكم به بالفعل كما ورد التهكم على الكفار في
القرآن بالقول في مواضع وبناه حتى لا يقدر الباني ان يقف اعلاه على
رأسه وروي ان فرعون نفسه هو الرامي بنشابة وردت ملطخة بدم فقال
ما قال فعند ذلك بعث الله عز وجل جبريل فقطعه ضربا بجناحه ثلاث
قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل وقطعة في
البحر وقطعة في المغرب وهلكت عماله كلهم وروي انه لما وقعت قطعة
في البحر أصبح من قرب من البحر من الأقوام على غير لغتهم والصحيح
عندي ان ذلك من فرعون لعنه الله مجرد عناد وانه عالم بأنه لا اله الا الله

وقد روي انه كان يعرف اسم الله الأعظم واذا اقحطوا خر ودعى به وقال لله : إئتني في الدنيا وعاقبني في الآخرة فتأتي السحابة فوقه ويقول أنا الهكم جئتكم بالمطر وقد قال موسى له لقد علمت ما انزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر للناس فالظن يقين قال على جهة العمد تكذيبا لموسى وقد علم صدقه أي لا علمه من الكاذبين وسواء تيقن انه لا اله سواه او ظن او علم بوجود اله الذي لا اله الا هو فالجهل الذي به مفرط حيث حسب انه في مكان كما هو في مكان ويطلع اليه كما يطلع اليه في عليته وانه ملك السماء كما انه ملك الأرض وما اجهله واجهل قومه اذا راموا نيل السماء بصرح يبنونه أكان الله بتلك الصفة عنده أم لبس على قومه وبعد فلا يخفى أن فرعون عالم أن هامان لا يقدر على بنيان الصرح وحده بل عالم بأنه لا يبني فيه شيئا بل يأمر من يبني فاسناد البناء اليه على طريق النسبة غير الخارجية تجوز حيث كان هامان هو السبب لأنه يأمر بالبناء ويجمع البنائين وما يحتاج اليه البناء .

﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق﴾ عن الايمان وهذا الاستكبار ليسوا له بأهل ولا يكون له أحد أهلا بل الكبرياء على الحقيقة لله عز وعلا وكل متكبر سواه فاستكبار بغير الحق ، قال الله سبحانه : (الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في ناري) .

﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ للحساب بالبعث والظن هنا لليقين وقريء ببناء (يرجعون) للمفعول .

﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم﴾ طرحناهم .

﴿في اليم﴾ البحر وهو القلزم عند الجمهور وهو المشهور وقيل النيل

والفاء الأولى لمجرد السببية لا ترتيب فيها وفي التعبير بالأخذ والنبذ تعظيم لشأنه سبحانه وتحقير لهم كأنهم حصياة أخذها أحد في كفه وطرحها في البحر .

﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ يا محمد وحذر قومك ان يصيبهم مثل ما اصاب هؤلاء .

﴿وجعلناهم﴾ أي فرعون وقومه والجعل التسمية أي سميناهم .

﴿أئمة﴾ بتسهيل الهمزة الثالثة وبتحقيقها كالأولى وبابدالها باء اي سميناهم رؤساء في الشرك وقدوة أو جعلهم أئمة خذلانهم .

﴿يدعون إلى النار﴾ من رآهم فحذف المفعول للتعميم والنار اما حقيقة والتجوز بحذف مضاف اي الى موجبات النار وهي الشرك والمعاصي او مجاز بأن يستعمل لفظ النار بمعنى ما يوجب مسماه والذي يوجبه هو الشرك والمعاصي فانهما السبب في دخول النار .

﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ بدفع العذاب عنهم .

﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ خزيا وابعادا عن الرحمة وذلك انه أغرقهم ولم يرحمهم بترك الاغراق او اتبعهم لعن الملائكة فهم في الدنيا تلعنهم ملائكة الله .

﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ المطرودين عن الجنة والرحمة الى النار وغضب الجبار او من الذين قبح الله وجوههم بتخفيف الباء أي شوهها بأن سودها وجعل عيونها زرقا والشفة السفلى تصل الصدر والعليا تغطي ما فوقها الى الرأس والرأس كالجبل والضرس كجبل أحد وغلظ الجلد أربعون ذراعا وقيل أربعون سنة تسير الدواب بين لحمه وجلده كالوحش في البرية وفخذه مسيرة يومين كذا زعم بعض ويوم

الأول متعلق يبصرون لأنه لا صدر للا النافية اذا لم تعمل على الصحيح والثاني متعلق بمحذوف أي تقبحون يوم القيامة لدلالة هم من المقبوحين ويجوز تعليقه بمقبوحين بعده أو بمحذوف حال منه او من ضميره او من أل على حد ما مر في قوله (الغالبون) .

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة .

﴿من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم .

﴿بصائر للناس﴾ بصائر حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب أي أنوار القلوب الناس يميزون بها الحق .

﴿وهدى﴾ عن الضلالة .

﴿ورحمة﴾ لمن آمن به وهو الذي يكون له رحمة وأما غيره فلا ينتفع به أو أراد انه في نفسه رحمة ينتفع بها من وفقه الله ويتجنبها من خذله .

﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعضون بما فيه والترجي مصروف الى موسى أي ليكونوا على حال يرجؤ منهم التذكر قال جار الله أو المعنى ارادة أن يتذكروا فشبه الارادة بالترجي فاستعير لها بتصرف ويرده أن الله سبحانه اذا اراد شيئا فلا بد أن يقع فلو أراد تذكر الناس جميعا لتذكروا كذا فهمت من كلام القاضي ويجاب بأن الارادة هنا بمعنى حب الشيء والله أحب الطاعة من كل أحد وأمر بها ومعنى حبه إياها انه ألزمهم إياها وانه جعلها هي الصواب والحكمة ويجوز ابقاء الارادة على ظاهرها فالمراد ارادة تذكر من سبق في علمه انه يتذكر .

﴿وما كنت﴾ يا محمد .

﴿بجانب الغربي﴾ أي بجانب الجبل الغربي وهو الطور أو الوادي الغربي او المكان الغربي والمراد ان ذلك كان غربا لموسى حين المناجاة قاله

ابن عباس وقيل من اضافة الموصوف للصفة اي الجانب الغربي من مقام موسى والياء بمعنى أي ما كنت حاضرا في جانب الغربي ويجوز كون الجانب الغربي شيئا واحد عند القراء لاجازته اضافة الشيء لنفسه عند اضافة اللفظين وذلك الغربي هو الأيمن ولم يعبر بالايمن ليكون الكلام أفصح وأبلغ فان سيدنا محمدا ﷺ لم يزل جانب الأيمن مذ كان في ظهر آدم عليه السلام .

﴿إذ قضينا﴾ أنهينا وأوحينا .

﴿إلى موسى الأمر﴾ الارسال الى فرعون وكتب التوراة في الألواح وغير ذلك من أمره .

﴿وما كنت من الشاهدين﴾ لذلك فتعرفه فتخبر به وهم النقباء فانما تخبر به على طريق الرسالة اليك من عندي وقيل الأمر رسالة سيدنا محمد ﷺ قال عياض وهو أنسب بقوله (ولكنا انشأنا قرونا) .

﴿ولكنا أنشأنا﴾ أوجدنا .

﴿قرونا﴾ أمما كثيرة بين الوحي الى موسى والوحي اليك او بينك وبين عيسى فان بين سيدنا محمد وسيدنا عيسى عليهما السلام خمس مائة سنة وقيل ست مائة سنة .

﴿فتطاول عليهم﴾ أي على الذين في زمانك .

﴿العمر﴾ أي أمد انقطاع الوحي فحرفت الأخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فصار ماجيتهم به كأنه بدع غريب لم يتقدم قط فقد بان لك اتصال الاستدراك بما قبله والأصل لكننا فحذفت احد النونات وادغمت احد الباقيتين في الأخرى .

﴿وما كنت ثاويا﴾ مقيما .

﴿في أهل مدين﴾ شعيب والمؤمنين به .

﴿تتلو عليهم آياتنا﴾ تقرأها عليهم تعلما منهم والمراد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه وجملة تتلوا خبر ثان او حال من ضمير ثاويا وفسر بعضهم الآيات بالوعد والوعيد .

﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ إياك الى قومك وجبريل اليك بوحي وكتاب فيهما قصصهم وغيرها فانما تخبرهم بوحي وكتاب من الله لا بسماع وتعلم من أحد فقوله ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ عايد الى قوله ﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ الى قوله ﴿آياتنا﴾ .

﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ قيل لعل المراد بإذ الأولى وقت استنبائه وبالثانية وقت اعطائه التوراة خذ الكتاب بقوة لأنهما المذكوران في القصة ووقت إعطاء التوراة هو ليلة المناجاة وتكليم الله سبحانه لموسى وقال الطبري اذ نادينا بأن (سأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) الآية وعن أبي هريرة المراد بهذا النداء انه نودي يومئذ من السماء يا أمة محمد ﷺ استجبت لكم قبل ان تدعوني وغفرت لكم قبل أن تسألوني فحينئذ قال موسى عليه السلام : اللهم اجعلني من أمة محمد ﷺ وفي عرائس القرآن قال الله سبحانه لموسى (فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين تمت على حب محمد) قال ومن محمد ؟ قال (احمد الذي أثبت اسمه على عرشي قبل ان أخلق السماوات والأرض بألفي عام واني مختار له على جميع مخلوقاتي) قال : يا رب فهل خلقت امة أكرم من أمتي ؟ قال : (فضل امة محمد على غيرها كفضلي على خلقي) قال يا رب ليتني رأيتهم . قال : (لا تراهم وان شئت سمعت كلامهم) قال : قد أردت . قال وهب قال موسى يا رب أرني محمدا وأمته فقال (لن تصل

الى ذلك ولكن إن شئت ناديت امته وأسمعتك أصواتهم) قال بلى يا رب قال سبحانه وتعالى (يا أمة محمد) فأجابوه من أصلاب آبائهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ومن أرحام الأمهات فأجابوه لبيك اللهم لبيك أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك قال الله سبحانه وتعالى وعز وجل (يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي عقابي قد أعطيتكم قبل أن تسألوني وقد أجبتكم من قبل أن تدعوني وقد غفرت لكم قبل ان تستغفروني ومن جاءني يوم القيامة بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر) أي ان تاب .

﴿ولكن﴾ أرسلناك رحمة من ربك للناس وقدر بعضهم رحمناك رحمة بارسالك والوحي اليك واطلاعك على الأخبار الغائبة وقدر بعضهم علمناك﴿رحمة من ربك﴾وعلى كل حال فبين قولك أرسلنا وقوله من ربك التفات وكذا بين رحمنا وقوله ربك وكذا بينه وبين علمنا والظاهر أن رحمة مفعول لأجله على الأول والثالث أو حال على الأول وأما على الثاني فمفعول مطلق ويجوز الحالية على الثالث ايضا لوجود التعليل بقوله :

﴿**لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك**﴾ واللام متعلقة بأرسلنا وعلمنا المقدر ولا اشكال أو يرحمنا المقدر باعتبار أن رحمته وقعت بالارسال والوحي والاطلاع والقوم أهل مكة وعن بعض أن الفترة بين سيدنا محمد وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام خمس مائة وخمسون سنة ويجوز أن يراد بنفي النذير نفيه ما بين سيدنا محمد وسيدنا اسماعيل عليهما الصلاة والسلام على أن دعوة موسى وعيسى عليهما السلام مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم .

﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون ولولا امتناعية أن تصيبهم كفار مكة مصيبة عقوبة بما قدمت أيديهم من الكفر والمعاصي .

﴿ولولا أن تصيبهم بما قدمت يديهم فيقولوا﴾ عطف على تصيب والفاء سببية ولو كان ما بعدها مفردا بالتأويل لأنه جملة في اللفظ وتلك الفاء منبهة على أن القول هو المقصود بأن يكون سببا لانتفاء عدم الارسال المقدر جوابا للاول وليس المقصود نفس الاصابة .

﴿ربنا لولا﴾ تحضيضية .

﴿أرسلت﴾ داخلة على الماضي وأصل الدخول على المستقبل أو يؤل أرسلت بترسل .

﴿إلينا رسولا فنتبع آياتك﴾ المرسَل هو بها .

﴿ونكون من المؤمنين﴾ ونصب نتبع في جواب التحضيض كما ينصب في جواب الأمر لأن كل من الأمر والتحضيض بعث على الفعل وجواب الامتناعية محذوف ، كما مر أي ولولا أصابه مصيبة إياهم بما قدمت أيديهم وقولهم لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين المسبب للاصابة ما أرسلنا اليهم أو لعاجلناهم بالعقوبة فإنا ما أرسلناك الا قطعا لعذرهم والزاما للحجة وفي ذلك تصريح بأن السبب في قولهم ذلك هو اصابة المصيبة لا التأسف على الايمان فكفرهم راسخ وعبر عن الأعمال بما قدمت أيديهم لأن الأعمال تزاول بالأيدي فجعل كل عمل معبرا عنه لتقديم الأيدي إياه ولو كان من عمل القلب تصبيرا للأقل تابعا للأكثر عن الأقل .

﴿فلما جاءهم الحق﴾ محمدا والقرآن أو كلاهما .

﴿من عندنا قالوا لولا﴾ توبيخ .

﴿أوتي﴾ محمد .

﴿مثل ما أوتي موسى﴾ من الآيات كاليد والعصا وغيرهما أو الكتاب جملة واحدة أو كل ذلك وذلك أعنات من قريش بتعليم اليهود لهم ذلك .

﴿أو لم يكفروا﴾ أي قريش أو اليهود فانهم الذين علموا قريشا أن يسألوا سيدنا محمدا ﷺ مثل ما أوتي موسى أو الضمير لقريش ونسب الكفر بما أوتي موسى اليهم مع انه لليهود والقبط لأنهم جنس واحد في الرأي والمذهب أو لأن فرعون عربي من أولاد عاد وعن الحسن كان للعرب أصل في زمان موسى عليه السلام .

﴿بما أوتي موسى من قبل﴾ متعلق بأوتي أو بيكفروا .

﴿قالوا سحران﴾ أي قال قريش موسى ومحمد ساحران أو قالت اليهود والقبط موسى وهارون ساحران ويوافق الأول ما روي أن قريشا بعثوا إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن سيدنا محمد ﷺ فأخبروهم بنعته وصفته وأنه في كتابهم فرجعت رسل قريش الى قريش فقالوا - أعني قريشا - موسى ومحمد ساحران وقرأ الكسائي وحمزة وعاصم (سحران) بكسر السين واسان الحاء أي ذوا سحر وسموهم سحرين مبالغة أو وأمرهما سحران أو التوراة والقرآن سحران وهو قول ابن عباس .

﴿تظاهرا﴾ تعاونا كل يصدق الآخر وقرىء (أظاهرا) بهمزة الوصل وابدال التاء ظاء وادغام الظاء في الظاء واذا التقدير أمرهما سحران فإسناد التظاهر الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز .

﴿وقالوا إنا بكل كافرون﴾ أي كافرون بكل منهما أو بكل الأنبياء أو بكل الكتابين أو بكل من فعل موسى وهارون أو فعل موسى ومحمد

وقالت اليهود والقبط إنا كافرون بموسى وهارون .

﴿قل﴾ يا محمد .

﴿فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما﴾ أي من التوراة والقرآن وهذا يقوي أن المراد بساحران موسى ومحمد .

﴿اتبعه﴾ بالجزم في جواب أمر التعجيز والذي ظهر لي ان اليهود في زمان نبينا ﷺ لا يقولون إنا كافرون بموسى وهارون أو بالأنبياء ثم رأيت الثعالبي ذكره في الجواهر .

﴿إن كنتم صادقين﴾ في انهما ساحران وهذا الشرط ملزم مبكت وجيىء بحرف الشك وهو أن للمتهكم .

﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ أي لم يأتوا بما طلب والمفعول محذوف أي فان لم يستجيبوا دعاءك إلى الاتيان بكتاب اهدى وانما حذف للعلم به وهكذا الغالب في الاستجابة حذف الدعاء اذا تعدت الى الداعي بالحرف أو بنفسه وذكر ويقال استجاب الله له دعاءه ولا استجاب له ولا يقال استجاب الله له دعاءه ولا استجابة دعاء والدعاء في الآية هو قوله (فأتوا) .

﴿فاعلم انما يتبعون أهواءهم﴾ لا حجة لهم في كفرهم .

﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ والاستفهام انكاري وبغير حال مؤكدة للهوى أو مؤسسة لان الحق قد يهواه الانسان كذا ظهر لي ثم رأيت للقاضي .

﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ لأنفسهم بالكفر والمعاصي .

﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ أي جعلنا القرآن متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ليتصل التذكر فلا يتراكم الصدى على

القلب كذا يظهر وفسره القاضي باتباع بعضه في الانزال ليتصل التذكر أو في النظم أي التأليف لتقترن الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والمصالح بالعبر والقول القرآن وقيل : المعنى انهينا اليهم أخبار الأمم الماضية كيف عذبوا بالتكذيب وقيل وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا وقرأه بعض بتخفيف الصاد .

﴿**لعلهم يتذكرون**﴾ يتعظون فيؤمنون ويطيعون .

﴿**الذين آتيناهم الكتاب**﴾ التوراة والانجيل قال للحقيقة .

﴿**من قبله**﴾ أي القرآن .

﴿**هم به يؤمنون**﴾ والمراد من آمن من اليهود كعبدالله بن سلام ومن النصارى كالذين قدموا من الحبشة قدموا مع جعفر فلما رأوا ما بالمسلمين من الفقر قالوا يا رسول الله ان لنا اموالا فان أذنت لنا انصرفنا فجئنا بها فواسينا المسلمين فأذن لهم فانصرفوا ففعلوا وقيل هم المراد بالآية وحدهم واما غيرهم فبالقياس عليهم وقال ابن عباس نزلت الآية في الأربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة قدموا مع جعفر وثمانية من الشام وقيل المراد ناس من أهل الكتاب لم يبدلوا ولم يغيروا وكانوا ينظرون النبي ﷺ ولما ظهر بمكة أتوه ووجدوه على النعت في كتابهم فآمنوا به وقيل سلمان وابن سلام ومن معهما قال رفاعة القرظي نزلت في عشرة من اليهود أنا احدهم أسلمنا فاؤذينا فنزلت فينا وقيل انزلت في اثنين وثلاثين من الحبشة قدموا مع جعفر وثمانية من الشام .

﴿**واذا يتلى**﴾ أي القرآن .

﴿**عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا**﴾ تعليل جلي أي لأنه الحق من ربنا فهو حقيق بأن يؤمن به .

﴿إنا كنا من قبله﴾ قبل نزوله .

﴿مسلمين﴾ على دين الاسلام لأن الاسلام صفة كل مصدق للوحي بيّن بهذه الجملة ان ايمانهم متقادم لا قريب العهد لأن آبائهم القدماء قرأوا في الكتاب الأول ذكره وابنائهم من بعدهم فهم مصدقون به باعتقادهم صحته خصوصا وبالجملة قبل تلاوته عليهم .

﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ لايمانهم بالكتابين القرآن والتوراة والقرآن والانجيل .

﴿بما صبروا﴾ بصبرهم على أذى المشركين ومن لم يتبعهم من أهل دينهم أو على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده والعمل بما أنزل الله قال ﷺ (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد والعبد المملوك والمؤدي حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطأها وأدبها وأحسن تأديبها وعلمها وأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها له اجران) .

﴿ويدرءون﴾ يدفعون .

﴿بالحسنة﴾ لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ .

﴿السيئة﴾ الشرك قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقيل الحسنة الصفح والعفو والسيئة أذى المشركين وقيل الحسنة الطاعة والسيئة المعصية لقوله ﷺ : «اتبع السيئة الحسنة تمحها» .

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في الطاعة والمراد الزكاة والصدقة .

﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ القول القبيح .

﴿أعرضوا عنه﴾ تكرما .

﴿وقالوا﴾ للاغين .

﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ والسلام في قوله .

﴿سلام عليكم﴾ سلام متاركة وموادعة لا نعارضكم بالشتم او دعاه بالسلامة عماهم فيه كائنهم قالوا اللهم سلمنا منهم واجعلهم بمعزل عنا .

﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ لا نريد صحبتهم ولا متابعتهم في أفعالهم وأقوالهم واعتقادهم ادعى بعضهم ان ذلك منسوخ بآية السيف روي ان أبا جهل وأصحابه قالوا لهؤلاء الذين أسلموا من أهل الكتاب أف لكم من قوم منظور اليهم اتبعتم غلاما قد كرهه قومه وهم أعلم به منكم فقالوا لهم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن حبيب بن حجر القيسي يقال ما أحسن الإيمان بزينة العلم وما احسن العلم بزينة العمل وما احسن العمل بزينة الرفق وما اضفت شيئا الى شيء مثل حلم الى علم .

﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ لا تقدر على ادخال من أحببت من قومكم أو غيرهم في الاسلام .

﴿ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي عالم بهم والمهتدون منا من له قدر الهدى فيقبله ويجيب اليه قال ﷺ لعمه أبي طالب عند احتضاره : «يا عم قل لا اله إلا الله كلمة أشهد - وروى - أحاج لك بها يوم القيامة» فقال له : يا ابن اخي لقد علمت انك صادق وانك تدعو الى خير ولولا أن تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك ، وأنشد الأبيات المشهورة التي منها :

* ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا *

ولكن على ملة الأشياخ يعني أموت على دين عبدالمطلب وعبد مناف وهاشم . ثم مات ونزلت الآية في ذلك قال الزجاج : أجمع المسلمون

انها نزلت في أبي طالب وذلك انه قال عند موته يا معشر بني هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي ﷺ : «تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك» قال : فما تريد يابن اخي ؟ قال : «أريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أشهد لك بها عند الله» . فقال : يابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني أكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان تكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكن سوف أموت على ملة الأشياخ . ونزلت الآية وقال غير الزجاج أن نزولها في شأن أبي طالب غير متفق عليه بل قول الجمهور وقال أبوروق وفي قوله ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ اشارة الى العباس .

﴿وقالوا﴾ أي قومه قريش والقائل منهم الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبدمناف نحن نعلم انك على الحق ولكن نخاف إن خالفنا العرب واتبعناك أن يتخطفونا من أرضنا ونحن جماعة قليلة ؛
قال تعالى :

﴿إن تتبع الهدى معك نتخطف﴾ نخرج بسرعة .

﴿من أرضنا﴾ مكة ورد الله سبحانه عليهم بقوله :

﴿أولم نمكن لهم حرما آمنا﴾ يأمنون فيه والعرب حوله يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وآمنا بمعنى ذو أمن كلابن بمعنى صاحب لبن ومن المعروف انه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحداء فاذا كانوا في أمن بحرمة الكعبة فكيف ان أضموا اليها الايمان .

﴿تجبى﴾ تجلب وقرأ غير نافع بالتحتية وقرأ يجبى بالتحتية في أوله

والنون قبل آخره من قولك جنيت الرطب وعدي الى أن المراد تجلب بعد ان تجنى .

﴿إليه ثمرات﴾ وقرىء بضم الثاء والميم وبضم الثاء واسكان الميم .

﴿كل شيء﴾ أي اكثر الأشياء فالكلية بمعنى الكثرة أو هي على ظاهرها بمعنى انه يجلب اليه كل ما احتاجوا من الثمار يجمع الى الحرم من مصر والشام واليمن وعمان والعراق والطائف .

﴿رزقا﴾ حال من ثمرات أو مفعول مطلق لجبي لأن المعنى نرزق لهم ثمرات .

﴿من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ انه ذلك رزق من عندنا ولو علموا ما خافوا غيرنا من جهة الرزق أو لا يعلمون أن تمكين الحرم الآمن لهم وجبي الثمرات اليه من عندنا أو المراد انهم جهلة لا يتفطنون .

﴿وكم أهلكنا من قرية﴾ أي من أهل قرية أو سمي الحال باسم المحل .

﴿بطرت﴾ البطر عدم الشكر .

﴿معيشتها﴾ مصدر ميمي بمعنى العيش أو المراد ما يعاش به دمرهم الله لما لم يشكروا النعمة وحالهم كحالكم يأهل مكة فأحذروا أن ينزل بكم ما نزل بهم والنصب على نزع الخافض أي في معيشتها أو على الظرفية المكانية المجازية كقولك زيد ظني مقيم أو الظرفية الزمانية بتقدير مضاف أي أيام معيشتها كقولك أجبي ، مقدم الحاج أي زمان قدومهم أو على التشبيه بالمفعول به أو على المفعولية بتضمين بطرت معنى كفرت .

﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا﴾ إلا زمانا قليلا أو سكنا قليلا قال ابن عباس رضي الله عنه : لم يسكنها إلا المسافر أو مار طريق أو قليلا مستثنى من الفاعل المحذوف الذي غاب عنه المستتر أي لم يبق من يسكنها إلا قليلا أو من الضمير المستتر أي لم تسكن من بعدهم إلا قليلا منها فقد سكن وأكثرها خراب .

﴿وكنا نحن الوارثين﴾ اذ لم يخلفهم فيها أحد يتصرف فيها تصرفهم .

﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾ الكافر أهلها أي ما كانت عادته اهلاك القرى .

﴿حتى يبعث في أمها﴾ أصلها وقصتها التي هي اعمالها وتوابعها .

﴿رسولا يتلو عليهم آياتنا﴾ قطعا للمعذرة أو ما كان في قضاء الله سبحانه أن يهلك القرى بالقتل والخراب حتى يبعث في أمها أي في مكة رسولا أي محمد ﷺ وقد وقع بعد تكذيبهم عليهم القحط سبع سنين قبل الهجرة والقتل بعدها وقريء في أمها بكسر الهمزة تبعا للميم .

﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ مشركون واهلاك القرية اهلاك اهلها أو خرابها باهلاك اهلها فتقرر ان الله عدل لطيف اذ كان لا يهلك القرية إلا لاصرارها على الشرك بعد البعث اليها .

﴿وما أوتيتم من شيء﴾ ما شرطية ومن بيانية متعلقة بمحذوف حال من الراجع المحذوف أي وما أوتيتموه قليلا وكثيرا .

﴿فمتاع﴾ فهو متاع .

﴿الحياة الدنيا﴾ تتمتعون به فيها .

﴿وزينتها﴾ تتزينون به أيام حياتكم ثم يفنى .

﴿وماعند الله خير وأبقى﴾ فانما أوتوا في الدنيا ولو كان حسنا وباقيا لكن ما عند الله خير منه وأبقى لانه لا ينقطع ولا حد لحسنه والذي في الدنيا يبقى قليلا فينقطع .

﴿أفلا تعقلون﴾ إن الباقي خير من الفاني وقرأ أبوعمرو وبالتحتية على طريق الالتفات وقراءته أبلغ في الموعظة لأن فيها اعراضا عن خطابهم كما تتكلم لأحد وتعاتبه ثم تقول في شأنه لغيره هذا مجنون وفي الحديث من طريق أبي هريرة وطريق سهل بن سعد :. «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقي الكافر منها شربة» ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : «أن الله خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والمشرك . فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والمشرك يتمتع» ، وعن اليافعي : «لو أوصى أحد بثلث ماله لأعقل الناس صرف في المشتغلين بطاعة الله فانه لا أعقل ممن أعطي القليل وأخذ الكثير) وفي عبارة صرف للزهاد ومن لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل .

﴿أفمن وعدناه وعدا حسنا﴾ وهو الوعد بالجنة .

﴿فهو لاقيه﴾ جملة اسمية معطوفة على وعدناه وعدا حسنا والفاء سببية لا ترتيب فيها ويجوز ان تكون الجملة معترضة والفاء والواو في جملة الاعتراض بالاستئناف والوجه الأول أولى لافادته بالسببية انه لا يخلف الميعاد الا ان قلنا بأن الفاء استئنافية فيها معنى السببية .

﴿كمن﴾ خير من .

﴿متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ الفاني عن قريب المكدر بالمصائب المعقب للتحسر على الانقطاع ومتاع مفعول مطلق وهو اسم مصدر بمعنى التمتع ، وهو اسم عين لما يتمتع به اطلق بمعنى المصدر فكان مفعولا

مطلقا او مفعول ثان لتضمن متعناه معنى عطيناه والاستفهام للانكار ابعد هذا التفاوت يستويان أي لا يستويان والآية توضيح وتقرير لما قبلها وهي نازلة على العموم لفظا ومعنى وقيل سبب النزول النبي ﷺ وأبو جهل لعنه الله ليس النبي الموعود بالجنة كأبي جهل وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار والوليد بن المغيرة .

﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ اي ممن تحضره الزبانية في العذاب والتعبير بالاحضار اشارة الى انهم يساقون كرها او يجرون الى النار والظاهران ثم لتراخي زمان تمتعهم في الدنيا عن زمان احضارهم في العذاب او لتباعد رتبة الاحضار فيه عن التمتيع وقرأ الكسائي بسكون هاء هو تنزيلا للميم المفتوحة والهاء والواو منزلة عضد فسكن تخفيفا وهو رواية عن نافع .

﴿ويوم﴾ أي واذكر يوم .

﴿يناديهم فيقول﴾ الله ويجوز عطف اليوم على اليوم فيقول عطف مفصل على مجمل .

﴿أين شركائي﴾ اضاف الشركاء الى نفسه تهكما بعبدتها في اثباتهم إياها .

﴿الذين كنتم تزعمون﴾ حذف مفعولا تزعم للدلالة عليهما اي تزعمونهم شركائي ويجوز تقدير ما يسد مسدهما اي تزعمون انهم شركائي .

﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ العذاب او الغضب وهم رؤساء الضالة من بني آدم او هم الشياطين الذين يدعونهم الى عبادة الأوثان .

﴿ربنا هؤلاء الذين﴾ مبتدأ وخبر وجملة أغويناهم مستأنفة او الذين

تابع لهؤلاء وأغويناهم خبر .

﴿أغوينا﴾ أضللناهم وهم الاتباع .

﴿أغويناهم﴾ أضللناهم .

﴿كما غوينا﴾ ضللنا ولم نكرههم على الضلالة بل أحبوها كما أحببناها فبمجرد تحببنا إياها اليهم اتبعونا فيها .

﴿تبرأنا اليك﴾ منهم .

﴿ما﴾ نافية او مصدرية على تقدير من اي تبرأنا اليك من كونهم يعبدوننا .

﴿كانوا إيانا﴾ مفعول ليعبدون وقدم للفاصلة .

﴿يعبدون﴾ بل عبدوا اهواءهم ولم يقرن جملة تبرأنا وجملة اليك ما كانوا إيانا يعبدون بالعاطف لأنه تقرير للمحبة قبلها واذا جعلنا ما مصدرية فالجملة واحدة .

﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ الأصنام التي تعبدونها وتزعمون انها شركاء الله .

﴿فدعوهم﴾ لشدة حيرتهم .

﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ لعجزهم عن الاجابة والنصر .

﴿ورأوا العذاب﴾ أبصروه .

﴿لو أنهم كانوا﴾ في الدنيا .

﴿يهتدون﴾ للاسلام جواب لو محذوف اي ما ابصروه ويجوز كون لو للتمني ويقدر القول اي وقالوا ليتنا اهتدينا فيكون بين قالوا .

و﴿لو انهم كانوا﴾ الخ التفات السكاكي ويجوز ان يراد وانهم يهتدون اليوم لحيلة يدفعون بها العذاب .

﴿ويوم﴾ مفعول لأذكر او معطوف على احد اليومين .

﴿يناديهم﴾ الله .

﴿فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ ماذا اسم استفهام مفعول مطلق بمعنى الاجابة وناصب محله اجبتم بعد اي اي اجابة اجبتم المرسلين او ما مبتدأ وذا خبر او بالعكس واجبتم صلة ذا والرابط محذوف اي ما الجواب الذي اجبتموه المرسلين .

﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ الأخبار اي خفيت عليهم .

﴿يومئذ﴾ وشبه عدم علمهم بالأخبار بالعمى بجامع عدم الاهتداء الى الشيء على الأصل فعموا على الأنباء وقلب مبالغة ودلالة على ان ما يكون في الذهن انما يرد عليه من خارج فاذا لم يرد عليه من خارج شيء لم تكن له حيلة وعلى في الوجه الأول على اصلها وهي للاضراب وفي الثاني للمجاوزة وقرىء بالبناء للمفعول اي اخفيت عليهم الانباء وأبهمت والمراد بالأخبار ما اجابوا به الرسل والاعذار والحجج او ما يعم ذلك كله واعلم يا اخي ان هول ذلك اليوم عظيم ولعظمه لا يتبين لجواب للرسل اذا سئلوا فضلا عن أممهم **﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا انك انت علام الغيوب﴾** .

﴿فهم لا يتساءلون﴾ عنها لفرط الدهشة او لعلم كل واحد منهم ان لآخر مثله في عدم العلم وعدم الحجة وقال مجاهد لا يتساءلون بالأرحام قيل يسأل قريب قريبه او صاحب صاحبه ان يحمل بعض ذنوبه .

﴿فأما من تاب﴾ من الشرك .

﴿وآمن﴾ بالله ورسله .

﴿وعمل صالحا﴾ أدى الفرائض .

﴿فعسى أن يكون﴾ عند الله .

﴿من المفلحين﴾ الناجين الفائزين وعسى تحقيق من الكرام لا شك او هي هنا للترجي مصروفا الى التائب المؤمن العامل اي فليطمع في الافلاح .

﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ ما يشاء هذا عند بعضهم جواب لقول قريش .

﴿لو انزل هذا القرآن على رجل من القريتين﴾ اي يختار من يشاء للرسالة .

﴿ما كان لهم الخيرة﴾ أي الاختيار او التخير فهو اسم مصدر اي لا موجب عليه ولا مانع له ولا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وما نافية ويجوز ان تكون اسما موصولا مفعولا فيختار اي يختار لهم ما فيه خيرتهم وصلاحهم والرابط محذوف كما قدرته وهو هاء فيه ولكون جملة ما كان لهم الخيرة كالبيان ليختار جردت عن عاطف وقيل ليس سبب النزول قول قريش ﴿لولا نزل﴾ الخ بل الآية على عموم لفظها ولا دليل فيها لأهل الجبر فان افعال الخلق باختيارهم واختيارهم مخلوق لله تعالى باختياره المنوط بدواع لا اختيار لهم فيها قال سعيد بن ابي وقاص قال رسول الله ﷺ : «من سعادة ابن آدم استخارته الله ومن شقاوته تركه» .

﴿سبحان الله وتعالى﴾ تناع في قوله .

﴿عما يشركون﴾ او معمول سبحان غير ذلك محذوف تقديره سبحان الله عن ان تكون لغيره الخيرة اي هو منزه عن ذلك وما مصدرية اي عن الاشراك او موصولة اسم والرابط محذوف ويقدر مضاف اي عن مشاركة

الاصنام التي تشركونها به .

﴿وربك يعلم ما تكن﴾ أي تخفي .

﴿صدورهم﴾ من كفر ومعاص وغير ذلك وعدواة الرسول وحقده .

﴿وما يعلنون﴾ يظهرون بألسنتهم من طعن في رسول الله وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة وغير ذلك .

﴿وهو الله﴾ المستحق للعبادة .

﴿لا إله إلا هو﴾ تأكيد بالجملة قبله .

﴿له﴾ لا لغيره لانه المولي للنعم .

﴿الحمد في الأولى﴾ الدنيا .

﴿والآخرة﴾ الجنة يحمده أولياؤه في الدارين والحمد في الجنة على وجه اللذة والابتهاج بفضله لا الكلفة يقولون (الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن) ويقولون (الحمد لله الذي صدقنا وعده) وقيل : يقولون (الحمد لله رب العالمين) وعنه ﷺ : (تلهمون التسبيح والتقديس) .

﴿وله الحكم﴾ القضاء النافذ بين عباده يوم القيامة المراد القضاء النافذ في كل شيء في الدارين وعن ابن عباس حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولاهل معصيته بالشقاوة .

﴿وإليه ترجعون﴾ بالبعث للجزاء .

﴿قل﴾ يا محمد لأهل مكة .

﴿أرأيتم﴾ أخبروني .

﴿إن جعل الله عليكم الليل سرمدا﴾ دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة ووزنه فعمل وانما زيدت للتأكيد وبزيادتها كان ملحقا بجعفر ومن زيادتها درع دلامص الأصل دلاص اي براق وسرمدا مفعول ثان

وعليكم متعلق بجعل او بسرمدا .

﴿إلى يوم القيامة﴾ لا نهار له بأن يفيء الشمس او يسكنها تحت الارض او يحركها حول الأفق القائم .

﴿من إله غير الله﴾ من الهتكم التي تعبدون .

﴿يأتيكم بضياء﴾ ضوء الشمس وقرأ ابن كثير في رواية قنبل بضياء بهمزة قبل الالف واخرى بعده وانما لم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه لأن الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر من منافع الظلام وليست منفعته تصرف فقط ولذلك قرن بقوله عزل وجل .

﴿أفلا تسمعون﴾ فان السمع يدرك مالا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده واستفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر والمراد فلا تسمعون ذلك سماع تفهم فترجعون الى التوحيد .

﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا﴾ باسكان الشمس في موضع واحد من السماء او تحريكها من جهة اخرى او تدبيرها من غير غيبوبة .

﴿إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾ للاستراحة .

. ﴿أفلا تبصرون﴾ آيات الله وقدرته فتؤمنوا ويتبين لكم الخطأ في الاشراك فتتركوه .

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ في الليل .

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ في النهار بأنواع المكاسب ولو جعل الله النهار سرمدا لم يجد المرء من نفسه متاركة الاشغال فيفسد عليه بدنه وقوته

وقلبه .

﴿ولعلكم تشكرون﴾ النعمة فيهما أي لتشكروها والعاقل ينام بالليل وينوي بنومه الاستراحة للعبادة ومقدمات العبادة ويأخذ نصيبه من الليل ومن ينام الليل كله فاته من الآخرة مالا يدركه وأشبه البهائم كما قال قائل .

* نهارك بطال وليلك نائم * كذلك في الدنيا تعيش البهائم *

وان أردت أيها الأخ ان تكون من الابرار فعليك بالقيام في الأسحار قال ﷺ : «أتدرون ما قالت ام سليمان عليه السلام قالت يا بني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيرا يوم القيامة» ، وفي الآية لف ونشر مرتب فان السكون راجع لليل والابتغاء راجع للنهار .

﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ كرره اشعار بأنه لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء أجلب في مرضات الله من توحيده اللهم كما أدخلتنا في أهل توحيدك فأدخلنا في الناجين من وعيدك .

وقوله ﴿ويوم يناديهم﴾ الخ .

أولا : لتقرير فساد رأيهم .

وثانيا : لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان عن هؤلاء .

﴿ونزعنا﴾ أخرجنا .

﴿من كل أمة شهيدا﴾ وهو رسولهم يشهد عليهم بما كانوا عليه من شرك وتوحيد .

﴿فقلنا﴾ لهم .

﴿هاتوا برهانكم﴾ على ما قلتم من الاشراك .

﴿فعلموا﴾ حينئذ .
﴿أن الحق﴾ في الألوهية .
﴿لله﴾ لا يشاركه فيه أحد .
﴿وضل عنهم﴾ غاب عنهم غيبة الضائع .
﴿ماكانوا يفترون﴾ من الباطل من الأوثان التي يعبدونها .
﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ فهم بنوا اسرائيل ابن عمه وابن خالته وكان قد آمن به وقد قال بعضهم معنى كونه من قوم موسى انه ممن آمن وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى بن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان صورته حسنا وكان أقرأ بني اسرائيل للتوراة بعد موسى وهارون ولكن نافق كالسامري وقيل هو قارون بن عابر بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وفي عرائس القرآن انه قول الأكثر لأن ابن اسحاق قال تزوج يصهر بن قاهث سميت بنت ماري بنت بركيا بن يغشيان فولدت هارون وموسى فموسى على قول ابن اسحاق ابن اخي قارون عمه لأبيه لا ابن عمه .
﴿فبغى عليهم﴾ تجبر عليهم ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : ملكه فرعون على بني اسرائيل فكان يبغي عليهم ويظلمهم وقيل : أراد ان يكونوا تحت يده فاستطال عليهم فذلك بغيه وروى شيبان عن قتادة ان بغيه تكبره بالمال والولد لكثرتها وعلى الأول سعيد .
وروى شيبان عن قتادة أن بغيه تكبره بالمال والولد لكثرتها وعلى الأول سعيد بن المسيب وعن قتادة بغى عليهم بالكبر وعن سعيد بن المسيب بغى بكثرة ماله وكان أغوى أهل زمانه وعن عطاء وشهر بن

حوشب بغيه زيادة في ثابه عليهم شبرا وعنه ﷺ : «لا ينظر الله الى من جر ثوبه خيلاء» رواه ابن عمر وقيل بغيه حسده اياهم روي انه قال لموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة وهي الامامة وانا في غير شيء لي متى اصبر وهذا بناء على انه ليس من بني اسرائيل . كما قال بعض انه ليس منهم وان معنى كونه من قوم موسى انه آمن به وقارون ممنوع الصرف للعلم والعجمة ولو كان فعولا من فرن لانصرف .

﴿وآتيناه من الكنوز﴾ من للابتداء متعلقة بآتينا أو تبعيضية متعلقة بمحذوف حال من ما ويجوز كونها بيانية على هذا والكنز المال المدخر .

﴿ما إن مفاتحه﴾ جمع مفتح بكسر الميم وفتح التاء على القياس وهو آلة لفتح والمراد مفاتح صناديقه وقيل مفاتح بيوت امواله وهو ضعيف وقيل المفاتح خزائن امواله فالمفرد مفتح بفتح الميم والتاء وفي القاموس المفتح كمسكن الخزانة والكنز والمخزن .

﴿لتنوء بالعصبة﴾ تثقل عليهم حتى تميل بهم اذا حملوها والعصبة الجماعة الكثيرة وقيل المراد هذا اربعون رجلا وقبل سبعون وقال ابن عباس العصبة ثلاثة وقال قتادة العصبة من عشرة الى اربعين وقال الضحاك ما بين الثلاثة الى العشرين وقال مجاهد من العشرين الى الخمسة وقيل المراد عشرة وقيل العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر وفي رواية عن ابن عباس من العشرة الى الثلاثة وقيل من الأربعين الى الثلاثة وقيل من السبعين اليها وفي رواية عن ابن عباس محمل مفاتحه اربعون رجلا اقوى ما يكون من الرجال ، كما قال الله سبحانه ﴿أولي القوة﴾ وعن خيثمة وجدت في الانجيل ان مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا لا يزيد مفتاح على اصبع لكل مفتاح كنز ويقال أن قارون

كان اين ذهب حمل معه المفاتح وكانت من حديد ولما ثقلت جعلها من خشب وثقلت فجعلها من جلود البقر على طول الأصبع وكانت تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا قال ابو رزين يكفي الكوفة مفتاح يعني يكفيهم ما يفتح عنه المفتاح الواحد من الأموال وما مفعول ثاني لأتى على تضمنه معنى اعطى واما على مراعاة معناه الأصلي وهو جعل الشيء تيا فمفعول اول مؤخر وجملة تنوء خبر ان مكسورة الهمزة وجوبا لوقوعها صدر الصلة والصفة لما وقرأ الذيل بن ميسرة (لينوء) بالتحتية تذكير للمفاتح مع انها جماعة لاضافتها لمذكر لصحة ان تقول ثقل قارون عليهم وتريد ثقل بمفاتحه او يقدر مضاف مذكر اي ان حمل مفاتحه والباء بمعنى على او معاقبة لهمزة التعدية .

﴿إذ﴾ متعلق بتنوء او مفعول مذكر لادكر .

﴿قال له قومه لا تفرح﴾ المؤمنون من بني اسرائيل والضميران لقارون وفسر بعضهم قومه بموسى والمؤمنين لا تفرح فرح بطر وحب للدنيا .

﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ بزخارف الدنيا فرح بطر وحب للدنيا فان الفرح بها مانع من محبة الله ونتيجة للذهول عن ذهابها والرضى بها والسكون اليها ومن استشعر قلبه انه مفارق ما فيها عن قريب فلا تحدثه نفسه بالفرح ومن أحبها اشتد عليه ذهابها كما قال : اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا وكن كما قال :

* ولست بمفراح اذا الدهر سرني * ولا جازع من صرفه المتقلب *

وفي البخاري يقال : الفرحين المرحين وفي الاحياء للغزالي : الفرح بالدنيا والتنعم بها سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال القيامة وذلك موت القلب والعياذ بالله فأولو

الحزم من ارباب القلوب علموا ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد من اسباب الفرح فقطعوا النفس عن ملاذها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك في الدنيا والخلاص من اسر الشهوات . قال بعض : لا تفرحن بكثرة العمل مع قلة الحزن واغتنم قليل العمل مع الحزن فان حزن الآخرة الدائم في القلب ينفي كل سرور الفته من سرور الدنيا وقليل سرور الدنيا في القلب ينفي عنك جميع حزن الآخرة ولم اجد شيئا أبلغ في الزهد من ثبات حزن الآخرة في القلب وعلامة حزن الآخرة في القلب انس العبد بالوحدة .

﴿وابتغ﴾ أي اطلب وقريء وابتغ .

﴿ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ بأن تنفقه في طاعة الله واجبا ومسنونا .

﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ النسيان الترك والاعراض والنصيب من الدنيا العمل فيها للآخرة وقيل المعنى خذ من الدنيا ما يكفيك ولا تضع والأول قول ابن عباس وقيل خذ منها ما يكفيك وانفق الفضل وقيل ارادوا بنصيبه الكفن وعن بعض لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الآخرة وعن عمرو بن ميمون قال قال رسول الله ﷺ لرجل يعظه : «اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك» ، وان قلت ما وجه تفسير النصيب بالكفن قلت كأنهم قالوا لا تنس انه ليس لك من مالك بعد موتك الا كفنك كما قال الشاعر :-

* نصيبك مما تجمع الدهر كله * رداه ان تلوى فيهما وحنوط *

﴿وأحسن كما أحسن الله اليك﴾ احسن الى عباد الله بمالك وغيره كما احسن الله اليك بالمال وغيره او احسن بشكرك الله كما احسن اليك والكاف للتشبيه او للتعليل .

﴿ولا تبغ الفساد﴾ لا تطلبه .

﴿في الأرض﴾ بعمل المعاصي قال جار الله : وقيل القائل موسى عليه السلام .

﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾ بسوء أعمالهم بمعنى انه يعاقبهم ويجوز أن يكون المفسدين المشركين والجملة مستأنفة او تعليل .

قال قارون ﴿انما أوتيته﴾ أوتيت المال .

﴿على علم عندي﴾ في مقابلته وكان كما مر اعلم بني اسرائيل بالتوراة بعد موسى وهارون فظن انه استوجب به التفوق على الناس والفضل عليهم بالمال والجاه وعلى متعلق بأوتيته او بمحذوف حال وهي للتعليل وعندي نعت لعلم وقيل علم الكيمياء وهو قول سعيد بن المسيب قال : كان موسى يعلم علم الكيمياء فعلمه اخته وعلمته اخته قارون وقيل علم موسى عليه السلام يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن توفيا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب اجتماع ماله والقول في علم الكيمياء تحريم صنعته لانها غش وعن ابن يتمة انها اشد تحريما من الربا وانها تخييل ولو كانت حقا لوجبت فيها الزكاة ولم يوجبها فيها عالم وقيل العلم علمه بأنواع التجارة والدهقنة والمزارع وسائر المكاسب وهو قول ابي سليمان الدراني وقيل علمه بكنوز يوسف وعن ابي سليمان الدراني : ظهر ابليس لقارون وكان قد اقام في

جبل اربعين سنة حتى غلب بني اسرائيل في العبادة وبعث اليه ابليس شياطينه ولم يقدروا عليه فتقدم اليه ابليس وتعبد معه وقهر قارون بالعبادة وفاته فيها فخضع له قارون فقال له ابليس يا قارون قد رضيت ان تكون هكذا كلاً على بني اسرائيل فقال له في اي شيء الرأي عندك ؟ قال : تكسب يوم الجمعة وتتعبد بقية الايام فكانا يكسبان يوم الجمعة ويتعبدان بقية الايام واقاما على ذلك زمانا فقال ابليس قد رضيت ان تكون هكذا قال قارون فما الرأي ؟ قال نكسب يوما ونتعبد يوما فنتصدق ونعطي ، فلما كسبا يوما وتعبدا يوما حسد ابليس فتركه ففتحت على قارون ابواب الدنيا فبلغ ماله ما اخبر به ابن ميمون عن المسيب بن شريك ان مفاتحه اربع مائة الف وقيل العلم علمه باسم الله الأعظم ورده ابن كثير بأن قارون كافر والاسم الأعظم لا يتأثر لكافر وقيل معنى عندي في ظني فيتعلق بأوتيته .

﴿أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون﴾ الأمم .

﴿من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا﴾ للمال يعني ان قارون قد علم ذلك قرأه في التوراة وأخبره به موسى عليه السلام وسمعه من حفاظ التواريخ كأنه قيل قد علم ذلك فلم اغتر بقوته وماله والمراد اثبات العلم الذي ادعاه تهكما به ونفي هذا العلم عنه فكأنه قيل اعلم ذلك العلم الذي استوجب له المال ولم يعلم العلم الذي يقيه المهلكة العظيمة وهو ان يعلم بهلاك من هو أشد واكثر جمعا ويجوز ان يكون المعنى واكثر جماعة وذلك تعجيب وتوبيخ .

﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ سؤال استعلام بل تقريع لعلمه تعالى بها والظاهر ان هذا كناية عن كونهم يعذبون بها بغتة لا يتركون ولو

قدر ما يحاسب انسان انسانا وذلك تهديد لكل مجرم فلا يتوهم مجرم ان ذلك خاص بقارون او لا يسألون سؤال استرضاء واستعتاب او يسألون في موطن ولا يسألون في أجر ويوم القيامة مواطن او ذلك كناية عن كثرة ذنوبهم كأنها لا يضبطها حساب فضلا عن ان يسألوا عنها ولا يسألون عن فروع الايمان والهاء للمجرمين بعدها لأن النائب في نية التقديم وقيل الهاء عائدة الى المهلكين وان المعنى لا يسأل المجرمون عن ذنوب هؤلاء وانه انما يسأل كل مكلف عن ذنوبه وقيل لا تسأل الملائكة المجرمين عن ذنوبهم لأنها مكتوبة ومعلومة لله سبحانه وقيل المعنى انهم معروفة بسيماهم سواء الوجوه وزرقة العيون وان أثر ذنوبهم ظاهر .

﴿فخرج﴾ قارون .

﴿على قومه في زينته﴾ حال من ضمير خرج أي متغمرا في زينته وزينة المركب والملابس والجواري والغلمان وما تحتاج اليه الجواري والغلمان من مركب وملبس ومر بذلك كله على قومه فذلك خروجه عليهم وقيل على بمعنى في أي خرج في جملة قومه وقيل خرج عليهم في زينته من اتباع وجوار وغلمان ومراكب وملابس وروي انه خرج هو وقومه وهم سبعون الفا عليهم الثياب الحمر والصفر والمعصفرات وقال مجاهد خرج على براذين بيض على سرج الأرجوان وعليها المعصفرات وكان ذلك اول يوم ظهرت المعصفرات على ما كان أبيّ يذكر لنا وقال مقاتل : خرج على بغلة شهباء على سرج من ذهب وعليه الأرجوان ومعه ستمائة رجل عليهم الثياب الحمر على البغال الشهب وفي رواية عنه اربع مائة رجل عليهم وعلى دوابهم الأرجوان قيل ومعه ثلاثمائة جارية بيضاء عليهن الحلي والثياب الحمر على البغال الشهت وقيل خرج على

بغلة شهباء عليه الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعلى يمينه ثلاثمائة غلام وعلى يساره وثلاثمائة جارية بيض عليهم الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفر .

﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ وهم المشركون قاله الشيخ هود رحمه الله وينافيه قولهم بعد ذلك .

﴿ويكأن ان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر، لولا ان منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ وقد يجاب بأنهم قالوا ذلك بعد التوبة لما رأوا وكان شركهم بانكار نبي او غيره لا بإنكار الله وان الكافرين الذين لا يفلحون من طغي بالنعمة على العباد مع إنه يحتمل ان يكون قوله ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ ليس من كلامهم وقيل الذين يريدون الحياة الدنيا قوم مسلمون تمنوا مثل ما أوتي قارون على سبيل الرغبة في البأس والغنى كما هو عادة البشر وعن قتادة : تمنوا ليتقربوا به الى الله وينفقوه على سبيل الخير وذلك اغتباط وهو ان يتمنى الانسان مثل ما لغيره من غير ان يحب زواله عن غيره وهذا جائز والحسد تمني زواله الى نفسه او الى غيره اولا الى احد وهو محرم قيل لرسول الله ﷺ هل يضر الغبط ؟ فقال :. (لا إلا كما يضر الحظ والبخت) .

﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾ الحظ النصيب والجد والبخت والدولة .

﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ لهم المراد الذين أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة علما مازج قلوبهم بحيث ينتفعون به قال ابن عباس يعني الأحبار من بني اسرائيل .

﴿ويلكم﴾ الويل الدعاء بالهلاك واستعمل في الزجر عما لا ترتضي فكانوا يقولونه ولولا هل الخير لأنه بمنزلة كلا والأولى ترك استعماله في هل الولاية والوقوف لانه موهم .

﴿ثواب الله﴾ وهو الجنة .

﴿خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾ من الدنيا وما فيها ما أوتي قارون وما أوتي غيره .

﴿ولا يلقاها﴾ أي لا يلقى تلك الكلمة أو الجملة التي تكلم بها الذين أوتوا العلم اولا يلقى الاعمال الصالحة المدلول عليها بقوله ﴿وعمل صالحا﴾ أو لا يلقى الجنة المدلول عليها بثواب الله او لا يلقى الثواب وأنث لأنه لجنة او لمثوبة اولا يلقى العمل الصالح والايمان وأنث وأفردا لأنهما بمعنى السيرة والطريقة أو الفريضة ولقيت زبد المال جعلته قد لقيه وحضر له وأعطيته إياه .

﴿إلا الصابرون﴾ على الطاعة وعن المعصية وعلى ما قسم الله له ، قال في عرائس القرآن : أوحى الله تعالى الى نبيه موسى عليه السلام أن يأمر قومه ان يعلقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة في كل طرف خيط أخضر كلون السماء فقال : يا رب لم أمرت بني اسرائيل تعليق هذه الخيوط ؟ فقال جل جلاله : إن بني إسرائيل في غفلة فيذكروني بذلك يتذكر لون السماء وذلك ان السماء مهبط الوحي ومحل الملائكة ويعلمون أن كلامي نزل منها قال موسى : أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضراء فان بني إسرائيل تحقر هذه الخيوط فقال موسي : إن الصغير من أمري ليس بصغير وأنهم إن لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير فبلغ موسى الرسالة ففعلوا إلا قارون فلم يفعل وقال : انما يفعل هذا

الأرباب بعبيدهم لكي يتميزوا من غيرهم وهذا من جملة بغية ، ولما قطع موسى ببني اسرائيل البحر جعلت الحبورة قال : وهي رئاسة المذبح وبيت القربان لهارون عليه السلام فكانت بنو إسرائيل يأتون بقرابينهم الى هارون ويذبحونها ويدعها على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكلها فوجد قارون من ذلك في نفسه فقال : يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست انا في شيء من ذلك وانا أقرأ التوراة منكباً لا صبر لي على هذا قال بعضهم : هو كما زعم انه أقره منهما ، وقيل : لا إنما هو أقراه من غيرهما ، فقال موسى : والله ما أنا الذي جعلتها في هارون بل الله سبحانه جعلها له فقال قارون : والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني بيانه ، فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل فقال : هاتوا عصبكم ، فأتوا بها ، فجمعها وألقاها في قبته التي يعبد الله عز وجل فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى اصبحوا ، فأصبحت عصى هارون قد أزهرت ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى عليه السلام : أترى يا قارون هذا من فعلي ؟ فقال : والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر فذهب مغاضبا واعتزل بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم إلا عتواً وتجبراً ومخالفةً ومعاداةً حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم ويحدثونه ويضاحكونه ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : أن الله أنزل الزكاة على موسى ولما نزلت أتى قارون لموسى فصالحه على كل الف دينار بدينار وعلى كل الف درهم بدرهم وعلى كل الف شاة بشاة وعلى كل الف شيء بشيء ورجع لبيته فوجد ذلك كثيراً فلم تسمح نفسه بذلك

فجمع بني إسرائيل وقال : يا قوم ان موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه فهو الآن يريد ان يأخذ أموالكم فقالوا له : أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت قال : آمركم ان تجيئوا بفلانة البغي فنجعل لها جعلاً على ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عنه بنوا اسرائيل فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم وقيل : ألف دينار وقيل : طستاً من ذهب وقيل : حكمها في ما له وقال لها : أخلطتك بنسائي على ان تقذفي موسى بنفسك غداً إذا اجتمع بنوا إسرائيل ، ولما كان الغد جمع بني اسرائيل ثم أتى الى موسى فقال : ان بني إسرائيل مجتمعون ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم أعلام دينهم وأحكام شريعتهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الأرض فقام فيهم خطيباً ووعظهم وقال فيما قال : يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن زنى جلدناه مائة جلدة وان كان امرأة رجمناه وان افترى جلدناه ثمانين . فقال له قارون وان كنت انت ؟ قال : وان كنت انا . قال إن بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة ؟ قال : أنا . قال : نعم . قال : فادعوها . فلما جاءت قال لها موسى : يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسئلها بالذي فلق البحر لموسى وأنزل التوراة عليه إلا صدقت فتداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها لأن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله ، قالت : لا والله بل كذبوا ولكن جعل لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي فسقط في نادي قومه ونكس رأسه وسكنوا وعرف انه وقع في مهلكة وخر موسى ساجداً لله سبحانه يبكي ويقول يا رب أن عبدك هذا اذاني وأراد فضيحتي اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي عليه وسلطني عليه فأوحى الله تعالى اليه إرفع رأسك ومر الأرض بما شئت

فإنها تطيعك . فقال موسى : يا بني اسرائيل إن الله تعالى قد بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أعناقهم وهم يتضرعون الى موسى ويناشدونه حتى قيل ناشده قارون سبعين مرة بالله والرحم وهو لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال : يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم . وروى انه قال يا ارض خذيهم فأخذتهم حتى غيبت أقدامهم وكان قارون على سرير وفراش وغيبتهما الأرض وقدمه ثم قال : يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال : يا ارض خذيهم فأخذتهم الى الأوساط ثم قال يا ارض خذيهم فأخذتهم الى الأعناق وقال : يا ارض خذيهم فغيبتهم وفي كل ذلك ينادونه ويناشدونه فأوحى يا موسى ما اغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة ولم تغثه أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لأغثته وفي رواية لو إياي دعوا مرة لوجدوني قريبا مجيبا . قال قتادة : ان الله تعالى يخسف بهم كل يوم قامة وانه يتلجلج فيها لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة ، وروي انهم اجتمعوا في يوم عيد فوعظهم موسى وقد اتفق قارون وغيره مع المرأة على ذلك فكان ما ذكروا أصبح بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعى موسى على قارون ليستبد بماله وكنوزه فدعى الله حتى خسف بداره وماله ، كما قال الله تعالى ﴿**فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة**﴾ جماعة .

﴿**ينصرونه من دون الله**﴾ من غير الله بدفع العذاب .

﴿**وما كان من المنتصرين**﴾ الممتنعين من عذاب الله تعالى لو من موسى يقال نصرته فانتصر اي منعته منه فامتنع .

﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس﴾ منزلة او منزلته في المال والجاه بالأمس المراد به هنا الزمان القريب قبل اليوم الذي قبل يومك فهو مستعار لمجرد قبل يومهم بأن يعتبر تمنيهم فيه ويقطع النظر عن تمنيهم قبله ﴿يقولون ويكأنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ يضيق على من يشاء منهم لحكمة لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يقتضي القبض ومذهب الخليل وسيبويه ان وي حرف تنبيه واتصالها بكان في الخط من شذوذ خط المصحف وادعى بعضهم انها اتصلت لكثرة الإستعمال وكان هي تشبيهية اي ان القوم قد تنبهوا عن خطأهم في تمنيهم وقالوا : أشبه الأمر ان الله يبسط ويقدر لحكمة لا لكرامة وهو أن ، وقال الكوفيون بويك بمعنى ويلك ، وقال ابو حاتم : هي ويلك حذفت لامه لكثرة الإستعمال فهي مفعول مطلق عاملة محذوف وجوبا من معنى الزجر ، والخطاب لمن يصلح له أو من معنى الهلاك ، والخطاب لقارون بعد الخسف به ، وأن حرف تأكيد واتصال الكاف بها شذوذ ، وفتحت الهمزة على تقدير اعلم ان الله وقيل : وي اسم فعل للتعجب وكان للتشبيه اي ما أشبه الأمر أن الله يبسط ، واتصال الياء بالكاف شذوذاً ونسب للبصريين وقيل : وي اسم فعل بمعنى التعجب والكاف للخطاب واتصالها بأن شذوذ وففتحت همزة ان لتقدير لام التعليل متعلقة بوي أو بمحذوف أي كان ذلك لأن الله ، ومن الناس من يقف على وي ومنهم من يقف على ويك وقيل : ويك معناه ألم تعلم وقيل ألم تر وقيل ﴿ويكأن﴾ كلمة واحدة بمعنى لكن فالإتصال قياس لا شذوذ وفي المسائل السفرية ، قيل ويك اسم فعل معناه استفهام تقريري وان الله يبسط منصوب بويك وقيل وي اسم فعل ومعناه أعجب وكان ناصبة الاسم رافعة الخبر ومعناها الظن لا

التشبيه ، وقال الاخفش : وي اسم فعل بمعنى أعجب والكاف حرف خطاب وان على تقدير اللام وكان كلمة للتحقيق عند الخليل لا للتشبيه ، وقيل وي اسم فعل بمعنى أعجب والكاف حرف جر للتعليل وصححه بعض ونسب للخليل وسيبويه وعليه جرا ابن هشام في حرف الكاف من المعنى لكن ذكره في وي كأنه الثاني .

﴿لولا أن مَنّ﴾ ان مصدرية والمصدر من الفعل بعدها مبتدأ .

﴿الله علينا﴾ وقرأ الأعمش ﴿لولا منُّ الله﴾ بضم النون وكسر الهاء وان قلت ما الذي من الله عليهم به ؟ قلت : عدم إعطائهم ما أعطى قارون فإنه سبب إهلاكه .

﴿لخسف بنا﴾ نائب خسف وقرأه حفص بالبناء للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى وقُرىء (لان يخسف) كقولك انقطع زيد بعمرو اي قطع به .

﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ وي اسم فعل بمعنى أعجب والكاف جارة متعلقة به أي أعجب لعدم فلاح الكافرين لنعم الله مطلقاً أو المراد هنا خصوص المشركين قال ﷺ : «من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيّره من أي حلل يلبسه» قالت عائشة رضي الله عنها : كان على بابي مستر فيه تماثيل فرآه ﷺ فقال : «انزعيه فانه يذكرني الدنيا» وقال كعب بن عياض : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال» . وقال ﷺ : «يكفي إبن آدم بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء» .

﴿تلك﴾ مبتدأ .

﴿الدار﴾ خبر .

﴿الآخرة﴾ إشار باشارة البعيد تعظيما كأنه قيل هي الدار التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها .

﴿تجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا﴾ الجملة حال والعامل فيه معنى الإشارة او تلك مبتدأ والجملة خبره والعلو الغلبة والقهر للناس والتهاون بهم ، وقيل : الإستكبار عن الايمان وقيل : طلب الشرف والعز عند السلطان وقيل : المراد هنا الشرك وقال علي : المراد ﴿الذين لا يريدون علوا﴾ أهل التواضع من الموالاة وأهل القدرة وعنه ﷺ : «ارادة العلو ان يكون شراك نعلك افضل من شراك نعل اخيك» يعني ونحو ذلك . قال : على الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعل اخوه من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وقرأها الفضيل فقال : ذهبت الأماني هاهنا وكان عمر بن عبدالعزيز يرددها حتى قبض ، واعلم ان الله جل جلاله لم يعلق الموعود بترك العلو والفساد بل بترك إرادتهما فتركها واجب كتركهما والفساد يعم وجوه الشرف من المعاصي كلها ، وقيل : الظلم وقيل : الدعاء الى عبادة غير الله سبحانه وتعالى وقيل : بأخذ اموال الناس بغير حق وقيل : قتل الأنبياء والمؤمنين وانتهاك حرمتهم .

﴿والعاقبة للمتقين﴾ العاقبة المحمودة وهي الجنة ورضى الله عز وجل لمن اتقى عقابه بأداء الفرائض واجتناب المناهي .

﴿من جاء بالحسنة﴾ تقدم تفسيرها .

﴿فله خير منها﴾ ذاتا وقدرا ووصفا وقد مر أيضا ان الحسنة بعشر فأكثروا الى سبعمائة وما شاء الله .

﴿ومن جاء بالسيئة﴾ الكبيرة .

﴿فلا يجزى الذين عملوا السيئات﴾ وضع الموصول موضع المضمر تهجينا لمال هؤلاء العاملين وتبغيضها للسيئة الى القلوب .

﴿إلا ما كانوا يعملون﴾ إلا جزاء ما كانوا يعملون او الا مثل ما كانوا يعملون ومثله هو مقابلة وحذف المضاف ونوى وان لم ينو ففي الكلام مبالغة في المماثلة وهذا من فضل الله الواسع لا يجزي السيئة الا بمثلها .

﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به وقيل أنزله وقال مجاهد : اعطاكه .

﴿لرادك الى معاد﴾ يردك بعد الموت الى موضع عظيم هو مرجعك ليس لغيرك من البشر وهو المقام المحمود يثيبك ثوابا لا غاية له ولا يوصف على التلاوة والتبليغ والعمل والمعاد اسم مكان اي موضع العود ، والعود الرجوع ونكّره للتعظيم وذلك رواية عن ابن عباس وقال الجمهور المعاد الآخرة وعن ابن عباس المعاد الجنة وعنه وعن مجاهد مكة لما خرج رسول الله ﷺ من الغار مهاجرا سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن ورجع الى الطريق نزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها وهي مولده ومولد آبائه ومنشأه وحرم ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فنزل عليه جبريل فقال : أتشتاق الى بلدك ؟ قال : نعم ، فان الله تعالى يقول ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ وهذه الآية نزلت بالجحفة وقيل السورة كلها مكية وعده الله وهو بمكة في أذى وغلبة من اهلها انه يهاجر به منها او يعيده اليها ظاهرا ظافرا وتنكير معاد للتعظيم فان مكة معاد لها شأن لغلبته ﷺ وذلك بالفتح وفي رواية عن ابن عباس المعاد الموت وقيل القيامة وعلى ان المعاد مكة يجوز ان يكون مفعلا من العادة لأنه ﷺ اعتاد

مكة ولما حكم بأن العاقبة للمتقين واكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعد رسوله ﷺ بالعاقبة الحسنى في الدارين وقال له ﷺ كفار مكة : انك في ضلال مبين فأنزل الله سبحانه :

﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾ الجائي بالهدى وهم في ضلال مبين ومن مفعول لفعل محذوف دل عليه اسم التفضيل او لاسم التفضيل على انه بمعنى عالم وأجيز عمله في المفعول به ولو بقي على معناه وفي ذلك تقرير للوعد والوعيد السابقين كأنه قيل ربي اعلم بما يستحقه من جاء بالهدى من الثواب والنصر وبما يستحقه من هو في ضلال مبين من العقاب والاذلال فان علمه سبحانه بشيء كناية عن الجزاء به او مستلزم للجزاء به وقررهما ايضا بقوله :

﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾ القرآن نفعنا الله به اي يردك الى معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه .

﴿إلا رحمة من ربك﴾ استثناء منقطع اي لكن ألقاه رحمة منه او متصل حملا على المعنى كأنه قيل وما القى اليك الكتاب الا رحمة منه وعلى كل حال فذلك تعديد للنعم .

﴿فلا تكونن ظهيرا﴾ معينا .

﴿للكافرين﴾ المشركين على دينهم الذي دعوك اليه وذلك انهم دعوه الى دين آبائهم وقيل لا تكونن ظهيرا لهم بمتابعتهم على دينهم وبمداراتهم والتحمل عنهم .

﴿ولا يصدنك﴾ أصله يصدوننك بنونين مشددة الثانية منها حذفت الاولى للجازم وهو لا الناهية والواو للالتقاء الساكنين وقريء (يصدنك) بضم الياء وكسر الصاد من اصده بمعنى صده وهو لغة كليب .

﴿عن آيات الله﴾ القرآن .

﴿بعد إذ أنزلت إليك﴾ واذ مضاف اليه وهي يضاف اليها اسماء الزمان المبهمة على ما قررته في النحو .

﴿وادع﴾ الناس .

﴿إلى ربك﴾ الى الايمان به وعبادته وتوحيده .

﴿ولا تكونن من المشركين﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ والمراد به أهل دينه اي لا تظاهر الكفار ولا توافقهم وكذا قال في قوله :

﴿ولا تدع مع الله إلها آخر﴾ أي لا تعبد غيره وقيل لا تعتمد على غيره في أمورك وأمره بأن يقول ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ونهيه عن مظاهرة الكافرين وعن تأثير صدهم به وأمره بالدعاء الى الله سبحانه وتعالى ونهيه عن ان يكون من المشركين وعن دعاء غير الله مع الله تهييج وقطع لأطماع المشركين عن مساعدته لهم وزعم بعضهم ان ذلك موادعة ومشاركة لهم وانه منسوخ بآية السيف ..

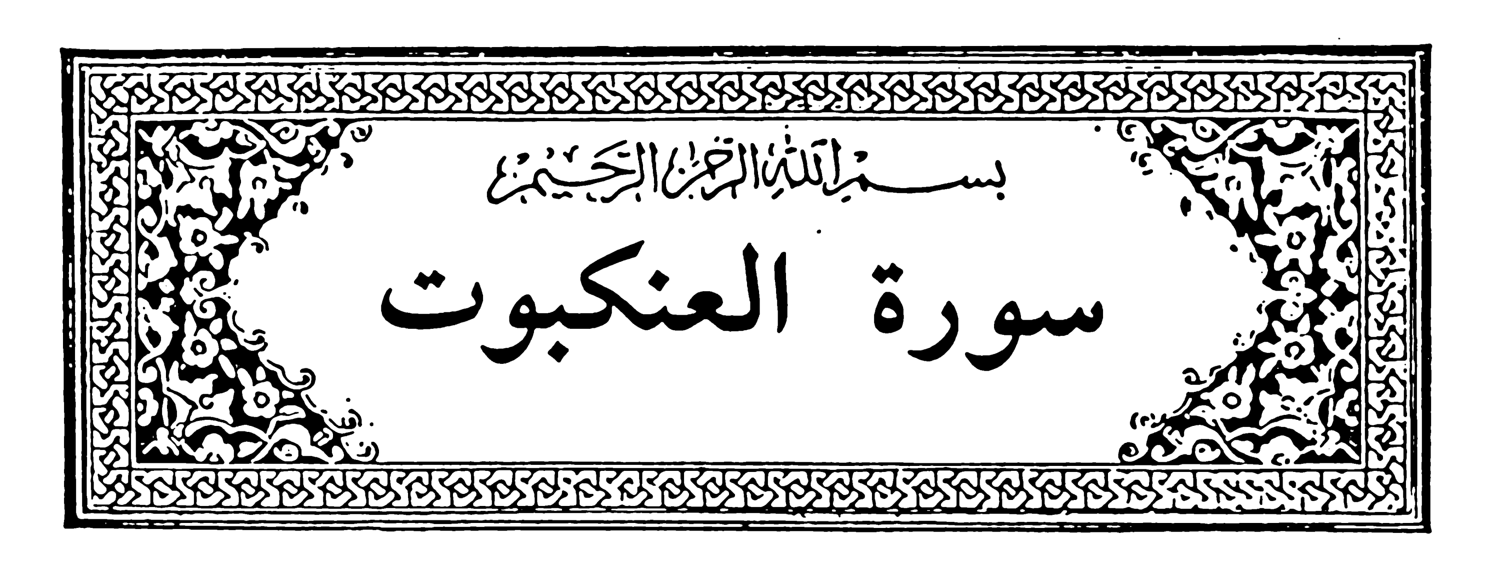
﴿لا اله إلا هو كل شيء هالك﴾ فان لأن وجود الأشياء ممكن .

﴿إلا وجهه﴾ الا ذاته الواجب الوجود والوجه يعبر به عن الذات وقيل المعنى كل عمل لم يرد به الله فهو ضائع الا ما اريد به الله .

﴿له الحكم﴾ القضا النافذ في الخليقة .

﴿واليه﴾ لا الى غيره .

﴿ترجعون﴾ بالبعث للجزاء اللهم بحق سيدنا محمد ﷺ وبركة السورة أخز النصارى وغلب الموحدين عليهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة العنكبوت

سورة العنكبوت هيميان الزاد

مكية وقيل إلا قوله ﴿الم أحسب﴾ الى ﴿وليعلمن المنافقين﴾ والى قوله ﴿وكأين من دابة﴾ وهي آخر ما نزل بمكة في قول ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في شأن من كان بمكة من المسلمين وآيها تسع وتسعون وكلها الف وتسع مائة واحدى وثمانون وقيل باسقاط الوحدة وحروفها اربعة آلاف ومائة وخمسة وتسعون وعنه ﷺ : «من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المؤمنين والمنافقين» رواه أبي بن كعب وقالوا تكتب وتشرب لحمى الربع وتكثر السرور وتدفع الكسل وتشرح الصدر ويغسل بمائها الوجه للحمرة والحرارة فانه يزول إن شاء الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم﴾ الله اعلم بمعناه وقيل اسم للسورة أو للقرآن أو لله سبحانه وتعالى أو غير ذلك مما سبق في محله ووقوع الاستفهام بعده دليل على انفصاله عما بعده فليس قسما ونحوه مما يوجب اتصاله بما بعده .

﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون﴾ الاستفهام توبيخي وحسب بمعنى ظن وان يتركوا في تأويل المصدر مفعول به قائم مقام مفعولين لاشتمال يتركوا على المسند والمسند اليه وان يقولوا مقدر بعلى او باللام التعليلية تتعلق بيتركوا ويجوز أن يكون المفعول الثاني محذوفا اي أحسبوا تركهم على قولهم أو لقولهم آمنا موجودا او المفعول الأول محذوف او الترك بمعنى متروكين او ذوي ترك اي أحسبوا أنفسهم او احسبوهم اي احسبوا انفسهم متروكين او ذوي ترك ولا يقال يلزم على تقدير اللام او على في أن يقولوا انهم قد تركوا غير مفتونين وهو غير مراد كما قال شيخ الاسلام لأنا نقول لا يلزم ذلك كما ان قولك لا تحسب ان زيدا مضروب للتأديب يصح ان يكون معناه لا تحسب ان مضربية زيد واقعة وانها للتأديب بل هو غير مضروب اصلا.للتأديب اي لم يؤدب بالضرب ويصبح ان يكون معناه لا تحسب ان مضروبية زيد واقعة للتأديب اي لم يؤدب بالضرب ويصح ان يكون معناه لا تحسب ان مضروبية زيد واقعة للتأديب بل واقعة لغيره ومثل هذا الأخير هو المراد في الآية ومعنى الآية انا لا نترك الناس على مجرد قولهم آمنا ونكتفي به بل لا بد ان نفتنهم اي نمتحنهم بالفرائض والمصائب ليستمر الراسخ في الدين من المتزلزل فيه ولينالوا على أداء الفرض من فعل ما وجب فعله

وترك ما وجب تركه وعلى الصبر على المصائب ثوابا عظيما روي انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله ﷺ قد جزعوا من اذى المشركين قيل حتى ان بعضا منهم ليشكن لأن يغلب الكافرون المؤمنين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في اناس اسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجى وقيل في مهجع بن عبدالله بكسر الميم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله ﷺ : «سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الأمة» فجزع عليه ابواه وامرأته فنزلت الآية وعن ابن عباس : اراد بالناس الذين بمكة مسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقيل فرض الله الايمان وحده اولا ثم فرض الفرائض فشقت على الناس فنزلت الآية وقيل نزلت في قوم آمنوا وضع النبي ﷺ بالمدينة ثم فرض عليهم الجهاد فضاقوا فنزلت .

﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ يعني المؤمنين السابقين مع انبيائهم ابتلاهم الله بالفرائض فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بني اسرائيل بفرعون فكان يسومونهم سوء العذاب وعن رسول الله ﷺ : «قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه» والكلام متصل بحسب او ﴿بلا يفتنون﴾ يعني ان الابتلاء سنة الله في عباده فكيف يتوقع خلافه لقول ألا يمتحن فلان وقد امتحن خير منه كذا قيل وهو غير مناسب من حيث ان

اتباع الرسل ليسوا خيرا من اتباع رسول الله ﷺ بل الأمر بالعكس الا ان اريد ان اتباعهم المبالغ في تعذيبهم على الدين كالذين نشروا خير من اتباعهم الذين لم يبالغ في تعذيبهم كذلك .

﴿فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ في ايمانهم .

﴿وليعلمن الكاذبين﴾ فيه والفاء لتعليق العلم بالاختبار أي ليعلمنهم بالامتحان اي يصل بهم مثل يعمل الانسان بمن جهل امره ليعلمه والا فالله عالم بكل شيء وان قلت فلم قال ليعلمن بصيغة الاستقبال او الحال ؟ قلت : متابعة وتطبيقا للتمثيل فان الانسان المختبر لغيره يعلم حال غيره في الحال بالاختبار او في الاستقبال او المضارع للاستمرار الشامل للازمنة الثلاثة وما زلت يترايا لي وجه في الآية ونحوها حتى وقفت عليه لجار لله وهو ان الله سبحانه يعلم ما سيقع قبل وقوعه بلا أول ولا يوصف بأنه يعلمه موجودا قبل وجوده فان هذا كذب ونقص فالله جل وعلا علم في الأزل من يصدق ومن يكذب ولا نقول علمه قد صدق وقد كذب الا بعد الصادقين وكذبك الكاذبين وليميزنهما ولكن اسند العلم الى الله سبحانه لأنه خالق العلم والتمييز ومعطي العلم والتمييز او العلم كناية عن الجزاء بالثواب والعقاب وقرأ علي والزهري ﴿وليعلمن﴾ بضم الياء وكسر اللام مضارع اعلم اي وليجعلن الناس عالمين بالكاذبين بأن يسوّد وجوههم ويزّرق عيونهم يوم القيامة او ليجعلن الكاذبين بعلامة هي الزرقة والسواد يوم القيامة او ليجعلن الناس عالمين بهم في الدنيا والكاذب يعم المشرك والمنافق .

﴿أم﴾ منقطعة وفيها اضراب ووجهه ان هذا الحسبان بطل من الحسبان الأول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا

يجازى بمساوئه ولذا عقبه بقوله ﴿ساء ما يحكمون﴾ وقال عياض : هذا الاضراب انتقال لا ابطال وقال الصفا قصى أم هذه معادلة لهمزة أحسب وظاهره انها متصلة وليس كذلك فان الهمزة للتوبيخ كما مر قال عياض : أو للتقرير فلا تقتضي معادلا بل هو نفسه قال : قرر المؤمنين على ظنهم انهم لا يفتنون وقرر الكافرين على ظنهم ان يسبقوه واهله اراد بمعادلتها للهمزة مماثلتها لها بحيث تقدر بهمزة التقرير او التوبيخ مع الاضراب .

﴿حسب الذين يعملون السيئات﴾ الشرك والنفاق والمعاصي فان العمل كثيرا ما يطلق على اعتقاد القلب ، كما يطلق على فعل الجوارح .

﴿أن يسبقونا﴾ يفوتونا فلا ننتقم منهم كلا فان الانتقام لاحق بهم لا محالة وان أريد بالذين يعملون السيئات الموحدين الذين يعملون المعاصي فالمراد انهم لم يظنوا السبق ولكنهم لاصرارهم وغفلتهم في صورة من يظنه والمصدر مفعول حسب قائم مقام مفعولين لاشتمال يسبقونا على المسند والمسند اليه او المفعول الثاني محذوف أي أم حسبوا السبق موجودا ويضمن حسب معنى قدر وكذا في حسب المذكور ونحوه .

﴿ساء﴾ أي بئس .

﴿ما يحكمون﴾ ما موصول حر في اي حكمهم وموصول اسمي أي الذي يحكمونه اي يثبتونه او نكرة موصوفة ومخصوص الذم محذوف اي هذا الحكم .

﴿من كان يرجو﴾ يطمع .

﴿لقاء الله﴾ بالبعث على خير .

﴿فإن أجل الله﴾ يوم البعث .

﴿لآت﴾ عن قريب فليجتهد في العبادة ومخالفة الهوى مبادرا نيل ثواب ذلك وقيل يرجو بمعنى يخاف اي من كان يخاف لقاء الله على شر فان أجل الله لآت فليستعد لنفسه ما ينال به رضاه وخيره ويتباعد عن موجبات سخطه وعذابه او المعنى من كان يقر بالبعث فالبعث قريب فليختر لنفسه في مدة له فيها الاختيار تمثيلا لحاله بحال عبد يقدم على سيده بعد مدة طويلة وقد اغلع مولاه على ما يأتي وما يذر فأما ان يلقاه برضى او بسخط يحسب فعله والجملة جواب الشرط وهي جملة تعليل قامت مقام الجواب أي فليجتهد فان اجل الله لآت وكذا في مثله وانما نقول ذلك لأن اجل الله آت سواء رجى اللقاء أم لم يرجه .

﴿وهو السميع﴾ لأقوال العباد كلهم .

﴿العليم﴾ بأفعالهم وعقائدهم ومن كان كذلك فهو حقيق بالتقوى الخشية .

﴿ومن جاهد﴾ نفسه بالمصابرة على مشاق العبادة وعلى ترك الهوى وعلى حرب العدو .

﴿فإنما يجاهد لنفسه﴾ لرجوع منفعة جهاده اليه .

﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ الانس والجن والملائكة وغيرهم وعن عبادتهم وانما أمرهم ونهاهم رحمة لهم وليس من الحكمة امهالهم وذلك بشارة وتخويف فانه اذ كان غنيا عن خلقه فلو اعطى جميع ما خلقه لعبد واحدا واهلكهم بعذابه كلهم فلا ضير عليه فذلك يوجب الرجاء التام والخوف العام .

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ معاصيهم بعمل الصالحات .

﴿ولنجزينهم أحسن﴾ منصوب على نزع الباء او مفعول ثان للجزاء لتضمنه معنى الاعطاء وأحسن بمعنى حسن فهو اسم تفضيل خارج عن معناه وهو باق على اصله بأن يعد الفعل الذي لا ثواب نية ولا عقاب ولا كراهة حسنا اذ لم تكن فيه مخالفة الله جل وعلا ويعد فعل الطاعة أحسن أو لان الذي يجازيهم به أحسن مما عملوا .

﴿الذي كانوا يعملون﴾ الذي لجنس اعمالهم والمراد المسلمون العاملون السيئات وعامة المسلمين كذلك أو قوم مخصوصون عاملون لها او المشركون الذين أسلموا فان الله سبحانه يكفر عنهم سيئاتهم من شرك ومعصية ويجازيهم بما فعلوا من خير او مشركون مخصوصون أسلموا .

﴿ووصينا الانسان﴾ ال للجنس فالمراد الناس .

﴿بوالديه حسنا﴾ مفعول مطلق على حذف مضاف وموصوف اي وصيناه بهما ايضا ذا حسن او منصوب عليها نزع الباء أي وصيناه على والديه بحسن او مفعول لوصينا ، كما يقال امرته خيرا ولو كان هذا قليلا لا يقاس الا ضرورة وقيل بقياسه مطلقا او مفعول لمصدر محذوف بناء على جواز أعماله محذوفا ولو في غير الظروف أي وصيناه عليهما أولهما بإتيانه حسنا او بإتيانه فعلا ذا حسن او فعلا هو نفس الحسن مبالغة والتوصية تجري مجرى الأمر تقول امراته بكذا او امرته كذا او مفعول لمحذوف على تقدير اقول بدلالة وصينا اي قلنا اولهما حسنا بفتح الهمزة واسكان الواو وكسر اللام او فعل بها حسنا فيحسن الوقف على هذا على بوالديه وهو مفعول مطلقا على تقدير عامله وتضمين التوصية معنى القول أي وقلنا للانسان أحسن بوالديك حسنا فيكون حسنا اسم مصدربمعنى الاحسان وقريء (حسنا) بفتح الحاء والسين اي وصيناه بالفعل الحسن

او اولهما الفعل الحسن او افعل بهما فعلا حسنا وقريء (إحسانا) أي احسن بهما احسانا او غير هذا من الأوجه المذكورة .

﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم﴾ اي موافقة للواقع فلا يقال ان الكلام مفهم اثبات الشريك وانه غير معلوم او اراد بنفي العلم نفي المعلوم اي لا الوهية لسواه تعالى فضلا عن ان تعلم ونكتة التعبير بنفي العلم عن نفي المعلوم الاشعار بأن مالا تعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه ولا سيما ما علم بطلانه فان ضمر القول قبل او ضمن وصينا معنى قلنا فذاك والأقدر هنا اي وقلنا له وان جاهداك الخ .

﴿فلا تطعهما﴾ في الاشراك وفي الحديث (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) رواه الخازن وفي ذلك ارشاد الى انه كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله والكلام في الانسان مطلقا او في المؤمن بالله ورسوله وبه فسر الشيخ هود ويجوز ان يكون الخطاب للانسان الموحد على الاستئناف فلا يقدر هنا قول قال قتادة نزلت الآية في شأن سعد بن ابي وقاص الزهري حين هاجر وحلفت امه ان لا تستظل بظل حتى يرجع اليها ويكفر بمحمد فلح هو في هجرته واسمها حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس وروي انها قالت له يا سعد بلغني انك صبأت فوالله لا يظلني سقف من الشمس والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وبهذا الدين الذي احدث أو اموت فتعير بذلك أبدا يقال يا قاتل امه وكان أحب ولدها اليها وكان يبر والديه جدا وهو ابواسحاق سعد بن مالك وهو المراد ايضا في لقمان والاحقاف فمكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما

آخر وليلة فجاءها وقال لها يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي واتركي ولما آيست منه أكلت وشربت واستظلت وروي انها لما تمّ لها ثلاثة ايام جاء الى رسول الله ﷺ ان يداريها ويترضاها بالاحسان فنزلت الآية ان يحسن الانسان الى الوالدين ولكن لا يطعهما في الاشراك وقيل نزلت في عباس بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى نزلا المدينة فخرج ابوجهل والحارث بن هشام اخواه من امه اسماء بنت مخزمة التميمية الحنضلية فنزلا بعياش وقالا له من دين محمد الأرحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فأخرج معنا وذلك منهما خديعة فاستشار عمر فقال هما يخدعانك. ولك على ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى أطاعهما فقال عمر اما اذا عصيتني فخذ ناقتي وليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابوجهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال : نعم فنزل ليوطي لنفسه وله فأخذاه فشداه وثاقا وجلده كل منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت : لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد .

﴿إلي مرجعكم﴾ مرجع من آمن ومن اشرك ومن بر والديه ومن عق فأجازي كلا بجزاءه فلا تمنعهما الاحسان لشركهما فان جزاءهما الي واني لم امنعهما الرزق والمنافع الدنيوية ولا تتابعهما على الشرك فتجازى بذلك .

﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ بالجزاء عليه او التنبيه عبارة عن الجزاء وما عملتم لا أنساه .

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ في جملة الصالحين وزمرتهم او في مدخلهم وهو الجنة وهو قول محمد بن جرير او لندخلنهم الجنة مع الصالحين او فيهم اي وهم منهم وفي جملتهم والصالحون الأنبياء والأولياء وقيل المعنى لنحشرنهم معهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى أنبياء الله قيل الكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى أنبياء الله المرسلين قال الله سبحانه حكاية عن سليمان عليه السلام ﴿وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ وقال في ابراهيم ﴿وانه في الآخرة لمن الصالحين﴾ عليه السلام وقال فيه ﴿والحقني بالصالحين﴾ .

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ وهو في قلبه مشرك او ضعيف الايمان وقيل نزلت الى قوله (المنافقين) في المتخلفين عن الهجرة المذكورين اول السورة وهو قول عن ابن عباس .

﴿فإذا أوذي في الله﴾ اصابه بلاء من الناس لاجل دين الله بأن عذبتهم الكفرة عليه .

﴿جعل فتنة الناس﴾ أي ما يصيبهم من أذاهم في الصرف عن دين الله .

﴿كعذاب الله﴾ في الصرف عن الكفر أي صرفهم أذى الناس عن الايمان كما صرف المؤمنين عذاب الله عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب الله صارفا اي كان الواجب ان يصرفهم عذاب الله عن الكفر فجعلوا بدلا من ذلك ان صرفهم اذى الناس الى الكفر عن الايمان ولو كان اسلامهم على خلوص لركبوا كل هول في الثبوت عليه ولهاجروا الى دار نبيهم ﷺ .

﴿ولئن جاء نصر من ربك﴾ لكم على المشركين .

﴿ليقولن﴾ بضم اللام نظراً للمعنى وهو الجماعة وقرىء بفتحها نظرا للفظ ولو نظر الى المعنى في المقول .

﴿إنا كنا معكم﴾ في الايمان فأشركونا في الغنيمة وقيل المراد اذا امر بالجهاد في سبيل الله ودخل عليه ذي الجهاد صرفه ذلك عن الايمان كما يصرفه عذاب الله عن الكفر واجترأ على عذاب الله وتختلف عن الجهاد .

﴿أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ اي هو اعلم بما في قلوب الناس وغيرهم من الناس ومن غيرهم فهو اعلم باخلاصهم ونفاقهم او اعلم بمعنى عالم وقيل يقولون الكفر والطعن واذا جاءت دولة المؤمنين قالوا إنا كنا معكم على عدوكم وكنا مسلمين وانما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذبهم الله سبحانه وتعالى انه اعلم منهم بما في قلوبهم .

﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ بألسنتهم وقلوبهم .

﴿وليعلمن المنافقين﴾ فيجازي الفريقين . وعن ابن عباس نزلت في الذين اخرجهم المشركون الى بدر يوم خرجوا اليه وهم الذين نزلت فيهم ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ الخ .

وهذا آخر عشر الآيات التي نزلت من اول السورة في المدينة عند بعض .

﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا﴾ ديننا .

﴿ولنحمل خطاياكم﴾ ذنوبكم التي تلزمكم باتباع سبيلنا وهذا انكار للبعث والجزاء امروا انفسهم باللام مع العطف على الامر بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع وتوعد بتخفيف الأوزار عنهم ان كانت ثم

تشجيعا كأنه قيل عليكم باتباع وعلينا بالحمل وقد يقع في مثل هذا بعض المتسمين بالاسلام يقول لصاحبه افعل كذا وإثمه في عنقي او على رأسي من ذلك ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض الحشوية حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى فقال وما هي ؟ قال شفاعتك يوم القيامة . فقال له عمرو بن عبيد : إياك وهؤلاء فإنهم قطاع الطريق في الأمن ، فقوله : شفاعتك يوم القيامة محو منه لذنوب هذا الجائر فكأنه تحملها اذ هو ذو ذنوب ووصفه بعدمها او اراد بقوله ذلك ان يتحمل عنه هذا الجائر ذنوبه فلا يؤاخذ بها ذلك قول صناديد قريش لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان كان ذلك حملنا عنكم الاثم وقيل قائل ذلك الوليد بن المغيرة وقيل ابوسفيان لو نسب القول للجميع لرضاهم به ولتصويبهم اياه ولكون القائل منهم ويجوز ان يريدوا الحمل حقيقة وهو الذي يدل له السابق واللاحق وكذبهم الله سبحانه .

﴿وما هم بحاملين من﴾ للبيان او للتبعيض او للابتداء .

﴿خطاياهم﴾ وقريء ﴿من خطاياتهم﴾ .

﴿من﴾ صلة في المفعول .

﴿شيء إنهم لكاذبون﴾ في قولهم نحمل خطاياكم او في سائر اقوالهم الداخل فيها هذا والمراد انهم اذا رأوا جزاء خطاياهم لم يحملوا منه شيئا اذ لا طاقة للخلق كلهم على أقل قليل أو المراد انه يمكن حمل احد ذنب احد سماهم كاذبين مع انهم لم يصدر منهم أخبار على خلاف الواقع بل صدر منهم وعد الحمل فقط لأن وعدهم به مع علمهم بأنهم لا يفون به كالكذب أو لأنهم وعدوا وقلوبهم على خلاف ذلك .

﴿وليحملن أثقالهم﴾ ذنوبهم .

﴿وأثقالا مع أثقالهم﴾ اي ذنوبا فعلوها وذنوبا مثل ذنوب من اضلوا من غير ان ينقص شيء من ذنوب من اضلوه فلا منافاة بين قوله وما هم بحاملين وقوله (وليحملن) وفي الحديث (من سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من اوزارهم شيء) وعن الحسن وابن مسعود عن رسول الله ﷺ : «أيما داع دعا الى هدي فاتبع عليه كان له مثل اجر من اتبعه ولا ينقص من اجورهم شيء وأيما داع دعا الى ضلالة فاتبع عليها كان له مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من اوزارهم شيء» .

﴿وليسألن﴾ سؤال توبيخ وتقريع وافحام .

﴿يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ من الأباطيل التي ضلوا بها .

﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما﴾ بعد الارسال ارسله عند الأربعين ولبث فيهم اي أقام فيهم بعد ذلك يدعوهم الى التوحيد والعمل الصالح الف سنة الا خمسين عاما وحي بعدهم ستمائة سنة قاله كعب وقال وهب : وحي بعدهم اربعمائة سنة وقال ابن عباس : ستين سنة وقال مقاتل : بعث وهو ابن مائة سنة وقيل : ابن مائة وخمسين وقيل : ابن مائتين وخمسين وانما ميز احد العددين بالسنة والآخر بالعام ولم يميزهما بواحد لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وضع ذلك لاجل غرض يفيده المتكلم من تفخيم او تهويل وتنويه ونحو ذلك وان قلت الف سنة إلا خمسين سنة هو تسعمائة سنة وخمسون فهل لا قيل فلبث فيهم تسعمائة سنة وخمسين عاما ؟ قلت : لو قال ذلك لكان من الجائز ان يراد بتسع المائة والخمسين ما يقرب من هذا العدد وان يراد نفس

العدد لا اقل ولا اكثر واما اذا قال الف سنة الا خمسين فالكلام نص ان العدد على التحقيق لا التقريب مع انه انتصر وايضا في ذكر الالف تطويل للمدة والخمسون ولو استثنت لكنها لقلتها بالنسبة للباقي كأنها غير مستثناة والقصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله ﷺ وتثبيتا له ﷺ كيف تضيق يا محمد وقد صبر نوح قبلك ما صبر وقد آمن من قومك كثير ولم يؤمن من قوم نوح الا قليل .

﴿فأخذهم الطوفان﴾ أغرقهم الماء الكثير وسمي طوفانا لأنه طاف بهم من جهاتهم كلها قيل وكل ما طاف بالشيء فهو طوفان قيل يقال طوفان لكل كثير خارج عن العادة من ماء او نار او موت او سيل او ظلام وغير ذلك طوفان .

﴿وهم ظالمون﴾ انفسهم بالمعاصي والشرك قيل كان الطوفان قبل النبي ﷺ بألف وست مائة .

﴿فأنجيناه﴾ أي نوحا .

﴿وأصحاب السفينة﴾ الذين كانوا معه فيها وهم ثمانية وسبعون نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساءهم وعن محمد بن اسحاق عشرة خمسة ذكور وخمسة اناث ورواية عن رسول الله ﷺ كانوا ثمانين نوح واولاده الثلاثة ونساءهم واهله وقيل ثمانية وسبعون .

﴿وجعلناها﴾ أي السفينة .

﴿آية﴾ عبرة وعلامة دالة على الله سبحانه .

﴿للعالمين﴾ من بعدهم من الناس قيل ابقاها الله في الجودي في

الموصل من ارض الجزيرة حتى ادركها وابل هذه الامة فكم من سفينة كانت بعدها فصار رمادا واضمحلت وكانوا يأخذون من مساميرها بعد مبعث النبي ﷺ او الضمير للقصة والحادثة وهي عقوبتهم بالاغراق .

﴿وإبراهيم﴾ اي واذكر ابراهيم او وأرسلنا ابراهيم او معطوف على نوح وقرأ ابوحنيفة والنخعي (وابراهيم) بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي ومن المرسلين ابراهيم وان قلت كيف جعلت كون ابراهيم مفعولا لمحذوف تقديره ارسلنا وجها كونه معطوفا على نوح وجها مع انه اذا جعلته معطوفا على نوح فقد تسلط عليه ارسل المتسلط على نوح ولم تحتج الى تقدير ارسل ؟ قلت : اردت بكونه مفعولا لارسلنا محذوفا ان يكون مفعولا له على الاستئناف لا على العطف .

﴿إذ﴾ متعلق بالارسال على جعل وقت ارساله ووقت كلامه وقتا واحدا واسعا أوله زمان الارسال وهو زمان بلوغ ان ينصح قومه ويعظهم ويعلم احوال الناس وبدل اشتمال على تقدير اذكر اي واذكر يا ابراهيم وقت قوله فوقت بدل اشتمال من ابراهيم والرابط ضمير القول .

﴿قال لقومه اعبدوا الله واتقوه﴾ تقربوا اليه بالأعمال الصالحة وخافوه او واحذروا معصيته .

﴿ذلكم خير﴾ اي افضل مما تدعون انه حسن او خير بمعنى منفعة ومصلحة .

﴿لكم إن كنتم تعلمون﴾ ما هو خير لكم ونظرتم بعين الدراية .

﴿إنما تعبدون من دون الله أوثانا﴾ أصناما .

﴿وتخلقون إفكا﴾ تقولون كذبا ان الاوثان شركاء لله وغير ذلك من الاباطيل قاله مجاهد وقال ابن عباس : الخلق الايجاد على صورة بعد

الكون على صورة اخرى هنا والافك الاوثان مفعول به والمراد نحت الاصنام فالافك على هذا بمعنى المأفوك به وقيل مفعول تخلقون محذوف اي الاوثان بمعنى تنحتونها وافكا مصدر مفعول لأجله وقرىء (أفكا) بفتح الهمزة وكسر الفاء على انه مصدر لتخلقون على حد قعدت جلوسا او مفعول لأجله او مفعول به على حذف مضاف اي ذا افك وكذا الأوجه في قراءة كسر الهمزة واسكان الفاء وقرىء (تخلقون) بضم التاء وفتح الخاء وكسر اللام (شددت) للتكثير وقريء (تخلقون) بفتح التاء والخاء وتشديد اللام مفتوحة وأصله تتخلقون حذفت احدى التائين وهو من التفعل الذي للتكلف او للمبالغة واذا جعلت الخلق بمعنى الايجاد المذكور فلك وجه آخر وهو ان تقدر تخلقون خلقا اذا افك واذا قريء (أفكا) بفتح الهمزة وكسر الفاء جاز كونه وصفا للنسب والآية دلالة على شرارة ما هم عليه لأن هو ذو زور وأباطيل .

﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا﴾ لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من الرزق ولذا نكر الرزق .

﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾ اطلبوا عنده الرزق كله فانه الرازق وحده وال للجنس ونكر رزقا للتعميم كما فسرته وهو مصدر ويجوز كونه بمعنى المرزوق به وكذا في المعرف وعبر بالذين عن الاصنام وبالواو في لا يملكون لانها عندهم كالعقلاء والآية تفيد ان من لا يرزقك كيف تعبده .

﴿واعبدوه واشكرو له﴾ تقيداً للنعمة وتوصلا الى مطالبكم بعبادته او المراد واستعدوا للقائه بعبادته وشكره .

﴿إليه ترجعون﴾ وقرىء بفتح التاء وكسر الجيم واذا كانت الرجعى

اليه فكيف لا يستعد لها ـ اللهم اجعلنا ممن استعد لها ـ وهذه الجملة تعليل لما قبلها .

﴿وإن تكذبوا﴾ اي تكذبوني وذلك من كلام ابراهيم عليه السلام الى قوله (عذاب اليم) من ذلك ما هو مقول له ومنه ما هو من كلام الله جل وعلا تتميما لقصة ابراهيم وتقريرا لها وذلك اعتراض بذكر شأن النبي ﷺ وقريش. وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم اي وان تكذبوا يا قريش محمدا رسولكم فقد كذب أمم ممن قبلكم رسلهم ورجع التكذيب وبالا عليهم فذلك اعتراض بين طرف قصة ابراهيم وهو ترجعون وطرفها الآخر وهو (فما كان جواب) الخ .

تسليه لرسول الله ﷺ وتوسيع عنه بأن اباه خليل الله كان مبتلى بنحو ما ابتلي به من اشراك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم في قومه .

﴿فقد كذب أمم من قبلكم﴾ رسلهم من قبلي . فكان تكذيبهم وبالا عليهم لا على رسلهم فكذا تكذيبهم وان كان ذلك في رسول الله ﷺ فالمراد بأمم واضح وان كان في ابراهيم عليه السلام فالمراد بالأمم امة شيث وامة ادريس وامة نوح وغيرهم وكفى بأمة نوح عليه السلام فانها أمم مكذبة ولقد عاش ادريس الف سنة وآمن به الف انسان على عدد سنينه وباقيهم وأعقابهم مكذبون واذا جعلنا ذلك في رسول الله ﷺ وقومه فالتقدير فان تكذبوا يا قريش محمدا رسولكم فقد كذب أمم من قبلكم رسلهم من قبله .

﴿وما على الرسول إلا البلاغ﴾ بأن يفعل سبب بلوغ الرسالة اليكم او البلاغ بمعنى التبليغ فيكون اسم مصدر .

﴿المبين﴾ المزيل للشبه او الواضح الذي تزول به وليس بواجب عليه ان تصدقوه ولا ان يكرهكم وله اسوة فيمن كذب قبله قال بعضهم : هذه منسوخة بالقتال وفيه ما في امثاله من البحث وقد مر ويأتي ايضا .

﴿أولم يروا كيف يبديء الله الخلق ثم يعيده﴾ أي أولم يعلموا وذلك انهم قد اقروا بأن الله جل وعلا هو الذي أبدأ الخلق وانما انكروا البعث ويجوز ان يكون الرؤية بصرية باعتبار ان الذي ابدأه الله قد رأوه بعيونهم وهو بنوا آدم وغيرهم او باعتبار ان المراد بالذي ابدأه الله هو النبات او يقاس غيره عليه فكما يبدأ الله النبات بعد كونه معدوما كذلك يبعث الخلق والله سبحانه يبدىء الخلق من شيء ومن غير شيء وقرأ حمزة والكسائي وابوبكر ﴿اولم تروا﴾ بالمثناة الفوقية على تقدير القول أي قال ابراهيم لقومه الم تروا وان جعلنا في رسول الله ﷺ لم يحتج لتقدير القول بل خطاب من الله تعالى لقومه ويبدىء بمعنى يوجد ويظهر وقرىء (يبدأ) بفتح الياء والدال من بدأ الشيء بمعنى ابدأته والأعادة البعث والعطف يتم على جملة (اولم يروا كيف) الخ فليست الروئية متسلطة عليه لأن البعث لم يقع فضلا عن ان يروه فلا يعطف على (كيف يبدي الله الخلق) اللهم الا ان يقال الرؤية بصرية وان البعث لكثرة دلائله ووضوحها كأنه جسم حاضر يرى أو أن يقال الرؤية علمية وأن البعث لكثرة دلائله ووضوحها يجب الاقرار به وان لا ينكر او ان يقال الابداء والاعادة ابداء ثبات وثمار وغيرها في سنة واعادة مثل ذلك في اخرى وأجاز بعضهم كون المعطوف عليه محذوف أي يبديه ثم يعيده وبعضهم كون ثم للاستئناف .

﴿إن ذلك﴾ المذكور من الابداء والاعادة .

﴿ على الله يسير ﴾ اذ لا يحتاج فيه على اي شيء .

﴿قل سيروا في الأرض﴾ هذه حكاية كلام الله حكاه ابراهيم عليه السلام لقومه كما يحكي. رسول الله ﷺ كلام الله على هذه الطريقة او ذلك أمر رسول الله ﷺ بخطاب قومه .

﴿فانظروا كيف بدأ﴾ ابتداء .

﴿الخلق﴾ على. اختلاف أجناسه وأحواله تستدلون على بدأه إياهم بالنظر الى ديارهم وآثارهم .

﴿ثم الله ينشىء﴾ فيه ما مر في ثم يعيده .

﴿النشأة الآخرة﴾ وهي البعث والنشأة الأولى هي الابداء وكل منهما اخراج من عدم لوجود لكن الآخرة انشاء بعد انشاء والأولى انشاء لا بعد انشاء وفي قوله ﴿ثم الله ينشيء﴾ اقامة الظاهر مقام الضمير بعد الاكتفاء بالضمير في قوله ﴿كيف بدأ الخلق﴾ ومقتضى الظاهر ان يقال فانظروا كيف بدأ الله في قوله ﴿يبدؤ الله الخلق﴾ وهو كلام في الابداء ناسب ان يذكر في الاعادة التي هي محل التردد والانكار كما يقول زيد الذي اكرمك هو زيد الذي ضربك فكأنه قيل الله الذي قدر على الابداء وابداء هو الله الذي يحكم له بالقدرة على الاعادة واذا لم تعجزه النشأة الأولى لم تعجزه الثانية لأنها فيما يظهر للخلق اهون ولو كانتا عند الله سواء وحذف مفعول ينشيء للتعميم او للعلم قال الامام ابوعمرو الداني قرأ ابن كثير وابوعمرو والكسائي هذا وفي النجم والواقعة النشأة بفتح الشين بعدها الف اي بوزن الصلاة وقرأ (النأشة) بتقديم الهمزة الساكنة على الشين وبتقديم الف كذلك كالرأفة والرافة ومن نسب احداهما لابن كثير وأبي عمرو فقد خطأ وقريء النشأة بسكون الشين وبهمزة فألف .

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ من ابداء واعادة وغيرهما لأنه قادر لذاته لا لعارض فالممكنات في قدرته سواء .

﴿يعذب من يشاء﴾ أي من يشاءه ويقدر مضاف اي من يشاء تعذيبه او يقدر من اول الأمر من يشاء تعذيبه وكذا في نحوه وذلك منه عدل .

﴿ويرحم من يشاء﴾ تفضلا وهو من مات غير مشرك وغير منافق .

﴿وإليه تقلبون﴾ تردون .

﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾ اي لا تفوتون ربكم ان هربتم من حكمه وقضاءه في الأرض الواسعة ولا في السماء التي هي اوسع لو كنتم فيها او المراد انكم لا تفوتوه بالتواري في الأرض والتحصن في السماء لو امكنكم التوصل اليها او المراد بالسماء ماعلا الى جهة السماء كالبروج والجبال وقال ابن زيد في السماء صلة الموصول محذوف معطوف على الضمير المستتر في معجزين اي لا تعجزونه انتم ولا من في السماء او معطوف على انتم اي وما انتم ولا من في السماء بمعجزين في الارض ويقدر ايضا ولا في السماء بعد قوله في الأرض ليرجع الى قوله ولا في السماء او يقدر محذوف تقديره ولا من في السماء فيكون حذف العاطف ولا والمعطوف والصلة ويدل له قوله (ولا في السماء) اي وما انتم ولا من في السماء بمعجزين في الأرض ولا في السماء فيرجع قوله (ولا في السماء) الى قولك ولا من في السماء او يقدر ولا من في السماء بمعجز او لا تفوتون قضاءه مما هو في الأرض يخرج عليكم او في السماء ينزل بكم .

﴿وما لكم من دون الله من ولي﴾ يمنعكم منه .

﴿ولا نصير﴾ ينصركم من عذابه الخارج من الأرض او النازل من

السماء .

﴿والذين كفروا بآيات الله ولقائه﴾ آياته سبحانه القرآن اي دلائل وجوده ووحدانيته ولقائه الخروج بالبعث .

﴿أولئك يئسوا من رحمتي﴾ جنتي اذا جاء يوم القيامة او اذا ماتوا تيقنوا منها لعدم علمهم لها وعبر بالماضي لتحقيق الوقوع بعد ولا بد مبالغة او يئسوا منها في الدنيا بمعنى انهم لا يقرون بها فضلا عن ان يطمع فيها او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يقر بها وييئس منها وعن قتادة : ذم الله قوما هانوا عليه فقال ﴿اولئك يئسوا من رحمتي﴾ وقال ﴿انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ فينبغي للمؤمن ويجب ان يطمع في رحمة الله ويخاف سخطه .

﴿وأولئك لهم عذاب أليم﴾ مؤلم لكفرهم قال الشيخ هود رحمه الله : ذكروا عن رسول الله ﷺ انه قال : (خمس من لقي الله بهن مستيقنا عاملا دخل الجنة من شهد ان لا اله الا الله محمد رسول الله وأيقن بالموت والحساب والبعث وعمل بما أيقن من ذلك) .

﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه﴾ القول اسم كان والجواب خبر لما وقرىء برفع جواب على العكس قال ذلك بعضهم لبعض فأسند القول اليهم وروي ان الرؤساء قالوا ذلك للاتباع فأنسد القول اليهم ، وقاله واحد وأسند اليهم وذلك لرضاهم .

﴿فأنجاه الله من النار﴾ من احراقها بأن جعلها بردا وسلاما ولم تحرق الا وثاقه وروي انه لم ينتفع احد بالنار في ذلك اليوم الذي القى في النار لزوال حرها .

﴿إن في ذلك﴾ الانجاء .

﴿لآيات﴾ منها عدم تأثير النار فيه مع عظمها وانشاء روض مكانها وغير ذلك .

﴿لقوم يؤمنون﴾ بتوحيد الله وقدرته .

﴿وقال﴾ ابراهيم لقومه .

﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا﴾ المفعول الثاني محذوف أي آلهة وما كافة ومودة مفعول لأجله يعني لتتحابوا وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا بتقدير مضاف اي ذات مودة او بمعنى اسم مفعول اي مودودة وقرأ ابن كثير وابوعمرو والكسائي ورويس بالرفع ولأضافة لبين على انها خبر لمحذوف اي هي مودة اي ذات مودة او مودودة والجملة نعت لأوثانا او خبر لأن على ان ما مصدرية اي اتخاذكم من دون الله اوثانا الهة مودة او اسم موصول محذوف الرابط اي ان الذي اتخذتموه من دون الله اوثانا مودة فعلى هذا يكون المحذوف هو المفعول الاول ويقدر مضاف ايضا اي ذو مودة او سبب مودة او المعنى مودود وقرىء برفع مودة منونة وبرفعها مضافة لبين مع فتح بين للبناء وقرأه حفص وحمزة بالنصب وجر بين على الاضافة وقرىء (انما مودتكم بينكم) وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وعن عاصم (مودة بينكم) بفتح بينكم مع الاضافة .

﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ بعد مودتهم في الدنيا ولا ينفع بعضهم بعضا او يقع الكفر والتلاعن بين الاصنام وعبدتها وبين العبدة بان تلعن الرؤوس الاتباع والاتباع الرؤوس ويتكافروا .

﴿ومأواكم﴾ مصيركم .

﴿النار﴾ لعابدين والمعبودين .

﴿ومالكم من ناصرين﴾ مانعين من العذاب .

﴿فآمن له لوط﴾ صدق برسالته لما رأى من معجزاته وهو اول من صدق بابراهيم من حيث الرسالة وأما الايمان بالله فهو مؤمن قبل ذلك لأن النبي لا يكون كافرا وذلك انه رأى النار لم تحرق ابراهيم فعلم انه نبي وهو ابن اخت ابراهيم .

﴿وقال﴾ ابراهيم عند قتادة والنخعي وقالت فرقة وقال لوط .

﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ اي مهاجر من قومي اني حيث امرني ربي قيل هاجر الى الشام من العراق وروي انه هاجر من كوني وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثم قيل لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة بنت عمه وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة ونزل لوط سدوم وسكن ياء ربي غير رافع وأبي عمرو .

﴿إنه هو العزيز﴾ في ملكه يمنعني من اعدائي .

﴿الحكيم﴾ لا يأمرني الا بما فيه صلاحي وقيل ان ابراهيم اول من هاجر الى الله وترك بلده وسار الى حيث امره الله .

﴿ووهبنا له﴾ أي لابراهيم بعد اسماعيل .

﴿إسحاق ويعقوب﴾ بعد اسحاق وذلك من عجوز عاقر حين آيس من الولادة ولإياسه من الولادة من عجوز عاقر لم يذكر اسماعيل وذلك لعدم اياسه من اسماعيل او لدخوله في قوله .

﴿وجعلنا في ذريته النبوة﴾ بأن كثرت فيهم مع شهرة أمره وعلو قدره .

﴿والكتاب﴾ أل فيه للجنس فعم الكتب الاربعة .

﴿وآتيناه﴾ على هجرته الينا .

﴿أجره في الدنيا﴾ باعطاء الولد في غير وقته والذرية الطيبة ودوام النبوة وانتساب اهل الملل اليه فما ترى ملة الا وهي تنتسب اليه ودوام الصلاة عليه الى آخر الدهر وقيل آتيناه اجر ايمانه وخصاله المحمودة بأن انجيناه من النار .

﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ الذين نالوا رضى الله اي هو في زمرتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما مثل آدم ونوح وآل للكمال في الصلاح .

﴿ولوطا﴾ عطف على ابراهيم او على ما عطف عليه او مفعول لأذكر محذوفا على الاستئناف .

﴿إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة﴾ الفعلة المبالغة في القبح وهي الزنا بأدبار الرجال وقرأ غير ابن عامر وحفص والحرميين (أءنكم) بهمزة مفتوحة على الاستفهام وبهمزة بعدها مكسورة مسهلة ومحققة وهي همزة ان كما قرأ الجميع في الثانية بالهمزتين والكلام في (اذ) كما مر .

﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ الجملة حال من الفاحشة او من الواو او مستأنفة وعلى كل فهي مقررة لفحاشة تلك الفعلة لم يقدم عليها احد قبلهم لنفور الطباع منها لفرط قبحها حتى قدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم حتى قالوا لم ينزلا ذكر على ذكر من بني آدم ولا من الجن ولا من البهائم قبل قوم لوط .

﴿أءنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل﴾ بالسلب والقتل وقيل كانوا يزنون بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم لاجل ذلك

وقيل تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النساء .

﴿وتأتون في ناديكم﴾ مجلسكم ولا يسمى ناديا الا اذا كان فيه الناس قال بعضهم : النادي مجلس التحدث .

﴿المنكر﴾ هو الحذف بالحصى والرمى بالبنادق وفرقعة الاصابع ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش في محضر الناس يتناكحون بمحضر الناس وعن عائشة : كانوا يتخالفون وقيل : السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وعن ابن عباس : كانوا يتضارطون ويتصافعون وقيل : الحذف بالحصباء والاستخفاف بالغريب والخاطر عليهم . وعن ام هانيء بنت ابي طالب عن النبي ﷺ (كانوا يحذفون اهل الأرض ويسخرون منهم) وعنها عنه ﷺ (كانت خلقهم مهملة لايربطهم دين ولا مروءة) وقيل : كانوا يجلسون في مجالسهم ومع كل واحد قصعة فيها حصى اذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم اصابته حصاته كان اولى به وقيل : يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل : كان من اخلاقهم المنكرة تطريف الاصابع بالحنا .

﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ في استقباح ذلك وقولك ان العذاب نازل بنا او في دعوة النبوة التي تصرح بها وتفهم ايضا من التوبيخ والوعيد .

﴿قال رب انصرني﴾ بانزال العذاب .

﴿على القوم المفسدين﴾ ذكرهم بالظاهر ووصفهم بالافساد في دعائيه استزيادا للعذاب كما قال الله سبحانه ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون﴾ واشعارا انهم أحقاء

بأن يعجل عليهم العذاب وذلك الافساد هو اتيان ادبار الرجال والشرك وغير ذلك وقال بعضهم لا يفعلون ذلك الا بالغرباء .

﴿ولما جاءت رسلنا﴾ وهم الملائكة .

﴿إبراهيم بالبشرى﴾ البشارة بالولد وهو اسحاق والنافلة وهي يعقوب .

﴿قالوا إنا مهلكو أهل﴾ هذه الاضافة لفظية لان الاهلاك مستقبل .

﴿هذه القرية﴾ قرية لوط وهي سدوم .

﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ لانفسهم بالشرك والمعاصي ولغيرهم حتى يضرب المثل في الجور بقاضيهم فيقال : فلان أجور من قاضي سدوم والجملة تعليل لاهلاكهم بالاصرار على ذلك الظلم .

﴿قال﴾ ابراهيم شفاقا على لوط ان يصيبه ضر او معارضة بالمانع وهو كون نبي بين اظهرهم .

﴿إن فيها لوطا قالوا﴾ أي الملائكة .

﴿نحن أعلم بمن فيها﴾ فطب نفسا وقر عينا .

﴿لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ الباقين في العذاب وفي القرية وقرأ حمزة والكسائي (لننجينه) باسكان النون الثانية وتخفيف الجيم وفي جوابهم عليهم السلام اشعار بأنهم ما غفلوا وانهم اعلم منه وان الأهل في قولهم (اهل هذه القرية) مخصوص بغير لوط واهله وتوقيت الاهلاك باخراجهم وتأخير البيان عن الخطاب روي انه لما قالوا (انا مهلكوا اهل هذه القرية) قال ابراهيم اتهلكون قرية فيها اربعمائة مؤمن قالوا لا قال فأربعون مؤمنا قالوا لا قال فأربعة عشر قالوا لا وكان يعد

المؤمنين اربعة عشرة بامرأة لوط فاطمأن وعن ابن عباس : قال له الملك ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب قال قتادة : المؤمن يحوط الى المؤمن .

﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطا﴾ وهم الملائكة .

﴿سيء﴾ لوط اي ضر .

﴿بهم﴾ اي بالرسل والمراد انه جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء ولا يدري انهم ملائكة وان صلة لتأكيد المجيء والسوء واتصالهما كأنه قيل لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير بطي حذرا من قومه والظاهر عندي ان التأكيد للسوء واتصاله فقط .

﴿وضاق﴾ لوط .

﴿بهم ذرعا﴾ اي ضاق بشأنهم وتدبير امرهم وذرعا تمييز محول عن الفاعل وهو مخرج اليد او العنق من القميص او هو الذراع وذلك كناية عن ضيق الطاقة من حيث ان ضيق مخرج اليد او قصير الذراع لا ينال ما يناله واسعي المخرج وطويل الذراع يقال : ضاقت يده اذا فقد الطاقة ورحبت ذراعه اذا وجدها ويجوز كون الذراع الصدر لاتصاله بذراع القميص وازداد ضيقه بكونهم على صور الآدميين الحسان الوجوه وعلى صورة الاضياف واعلموه بأنهم رسل الله .

﴿وقالوا﴾ لما رأوا ضيقه .

﴿لا تخف ولا تحزن﴾ على تمكنهم منا او لا تخف منهم ولا تحزن علينا .

﴿إنا منجوك﴾ وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي ويعقوب وابوبكر بالتخفيف .

﴿وأهلك﴾ عطف على محل الكاف الذي هو النصب باعتبار الاصل لأنه مفعول والاضافة انما هي للتخفيف ولو كان محل الكاف في الحال الجر على الاضافة بل قيل محله النصب وحذف النون للتخفيف او اهل مفعول لمحذوف اي وننجي اهلك او ومنجون اهلك .

﴿إلا امرأتك كانت من الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء﴾ اي عذابا يقع به هول عظيم واضطراب يقال ارتجز العذاب وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرأ ابن عامر بضم الميم وفتح النون وتشديد الزاي عبر بالانزال لأن المعذب يعلوه العذاب .

﴿بما كانوا يفسقون﴾ أي بكونهم يفسقون فما مصدرية .

﴿ولقد تركنا منها آية بينة﴾ عبرة ظاهرة والضمير في قوله (منها) لقرى قوم لوط كذا قيل ولعل وجهه ان ذلك القائل جعل أل في القرية للجنس فعمت القرى ففسر هذا القائل الضمير الراجع اليها بالقرى او وجهته انه افاد بلقد الخ خراب غير تلك القرية ايضا تقول ضربت ولم اترك الا الخامس تريد انك ايضا ضربت الثاني والثالث والرابع .

﴿لقوم يعقلون﴾ يتدبرون الآيات تدبرا ذوي العقول والآية البينة آثار منازلهم وقيل الحجارة التي اهلكوا بها أبقاها الله حتى ادركها اوائل هذه الامة وقيل ظهور الماء الاسود على وجه الأرض وقيل بقيت آثار الحجارة سوداء وقيل ان الحجارة باقية الى الآن ولقد ارانيها بعض العامة من اهل المشرق وقيل الخبر واللام متعلق بتركنا او ببينه او بآية لأنه بمعنى دلالة او بمحذوف حال من آية او نعت .

﴿وإلى مدين﴾ أي وأرسلنا الى مدين أي اهلها وهي قرية او المراد بها

من حل فيها او ذرية مدين على ان مدين اسم رجل او سميت قبيلته باسمه .

﴿أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر﴾ أي خافوه قاله ابو عبيدة او اقام المسبب وهو اليوم مقام السبب وهو فعل ما يرجون به ثوابه فكأنه قيل وافعلوا ما ترجون به الثواب في ذلك اليوم او أمرهم بالطمع في الجنة على اشتراط ما يسوغه من الايمان في الطاعة .

﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ حال موئلك لعامله لان العثو فساد وافساد .

﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة وقال الضحاك صيحة جبريل لأن القلوب ترجف لها روي ان الأرض لما صاح رجفت .

﴿فأصبحوا في دارهم﴾ في بلدهم وأرضهم او في ديارهم فاكتفى بذكر دار واحدة لانه لا لبس .

﴿جاثمين﴾ باركين على الركب ميتين .

﴿وعادا وثمود﴾ أي واذكر عادا وثمودا واهلكنا عادا وثمودا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب بعدم صرف ثمود على تأويل القبيلة .

﴿وقد تبين لكم﴾ اهلاكهم .

﴿من مساكنهم﴾ من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها في اسفاركم يا اهل مكة في الحجر واليمن فمن ابتدائية ويجوز ان تكون تبعيضية متعلقة بمحذوف نعت لفاعل محذوف اي شيء ثابت من مساكنهم ومن قال من التبعضية اسم فهي الفاعل عنده .

﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ من الكفر والمعاصي .

﴿فصدهم عن السبيل﴾ سبيل الحق الذي بينه لهم الرسل .

﴿وكانوا مستبصرين﴾ متمكنين من النظر والاستبصار لكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم بأخبار الرسل لكن لجوا في طغيانهم حتى هلكوا او كانوا في زعمهم على الحق ذوي بصائر .

﴿وقارون﴾ أي وأهلكنا قارون .

﴿وفرعون وهامان﴾ او عطف على او ثمودا وقدمْ قارون لشرف نسبه .

﴿ولقد جاءهم موسى﴾ من قبل .

﴿بالبينات﴾ بالحجج الظاهرة .

﴿فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين﴾ فآيتين عذابنا وقيل وما كانوا سابقين الأمم الى الكفر .

﴿فكلا﴾ من المذكورين .

﴿أخذنا بذنبه﴾ عاقبناه بذنبه .

﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا﴾ حجارة صغارا رماهم بها بالريح او بأيدي الملائكة او الحاصب الريح العاصف او الملك رماهم بالحصباء كقوم لوط رميت مدينتهم ومن غاب عنها او كان خارجها وخسف بها .

﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ كثمود ومدين .

﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ كقارون .

﴿ومنهم من أغرقنا﴾ كفرعون وقومه وقوم نوح .

﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ بالعذاب من غير ذنب .

﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بفعل ما يوجب العذاب واما الله جل وعلا فليس له الظلم عادة ولا نادرا ولكن العدل .

﴿مثل الذي اتخذوا من دون الله أولياء﴾ فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا

من الأصنام .

﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتا﴾ في الوهن والضعف فضعف الأصنام عند المؤمن وفي الحقيقة كضعف بيت نسجته العنكبوت او مثل دين المشركين بالنسبة الى دين المسلمين ﴿كمثل بيت العنكبوت﴾ بالنسبة الى بيت مبني بخشب صحاح والجص والآجر والصخر او مثل المشركين في عبادة الاصنام بالنسبة للمؤمنين مثل عنكبوت نسجت بيتا فكما ان العنكبوت لا يدفع عن نفسه حرا ولا بردا بنسجه كذلك عبدة الأوثان لا يجلبون لأنفسهم بعبادتها نفعا ولا يدفعون ضراً بل ذلك اضعف من العنكبوت وبيتها فان للعنكبوت حقيقة وامتناعا من ضر وجلب نفع بيته بخلاف هؤلاء والعنكبوت يطلق على المفرد وغيره والمذكر وغيره والمراد هنا الجماعة او الفرد وتاؤه زائدة للمبالغة في الاصل ويجمع على عناكيب وعكاب وعكبة واعكب .

﴿وإن أوهن﴾ أضعف .

﴿البيوت﴾ اذا استقريتها بيتا بيتا .

﴿لبيت العنكبوت﴾ لا يدفع عنها حرا ولا بردا ولا يدفع عن الآدمي وغيره حرا ولا بردا كذا عبادة الأوثان اضعف الأديان واذا هبت ريح على بيت العنكبوت او لمسه لامس تقطع .

﴿لو كانوا يعلمون﴾ لو شرطية محذوفة الجواب اي لو كان يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك او اخرج الكلام بعد التشبيه مخرج المجاز فكأنه قيل أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان فالمراد ببيت العنكبوت دينهم وجملة اتخذت حال من العنكبوت بناء على زيادة مثل لئلا يكون الحال من المضاف اليه شرطه او

نعت للعنكبوت وأل فيه للجنس ويتعين هذا اذا جعلت مثل بمعنى صفة فلا يكون زائدا ويجوز .زيادة الكاف وجعل مثل بمعنى مشابه .

﴿إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء﴾ القول مقدر أي قل للكفرة يا محمد ان الله يعلم الخ وما نافية وشيء مفعول به لتدعون مجرور بمن التي هي توكيد أي يعلم انكم ما دعوتم شيئا معتدا به ينفع او يضر او استفهامية انكارية بمعنى النفي مفعول ليدعون ومن الجارة لشيء للبيان متعلقة بمحذوف نعت لما او حال منها بناء على جواز ذلك من ما الاستفهامية وجملة تدعون في محل نصب ليعلم سدت مسد مفعولين معلقا عنها والكلام على الوجهين تجهيل لهم وتوكيد للمثلية وزيادة عليها حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا او ما مصدرية وشيئا مفعول مطلق ليدعون زيدت فيه من او مفعول ليدعون وهذا على انه تجوز زيادتها في الاثبات ويعلم بمعنى يعرف على هذا متعد الى واحد وهذا بناء على مرادفة العلم والمعرفة او هو على اصله وشيئا مفعول ثان اي شيئا غير نافع او ما موصول اسمي مفعول ليعلم بمعنى يعرف وشيئا مفعول مطلق او مفعول به ثان على ان يعلم على اصله او متعلق بمحذوف حال من ما أو من عائدها المقدر اي ما تدعونه ومن دونه على كل حال متعلق بتدعون او بمحذوف حال من شيء والكلام على جعل ما مصدرية او موصولا اسميا وعيد لهم وقرأ عاصم وابوعمرو ويعقوب (يدعون) بالتحتية .

﴿وهو العزيز الحكيم﴾ فهو الذي هو أهل للعبادة لا الجماد الذي لا يعلم شيئا ولا يقدر على شيء .

﴿وتلك الأمثال﴾ اي هذا المثال ونظائره .

﴿نضربها للناس﴾ تقريبا للافهام .

﴿وما يعقلها﴾ اي ما يعقل حسنها وفائدتها .

﴿إلا العالمون﴾ اي الا المتدبرون للاشياء على ما ينبغي وهم المؤمنون وعن جابر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ انه تلا هذه الآية فقال : (العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه) وفي رواية (وانتهى عن معصيته) والأولى للبغوى وجار الله والثانية للثعالبي وسبب نزول الآية ان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك ولذلك قال وما يعقلها الا العالمون .

﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ متعلق بمحذوف حال أي ثابتا بالحق غير قاصد بخلقهن باطلا او نعت لمصدر محذوف اي خلقا ثابتا بالحق فان المقصود بالذات بخلقهن افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما قال ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ لأنهم المنتفعون بها اي عبرة للمعتبرين ودلائل على عظم قدرته وقيل الحق البعث للحساب .

﴿اتل ما أوحي اليك من الكتاب﴾ القرآن تقربا الى الله بتلاوته وطلبا لحفظ الفاظه ولكشف معانيه فان القارىء المتأمل ينكشف له بالتكرار مالم ينكشف له بسماع واحد او تلاوة واحدة .

﴿وأقم الصلاة﴾ امر الله بالعبادات الثلاثة القلبية وهي الاعتقاد الحق ولسانية وأفضلها قراءة القرآن وبدنية وهي الصلاة .

﴿إن الصلاة تنهى﴾ مصليها وقيل المراد بالصلاة القرآن ، كما في ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ .

﴿عن الفحشاء﴾ هي ما قبح من العمل .

﴿والمنكر﴾ مالا يعرف في الشرع بأن تكون سببا للانتهاء عن

المعاصي حال الاشتغال بها وفي الحال الاخرى لانها تذكر الله وتورث للنفس خشية فاذا كانت لطفا في ترك المعاصي فكأنها ناهية عنها ومن لم تنهه صلاته عن ذلك فليست بصلاة لإخلال فيها كعدم الخشوع وعدم احضار القلب فيها وغير ذلك كخشوع القلب والجوارح قال حاتم : كان رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت فوقي واصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد ان يصليها ولا يحبطها وانما الصلاة الناهية صلاة من يدخلها مقدما للتوبة النصوح متيقنا لقوله جل وعلا ﴿انما يتقبل الله من المتقين﴾ وقال الكلبي ان العبد ما دام في الصلاة لا يأتي فحشا ولا منكرا وان من شأنها ذلك ما دام المرء فيها ويدل له قوله ﷺ : «ان في الصلاة لشغلا» والأول اولى وروي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله ﷺ الصلوات ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له ﷺ فقال : «ان صلاته لتنهاه يوما» فلم يلبث ان تاب وحسنت حاله والصلاة المستقيمة ناهية ولا بد فأما ان تنهاه عن جميع المعاصي فيزداد قلبه نورا بكل صلاة واما ان تنهاه عن نوع من المعاصي او نوعين او انواع وليس لفظ الآية يقتضي انها تنهي عن جميع المعاصي وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما :٠من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد من الله الا بعدا وعن الحسن وقتادة : من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وقيل : من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوما كما مر رواية عنه ﷺ وروي ايضا انه قيل لرسول الله ﷺ فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال «ان صلاته لتردعه» وقيل المراد بالصلاة القرآن وزعم بعضهم انه ضعيف لتقدم ذكر القرآن وعلى

هذا القول رواية جابر ان رجلا قال لرسول الله ﷺ ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله فاذا أصبح سرق قال «سينهاه قرآنه» .

﴿ولذكر الله أكبر﴾ أراد بالذكر الصلاة وأرد انها اكبر من سائر الطاعات وعبر عنها بالذكر تعليلا بأن اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل المراد مطلق ذكر الله وقال الحسن وابن عمر وابن عباس في رواية وابوالدرداء وسلمان وابن مسعود وابوقرة اذا ذكر العبد الله ذكره الله فذكر الله للعبد اكبر من ذكر العبد له وقال ابن عطاء الله ذكر الله اكبر من أن تبقى معه معصية وعن ابن عباس ولذكر الله إياكم برحمته اكبر من ذكركم إياه بطاعتكم وعن ابن عباس المراد ان ذكر العبد الله عند المعصية فيكف اكبر من ذكره اياه باللسان وعن الحسن الذكر ذكر ان احدهما افضل ذكر الله باللسان حسن وافضل منه ذكرك اياه عندما نهاك عنه والصبر صبران احدهما افضل الصبر عند المصيبة حسن واحسن منه الصبر عما نهاك عنه وقيل ولذكر الله مع المداومة اكبر من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر وقال ابن زيد ولذكر الله اكبر من كل شيء وقال ابن العربي في الآية اربعة اقوال الأول ذكر الله لكم افضل من ذكركم له اضاف المصدر الى الفاعل الثاني ذكر الله افضل من كل شيء الثالث ذكر الله في الصلاة افضل من ذكره في غيرها يعني لانها عبارتان الرابع ذكر الله في الصلاة اكبر من الصلاة وهذه الثلاثة من اضافة المصدر الى المفعول وهذه كلها صحيحة وان للصلاة بركة عظيمة انتهى قال عياش : وعندي ان المعنى ولذكر الله اكبر على الاطلاق اي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك فكذلك يفعل في غيرها لأن

الانتهاء لا يكون الا من ذكر ان الله تعالى مراقب له وثواب الذكر ان يذكره الله تعالى ، كما ورد من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم والحركات التي في الصلاة لا تأثير لها في نهي والذكر النافع هو مع العلم واقبال القلب وتفرغه الا من الله واما مالا يتجاوز اللسان ففي رتبة اخرى وذكر الله للعبد هو افاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة لذكر العبد ربه وقال ابن ابي جمرة ولذكر الله لك في الأزل بأن جعلك من الذاكرين له اكبر من ذكرك له انت الآن ولا يصل احد الى الله سبحانه الا بدوام الذكر وذكر باللسان والقلب كمل قال المظفر الجصاص : كنت انا ونصر الخراط ليلة في موضع فتذاكرنا شيئا من العلم فقال الخراط الذاكر لله فائدته في أول ذكره ان يعلم انه انما ذكر الله بذكر الله إياه فخالفته فقال لو كان الخضر هنا لشهد لصحته فاذا نحن بشيخ يجيء بين السماء والأرض حتى بلغ الينا وقال صدق فعلمنا انه الخضر عليه السلام وقال بعض العلماء يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه قال ﷺ : «الا انبئكم بخير أعمالكم وأزكها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم» قالوا : بلى . قال «ذكر الله» وعن أبي سعيد الخدري ان رسول الله ﷺ سئل أي العباد افضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : «الذاكرون الله كثيرا» قالوا : يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله ؟ فقال : «لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا افضل منه درجة» وعن ابي هريرة عنه ﷺ «سبق المفردون» قالوا وما

المفردون يا رسول الله ؟ قال : «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» يروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد اشهر والمراد من اعتزل وراعى الأمر والنهي وقيل من تخلف عن الناس بذكر الله لا يخلط به عيره وعن ابي هريرة وابي سعيد ان رسول الله ﷺ قال «لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينه وذكرهم الله فيمن عنده» وذكر ان اعرابيا قال : يا رسول الله اي الاعمال افضل ؟ قال «ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله» .

﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ فيجازيكم به خيراً او شرا وقيل المعنى انه يعلم ما تصنعون من ذكر الله وسائر الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة .

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب﴾ لا تخاصموهم وتناظروهم .

﴿إلا بالتي﴾ بالخصلة التي .

﴿هي أحسن﴾ كالقرآن والدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه واراد بأهل الكتاب الذين اذعنوا للمرية .

﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ أي ابوا ان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم بالكلام الخشن والسيف حتى يسلموا ويعطوا الجزية كما قيل وقال قتادة : الآية مكية ولم يكن يومئذ قتال وكانت اليهود يومئذ بمكة وفيما جاورها فربما وقع بينهم وبين المؤمنين جدال واحتجاج في امر الدين فأمر الله الا يجادلوهم الا بالتي هي احسن دعاء الى الله عز وجل بملاينة ثم استثنى منهم من ظلم المؤمنين وحصلت منه أذاية فللمؤمنين الخروج عليهم عن التي هي احسن ثم نسخ ذلك بآية القتال قيل : هذا احسن ما قيل في تأويل الآية وقيل : المراد بالذين ظلموا من أقام على شركه

منهم ولم يؤمن ونسبه الشيخ هود الى مجاهد وقيل : المعنى جادلوا اهل الكتاب بالخصلة التي هي احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالحلم والحدة بالرفق الا من دام في العناد ولم يقبل النصح ولم ينفع فيه الرفق فاستعمل معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله ﷺ وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل المعنى ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا بنبذ الذمة ومنع الجزية فجادلهم بالسيف قيل : الا اهل الحرب ومن لا عهد له ولا يجوز الجدال والمناظرة الا لاظهار الحق ونصرته ليعرف ويعمل به فمن جادل لذلك فقد اطاع الله ومن جادل لغرض آخر فقد عصى ولا خير فيمن يتحيل لنصرة مذهبه مع ضعفه وبعد أدلته من الصواب روي عن النبي ﷺ «ان الله سبحانه يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها» وعن ابي هريرة عنه ﷺ «من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال والنساء لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا» .

﴿وقولوا﴾ على قبل الاقرار بالجزية اذا اخبروكم بشيء مما في كتبهم .

﴿آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل اليكم﴾ لا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم كذا روي عن رسول الله ﷺ والمراد بالذي الجنس الصادق باثنين او ثلاثة او حذف الموصول لذكر مثله اي والذي انزل اليكم .

﴿وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له﴾ لا لغيره وفيه تعريض بهم لاتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله .

﴿مسلمون﴾ قال ابوهريرة كان اهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية للمسلمين فقال النبي ﷺ «لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون» وعن ابن مسعود ان النبي ﷺ قال : «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا اما ان تكذبوا بحق واما ان تصدقوا بباطل» وذلك القول المأمورون بقوله هو من حسن الجدال بالتي هي احسن .

﴿وكذلك﴾ أي انزالا مثل ذلك الانزال وهو انزال الكتب او انزال التوراة .

﴿أنزلنا إليك الكتاب﴾ القرآن مصدقا لسائر كتبنا وهو تحقيق لقوله .

﴿فالذين آتيناهم الكتاب﴾ اي التوراة وقيل والانجيل على ان أل للجنس الصادق بآتينا .

﴿يؤمنون به﴾ ولقوله ﴿آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم﴾ واراد بالذين آتيناهم الكتاب من سيؤمن به كعبدالله بن سلام واضرابه وقيل : اراد من تقدم عن رسول الله ﷺ ممن آمن به من اهل الكتاب فعلى الأول فالمضارع للاستقبال والأخبار إخبار بالغيب وعلى الثاني المضارع للاستمرار والأخبار اخبار بالواقع .

﴿ومن هؤلاء من يؤمن به﴾ بالقرآن والمراد ان من العرب او من اهل مكة او ممن في عهد رسول الله ﷺ من سيؤمن به وهذا إخبار بالغيب .

﴿وما يجحد بآياتنا﴾ مع ظهورها وقيام الحجة عليها .

﴿إلا الكافرون﴾ الكاملون في الكفر فإن جرمهم به يمنعهم

عن التأمل فيما يفيدهم صدقها وعن بعضهم اراد كفار قريش وقيل كعب ابن الاشرف ونحوه من اليهود والظاهر العموم ذلك ان اليهود عرفوا ان النبي ﷺ نبي مرسل والقرآن حق واعلموا بذلك قريشا وجحدوا هم وقريش والجحود انما يكون بعد المعرفة والا بات معجزة لرسول الله ﷺ كما قال الله جل وعلا .

﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ فأنت امي لا تقرأ المكتوب ولا تكتب وظهور القرآن الجامع لأنواع العلوم الشريفة عليك مع انك لا تكتب ولا تقرأ ما كتب ولا تتعلم امر خارق للعادة وذكر اليمين مع ان نفي الخط وهو الكتابة بغنى عنه زيادة في انتفاء الكتابة وتأكيد لانتفائها ونفي للتجوز عن الاسناد فلو اسقط مثلا لجاز ان يراد بالنظر الى ظاهر اللفظ انه لا يكتب وان يراد انه لا يأمر بالكتابة مع انه عالم بها وهذا الثاني مجاز الاتراك تقول رأيت الامير يكتب هذا بيده كان اشد لاثباتك انه تولى الكتابة فكذلك النفي .

﴿إذاً لارتاب المبطلون﴾ جواب للو محذوفة أي لو كنت تتلو كتابا من قبل القرآن او تخطه بيمينك إذاً لارتاب اي شك المبطلون وهم اليهود فيك فيقولون الذين نجد نعته في التوراة انه خاتم الأنبياء لا يقرأ المكتوب ولا يكتب وقال مجاهد : المبطلون كفار قريش وارتيابهم ان يقولوا انه يقرأه من كتب الأولين ويتعلمه وينسخه منها واما ارتيابهم مع انه لا يكتب ولا يقرأ ما كتب فظاهر الفساد والعناد وانما سماهم مبطلين مع انه اذا لم يكن امينا كانوا صادقين في قولهم انه ليس بالذي نجد في التوراة وكان قريش صادقين في قولهم انه تعلمه وقرأه من كتاب او نسخه لانهم كفروا به وهو امي بعيد الريب فكأنه قال هؤلاء مبطلون في كفرهم

به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الارتياب ولان سائر الانبياء لم يكونوا امين ووجب الايمان بهم وبما جاءوا به لكونهم مصدقين بالمعجزات فهب ان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب فما لهم لا يؤمنون به من الوجه الذي آمنوا به بموسى وعيسى مع ما انزل عليهما غير معجز والقرآن معجز .

﴿بل هو﴾ اي القرآن قيل أو امر محمد ﷺ وهو قول ابن عباس .

﴿آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ اراد المؤمنين فانهم يحفظونه في صدورهم وتثبت فيها الفاظه وترسخ فيها انواره .

ولا يقدر احد على تحريفه وذلك من خصائص القرآن والحمد لله نفعنا الله به بخلاف غيره من الكتب فانها قد غيرت وبدلت ولا تثبت في صدر ولا تحفظ الا الانبياء فانها تثبت في صدورهم ويحفظونها وقد جاء في صفة هذه الأمة أناجيلهم في صدورهم وروي صدورهم أناجيلهم وعن كعب في صفتهم : حلماء علماء كأنهم من الفقه أنبياء وعن ابن عباس : ان الضمير للنبي ﷺ وان الذين أوتوا العلم مؤمنوا اهل الكتاب .

﴿وما يجحد بآياتنا﴾ مع وضوحها وقيام الدليل .

﴿إلا الظالمون﴾ الكاملون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح الحق حتى انهم لم يعتدوا بها والمراد العموم وقيل : اليهود قال مجاهد : الظالمون والمبطلون يعم لفظهما كل مكذب لرسول الله ﷺ لكن الاشارة بهما إلى قريش لأنهم الا هم .

﴿وقالوا﴾ أي كفار قريش وقيل اليهود للكل .

﴿لولا أنزل﴾ لولا للتوبيخ .

﴿عليه﴾ على محمد .

﴿آيات من ربه﴾ هذه قراءة نافع وابن عامر والبصريين وحفص وقرأ غيرهم آية بالافرادة حول عليه نزول آية كناقة صالح وعصى موسى ومائدة عيسى .

﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ ينزلها كما يشاء وعلى من يشاء وفي وقت يشاء .

﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ مظهر لانذاري بالنار أهل المعاصي وليس لي أن أتخير على الله فأقول : أنزل علي آية كذا دون كذا مع علي بأن الله حكيم وأن القصد من الآية ثبوت الدلالة الآيات كلها في حكم آية واحدة في الدلالة .

﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ مصدر أنزل فاعل يكفي والكتاب القرآن .

﴿يتلى عليهم﴾ تدوم تلاوته عليهم بكل مكان وكل زمان لا يزول ولا يضمحل كما تزول كل آية وتضمحل وتكون في مكان دون آخر وزمان دون آخر فهو آية يتحدى بها تغني عن سائر الآيان إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين ، والهاء ان لمن طلب نزول آيات من قريش ويهود وقيل لليهود على معنى انه يتلى عليهم بتحقيق ما فيهم من نعتك ونعت دينك .

﴿إن في ذلك﴾ أي أنزل القرآن أو في ذلك الكتاب وهو القرآن الذي هو آية مستمرة عامة للإماكن والإزمان .

﴿لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ أي لنعمة عظيمة لا يقام بشكرها وعظمة لقوم سبق في الأزل أنهم يؤمنون وأن همهم الإيمان لا التعنت وروي : أن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ يكتف فيها بعض ما

تقول اليهود فلما نظر اليها رسول الله ﷺ أبقاها وقال : «كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم لما جاء نبي غيرهم» فنزلت الآية والأول أولى .

﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً﴾ بأني رسوله وان القرآن كتابه وانكم كاذبون واني قد بلغّت ما أرسلت به وقد صدقني بالمعجزات .

﴿يعلم ما في السموات والأرض﴾ هو عالم بأمري وأمركم .

﴿والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله﴾ وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم ، الكفر بالله كفر بالله والكفر بآياته كفر به ، وان قلت ما فائدة العطف مع أن الإيمان بالباطل كفر بالله ؟ قلت : فائدته التقبيح عليهم بذكر الكفر بالله مع الإيمان بالباطل ولا سيما انه قد يؤمن الإنسان بالباطل ولا يخطر الله بباله ولا الإيمان به ولا الكفر وهذا ولو كان نفس الكفر بالله شرعاً لكنه غير كفر باعتبار العرف فيحتاج الى ذكر الكفر بالله بعد ذكر الإيمان بالباطل .

﴿أولئكم هم الخاسرون﴾ المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ولا مانع من ان يكون قوله (قل كفى بالله) إلى الخاسرون ورد مورد الإنصاف على حد وأنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ، ويجوز أن يكون ذلك في (قل كفى) إلى الأرض فعلى هذا فجملة (والذين آمنوا بالباطل) الخ مستأنفة ليست من مقول قل أو هي من مقوله لكنها تصريح بعد إبهام ، وروي أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا : يا محمد من يشهد بأنك رسول الله فنزلت ﴿قل كفى بالله﴾ الى ﴿الخاسرون﴾ .

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ وذلك ان النظر بن الحرث قال : (فأمطر

علينا حجارة من السماء) الآية وذلك استهزاء وتكذيب .

﴿ولولا أجل مسمى﴾ هو عند ابن عباس يوم القيامة وعد الله سبحانه لرسوله ﷺ أن لا يعذب أمته ولا يستأصلهم الى يوم القيامة وقيل هو مدة إعمارهم فإذا ماتوا عُذبوا في قبورهم ، وقيل : هو يوم بدر ، وقيل (لولا اجل مسمى) لكل عذاب أو قوم .

﴿لجاءهم العذاب﴾ عاجلاً .

﴿وليأتينهم بغتة﴾ فجأة .

﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقته وبإتيانه ، وضمير يأتي للعذاب أو للأجل والأول أولى .

﴿يستعجلونك بالعذاب﴾ مطلقا أو في الدنيا (وإن) الواو للحال والحال قيد لعاملها فليس يستعجلونك بالعذاب تكرير للأول وقيل هو للإستئناف فيكون يستعجلونك بالعذاب تأكيداً للأول .

﴿وانّ جهنم لمحيطة﴾ الآن .

﴿بالكافرين﴾ اي بهم ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على موجب احاطتها بهم وهو الكفر ومعنى احاطتها بهم الآن انها بمرصد لهم وانتظار وانما يوجبها قد أحاط بهم وهو الكفر والمعاصي أو أراد انها ستحيط بهم ذلك يوم القيامة وأل للعهد ويجوز أن تكون للجنس أو الحقيقة استدلالاً بحكم الجنس أو الحقيقة على حكمهم أو هي للجنس الاستغرافي الداخلين هم فيه وعلى هذه المحتملات الثلاث فليس ذلك من وضع الظاهر موضع الضمير .

﴿يوم يغشاهم العذاب﴾ متعلق بمحيطة أو بمحذوف اي يقع كذا وكذا يوم يغشاهم .

﴿من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ ذكر الجهتين فقط كناية عن جميع الجهات .

﴿ونقول﴾ نأمر الملائكة بالقول أي نلهمهم القول أو يرون الأمر بالقول مكتوباً او يسمعونه كلاما مخلوقا في الهواء وحيث شاء الله والقول من الله بلا واسطة لكن يخلقه مستقلا في الهواء وغيره فيُسمع وذلك قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين وقرأ غيرهم بقول بالتحتية وهي قراءتنا اي ﴿ويقول﴾الله بالتأويل السابق او الضمير لبعض الملائكة او للقائل من الملائكة .

﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ اي جزاءه .

﴿يا عبادي﴾ بفتح الياء وتسكن في الوقف وحذفها ابوعمرو في الوصل وكذا الكسائي والظاهر انهما يثبتانها في الوقت ساكنة لثبوتها في جميع المصاحف .

﴿الذين آمنوا إن أرضي﴾ فتح ابن عامر هذه الياء .

﴿واسعة فاياي فاعبدون﴾ اي اذا لم تسهل لكم العبادة في بلد أنتم فيه ولم يتمش لكم أمر الذين كما تحبون فهاجروا الى بلد تجدون فيه ذلك وتكونون أسلم قلوباً وأصح دينا وأكثر عبادة وأحسن خشوعاً ، قال جار الله : ولعمري إن البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب أولونا فلم تجد فيما درنا أو داروا أهون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقت الملتفت وأضم للهمم المنتشرة وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأضبط للأمر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهّل من ذلك وقرّب ورزقَ من الصبر وأوزع من الشكر . وعن رسول الله ﷺ : «من

فر بدينه من أرض إلى أرض وان كان شبراً من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد» وقيل نزل ذلك في المستضعفين من أهل مكة الذين نزل فيهم ﴿ألم تكن أرض الله واسعة﴾ الخ .

لأن أمر دينهم لا يتم بين الكفرة ، والهجرة عندي واجبة .

ولو بعد الفتح اذا لم يجد المسلم إقامة دينه ولو سراً سواء كان ذلك لتضييق مشرك او منافق عليه ، وجائزة مندوبة في غير ذلك والفاء في جواب شرط محذوف اي ان لم تخلص لكم العبادة فاخلصوها في اخرى وأيا مفعول لمحذوف على الاشتغال والفاء بعده زائدة أو في جواب اما محذوفة والأصل فاعبدوني فاعبدوني حذفت أعبد الأول فانفصل ضمير النصب لحذف عامله وإيا مفعول لمحذوف مقدر بعده للحضر لا على الاشتغال أي فإياي اعبدوا ، وقيل : إياي مفعول للمذكور بعده والياء المحذوفة من المذكور بعده تأكيداً لإياي والأصل اعبدوني إياي قدمت الياء المتصلة بالنون فانفصلت فكان مكانها إياي فاتصلت إياي بعدها بالنون وحذفت بعد ان كانت ضميرا متصلا هكذا فاعبدوني وقيل : انها نزلت في ضعفاء مسلمي مكة وان الأرض المدينة وان واسعة بمعنى آمنة وقيل : نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة خشية ضيق المعيشة فلم يعذروا ولذا قيل : معنى ان ارضي واسعة ان رزقي واسع فاخرجوا ، وقال سعيد بن جبير : اذا عمل في أرض بالمعاصي فاهربوا منها ان ارضي واسعة وقيل اذا امرتم بالمعاصي فاهربوا فان ارضي واسعة قيل وكذلك يجب على كل من كان في بلدة يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه بغيرها ان يهاجر وكذا قال سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد ومالك .

﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ يناله الموت وتجد مرارة الموت كما يجد

الطاعم طعم المذوق .

﴿ثم إلينا ترجعون﴾ البعث للجزاء وقرأ أبوبكر بالتحتية وذلك تحقير لأمر الدنيا وتهوين لمخاوفها ومن كان لا بد له من الموت والبعث للجزاء فلا بد له من التزود والاستعداد بجهده وكيف يقيم بدار الشرك ويترك الهجرة خوفا من الموت وضيق العيش ، وذكر هشام بن عبدالله الاندلسي القرطبي في تاريخه المسمى ـ ببهجة النفوس ـ أنه بينما المنصور جالس في منزله في اعلا قصره اذ جاءه سهم فسقط بين يديه فذعر ذعرا شديدا ثم أخذه فجعل يقلبه فاذا مكتوب عليه بين الريشتين :

* أتطمع في الحياة الى التنادي * وتحسب ان ملكك من معادي *
* لتسأل عن ذنوبك والخطايا * وتسأل بعد ذاك عن العباد *
* أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر *
* وساعدتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر *
* هي المقادير تجري في أعنتها * فاصبر فليس لها صبر الى حالي *
* وما يريك خسيس القدر ترفعه * الى السماء ويوما تخفض العالي *
* من يصحب الدهر لا يأمن تصرفه * يوما وللدهر أحلاء وأمرار *
* لكل شيء وان طالت سلامته * اذا انتهى مده لا بد اقصار *

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم﴾ جواب قسم والقسم وجوابه خبر الذين لننزلنهم .

﴿من الجنة﴾ حال من قوله .

﴿غرفاً﴾ وقرأ حمزة والكسائي (لنثوينهم) بالمثلثة بعد النون مضارع اثواه المتعدي بالهمزة وأما ثوي الثلاثي فلازم وغرفاً على القراءتين مفعول ثان وإنما تعدى الإثواء بالهمزة لاثنين وحقه ان يتعدى به لواحد

لأنه بدون الهمزة لازم لتضمنه معنى الإنزال وإلا فثوى معنى مكث وأثوى غيره بمعنى جعله ماكثاً ويقال أيضا ثوي بمعنى نزل للاقامة مجازاً وأصله بمعنى أقام ومكث ولك ان تجعل غرفا منصوباً على نزع الخافض على القراءتين اي في غرف لا على القراءة الثانية فقط ومنصوباً على الظرفية المكانية ولو كان مختصا أجراه له مجرى المبهم على القراءتين أيضا ويجوز كون نبو بمعنى نهي فالهاء على تقدير الجار اي لنهين لهم وغرفاً مفعولة او بمعنى نعطي على طريق التضمين فله مفعولان والغرف الملالي جمع غرفة .

﴿تجري من تحتها الانهار خالدين﴾ حال مقدّره أي معتقدين الخلود وناوين له .

﴿فيها نعم أجر العاملين﴾ لله بطاعته وقرأ يحيى بن وثاب (فنعم) والمخصوص بالمدح محذوف هو الجنة .

﴿الذين﴾ نعمت العاملين او مقطوع للرفع والنصب مدحا .

﴿صبروا﴾ على مفارقة الأوطان والهجرة لأجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب على الطاعة وعن المعصية .

﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون ويكفي عنهم المضار ويقضي حوائجهم اذ لم يتوكلوا في جميع ذلك إلا علي ، ولما امر رسول الله ﷺ من سلم بمكة بالهجرة الى المدينة خافوا الفقر والضيعة فكان الرجل يقول كيف أقدم ويده ليس لي فيها معية ولا دار ولا عقار ولا مثل فمن يطعمنا بها ويسقينا فنزلت ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ لا تطيق ان تحمله لضعفها على حمله ولا تستقل بكسبه ولا تقدر على محاولته او لا تدخره وانما تصيح ولا شيء عندها وانما تأكل بأفواهها

ولا تحمل شيئا كالبهائم والسباع والطير وهو قول الحسن ومجاهد وعليه ابن الأقمر .

﴿الله يرزقها وإياكم﴾ لا يرزق تلك الدواب الضعاف ولا يرزقكم ايها الأقوياء على الكسب والادخار الا الله فهي وانتم سواء في ان كلا ليس رازقا لنفسه فلا تخافوا على معائشكم بالهجرة ولو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز الدواب التي لا تحمل .

﴿وكأين﴾ مبتدأ خبره الله يرزقها وأنث لوقوعه على جماعة الدواب او هو منصوب المحل على الاشتغال وانما بني لتضمنه معنى حرف التكثير كقد ورب التكثيرية فان معناه كثير واحترز به عن النملة والفارة انهما يدخران ولم يدخل الانسان في العموم بدليل واياكم وعن ابن عيينة ليس شيء يخبيء الا الانسان والنملة والفارة . عن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حنطته ويقال العقعق الخابي الا انه ينساها . واعلم ان الادخار ليس من خلق المؤمنين قال رسول الله ﷺ لابن عمر : «كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس يخبؤن رزق سنة بضعف اليقين» وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ «لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطيور تغدوا خماصا وتروح بطانا» وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : «ان الروح الامين نفث في روعي انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته» .

﴿وهو السميع﴾ للأقوال .

﴿العليم﴾ بالافعال وما في القلوب فقد سمع قولهم تخشى الضيعة

والفقر وعلم مافي ضمائرهم .

﴿ولئن سألتهم﴾ أي اهل مكة .

﴿من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر﴾ جملة المبتدأ والخبر مقول لسألتهم لأن السؤال قول ذكر ايجاد الذوات وهو خلق السماوات والأرض وايجاد الصفة وهي حركة الشمس والقمر .

﴿ليقولن الله﴾ اي خلقهن وسخرهما الله والله خلقهن وسخرهما وفعل الله ذلك او الله فعل ذلك ولا بد لهم من الاقرار بذلك لما تقرر في العقول من وجوب افتقار الموجود الى موجد واجب الوجود .

﴿فأنى يؤفكون﴾ كيف يصرفون عن التوحيد بعد هذا الاقرار .

﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده﴾ تارة .

﴿ويقدر﴾ يضيق الرزق تارة اخرى .

﴿له﴾ اي لذلك الذي بسط له على حسب المصلحة والضمير قائم مقام ظاهر مبهم اي ويقدر لمن يشاء وهو غير الذي بسط له وذلك ايضا على حسب المصلحة واليها اشار بقوله .

﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ علم مقادير الأرزاق والحاجات والمصالح وغير ذلك . عن الحسن عن رسول الله ﷺ : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» .

﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله﴾ فقد اعترفوا بأن الله سبحانه هو الموجد للكائنات اصولها وفروعها ثم انهم قد اشركوا به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك على ان فاعل هذه الاشياء هو الله وعلى اقرارهم ولزوم الحجة لهم .

﴿قل الحمد لله﴾ على ما عصمني من مثل هذه الضلالة وعلى التصديق واظهار الحجة وعلى الانتفاع بالاقرار .

﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ فيتناقضون حيث يقرون بأنه المبدي لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم ولا يعقلون ما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لما حمدت الله عند مقالتهم هذه .

﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾ الا كما يلهوا الصبيان ويلعبون ويجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وذلك ازدراء بالدنيا وتحقير لها وكيف لا يصغرها وهي لا توزن عنده جناح بعوضة وفي سرعة الزوال كاجتماع الصبيان على شيء الا ما كان منها لله من طاعة واللهو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل الاشتغال بما لا يعني واللعب العبث .

﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ اي لهي ذات الحيوان الدائم او دار الحيوان الدائم فحذف المضاف والحيوان بمعنى الحياة وعبر به لا بالحياة لانه على وزن فعلان بفتح الفاء والعين وفعلان يدل على الحركة والاضطراب اللازم للحياة فهو ابلغ وهو من حيي كعلم كالجولان والدوران من جال ودار والاصل حييان قلبت الياء الثانية واوا ولك ان لا تقدر مضافا فتكون فيه المبالغة بجعل الآخرة نفس الحياة .

﴿لو كانوا يعلمون﴾ فناء الدنيا بسرعة وبقاء الآخرة فما اختاروا الدنيا على الآخرة .

﴿فإذا ركبوا في الفلك﴾ وخافوا الغرق .

﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ وتركوا الأصنام ومعنى اخلاصهم

الدين لله سبحانه وتعالى كونهم في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بأنه لا كاشف للشدائد الا الله او الدين هو الدعاء اي مخلصين له الدعاء ويحتمل ان يكون نوع من التهكم في قوله (مخلصين) والكلام متصل بما وصفوا به من عناد وشرك اي بينما هم على عناد وشرك خصوا الله بالدعاء لخوف الغرق وذكر بعضهم ان الجاهلية يحملون معهم الاصنام فاذا اشتدت الريح القوها في البحر وقال يا رب يا رب .

﴿فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ اي سارعوا الى الاشراك وفي قرن جواب لما الوجودية باذا الفجائية دليل على جواز قرنه بالفاء الا ان يقدر لها جواب مثل نسوا نعمة التنجية .

﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ من النعم ومنها نعمة التنجية واللام للتعليل وكذا في قوله :

﴿وليتمتعوا﴾ أي باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها متعلقة بأن يكفروا وإن قلت كيف يكون الكفر بالنعمة علة للاشراك ؟ قلت : وجهه انهم اشركوا ليتوصلوا الى الكفر بالنعمة من حيث انهم مالم يكفروا بها لم يتوصلوا الى التمتع المذكور اذ اللام للمال وذلك خلاف حال المؤمنين لانهم اذا نجاهم الله ازدادوا ايمانا وطاعة للشكر وال امرهم للازدياد لا للتمتع والتلذذ ويجوز ان تكون اللامان للأمر الذي هو وعيد وتهديد ويدل له قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع باسكان لام ليتمتعوا وهذا الامر مجاز عن الخذلان والا فالله امر بأن ناه عن الشرك والمعصية وانما هو مثل قولك لمن نصحته وابى افعل ما شئت تريد انك شديد الكراهة لفعله وكأنك قلت اذا ابيت قبول النصيحة فانت

اهل لان يقال لك افعل ما شئت ليتبين لك اذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك وان فيه ضررا عظيما والصحيح عن نافع كسر لام (ليتمتعوا) كما كسروا لام ليكفروا .

﴿فسوف يعلمون﴾ انه لا تمتع لهم سوى الذي تمتعوه في الدنيا منغصا وانه لا نصيب لهم في الآخرة الا العذاب الدائم وسخط الرحمن الذين هما عاقبة التمتع والكفر وكانت العرب حول مكة تتفاخر وتتغازى وتتناهب وتتساير واهل مكة آمنون في مكة وغيرها مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله جلت نعمته هذه النعمة ووبخهم اذ قال :

﴿أولم يروا﴾ أي أهل مكة .

﴿أنا جعلنا حرما آمنا﴾ اي جعلنا بلدهم معظما آمنا اهله من ان يقع بهم ذلك او جعلنا حرما آمنا لهم .

﴿ويتخطف الناس من حولهم﴾ بالسبي والسلب والقتل .

﴿أفبالباطل﴾ الصنم قيل او الشيطان والايمان به متابعته .

﴿يؤمنون﴾ بعد هذه النعم الظاهرة التي اوجدها الله لا الصنم .

﴿وبنعمة الله يكفرون﴾ اذ اشركوا به غيره وأراد بالنعمة الجنس وقيل : النعمة سيدنا محمد ﷺ وقيل : ما جاء به من الهدى وقدم بالباطل وبنعمة للفاصلة وللاهتمام وللاختصاص على طريق المبالغة .

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ بأن زعم ان له شريكا .

﴿أو كذب بالحق﴾ القرآن او النبي ﷺ او كليهما وغيرهما .

﴿لما جاءه﴾ بدون توقف للتأمل بل سارع بالتكذيب اول ما سمع لا احد اظلم منه .

﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ اي اليس لهذا المفتري المكذب

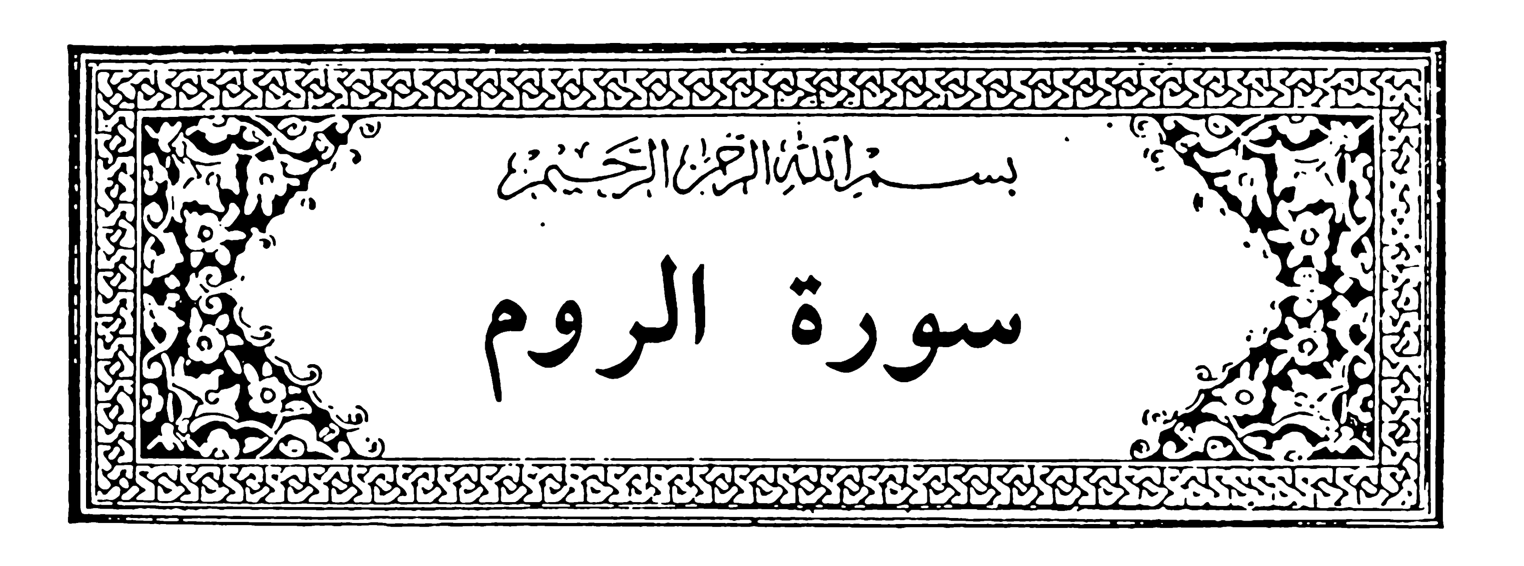
مأوى في جهنم اي ان له فيها مأوى عظيما والكافرون هم الذي افترى وكذب افرد تارة نظر للفظ من وجمع تارة نظرا لمعناها وعبر بالظاهر موضع الضمير اشعار بأن موجب المثوى لهم هو كفرهم والاستفهام انكار او تقرير اي الا يستوجبون الثواب فيها وقد اقترفوا ذلك الافتراء وذلك التكذيب وذلك تقرير لمثواهم ويجوز ان يكون تقريرا لاجتراءهم اي الم يعلموا ان فيها مثوى يستوجبه افتراءهم وتكذيبهم حتى اجترؤا هذه الجرأة ويجوز ان يكون الكافرون للعموم فليس من اقامة الظاهر مقام المضمر أي ان فيها مثوى لهم وذلك المفتري او المكذب منهم .

﴿**والذين جاهدوا فينا**﴾ اي جاهدوا المشركين في سبيلنا او في حقنا ولأجلنا ولنصرة ديننا او المراد جهادهم وجهاد المنافقين والنفس والهوى والشيطان فحذف المعمول للتعميم وقال السدي : أن الآية نزلت قبل فرض القتال فهي في جهاد النفس والهوى والشيطان وفي دين الله وطلب مرضاته وهو الصحيح الموافق لما مر ان السورة مكية وقال الحسن بن علي : هي في العباد وقال ابراهيم بن ادهم : هي في الذين يعملون بما علموا وقال سهل بن عبدالله : اقامة السنة وقيل : المراد نصر الدين والرد على المبطلين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد النفس في طاعة الله وجهادها اكبر من جهاد العدو كما في الحديث عن رسول الله ﷺ : «رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الأكبر» .

﴿**لنهدينهم سبلنا**﴾ طرق جنتنا وهي الأعمال الموصلة اليها وطرق الوصول الى رضانا او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا بسلوكها واصلاح النية في الاعمال وفيها قال سبحانه وتعالى : ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ وقال رسول الله ﷺ : «من عمل بما علم ورثه الله علم

مالم يعلم» وقد قال الفضل بن عياض : والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل وقيل : الذين جاهدوا المشركين لنثنينهم على قتالهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما : الذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وفي رواية عن ابي سليمان الدراني : الذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى مالم يعلموا . قيل : ان الذين نرى من جهلنا بمالا نعلم انما هو من تقصير نا فيما نعلم وجملة لنهدينهم لا محل لها لأنها جواب القسم المحذوف وجملة القسم وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ .

﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ بالنصر والعون في الدنيا والثواب في العقبى اللهم ببركة نبيك محمد ﷺ وبركة السورة اخزي النصارى وأهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الروم

مكية اتفاقا كلها وقيل (فسبحان الله) الآية فمدنية وآيتها ستون وقيل تسع وخمسون وكلمها ثمان مائة وتسعة عشرة وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة واربعة وثلاثون وعنه ﷺ : «من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والأرض وادرك مما ضيع في يومه وليلته» وفي رواية «بعدد ملائكة التسبيح» وعنه ﷺ : من قال : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ـ الى قوله ـ وكذلك تخرجون ، صباحا ومساء ادرك مما فاته» «ومن كتب السورة وجعلها في اناء زجاج ضيق الرأس وجعلها في منزل مرض أهل المنزل بإذن الله ومن دخل عليهم اذا خلطت بماء المطر وجعلت في إناء فخار وسقي من أراد من الأعداء مرضوا وإن غسل بمائها لوجه رمد صاحبه وخيف عليه العمى وقوله تعالى ﴿كذلك يطبع الله﴾ الى ﴿يوقنون﴾ لدهشة العدو وذهابه وصرفه عنك وعن إقامة الحجة عليك تكتب هذه الآيات في خرقة واكتب بعدها كذلك يطبع الله على قلب فلان بن فلانه فإذا رآك دهش ولا يرد جوابا .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم﴾ مر تفسيره .

﴿غلبت الروم﴾ هم أولاد روم بن عيص بن اسحاق وأما النصارى فهم من ولد يعقوب بن اسحاق وهم بعض اليهود نصروا عيسى عليه السلام فسموا لذلك او لنزولهم قرية تسمى ناصرة وهم من جملة بني اسرائيل الا ان من لم يؤمن بعيسى بقي على إسم اليهودية ومن آمن به سمي نصرانيا ، والمملكة والقوة قبل الإسلام للروم غلبتهم فارس .

﴿في أدنى﴾ أي أقرب .

﴿الأرض﴾ أي في أقرب أرض العرب إلى الروم والأرض أرض العرب وأل للعهد الذهني لان الأرض المعهودة عند العرب أرضهم أو للحضور أو عوض عن المضاف إليه والأرض أرض الروم أي في أقرب أرضهم إلى العرب وذلك أطراف الشام ، وقال مجاهد : هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم الى فارس ، وعن ابن عباس الأردن وفلسطين وقرى في أداني الأرض ، وقال عكرمة : أدنى الأرض الى مكة أذرعات روى ان الجيش جيش فارس وجيش الروم التقيا في أدنى الأرض والبادي بالغزو الفرس فغلبوا الروم وقال كفار قريش نحن نغلبكم كما غلبت الفرس الروم وفرحوا وذلك أن الفرس لا كتاب لهم بل هم عبدة الأصنام والنار والشمس والقمر كما أن أهل مكة لا كتاب لهم وهم عبدة أوثان والروم لهم كتاب كما ان للمسلمين كتابا فهم يودون غلبت الروم على الفرس واهل مكة يودون غلبت الفرس على الروم

وقالوا : ان الفرس اخواننا من حيث أنهم عبدة أوثان لا كتاب فنغلبكم كما غلبوا الروم ، وملوك الفرس تسمى كسرى وملوك الروم تسمى قيصر وروى ان الروم والفرس احتربوا بين اذرعات وبصرى فغلبت الفرس الروم فبلغ الخبر مكة فشق ذلك على رسول الله ﷺ والمسلمين لأن الفرس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وشتموا وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن والفرس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم وروي أن كسرى بعث الى الروم جيشاً واستعمل عليهم رجلاً اسمه شهر يزان وبعث قيصر جيداً الى الفرس واستعمل عليهم رجلاً اسمه تجيش والتقا الجيشان في أدنى الأرض وكانت بينهم حروب قبل ذلك والمسلمون يتمنون غلبت الروم على الفرس واهل مكة يتمنون غلبت الفرس على الروم وكان هذا سبب نزول الآية .

﴿وهم﴾ أي الروم .

﴿من بعد﴾ متعلق بسيغلبون .

﴿غلبهم﴾ وقُرىء بسكون اللام وكلاهما مصدر مضاف للمفعول والفاعل الفرس .

﴿سيغلبون﴾ اي والروم بعد ان غلبتهم الفرس سيغلبون الفرس وسبب غلبت الروم الفرس ما قاله عكرمة وغيره ان شهريزان لما غلب الروم لم يزل يطأهم ويخرّب ديارهم حتى بلغ الخليج فبينما أخوه فرحان جالس ذات يوم يشرب فقال لأصحابه لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته إلى كسرى فكتب الى شهريزان إذا أتاك كتابي فابعث إليّ برأس فرحان فكتب اليه أيها الملك إنك إن تجد مثل فرحان

ان له نكاية وصولة في العدو فلا تفعل فكتب إليه ان في رجال فارس خلفاء منه تعجّل إليّ برأسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث يريد إلى أهل فارس أني قد عزلت عنكم شهريزان واستعملت عليكم فرحان ثم دفع الى البريد صحيفة صغيرة وأمره فيها بقتل شهريزان وقال إذا ولى فرحان الملك وانقاد له أخوه فأعطه الصحيفة ولما وصل البريد الى شهريزان عرض عليه كتاب كسرى ولما قرأه قال سمعاً وطاعةً ونزل عن سرير الملك وأجلس عليه أخاه فرحان فدفع البريد الصحيفة إلى فرحان ولما قرأها استدعى بأخيه شهريزان وقدمه لتضرب عنقه فقال له : لا تعجل حتى أكتب وضيق فدعا بسقط ففتحة وأعطاه منه ثلاث صحائف وقال له : كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت تريد أن تقتلني بكتاب واحد فرد فرحان الملك إلى أخيه شهريزان وكتب إلى قيصر ملك الروم إن لي إليك حاجة لا يحملها البريد ولا تبلغها الصحائف فألقني في خمسين روميا حتى ألقاك في خمسين فارسياً فاقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه مخافة المكر فأتاه عيونه فأخبروه أنه ليس معه الا خمسون فارسياً فلما التقيا ضربت عليهم قبة ديباج ومع كل واحد منهما سكين ودعيا بترجمان يترجم بينهما فقال شهريزان : ان الذين خربوا بلادك انا وأخي برأينا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا وأراد أن يقتل أخي فأبيت عليه ثم أمر أخي بقتلي فأبى عليه وقد خلصناه جميعاً ونحن نقاتله معك قال : قد أصبتما ، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فإذا جاوزهما فشى فقتلا الترجمان معا بسكينهما فجاءت الروم على فارس عند ذلك فغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله ﷺ يوم الحديبية ففرح من كان معه من المسلمين ، وروي

أنهم ظهروا على فارس يوم الحديبية وقيل بدر وربطت الروم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة سموها رومية وذلك على رأس سبع سنين من مناحبة أبي بكر رضي الله عنه أبي بن خلف اعنى مراهنة وذلك أنه لما فرح كفار مكة بمغلبة فارس الروم خرج إليهم ابوبكر رضي الله عنه في المسجد الحرام فقال لا تفرحوا ولا يقر الله عيونكم فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا ﷺ فقام إليه أُبي بن خلف الجمي فقال كذبت يا ابا فضيل فقال أنت الكاذب يا عدو الله فقال إجعل بيننا أجلاً أناحبك عليه فتناحبا على عشر قلائص وقيل خمس من كل منهما أن ظهرت فارس غرم أبوبكر وان ظهرت الروم غرم أبي وجعلوا الأجل ثلاث سنين فجاء ابوبكر الى النبي ﷺ فأخبره بذلك وذلك قبل تحريم القمار فقال النبي ﷺ ما هكذي ذكرت أن البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل والله جل وعلالا يقول : ﴿في بضع سنين﴾ وعن بعض العلماء البضع ما بين الثلاث إلى السبع وقيل الى العشر فخرج أبوبكر ولقي أبيا فقال : لعلك ندمت فقال : لا فقال ازايدك في الخطر وامادك في الأجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين وقيل : الى سبع فخاف أُبي خروجه من مكة فلزمه وقال . أخاف خروجك فأقم لي كفيلاً فكفله ابنه عبدالله بن ابي بكر ولما أراد أُبي الخروج إلى أحد اتاه عبدالله فلزمه فقال لا والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فأعطاه كفيلا وخرج الى احد ثم رجع الى مكة ومات بها من جرح جرحه رسول الله ﷺ حين بارزه وظهرت الروم يوم الحديبية على رأس سبع وقيل يوم بدر فينفق نصر الروم على الفرس ونصر المسلمين على المشركين في يوم واحد وأخذ ابو بكر الخطر من ورثة أبي وجاء به الى

النبي ﷺ وذلك قبل تحريم القمار فقال له النبي ﷺ : «تصدق به» وقيل : مات أبي بعد رجوعه الى مكة وقبل الوصول إليها وروى ان ابابكر قال لهم : ليغلبن الروم فارس الى ثلاث سنين فذكر للنبي ذلك فقال له : ما مر فراد في الخطر والأجل كما مر مضت ثلاث السنين قالت المشركون : قد مضى الوقت وقال المسلمون : هذا قول ربنا وتبليغ نبينا والبضع ما بين الثلاث الى السبعة ما لم تبلغ العشرة والموعود كأين وإنما حرم القمار بعد غزوة الأحزاب وزعم ابوحنيفة ومحمد : أن العقود الفاسدة من عقود الربى وغيره جائزة في الحرب بين المسلمين والمشركين. لفعل ابي بكر وقري﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ ببناء غلبت للفاعل ويغلب للمفعول فتكون إضافة الغلب الى الهاء إضافة مصدر لفاعله وذلك ان الروم غلبت ريف الشام وهو الأرض التي فيها زرع وخصب وسيغلبهم المسلمون في سنين وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزول الآية وفتحوا بعض بلادهم وهذه الآية من الآيات البينات الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن من عند الله لأنها أخبار الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وخرج على وفق الأخبار فائدة لبضعة وبضع حكم تسعة وتسع في الإفراد والتركيب وعطف عشرين وأخواتها نحو لبثت بضعة أعوام وبضع سنين وعندي بضعة عشر غلاما وبضع عشرة أمة وبضعة وعشرون كتاباً وبضع وعشرون صحيفة ويراد ببضعة من ثلاثة إلى تسعة وببضع من ثلاثة إلى تسع وقيل البضعة والبعض أربعة وثمانية وما بينهما وقيل الواحد والعشرة وما بينهما وقيل أربعة وتسعة وما بينهما وقال الفراء : من الواحد الى تسعة بدخولها والجمهور على أنهما يصاحبان العشرة والعشرين الى التسعين فلا

يصاحب المائة والألف وقيل لا يصاحب إلا العشرة ويرده نحو قوله ﷺ : «الإيمان بضع وستون شعبة» وفي رواية «وسبعون» ونقل الكرماني أنه يصاحب المائة والألف ومعناه نيف لكن لا يجب ذكره مع العقل بخلاف نيف فإنه يجب ذكره معه ولا تلحق التاء نيفا والمشهور كسرباء بضعا وبضعة وبضع العرب بفتحها .

﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ أي من قبل غلب الروم ومن بعده أي أن ظهور فارس على الروم والروم على فارس بأمر الله أي إرادته وقرىء «من قبلٍ ومن بعد» بالتنوين والجر «ومن قبل ومن بعد» بالجر بلا تنوين الاولى من القطع عن الاضافة لفظا ونية معناها والثانية من القطع عنها لفظا ومعنى والثالثة من نية لفظها ومعناها .

﴿ويومئذ﴾ اي يوم إذ تغلب الروم الفرس وبعض يقدر إذ غلبت الروم الفرس بصيغة الماضي ما على أن الماضي بمعنى المضارع وما لتحقيق الوقوع فكان الغلبة واقعة .

﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ لمن له كتاب وهو الروم على من لا كتاب له وهو الفرس وقيل المراد نصر الروم ونصر المؤمنين لأنهم نصروا في يوم واحد ويجوز أن يكون المراد نصر المؤمنين أي أن نصرهم يقع يوم غلبت الروم الفرس فلهم فرح في ذلك اليوم وقيل نصر الله أظهر صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم على الفرس وقيل نصر الله أنه ولى بعض الظالمين بعضا فتناقبوا وتناقضوا وفي ذلك قوة الإسلام .

﴿ينصر من يشاء﴾ بيده النصر ينصر من يشاء في وقت شاء وعنه ﷺ : «إذا مات كسرى فلا كسرى بعده وإذا مات قيصر فلا قيصر بعده» .

﴿وهو العزيز﴾ الغالب .

﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين او المعنى ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم تارة .

﴿وعد الله﴾ أي وعد الله ذلك النصر وعداً فحذف المفعول والعامل وأضيف المصدر للفاعل وهو مصدر مؤكد لما قبله لأن ما قبله في معنى الوعد .

﴿لا يخلف الله وعده﴾ لامتناع الكذب عليه .

﴿ولكن أكثر الناس﴾ كفار مكة والعرب .

﴿لا يعلمون﴾ ان الله لا يخلف الوعد ولا يعلمون ان الله وعد بالنصر ان الأمر من الله وان ما يقوله محمد حق .

﴿يعلمون﴾ مستأنف او بدل من قوله (لا يعلمون) ونكتة هذا الابدال الاشعار بأنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا ولا يخفى ما بين لا يعلمون ويعلمون من المطابقة البديعية .

﴿ظاهرا من الحياة الدنيا﴾ اي من امرها كالتجارة والزراعة والبناء والغرس والتمتع وقيل يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها وقيل يعلمون وجودها الظاهرة ولا يعلمون فناءها وقيل : يعرفون ظاهرها وهو الملاذ لا باطنها وحقيقتها التي هي انها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وعن الحسن : أن احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطأ وهو لا يحسن ان يصلي ، وينقره بعض بأصبعه فيعرف انه فضة او غيرها .

﴿وهم عن الآخرة﴾ كلها .

﴿هم﴾ تأكيد للأول قيل او مبتدأ ثان .

﴿غافلون﴾ مع انها المقصود بالدنيا فهم كالبهائم لا يعلمون شيئا من الآخرة وقصر علمهم على بعض الدنيا قال ابوالعباس المبرد : قسم كسرى ايامه فقال يوم الريح يصلح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج وجزأها نبينا محمد ﷺ ثلاثة اجزاء جزء لله وجزء لأهله وجزء لنفسه ثم جزء جزء بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة للعامة ويقول : «ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من بلغ حاجة من لا يستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر» وكان عمرو بن العاص بالاسكندرية وجاءه رجل فقال : أن عالم هذه المدينة يقول ان القمر يخسف الليلة فقال : رجل كذب هذا لا يعلم ما في الأرض فكيف يعلم ما في السماء فقال عمرو : بلى ان الله عنده علم الساعة الخ وما سوى هذا يعلمه قوم ويجهله آخرون وانشد مسلم مشركا راحلته وقد ضلها فقال : ألست مع هذا الذي يزعم انه نبي فيخبرك فردها الله عليه فاخبر النبي ﷺ فقال : «فما قلت له ؟» فقال : ماذا اقول لرجل مكذب لله فقال «أفلا قلت له إن الغيب لا يعلمه الا الله .

﴿أولم يتفكروا في أنفسهم﴾ فانها أقرب ولهم فيها عبرة تتجلى لهم بها قدرة الله على الممكنات كالبعث والحكمة في خلق السماوات والأرض او اولم تحدث الفكرة في انفسهم بأن يتفكروا بقلوبهم في امر السماوات والأرض قال ابن عطاء الله : الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له وقال : ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكره .

﴿ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى﴾ محدود معلوم لله تنتهي عنده السماوات والأرض وهو يوم القيامة اي ما خلقهن باطلا بل خلقهن لحكمة بالغة ولا يبقين خالدات وانما خلقهن مقرونات بالحق ولهن اجل ينتهين اليه للجزاء والياء للألصاق أو لمصاحبة المجازية ومر اعراب مثل منها ذلك ويأتي ايضا والجملة مفعول لمحذوف اي اولم يتفكروا فيقولوا ما خلق الله الخ .. أو فيعلموا ما خلق الله الخ .. وقيل مفعول للتفكر كتضمنه معنى العلم .

﴿وإن كثيرا من الناس﴾ كفار مكية او الناس مطلقا .

﴿بلقاء ربهم﴾ بلقاء جزائه عند انقضاء قيام الاجل المسمى او قيام الساعة والمعنى واحد .

﴿لكافرون﴾ فهم يجحدون البعث ويقولون ان الدنيا ابدية .

﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها﴾ جملة أثاروا وجملة عمروا معطوفتان على قوله (من قبلهم) لنيابته عن ثبتوا او مضوا او على هذا المنوب منه او على كان عاقبة ان جعلت كيف حالا وكان تامة ومعنى أثار الأرض قلبوها للحرث او المعدن والماء وسميت البقرة المثيرة لانها تثير الأرض للحرث وكذا سمي الثور ثورا وسميت البقرة بقرة بأنها تبقر الأرض اي تشقها .

﴿أكثر مما عمروها﴾ ما مصدرية والواو لأهل مكة وفي ذلك تهكم بهم لأن واديهم غير ذي زرع وهم ضعاف الحال لا وسع لهم ولا تصرف في الأرض ولا قوة مثل من مضى ومع ذلك يفتخرون وهؤلاء الذين قبلهم عاد وثمود وغيرهم .

﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ المعجزات والآيات الواضحات فلم

يؤمنوا فأهلكهم الله .

﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ بالاهلاك من غير جرم .

﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بتكذيب الرسل وغيره .

﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا ﴾ الذين ظاهر في موضع المضمر ليدل بصلته على ما أوجب لهم السواء وهو اساءتهم فقد جوز بالاساءة السواء جزاء وفاقا والسواء خبر كان تأنيث الأسواء كالحسنى والفضلاء في تأنيث الأحسن والأفضل او مصدر كالرجعي والبشري وقيل : السواء اسم لجهنم وقيل : الكفر .

﴿أن كذبوا بآيات الله﴾ على تقديرلام التعليل اي لان كذبوا او بدل او بيان للسوأى او السواء مفعول مطلق لاساءوا اسم مصدر بوزن الرجعى او وصف للاساءة اي الاساءة السواء وعلى الوجهين فخبر كان ان كذبوا وكذا ان جعلنا السواء مفعولا لاساءوا بمعنى اكتسبوا ويجوز ان يكون السواء مفعولا مطلقا اسم مصدرا ووصفا وان يكون مفعولا به لاساءوا وان كذبوا بدل او بيان وخبر كان محذوف للتهويل ويجوز ان تكون ان مفسرة اذا فسرنا الاساءة بالتكذيب والاستهزاء فيكون فيها معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون (عاقبة) بالنصب على الخبرية والسواء اسم كان وان كذبوا على الاوجه من كون ان تفسيرية ومن جعلها مصدرية على تقدير اللام ويجوز كون التكذيب بدل عاقبة او بيانا لها او بدلا للسواء او بيانا لها وان قلت كيف يصح ان تكون العاقبة التكذيب ؟ قلت : وجهه ان التكذيب يجيىء عن الطبع على القلوب وذلك يورث النار .

﴿وكانوا بها يستهزءون الله يبدأ الخلق﴾ اي يوجدهم .

﴿ثم يعيده﴾ يحييهم بعد الموت .

﴿ثم إليه ترجعون﴾ بالبعث للجزاء وذلك التفات من الغيب للخطاب للمبالغة في المقصود وقرأ ابوعمر وابوبكر وروح بالتحتية على الاصل ومقتضى الظاهر .

﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ يائسون من كل خير والمراد المشركون او يتحيرون وينقطع كلامهم وحججهم وناقة مبلاس لا ترغوا وقيل يفتضحون وقرىء (يبلسون) بالبناء للمفعول من ابلسته اذا افحمته واسكته .

﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾ أصنامهم التي عبدوها لتشفع لهم .

﴿شفعاء﴾ يمنعونهم من عذاب الله وانما عبر بصيغة المضي وهي المضارع مع لم لتحقق الوقوع فكان ذلك اليوم قد حضر وظهر انه لا شفيع لهم من الشركاء وكتب في المصحف شفعاؤا وانباءوا ما كانوا وعلماء وبني اسرائيل بواو بعدها الف وزادت النساخ الهمزة على الواو وكم من ذلك لا اكتبه في تفسيري الا على مقتضى القاعدة ولا يفعل ذلك في النسخة المجردة عن التفسير بل يكتب كما في المصحف وذلك تصوير للهمزة على حرف تجانسه حركتها .

﴿وكانوا بشركائهم كافرين﴾ متبرئين او كانوا بعبادتهم جاحدين او آيسين من شفاعتهم والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسبب شركائهم .

﴿ويوم تقوم الساعة﴾ متعلق بيتفرقون كما يتعلق السابق بيبلس .

﴿يومئذ﴾ تأكيد ليوم تقوم الساعة .

﴿يتفرقون﴾ المؤمنون والكافرون في المنازل والاحكام والجزاء تفرقا لا

اجتماع بعده هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل سافلين كما قال .

﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الخ وقيل تفرقهم تميز اهل الجنة واهل النار .

﴿فهم في روضة﴾ بستان وهو الجنة قيل الروضة ارض ذات ازهار وانهار وقيل الروضة البستان الذي هو في غاية النضارة وقيل الخضرة وقال الاصمعي : لا يقال روضة الا لبستان فيه ماء يشرب والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء ومن امثالهم احسن من بيضة في روضة والتنكير للابهام والتعظيم .

﴿يحبرون﴾ قال الكلبي يفرحون بالبناء للمفعول من افرحه يقال احبره اذا سره سرورا تهلل به وجهه وظهر فيه اثره وقال ابن عباس والحسن يحبرون بمعنى يكرمون وهو رواية عن مجاهد وقيل يتنعمون وهو رواية عنه وعنه وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحملون وقال الزجاج : الاحبار التحسين ومنه الحبر للعالم لانه متخلق بأحسن أخلاق المؤمنين والحبر المداد لانه يحسن به وعن ابي بكر بن عياش توضع التيجان على رؤوسهم وعن وكيع يجعل لهم السماع في الجنة وفي ذلك كله سرور وذكر النبي ﷺ الجنة ونعيمها وفي آخر القوم اعرابي فقال هل في الجنة من سماع ؟ قال : «نعم يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافاته الابكار من كل بيضاء حوصانية يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال : قال الراوي فسألت ابي الدرداء بم يتغنين ؟ قال : بالتسبيح وسأل رجل أباهريرة هل لاهل الجنة من سماع ؟ قال : نعم شجرة اصلها من ذهب واغصانها من فضة وثمرها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله ريحا فيجاوب بعضها بعضا فما سمع

احد أحسن منه وروي ان في الجنة اشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس بأصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا وعن الاوزاعي ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع السماوات صلاتهم وتسبيحهم واذا اخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة الا ساعدته .

﴿**وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة**﴾ البعث يوم القيامة وغير البعث .

﴿**فأولئك في العذاب محضرون**﴾ يجعلون حاضرين لا يغيب منهم واحد .

﴿**فسبحان الله**﴾ نزهوا الله من السوء واثنوا عليه بالخير وجدوا في طريق الفوز من ذلك العذاب في الاوقات المشار اليها بقوله : ﴿**حين تمسون**﴾ الخ لما يتجدد فيها من نعم الله الظاهرة قيل خص التسبيح بالمساء والصباح لانه اثار العظمة والقدرة فيهما اظهر وقيل ذلك اخبار في معنى الأمر بتنزيه الله في تلك الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمه او دلالة على ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة وتنزيهه واستحقاق الحمد ممن له تمييز وقيل التسبيح صلاة المغرب والعشاء المشار اليهما بـ ﴿حين تمسون﴾ والامساء الدخول في المساء وصلاة الفجر المشار اليها بقوله : ﴿**وحين تصبحون**﴾ تدخلون في الصباح والجملتان مضاف اليها الحينان وقرأ عكرمة بتنوين الحينين فالجملتان نعتان لهما والرابط محذوف اي فيه .

﴿**وله الحمد في السموات والأرض**﴾ اي يحمده اهلهما والجملة

معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وصلاة العصر المشار اليها بقوله : ﴿وعشيا﴾ عطف على حين وقيل على مجموع الجار والمجرور فلا اعتراض وعليه فتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشى العين نقص نورها وبالظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر وصلاة الظهر المشار اليها بقوله : ﴿وحين تظهرون﴾ تدخلون في الظهيرة قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس مسميات في كتاب الله ؟ قال : نعم وتلا الآية . وقال الحسن الآية مدنية وكان يقول فرضت الصلوات الخمس في المدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معين والاكثرون ان الخمس فرضت بمكة ، وعن عائشة رضي الله عنها فرضت الصلوات ركعتين فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر ، وقيل كل صلاة ذكرت في القرآن قبل الهجرة فسنة فهي ركعتان غدوة وركعتان عشية وانما فرضت الخمس ليلة الإسراء فكل صلاة بعدها فهي الخمس وقيل أشار بحين تمسون الى صلاة المغرب وأما صلاة العشاء ففي آية اخرى مثل قوله (في زلف من الليل) والآية تدل على فضل التسبيح ولو فسرت بالصلوات ولفضله عبر عنهن به ، قيل اذا صلى الفجر فكأنه سبح ساعتين وكذا باقي الصلوات كل ركعتين بساعتين فذلك سبع عشرة ساعة من الليل والنهار أولا ووسطاً وآخراً بقي سبع ساعات للنوم والنائم مرفوع عنه القلم فاذا نوى بنومه القوة على الطاعة كان طاعة وفي خلال ذلك يقضي حوائج معاشه اذ لا بد منها وبالنية أيضا تكون طاعة ، وعنه ﷺ : «من سره أن يكال له القفير الأوفى فليقل سبحان الله الى تخرجون» وقال : «من قال حين يصبح فسبحان الله الى تخرجون

ادرك ما فاته في ليله ومن قاله حين يمسي ادرك ما فاته في نهاره» وعن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ انه قال : «من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت احد يوم القيامة أفضل مما جاء به إلا أحدا» ، قال : مثل ما قال او زاد وانه قال : «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» ، واما من قال : سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة حطت عنه خطيئاته وان كانت مثل زبد البحر ، وانه خرج ذات غداة من عند زوجته جويرية وهي في مسجدها فرجع بعد ما تغلي النهار فقال : «ما زلت في مجلسك ؟» قالت : نعم قال : «لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو وزن بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته» وعن سعد بن ابي وقاص عنه ﷺ : «أيعجز احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة فقال رجل من جلسائه : كيف يكسب ذلك ؟ قال : يسبح الله تسبيحة فيكتب له ذلك او يحط عنه الف خطيئة» وفي رواية «ويحط» .

﴿يخرج الحي من الميت﴾ وقرىء بإسكان الياء يخرج الانسان مثلا من النطفة والطائر من البيضة والإنسان والطائر حيان والنطفة والبيضة ميتان وقيل : الحي المؤمن والميت الكافر وهو قول الحسن وقال مجاهد : يخرج النبات الحي من الحبة اليابسة .

﴿ويخرج الميت﴾ وقرىء باسكان الياء النطفة والبيضة .

﴿من الحي﴾ الانسان والطائر مثلا وقال الحسن : الكافر من المؤمن وقال مجاهد الحبة اليابسة من النبات الحي .

﴿ويحيي الأرض﴾ بإخراج النبات بالماء من السماء .

﴿بعد موتها﴾ بيبسها وخلوها من النبات النامي .
﴿وكذلك تخرجون﴾ مثل ذلك الإخراج تخرجون من القبور فذلك دلائل القدرة على البعث والإبداء والإعادة متساويان في قدرة من قدر على إخراج الحي من الميت والميت من الحي وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وضم الراء وكذلك يخرجون في الجاثية وحكى النقاش عن الأخفش ذلك هنا خاصة ولا خلاف في تخرجون الآتي في السورة انه مبني للفاعل .
﴿ومن آياته ان خلقكم من تراب﴾ اي يخلق أصلكم منه وهو آدم عليه السلام .
﴿ثم إذا أنتم بشر﴾ من لحم ودم .
﴿تنتشرون﴾ تبسطون في الأرض واذا للمفاجأة فيه .
﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾ لأن حواء خلقت من ضلع آدم والنساء بعدها من أصلاب الرجال أو المراد ان خلق لكم من جنسكم أزواجا لما بين الأثنين من جنس من الألفة وما بين الجنسين من التنافر .
﴿لتسكنوا إليها﴾ لتميلوا الى الأزواج وتألفوهن لأنهن من جنسكم .
﴿وجعل بينكم﴾ بين الرجال والنساء أو بين أفراد الجنس .
﴿مودة ورحمة﴾ يتحابان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف ولا شيء أحب إلى الآخر من غير رحم بينهما الا الزوجان ، وعيش الإنسان متوقف على التعارف والتعاون وقال الحسن : المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد .
﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ في عظمة الله وقدرته فيعلمون

ما في ذلك من الحكم .

﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم﴾ لغاتكم لغات العرب والعجم والألسنة أجناس النطق وأشكاله فانك لا تكاد تسمع ناطقين مستوياً نطقهما حتى لا يفرق بينهما .

﴿وألوانكم﴾ بياض الجلد وسواده . وحمرته وصفرته كما اختلفوا بتخطيط الأعضاء وهيئتها حتى انه لو اجتمع الأولون والآخرون لم تجد اثنين مستويين في كل شيء حتى لا يقع الفرق ولو تؤمنين ، وعن الضحاك يشبه الرجل الرجل ولا تقارب بينهما إلا من قبل الأب الأكبر آدم عليه السلام ولو اتفقت الألوان والصور لتعطلت مصالح كثيرة ووقع التجاهل والإلتباس .

﴿إن في ذلك لآيات﴾ دلالات على قدرته تعالى .

﴿للعالمين﴾ الجن والإنس وغيرهم حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا عن أصل ومع كثرتهم لا تجد متوافقين لا يفرز أحدهما من الآخر ، وقرأ حفص عن عاصم بكسر اللام اي ذوي العلم لأنهم المنتفعون ويشهد له (وما يعلقها إلا العالمون) .

﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾ المنام مصدر رئيسي اي ومن آياته نومكم الذي خلقه الله لكم للراحة في الليل والنهار وطلب المعيشة في النهار وطلب والليل والأصل منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار فيعود الليل للمنام والنهار للإبتغاء على طريق اللف والنشر المرتب وقدم الزمانين وفصل بهما بين المنام والإبتغاء إشعاراً بأن كلا من الزمانين وان اختص بأحدهما صالح للآخر عند الحاجة وهو الظاهر لتكرره في القرآن على هذا المعنى وأشد المعاني ما دل عليه القرآن

قاله الزمخشري لكن يلزم عليه كما قال ابن هشام : أن يكون النهار معمولاً للإبتغاء مع تقدم عليه ومع العطف ونصه التاسع قول الزمخشري : في ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاكم من فضله﴾ أنه من اللف والنشر وان المعنى منامكم وابتغاكم من فضله بالليل والنهار وهذا يقتضي ان يكون النهار معمولاً للإبتغاء مع تقدمه عليه وعطفه عليه والصواب ان يحمل على المنام في الزمانين والإبتغاء فيهما . انتهى . وأجاب الدما ميني بانه ليس في قول الزمخشري أن ذلك من باب اللف والنشر ما يقتضي ان يكون قوله بالليل معمولاً لمنامكم وان يكون النهار معمولاً بابتغاؤكم بل مقتضاه أن يكون بالليل راجعاً للمنام والنهار راجع لإبتغاء الفضل ويحتمل ان يكون رجوعهما اليها لا باعتبار عملهما فيهما بل باعتبار تعلقهما بهما من جهة المعنى فقط فإن قلت فبماذا يتعلق الجار والمجرور من جهة الصناعة قلت يكون قوله بالليل والنهار خبر مبتدأ محذوف اي ذلك بالليل والنهار والإشارة ترجع الى ما ذكر من المنام وابتغاء الفضل والإبتغاء وإن تأخر لفظاً فهو مقدم تقديراً لانه من تتممة الاول والجملة معترضة . انتهى .

﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ سماع تدبر واعتبار .

﴿ومن آياته يريكم﴾ الأصل ان يريكم بالنصب حذفت إن وارتفع الفعل وقيل يريكم مبتدأ ومفعول به تنزيلاً للفعل منزلة الإسم الذي هو مصدر بلا تقدير حرف المصدر .

﴿البرق خوفا وطمعا﴾ مفعول لأجلهما إما بناء على عدم اشتراط اتحاد الفاعل فإن فاعل الإرادة الله وفاعل الخوف والطمع الإنسان او لان معنى يريكم بمعنى يجعلكم رائتين او يجعلكم ترون والراؤون هم

الناس لكن بضعفه أن العامل الذي يتعلق به الأحكام النجوية هو يريكم لا ترون او ورائين لان الخوف والطمع ليسا علتين للرؤية وقال بذلك الوجه ابن مالك في شرح التسهيل معنى يريكم يجعلكم ترون ففاعل الرؤية هو فاعل الخوف والطمع وكذا ابن هشام أو (خوفاً وطمعاً) إسمان مصدريان ومعناهما إخافةً وإطماعاً فيه فيتحد الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى ، أو يقدر مضاف أي إرادة خوف وطمع فيتحد الفاعل ايضا وهو الله لكن فاعل الإرادة التي هي المفعول لأجله في الحقيقة حذف وناب عنه المضاف إليه أو مفعول لأجلهما من محذوف اي يرونه خوفاً وطمعاً أو حالان بمعنى خائفين وطامعين أو ذوي خوف وطمع ، قال ابن هشام : فتخافون خوفاً وتطمعون طمعاً وابن مالك يمنع حذف عامل المصدر المؤكد إلا فيما استثنى أو خائفين أو طامعين أو لأجل الخوف والطمع فان قلنا لا يشترط اتحاد ما على الفعل والمصدر المعلل وهو اختيار ابن خروف فواضح ، وقيل باشتراطه فوجهه أن يريكم بمعنى يجعلكم ترون والتعليل باعتبار الرؤية لا الإرادة أو الأصل إخافة وإطماعا وحذفت الزوائد - انتهى - كلام ابن هشام . والمراد والله أعلم الخوف من الصاعقة والطمع في الغيث وقيل : الخوف من الإخلاف وهو ترك الغيث والطمع في الغيث وقيل : خوف المسافر من الصاعقة وطمع المقيم في الغيث وقيل : خوفا من البرد يفسد الزرع وطمعاً في المطر .

﴿وينزل﴾ وقرىء بإسكان النون .

﴿من السماء ماءً فيحي به الأرض﴾ بالنبات .

﴿بعد موتها﴾ يبسها .

﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يستعملون عقولهم في استنباط أسبابها وكيفية تكونها لتظهر كمال قدرة الصانع وحكمته تعالى .

﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ أي بإرادته من غير عمد ولا حاجة الى آلة بل قامتا بمجرد إرادته قيامهما فلا قدرة أبلغ من هذه ، وقيل المراد دوام قيامهما بأمره وهذه الآيات والعبر انما يعظم موقعها في قلوب العارفين والمعرفة بحر لا ساحل له وكلجا كثرت المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وأسرار مملكته كثر النعيم في الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن وسعة ملك العبد في الجنة بحسب سعة معرفته في الله .

﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ العطف على قيام السماء والأرض على تأويل تخرجون بمفرد كما أول بعضهم يريكم بالمصدر بلا تقدير حرف المصدر اي ومن آياته قيام السماء والأرض بأمره ثم خروجكم من القبور فجاءه عقب دعوة واحدة أيها الموتى اخرجوا والداعي إسرافيل عليه السلام يدعوا الموتى من الأرض لا من السماء قيل يدعوهم من صخرة بيت المقدس ومر الكلام في ذلك ، فمن للإبتداء متعلقة بدعى وإذا الأولى شرطية والثانية فجاء به ومتعلقة تخرجون محذوف أي من القبور واسد الدعاء إلى الله بأن الداعي ولو كان إسرافيل لكن بأمر الله او المراد سرته وجود ذلك من غير توقف ولا ثبت كما يجيب المدعو داعية المطاع وكان العطف ثم لتراخي زمان الخروج من القبور او لعظمة ويجوز عطف الجملة على مجموع قوله ومن آياته ان تقوم السماء والأرض بأمره هذا ما بان لي في الآية وأجاز بعضهم كون ثم للإستئناف وأما تعليق بعضهم من الأرض يتخرجون فيرده إن إذا

الفجاءية لها الصدر ولا سيما انها هنا رابطة لجواب الشرط كالفاء وأجاز عياض نعلته بدعوة قلت إلا جعل في العمل الفعل فاذا وجد بلا مانع ولا مضعف فليك هو العامل كما قال جار الله : اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ، وقرأ حمزة والكسائي بفتح تاء تخرجون وضم راءه وفسر بعضهم الأرض بالقبور وعلقها بدعاء وقدر ضميرها لتخرجون على حد قولك دعوت زيدا من الجبل اذا كان زيد في الجبل كأنك قلت جلبته من الجبل بدعائي .

لتخرجون على حد قولك دعوت زيدا من الجبل اذا كان زيد في الجبل كأنك قلت جلبته من الجبل بدعائي .

﴿**وله من في السموات والأرض**﴾ عبيدا وملكا .

﴿**كل له قانتون**﴾ مطيعون منقادون في الحياة والبقاء والموت والبعث وسائر التصرف فيهم ولو جحدني من جحدني منهم وعصوني لكن لا يقدر احد منهم ان يمتنع عن قضائي فيه وقال الحسن كل قائم بالشهادة انه عبد له ولعل المراد ان ذاته تدل على ذلك او ذلك يوم القيامة .

﴿**وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده**﴾ بعد الموت .

﴿**وهو أهون**﴾ اسهل .

﴿**عليه**﴾ الضمير الأول عائد للاعادة وذكر لان الخبر مذكر او ابى الى ان يعيد فانك تقول اعجبني ان يقيم لا اعجبني ان يقيم ولو كان ان يقيم في تأويل الاقامة او عائد الى الرد والبعث او نحوه بدلالة قوله (يعيده) وهاء عليه عائدة لله ومن التفضيلية محذوفة اي اهون على الله من بدء على مقتضى الاصل عندكم ايها الخلق من ان اعادة الشيء اسهل من بدء والا فالكل في قدرة الله سواء وإلا لزم العجز تعالى الله عنه وقيل الهاء

للخلق اي اهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا ونساء ولا شك ان البعث بحالهم التي كانوا عليها اقل تعبا من التنقل في احوال وهنا وجه آخر هو ان الانشاء من قبل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله والاعادة من قبل الواجب الذي لا بد من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح فهو رديف المحال واما تفضل جائز الفعل والترك واما واجب لا بد من فعله فالواجب أبعد الافعال عن الامتناع فهو ادخل في التسهل فالاعادة لكونها لا بد منها اهون من الانشاء ويجوز ان يكون اهون خارجا عن معنى التفضيل ومعناه هين وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنه ويدل له ان في مصحف ابن مسعود (وهو هين) وفي بعض المصاحف (وكل هين عليه) وانما اوضعت الاعادة بالهينية مع تعظيمها في (ثم اذ انتم تخرجون) على ان ثم لتعظيمها بالنسبة للانشاء ولم يقدم الجار كما قدم في (هو عليّ هين) لانه لم يرد هنا الحصر بل الامر مبني على ما يتوهمون ان الاعادة اسهل من الانشاء في احد الاوجه .

﴿وله المثل الأعلى﴾ الصفة العظيمة العليا وهي الوحدانية لا اله الا الله او هي انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل له قوله (وهو العزيز الحكيم) والاول قول مجاهد ويناسبه (ضرب لكم مثلا من انفسكم) الخ .

وعن ابن عباس هي انه ليس كمثله شيء والحاصل ان له الصفة التي لا تساوي ولا تداني ولا تفاق .

﴿في السموات والأرض﴾ متعلق بِلَهُ لنيابته عن ثبت او ثابت او محذوف هكذا يوصف بها في السماوات والارض ولما كان في ظاهر قوله (اهون) دلالة على ان بعض الاشياء عليه اهون من بعض تعالى عن ذلك اعقبه بما يزيله من كونه له المثل الاعلى .

﴿وهو العزيز﴾ القادر على ابداء الممكن واعادته .

﴿الحكيم﴾ لا تجري افعاله على خلقه الا على مقتضى الحكمة .

﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم﴾ معشر المشركين اي منتزعا من احوال انفسكم وهي اقرب الامور اليكم ومن للابتداء وبين ذلك المثل بقوله .

﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم﴾ من عبيدكم وامائكم ومن للتبعيض متعلق بمحذوف حال من ضمير الاستقرار .

﴿من شركاء﴾ من صلة في المبتدأ او في فاعل الجار والمجرور للتأكيد .

﴿فيما رزقناكم﴾ متعلق بشركاء او بالاستقرار او بلكم .

﴿فأنتم فيه سواء﴾ فتكونوا أنتم وهم فيه سواء يتصرفون فيه كتصرفكم .

﴿تخافونهم﴾ ان تستبدوا فيه بتصرف وتدبير دونهم .

﴿كخيفتكم أنفسكم﴾ الخيفة مصدر للهيئة وفيه دليل على جواز اعمال المصدر الذي بالتاء ومصدر الهيئة في المفعول به الصريح الا ان قيل انفسكم مفعول لفعل محذوف دل عليه خيفتكم والمراد كما يخاف بعضكم بعضا ايها الاحرار في الشركة والارث والاستفهام انكار ونفي منسحب الى قوله (انفسكم) اي اذا لم ترضوا ان يكون بعض مماليككم

شركاء لكم فيما رزقناكم من الاموال مع انهم بشر مثلكم ومخلوقون مثلكم ومع ان الاموال في ايديكم معارة فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده شركاء له وهم مخلوقون له والملك له بالتحقيق وقال الزجاج : المثل هو قوله (وهو اهون) اي ضرب لكم مثلا فيما يسهل ويصعب .

﴿كذلك نفصل الآيات﴾ نبينها بالتمثيل لأن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها ويجعلها بمثابة ماله صورة محسوسة .

﴿لقوم يعقلون﴾ يتدبرون بعقولهم في الامثال .

﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ اشركوا ان الشرك لظلم عظيم وشركهم ظلم لانفسهم .

﴿أهواءهم﴾ في الاشراك .

﴿بغير علم﴾ جهلاء يهيمون لا يكفهم شيء بخلاف العالم فانه اذا ركب هواه ربما ردعه علمه .

﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ لا هادي له .

﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين من عذاب الله وقيل من الضلالة وآفاتها قيل وهو دليل على ان الاضلال الخذلان واقول : الاضلال الخذلان قطعا ووجه كون ذلك دليلا غير واضح .

﴿فأقم وجهك﴾ يا محمد .

﴿للدين حنيفا﴾ مائلا اليه اي اخلص دينك لله انت ومن تبعك وقيل سدد عملك وحنيفا حال من ضمير اقم او كاف وجهك او من الدين وعلى الأولين فكأنه قيل غير ملتفت عن الدين بكسر الفاء وعلى الثالث فكأنه قيل غير ملتفت عنه بفتح الفاء واقامة الوجه تمثيل للاقبال

على الدين والاستقامة عليه والاهتمام بأسبابه فان من اهتم بشيء أدام اليه النظر واقبل عليه بوجهه وكان التمثيل بإقامة الوجه لانه اشرف فانه جامع الحواس .

﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ الفطرة الخلقة وهو مصدر مسوغ للهيئة كالخيفة وهو مفعول لمحذوف اي الزم او الزموا وقدر بعضهم عليك بناء على جواز اعمال اسم الفعل محذوفا واجيز ان يكون مفعولا مطلقا لمحذوف دل عليه فطر الناس عليها والاصل فطر الله فطرة ولما حذف العامل واضيف المصدر للفاعل صح ان يوصف بالتي لكونه معرفة بالاضافة وتلك الفطرة التي فطر الناس عليها هي قبول الحق والتمكن من ادراكه او ملة الاسلام وقيل العهد المأخوذ عنهم اذ كانوا في ظهر ادم (الست بربكم قالوا بلى) فلو خلّوا وما فطرهم الله عليه لكانوا على الحق والاسلام وممن قال ان الفطرة ملة الاسلام ابن عباس قال الكلبي هو العهد المأخوذ عنهم قال : اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة فأعمال العباد تعرض في الخميس والاثنين فيجدونها على ما في اللوح ثم خرجت الذرية من ظهر ادم كالذر فأخذ عليها الميثاق ورجعت فمنهم الوافي ومنهم الناقص وهو الشقي وولد المؤمن من ملوك الجنة ولا يأتي والده من باب من ابواب الجنة الا وجده فيه وقد كفي مؤنته في الدنيا بالموت ذكر ذلك رسول الله ﷺ لرجل مات ابنه فقعد في البيت ففقده وذكره وبلغ الى الرجل انه ذكره فأتاه . وولد المشرك والمنافق في الوقوف وقيل في الولاية ويكون خادما لاهل الجنة لانه لم يعمل ولم يكفر وسئل ﷺ من في الجنة فقال (النبيون عليهم السلام والمولود والشهيد والموءودة) وكذا المجنون من الطفولية والمولود الذي لا

يسمع اصلا وزعم الحسن ان اهل الفترة ومن ادرك الاسلام هرما ومن ولن لا يسمع ومن يتخبطه الشيطان قيل واطفال المشركين والمنافقين توقد لهم نارا فينجوا مقتحمها ويهلك من ابى وذلك يوم القيامة وهو باطل وفي الحديث (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه ينصرانه او يهودانه او يمجسانه) فلو تركوا لما اختاروا غير الاسلام لكونه مجاوبا للعقل مساويا للنظر الصحيح قال ﷺ عن الله سبحانه (كل عبادي خلقت حنفاء فاختالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري) وعن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ (ما من مولود الا يولد على الفطرة) وتلا (فطرة الله التي فطر الناس عليها) وحكي عن عبدالله بن المبارك ان معنى الحديث ان كل مولود يولد على خلقته التي خلق عليها في علم الله من السعادة والشقاوة ومن امارات شقاوة الطفل ان يولد بين يهوديين او نصرانيين يحملانه لشقائه على معتقدهما .

﴿لا تبديل لخلق الله﴾ وهو دينه اي لا تبدلوه بالاشراك فاللفظ اخبار والمعنى طلب او لا يقدر احد ان يغيره او لا يحسن ان يغيره وقيل لا يرد السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا او لا يصرف الكافر من كفره ولا المؤمن عن ايمانه اذا سبق علم الله انه يموت كذلك وقيل نزل ذلك في اخصاء البهائم .

﴿ذلك﴾ الدين المأمور بإقامة الوجه له او المذكور من الفطرة التي هي ملة الاسلام .

﴿الدين القيم﴾ المستقيم وفيه مبالغة لم تكن في قائم .

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ المراد اكثر الناس مطلقا او كفار مكة لا يعلمون توحيد الله او لا يعلمون استقامة دين الله جل وعلا او

ليسوا من اهل العلم والتدبر .

﴿منيبين﴾ راجعين حال من الناس ولا سيما على رأي من فسر الناس بالمؤمنين او حال من ضمير اقم فانه ولو كان خطابا لرسول ﷺ لكن المراد به خطاب امته او خطابه وخطابها كقوله (يا ايها النبي اذا طلقتم النساء) وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم له وهكذا يخاطب الكبير والمراد امته معه او امته وحدها فجمع بعد ذلك للبيان والتلخيص في قوله (منيبين) وقوله (اتقوه) الخ او حال من ضمير الزم او الزموا المقدر قبل فطرة الله وقوله (اتقوه) الخ عطف على هذا المقدر او على اقم والانابة الرجوع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الملات ومنه الناب لانقطاعه عن الأسنان ببروزه عليهن .

﴿اليه﴾ الى الله بالتوبة والطاعة او الى الدين القيم المأمور باقامة الوجه له .

﴿واتقوه﴾ خافوا الله واحذروا معاصيه او خافوا الدين اي احذروا الزيغ عنه .

﴿وأقيموا الصلاة﴾ المفروضة ائتوا بها مستقيمة او داوموا عليها في اوقاتها .

﴿ولا تكونوا من المشركين﴾ عبدة الاوثان وقال قتادة : اليهود والنصارى .

﴿من الذين﴾ بدل من قوله (من المشركين) .

﴿فرقوا دينهم﴾ جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم فيما يعتقدون وفيما يعبدون وقرأ حمزة والكسائي (فارقوا) اي تركوا الدين الذي يجب ان يكون دينهم وهو دين الله .

﴿وكانوا شيعا﴾ فرقا مختلفة كل فرقة تشايع امامها الذي اضل دينها .

﴿كل حزب﴾ فرقة .

﴿بما لديهم﴾ عندهم .

﴿فرحون﴾ ظنا انه الحق كل مبتدأ وفرحون خبره ويجوز كون كل مبتدأ وفرحون نعته ومن الدين خبره .

﴿وإذا مس الناس ضر﴾ اذا اصاب المشركين او مشركي مكة شدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك .

﴿دعوا ربهم﴾ ان يزيله عنهم .

﴿منيبين﴾ راجعين .

﴿إليه﴾ وحده من دعاء غيره .

﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمة﴾ كسمن وصحة ومطر وخصب وغير ذلك وتخلصوا من ذلك الضر ومنه متعلق بمحذوف حال من رحمة لا باذاق لئلا يلزم عمل عامل في ضميرين لواحد الا ان اجيز ذلك اذا كان احد الضميرين توصل اليه العامل بالحرف .

﴿إذا فريق منهم﴾ اذا للمفاجأة .

﴿بربهم يشركون﴾ مع انه الذي كشف عنهم لا غيره .

﴿ليكفروا﴾ امر للتهديد او اللام لام الجر والصيرورة وقد مرّ مثله .

﴿بما آتيناهم فتمتعوا﴾ أمر تهديد وهو دليل على ان ليكفروا أمر تهديد لكن على طريق الإلتفات من الغيبة للخطاب توكيدا وقرأ ابن عباس (ليتمتعوا) .

﴿فسوف تعلمون﴾ ويال تمتعكم وقُرِيء (يعلمون) بالتحتية على أن

تمتعوا ماض أو على الإلتفات من الخطاب في تمتعوا إلى الغيبة في يعلمون .

﴿أم﴾ بمعنى همزة الإنكار .

﴿أنزلنا عليهم سلطانا﴾ حجة ككتاب وملك ورسول وعن ابن عباس حجة وعذرا ، وقيل كتابا وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان .

﴿فهو﴾ أي السلطان .

﴿يتكلم﴾ هذا التكلم مجاز بمعنى الدلالة إن فسر السلطان بغير العاقل حقيقٌ ان فسر بالعاقل .

﴿بما كانوا به يشركون﴾ اي بربوبيته ماكانوا يشركونه به ، أو ما مصدرية أي بصحة إشراكهم أو المراد ذا سلطان أي ملكا يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون .

﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ كمطر وخصب وصحة وغير ذلك .

﴿فرحوا بها﴾ فرح بطر .

﴿وإن تصبهم سيئة﴾ كجدب وقلة مطر ومرض وقيل خوف وبلاء والظاهر العموم .

﴿بما قدمت أيديهم﴾ بسبب ما عملوا من المعاصي .

﴿اذا هم يقنطون﴾ يائسون من أن تصيبهم حسنة أي فاجؤا القنوط وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر عند النعمة ويرجو عند الشدة واعلم انه تعلق شيء من قوله جل وعلا (واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم) الآية بالموحدين فان من الناس من اذا جاءه فرح بعد شدة علقوا ذلك بالمخلوق او بحذق رأيهم وغير ذلك ففي ذلك عدم الشكر ويسمى تشريكاً مجازا ويتعلق بهم شيء من قوله سبحانه

(واذا أذقنا الناس رحمة) الآية بل هذه يأخذ الكل أو الأكثر منها بقسطه ما بين مقلٍ ومكثرٍ الا من ربطت الشريعة جأشه ونهجت السنة سبيله وتأدب بآداب الله فصبر عند الضراء ولم يبطر عند السراء والنعمة ولم يقنط عند البلاء .

﴿أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ إمتحانا .

﴿ويقدر﴾ لمن يشاء أي يضيقه إبتلاء أو يبسطه على الإنسان تارة ويقدره له أخرى .

﴿إن في ذلك لآيات﴾ على كمال القدرة والحكمة فما لهم لم يصبروا عند الضراء ويشكروا عند السراء ويتوبوا من المعاصي فترجع اليهم الرحمة كالمؤمنين .

﴿لقوم يؤمنون﴾ بها .

﴿فآت ذا القربى﴾ القرابة .

﴿حقه﴾ من البر والصلة في المقال والمال والمعاشرة ، وعن الحسن حقه المواساة في اليسر وقول ميسور في العصر والظاهر أن المراد الصدقة عليه من المال .

﴿والمسكين وابن السبيل﴾ حقهما وابن السبيل المسافر المحتاج وقيل الضيف ، والأمر في ذلك للندب وهو خطاب للنبي ﷺ وأمته من أيسر منهم وليس المراد الزكاة ، وعن الحسن بعض الآية تطوع وهو قوله (فآت ذا القربى حقه) وبعضها واجب وهو قوله (والمسكين وابن السبيل) يعني الزكاة وقيل المراد بالآية الزكاة الواجبة ، وعن بعضهم ان الزكاة فرضت بمكة ولم تكن شيئا محدودا واحتج ابو حنيفة على وجوب النفقة للمحارم بالآية اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب ، قيل والآية غير

مشعرة بذلك وزعم الشافعي أنه لا نفقة إلا على الولد والوالدين قاس سائر القرابة على ابن العم لأنه لا ولى بينهم كذا قيل عنه والحق وجوب النفقة بين الورثة على قدر الإرث عند الإحتياج وإن قلت لم رتب آت بالفاء ؟ قلت : لأنه قد ذكر قبلها بسط الرزق فرتب عليه إيتاء من بسط من بسطة القريب والمسكين وابن السبيل ولأنه أيضاً قد ذكر تضييق الرزق فأمره بالإيتاء وفي جلب الرزق .

﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾ اي ثوابه أو رضاه أو كليهما أو جهته التي هي التقرب لا جهة أخرى كالرياء .

﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون حيث حصلوا النعيم الدائم ببعض ما بسط لهم من الفاني .

﴿وما ءاتيتم من ربا﴾ زيادة .

﴿ليربو في أموال الناس﴾ اي لتوقعوا الربا أي الزيادة لأنفسكم في أموال الناس .

﴿فلا يربو عند الله﴾ اي لا يزكوا عنده اي لا ثواب لكم فيه عنده اذ لم تريدوا به وجهه عز وجل نزل ذلك في هبة الثواب بأكثر يهب الانسان قليلا ويرجوا به كثير من الموهوب له وقال عياض : المراد هبة الثواب بأكثر وما جرى مجراها مما يصنع الانسان ليجازى عليه كالسلم وغيره فانه ولو كان لا اثم فيه فلا اجر فيه عند الله وذكر بعضهم ان هبة الشيء طلبا لاكثر منه حرام على النبي ﷺ جائزة لنا وذكر ابوالعباس احمد بن محمد بن بكر رضي الله عنهم من العلماء من لا يجوز العطية بأكثر مما اعطي واثم فاعل ذلك بنواه وقيل تجوز ويأخذ ويأثم بنواه في ذلك وان نوى الزيادة من جنس ما اعطي فذلك ربا حرام ومن اهدي له فليقبل

وليعط خيرا مما اهدي له او مثله ولا بأس بأقل وان لم يعط فليدع للمهدي وعن ابي عبيدة : ترك المكافأة من التطفيف وهو شديد الا ان اراد في الهبة التي اريد بها المكافأة او عد الدعاء مكافأة والهدية تذهب الغل والحقد ولا يحسن للقاضي قبول الهدية الا ممن يهاديه قبل وان قبلها ولم يرد بها رشوة جاز وقيل المراد بالربا الربا المحرم في سورة البقرة ومنه قرض جر منفعة او زيادة لا يبارك في مال اخذه وسمي ما اعطي ربا لانه يجلب الربا وهو الزيادة او لانه يعوض فيه ما هو اكثر منه وقيل المراد في الآية الرجل يعطي صديقه او قريبه ليكثر ماله ولا يريد وجه الله وقيل الرجل يخدم الرجل في السفر بالربح ولم يرد صاحب المال وجه الله فلا ثواب له عند الله وقرأ ابن كثير (وما أتيتم) بهمزة متصلة بالتاء لا الف بينهما اي ما جئتم به من اعطاء ربا وقرأ غير نافع ويعقوب (لتربوا) بفتح التاء اي ليزيد مالكم في مال الناس وقرىء (وما أوتيتم من ربا) بالبناء للمفعول من الايتاء وقيل نزلت الآية في ثقيف وكانوا يربون .

﴿وما ءاتيتم من زكاة﴾ للفقير .

﴿تريدون﴾ حال من التاء او من الرابط المحذوف اي وما آتيتموه الفقير .

﴿وجه الله﴾ بها لا مكافأة ولا رياء وسمعة .

﴿فأولئكم هم المضعفون﴾ الجملة خبرا لمبتدأ والرابط محذوف اي المضعمون ثوابهم به اي بالذي اتوه من زكاة او فمؤتوه اولئك هم المضعفون وهذا اسهل مأخذا والاول املا بالفائدة كذا قيل والمضعف المكثر وذلك انهم اكثروا مالهم في الدنيا وثوابهم عند الله بالزكاة وقيل المضعف ذو الاضعاف بفتح الهمزة جمع ضعف ومثله المقوي والموسر

لذي القوة وذي اليسار والحسنة بعشر فالدرهم بعشرة والدرهمان بعشرين ويضاعف الى سبعمائة الى ما شاء الله وقرىء بفتح العين أي الذين اضعف مالهم وثوابهم او الذين جعلوا ذوي ضعف وجيء بالجملة الاسمية والتأكيد بالضمير وصيغة الحصر واشارة البعيد مبالغة وتقوية ولو جيىء بطريق المقابلة لما قبله لقيل يضاعف لكم والالتفات فيه من الخطاب للغيبة للتعظيم كأنه قال لملائكته وخواص خلقه اولئك الذين يريدون وجهي هم المضعفون وهذا مدح من قولك انتم المضعفون او للتعميم كأنه قيل فمن فعل ذلك فأولئك هم المضعفون .

﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ الله مبتدأ والذي خبره ومن اجاز الاخبار بالطلب اجاز ان يكون الذي نعتا و(هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) خبر المبتدأ والرابط الاشارة لان معنى من ذلكم من افعاله ومن الاولى والثانية مفيدان لشيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة التعميم المنفي وكل منها مستقلة بتأكيد لتعجيز الشركاء اثبت الله سبحانه لنفسه ولوازم الالوهية ونفاها رأسا عما اتخذوه شريكا له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار الذي دل عليه هل فتولد من ذلك تنزيه الله عن الشريك .

﴿ظهر الفساد﴾ القحط وقلة المطر وقلة الريح وكثرة الحرق والفرق وموت الناس والدواب ورجوع الغائصين من قعر البحر بلا فائدة وكثرة المضار والضلال والظلم ومن ذلك اغراق فرعون وقومه وخسف الارض بقوم لوط ورجمهم واخذ الصيحة ثمود .

﴿في البر والبحر﴾ وقال مجاهد المراد بالبر قرى البر وبالبحر قرى السواحل والتي في جزائره وهو قول الحسن وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرى في البر والبحور وقيل المراد المدائن والقرى التي على المياه الجارية والعرب تسمى المطر بحرا يقال اجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر الأرض وفسادها بقلة الامطار وغيرها والبحر معروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر فتخلوا أجواف الاصداف من اللؤلؤ فان الصدف ذا المطر يرتفع على وجه الماء وينفتح وهو حيوان فما وقع فيه من المطر صار لؤلؤا أنظر السوسي فانه قد ذكر ان حيوانا من البحر يعلوا الماء في ايام النسيان ويفتح فاه للمطر فما وقع فيه صار لؤلؤة واجودها ما كانت قطرة واحدة لانها تكبر ويرجع لقعر البحر فتخرج له عروق ويلتصق بالاحجار ثم يكون صدفا وما طال مكثه افسده الماء وغيّره . ومن الفساد حدوث الفتن وتغلب العدو وعن ابن عباس رضي الله عنهما الفساد في البحر انقطاع صيده بذنوب بني آدم قال الامام الاندلسي الطرطوشي ابوبكر في كتابه ـ سراج الملوك ـ ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفيا فنزل على رجل له بقر فحلبت قدر قلتين فعجب الملك من ذلك وحدث نفسه بأخذها ولما راحت عليه الغد حلبت على النصف فقال له الملك : ما بال حلابها نقص رعت في غير مرعاها الاول ؟ قال : لا ولكن اظن ان ملكنا قد هم بأخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم او هم بالظلم نقصت البركة ، فعاهد الملك في نفسه ان لا يأخذها فحلبت قلتين فتاب وعاهد ان لا يظلم . وان من المشهور في ارض المغرب ان السلطان بلغه ان امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وان قصبة منها تعصر قدحا فعزم على أخذه منها ثم أتاها

وسألها عن ذلك فقالت : نعم ثم انها عصرت فصبت فلم تبلغ نصف القدح فقال : أين الذي كان يقال ؟ فقالت : هو الذي بلغك الا ان يكون السلطان . قد عزم على اخذها فارتفعت البركة ، فتاب السلطان . قال وحدثني بعض الشيوخ ممن كان يروي الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة ارداب ولم يكن في الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل في ذلك العام تمرة واحدة وقال لي شيخ من أشياخ الصعيد انا اعرف هذه النخلة من الغربية تحمل عشرة ارداب ستين ويبة وكان صاحبها يبيع في الغلا كل ويبة بدينار قال وشهدت انا بالاسكندرية والصعيد في الخليج انه مطلق للرعية والسمك به يغلي الماء به كثرة ويصيده الاطفال بالخرق ثم حجره السلطان ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا ترى إلا واحدة بعد اخرى الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر .

﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ اي بسبب ما كسبوه من المعاصي او بكسبهم وقال ابن عباس الفساد في البر قتل قابيل اخاه هابيل وفي البحر اخذ الجلندى كل سفينة غصبا وهو بضم الجيم وفتح اللام واسكان النون وفتح الدال وهو اسم لكل ملك من ملوك عمان بضم العين وتخفف الميم او بفتحها وتشديد الميم قيل كانت الارض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرا وكان ماء البحر عذبا وكان لا يصيد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الأرض ونبت الشوك في الشجر وصار ماء البحر ملحا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقال قتادة امتلأت الأرض ظلما وجورا قبل مبعث النبي ﷺ ولما

بعث رجع راجعون عن الظلم والضلال وقيل المراد بالناس كفار مكة ويوافق ذلك كله قوله سبحانه وتعالى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ ويجوز ان يكون المعنى ظهر الشرك والمعاصي بكسب الناس ذلك المذكور ومن الشرك والمعاصي .

﴿ليذيقهم﴾ وقرأ يعقوب وابن كثير بالنون .

﴿بعض الذي عملوا﴾ عقوبة بعض ما عملوا وتمام العقوبة في الآخرة بل من كان شقيا يعاقب في الآخرة بجميع ذنوبه الكبار والصغار واللام للعاقبة او للتعليل ووجه الأول ان ظهور الشر بسببهم ما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال أعمالهم فكأنهم افسدوا وتسببوا في كثرة المعاصي في الأرض لأجل ذلك ووجه الثاني ان الله قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بها جميعا في الآخرة .

﴿لعلهم يرجعون﴾ عن الكفر والمعاصي .

﴿قل﴾ لكفار مكة .

﴿سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ تحققوا مصداق ذلك فانا اهلكناهم لشركهم ومعاصيهم وطهرنا منهم الأرض وخربنا ديارهم ولهم العذاب الدائم .

﴿كان أكثرهم مشركين﴾ فكان سبب اهلاكهم فشو الشرفي اكثرهم وسائر المعاصي في قليلهم وكما يكون الاهلاك بالشرك يكون بمادونه او اراد ان سبب الاهلاك فشو الشرك فعم المشرك والعاصي والجملة مستأنفة .

﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ دين الاسلام البليغ الاستقامة .

﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له﴾ المرد مصدر ميمي بمعنى الراد اسم لا والخبر له اي لا يرده احد وهو يوم القيامة .

﴿من الله﴾ متعلق بيأتي او بالاستقرار الذي تعلق به له أو بله لنيابته عن الاستقرار او بمحذوف خبر ثان لا بمرد كما قيل والا لكان مرد منونا لانه يكون حينئذ شبيها بالمضاف ولا متعلقا بمحذوف خبر وله متعلق بمرد وإلا لزم ذلك ايضا نعم يجوز ركونه نعتا لمرد والمنعوت يجوز ان لا ينون لكن فيه ضعف الفصل وعليه وعلى التعليق بالاستقرار او بله او بمحذوف خبر ثان يكون المعنى لا يرده الله بعد ان يجيىء به فاذا لم يرده الله فلا راد له واجاز بعضهم ان يكون المعنى لا رجوع فيه لعمل .

﴿يومئذ يصّدّعون ﴾ قلبت التاء صادا وادغمت في الصاد اي يتفرقون بعد جمعهم فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال .

﴿من كفر فعليه كفره﴾ وبال كفره وهو النار الدائمة وهولان فيه بعض ابهام أبلغ من ان يقول فعليه النار وهؤلاء الذين استغرقوا في الكفر مع انه هو الضار لهم قد احاط بهم الضر .

﴿ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون﴾ يوطئون منازلهم في الجنة ويوطئون اجورهم وتقديم عليه ولانفسهم للحصر ويجوز ان يكون المعنى فلأنفسهم يشفقون من قولهم في المشفق ام فرشت فأنامت .

﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ متعلق بيتصدعون او بيمهدون .

﴿من فضله﴾ اي ليجزيهم بأشياء عظيمة من فضله ومن بمعنى الباء وعلى الاول فالحذف للتفخيم وذلك بعد جزاء العمل لان الفضل تبع للجزاء لا يكون الا اذا كان ما هو لا بد منه وهو قول ابن عباس ذكروا

ان الله يقول للمؤمنين يوم القيامة (ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم) ويجوز ان يكون الفضل العطاء لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب كما تطلق عن الزيادة كذا قيل والاولى ان المراد الجزاء بأعمالهم وان قوله (من فضله) دليل على ان الجزاء بفضل محض فان المطيع لو حوسب لم تف طاعته بأقل قليل من الشكر على اعانته عليها وعلى سائر النعم ولم يقل ليجزيهم ليدل بالصلة ان سبب الافلاح والجزاء الايمان وعمل الصالحات لا غير ذلك .

﴿إنه لا يحب الكافرين﴾ بل يبغضهم ويعاقبهم ولا محبة الا للمؤمنين وفي ذكر انه لا يحب الكافرين تعريض بأنه يحب المؤمنين وتعريض بأنه يعاقبهم ففيه التعرض لجزاء الكفار تلويحا لا تصريحا وانما صرح بجزاء المؤمنين لانه المقصود بالذات .

﴿ومن آياته أن يرسل الرياح﴾ الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة وهي متعددة كما رأيت واما الدبور فريح العذاب قال ﷺ : «اللهم اجعلها رياحا لا ريحا» .

﴿مبشرات﴾ بالمطر وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (الريح) على ارادة الجنس .

﴿وليذيقهم من رحمته﴾ المطر والخصب وغيرهما من المنافع ومنها الروح الذي هبوبها وزكاة الأرض قال رسول الله ﷺ : «اذا كثرت المؤتفكات ـ يعني الرياح التي تختلف مهابها ـ زكت الأرض وازالت العفونة من الهواء» ومن ذلك القاح الشجر والعطف اما على مبشرات باعتبار المعنى اي ليبشركم وليذيقكم او يقدر ليبشركم بعد مبشرات او بمحذوف تدبر وارسلها ليذيقكم .

﴿ولتجري الفلك﴾ في البحر .
﴿بأمره﴾ لا بمجرد الرياح فانها قد تعصف وتغرق السفن وقد تردها القهقرى او الى جانب فالمرانة انعم عليكم بريح مواتية للسفن يمكن معها ارسائها والاحتيال لحبسها .
﴿ولتبتغوا من فضله﴾ رزقه بتجارة البحر .
﴿ولعلكم تشكرون﴾ هذه النعم يا اهل مكة او ايها الناس فتوحدون الله سبحانه .
﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾ فكذبوهم .
﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ كذبوا مقتضى الظاهر فانتقمنا منهم واقيم الظاهر مقام المضمر اشعارا بأن الاجرام سبب الانتقام والاصل فانتقمنا من الذين اجرموا منهم .
﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ بالانتقام من اعدائهم وهذه بشارة للنبي ﷺ والمؤمنين بأن ينصرهم كما نصر من قبله على المكذبين قيل بواسطة الدعاء وعن رسول الله ﷺ : «ما من امرء مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة» تلا ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ ورواه ابوالدرداء (إلا رد الله عن وجهه النار يوم القيامة) ولم يذكر انه تلا الآية وحقا خبر كان ونصر اسمه وعلينا متعلق بحقا او نعمت له او خبر ثان ويجوز كون اسم كان ضمير الانتقام وحقا خبره فيوقف عليه وعلينا نصر مبتدأ وخبره .
﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير﴾ تحرك وتزعج .
﴿سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء﴾ اي فوقهم تارة متصلا كيف يشاء

مسيرة يوم او يومين او اقل او اكثر وسائرا وواقفا الى غير ذلك .

﴿ويجعله كسفا﴾ قطعا متفرقة تارة اخرى وقرأ ابن عامر (كسفا) باسكان السين مخففا او جمع كسفة او مصدرا وصف به مبالغة او تأويلا بوصف او بتقدير مضاف .

﴿فترى الودق﴾ المطر .

﴿يخرج من خلاله﴾ من وسطه متى كان مبسوطا ومتى كان كسفا .

﴿فإذا أصاب به﴾ بالودق .

﴿من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾ يفرحون به او يذكره بعض لبعض فرحا والمراد اذا اصاب به ارض من يشاء .

﴿وإن﴾ مخففة من الثقيلة .

﴿كانوا من قبل أن ينزل عليهم﴾ الودق .

﴿من قبله﴾ تأكيد ودلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم اياسهم وابلاسهم فكان استبشارهم على قدر اغتمامهم بذلك وقيل الضمير للودق او السحاب او الارسال .

﴿لمبلسين﴾ آيسين اللام لام التأكيد التي تدخل في خبر ان ويتحصل بها الفرق بين النفي والاثبات او هي لام جددت للفرق .

﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾ وهي الغيث واثره هو النبات والاشجار وانواع الثمار وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص (آثار) بمد الهمزة والثاء جمعا .

﴿كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ وقرأ ابوحيوة (كيف تحيي) بالفوقية ففيه ضمير الرحمة .

﴿إن ذلك﴾ الذي أحيا الأرض بعد موتها .

﴿لمحيي الموتى﴾ فان من قدر على احياء الارض قادر على احياء الموتى قال القاضي : فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الواهبة ما يكون من مواد ما تفتت وتبدلت من جنسها في بعض الاعوام السالفة .

﴿وهو على كل شيء قدير﴾ لأن نسبة قدرته الى جميع الممكنات سواء .

﴿ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا﴾ اي رأو الأثر او الزرع المدلول عليه بما تقدم او الضمير عائد لاثر رحمة لله وهو النبات ومن قرأه (الى آثار رحمة الله) بالجمع فانما رجع الضمير اليه مفردا مذكرا على قراءته لأن آثار الرحمة النبات والنبات يقال للقليل والكثير لانه قيل مصدر في الأصل وقيل الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر وعبر بالاصفرار لا بالصفرة المناسبة حدوث صفرته واللام تمهد الجواب للقسم وتدل على تقدير القسم قبل اداة الشرط ولا تخلوا مع ذلك من توكيد .

﴿لظلوا﴾ اللام للتأكيد في جواب القسم وجوابه مغن عن جواب الشروط لذا كان معناه الاستقبال كما ان الماضي الذي هو جواب الشرط مستقبل قال بن هشام قال الكوفيون والبصريون حق الماضي المثبت المجاب به القسم ان يقرن باللام وقد يحذفان وقد يحذف احدهما قال قوم ومنه .

﴿ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون﴾ وهو سهو لأن ضلوا مستقبل لأنه مرتب على الشرط وساد مسد جوابه فلا

سبيل فيه الى قد اذ المعنى ليضلن لكن النون لا تدخل في الماضي وقيل يقدر للشرط جواب والمذكور جواب القسم من استعمال الماضي للاستقبال بمعونة سياق الشرط .

﴿من بعده يكفرون﴾ بسخط القضاء وبغير ذلك .

ونسوا سالف نعمتي والهاء للاصفرار او للريح او المطر وفي ذلك تقبيح لاحوال الكفار وتحذير عنها اذا كانوا يقنطون اذا حبس المطر واذا ارسل اليهم فرحوا وبطروا واذا ضرب الريح زرعهم كفروا والواجب عليهم التوبة والاستغفار والرضى والرجا اذا حبس والشكر اذا ارسل والصبر على البلاء اذا ضرب الريح زرعهم فضادوا ذلك لقلة تدبرهم .

﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾ الكفار الذين يموتون على كفرهم شبههم بالموتى لانهم لا ينتفعون بالسمع فسمعهم كلا سمع كما ان الموتى لا يسمعون بل قد يسمع الميت على ما ذكر في كتب الفقه والحديث فالآية على الغالب ادل او دليل على عدم صحة ما في كتب الفقه والحديث او الميت ولو سمع فكأنه غير سامع لانه لا ينتفع بالسمع ويعمل به او سماع الميت بالروح لا بالاذن والمفعول الثاني محذوف اي لا تسمعهم الكلام .

﴿ولا تسمع الصم﴾ جمع اصم وهو الذي خلق لا يسمع شبه به الكافر فانه ولو سمع باذنيه ولكن لا ينتفع بالسمع فكأنه كالاصم غير سامع .

﴿الدعاء﴾ النداء مفعول ثان ويجوز تنازع الفعلين فيه ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة اذ شبههم بالاصم ولم يشبههم ممن ثقل سمعه وزاد المبالغة بتقييد الصم بأن يكونوا مدبرين في قوله ﴿إذا ولوا مدبرين﴾ .

فإن الأصم المقبل وان لم يسمع الكلام يتفطن له بواسطة الحركة

تفطنا ما .

﴿وما أنت بهادي العمي﴾ شبههم بمن لا يبصر بجامع عدم الاهتداء الى المصالح ولعدم انتفاعهم بأبصارهم فكأنهم بلا ابصار ولعمي قلوبهم وما صدق هذه الأوجه كلها واحد .

﴿عن ضلالتهم إن تسمع﴾ اسماع قبول وانتفاع .

﴿إلا من يؤمن﴾ المضارع للاستمرار او المراد الا من سبق في علمنا انه سيؤمن او المراد من قارب الايمان .

﴿بآياتنا﴾ فان ايمانه الذي هو فيه والذي سبق له في الأزل ولما يكن فيه يدعوه الى تلقي اللفظ وقبول المعنى .

﴿فهم مسلمون﴾ خاضعون له يأتمرون بما يأمرهم به وينتهون عما نهاهم عنه ومخلصون بتوحيد الله .

﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ اي خلقكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم وهو ضعف الجنين والطفولية او المعنى خلقكم من شيء ضعيف وهو النطفة او هي وما بعدها .

﴿ثم جعل من بعد ضعف﴾ هو الضعف المذكور من ارادة المعنى الواحد ينكره بعد اخرى وهو خلاف الغالب ولا مانع من كون الضعف الأول النطفة والثاني ضعف الجنين والطفولية ثم رأيت بعض المفسرين نص على ذلك والحمد لله .

﴿قوة﴾ القوة التي تكون فيه اذا بلغ الحلم أو قارب أو قبل ذلك او تعلق الروح بالبدن وقيل قوة الشباب .

﴿ثم جعل من بعد قوة﴾ هي القوة المذكورة بأوجهها او يراد باحداهما مالم يرد بالاخرى مثل ان يراد بهذه قوة الشباب او الكهولة

وبتلك قوة البلوغ الحلم او مقاربته .

﴿ضعفا﴾ هو ضعف الهرم او ما قبله من الضعف فان من بلغ الأربعين نقصت قوته وقرأ عاصم وحمزة بفتح ضاد الثلاثة والضم أقوى لما روي أن ابن عمر قال : قرأت من ضعف بالفتح على رسول الله ﷺ فاقرآنية بالضم ، وهما لغتان وقال كثير من اللغويين الضم في البدن والفتح في العقل والاوضح ان يقال الضم في الاجسام ومنه قوله تعالى ﴿خلقكم من ضعف﴾ الخ .

والفتح في المعاني كقولهم في هذا القول أو الرواية أو التوجيه أو الدليل ضعف والضعف بكسر الكثرة ومنه قوله تعالى ﴿جزاء الضعف﴾ .

﴿وشيبة﴾ هي تمام النقصان وفيها قيل قال ﷺ : «لا تكرهوا الشيب فانه نور» وقال : «لا تنتفوا الشيب ما من مسلم يشيب شيبة في الاسلام الا كانت له نورا يوم القيامة» ، وفي رواية «إلا كتب الله بها حسنة وحط عنه بها سيئة» . وكره بعض قومنا نتفه ومذهبنا التحريم .

﴿يخلق ما يشاء﴾ من ضعف وقوة وشيبة وذكر القوة يغني عن ذكر الشباب .

﴿وهو العليم﴾ بتدبير خلقه .

﴿القدير﴾ ومن دليل العلم والقدرة ترديد المخلوق بين هذه الاحوال المتنافرة مع امكان غير هذا الترديد فليس ذلك من افعال الطبيعة بل فعل الله بمشيئة وقدرة وعلم .

﴿ويوم تقوم الساعة﴾ سميت بذلك لانها تقوم في آخر ساعات الدنيا او لوقعها بغيبة كما تقول لمن تستعجله افعل كذلك في ساعة وصارت علما كالنجم للثريا والكوكب للزهرة .

﴿يقسم المجرمون﴾ المشركون .

﴿مالبثوا﴾ اقاموا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وهو اربعون ساعة او اربعون يوما او اربعون سنة او اربعون الف سنة ينقطع فيها عذاب القبر فيما قال بعضهم .

﴿غير ساعة﴾ هذا منهم كذب او تخمين او نسيان او استقصار لمدة لبثهم في الدنيا او في القبر غير معذبين وقد علموا انهم بعثوا للعذاب الدائم وغير ظرف زمان او مفعول مطلق اي لبثا غير لبث ساعة او لبث غير ساعة وقد اشتهر بين الساعة وساعة جناس ولو حكى قولهم لقال ما لبثا وفي ذلك التفات على طريق السكاكي .

﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ اي يصرفون عن الحق في الدنيا كما ان ادعاءهم انْ اللبث مقدار ساعة خلاف الواقع او كذلك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن انه ما كانوا الا ساعة .

﴿وقال الذين أوتوا العلم والايمان﴾ من الملائكة وبني آدم الأنبياء والمؤمنين .

﴿لقد لبثتم في كتاب الله﴾ في اللوح المحفوظ او في علم الله وقضائه او في ما كتبه اي اوجبه بحكمته في علمه وقضائه او في القرآن اذ قال فيه (ومن ورائهم برزخ) .

﴿الى يوم البعث فهذا يوم البعث﴾ ردوا بذلك على الكفار وحلقوا عليه ﴿فهذا يوم البعث﴾ الذي أنكرتموه .

﴿ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ لا تعتقدون انه حق واقع وجاءتكم به الرسل وكذبتم فلا ينفعكم به العلم الآن والفاء للاستئناف او رابطة لجواب شرط محذوف اي ان انكرتم البعث فهذا يومه تبين بطلان قولكم

وقرأ الحسن بفتح العين كالباء .

﴿فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ في انكاره والمعذرة مصدر ميمي بمعنى الاعتذار فهو اسم مصدر لصوغه من الثلاثي واستعماله في معنى الخماسي او بمعنى العذر اي لا ينفعهم ما يدعون انه عذر مقبول فأما ان يعتذروا ولا يقبل عنهم واما ان لا يعتذروا اصلا فكأنه قيل لا ينفع اعتذارهم لو اعتذروا ويوافقه (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) وقرأ الكوفيون (لا ينفع) بالتحتية لان المعذرة بمعنى العذر او بمعنى الاعتذار ولأن الفاعل ظاهر مجازي التأنيث ولوجود الفصل .

﴿ولا هم يستعتبون﴾ اي لا يدعون الى ما يقتضي ازالة عتبهم اي غضبهم وكراهتهم والذي يقتضي ذلك التوبة والطاعة او لا يطلب منهم العتبى اي الرجوع الى ما يرضي الله كما طلب منهم ذلك ودعوا اليه في الدنيا ويقال استعتبه بمعنى دعاه الى ما يقتضي اعتابه أي ازالة عتبه وهو الغضب ويقال استعتبني فاعتبته اي (استرضاني) فارضيته .

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ قصصنا عليهم من القصص كل قصة عجيبة كأنها مثل في غرابتها كقصة المبعوثين وما يقولون وما يقال لهم ومالا يقبل من اعتذارهم واستغاثتهم وغير ذلك مما يدل على التوحيد وصدق الرسول ﷺ اوترا بما فوق الكفاية من الانذار فلم يؤمن من لم يؤمن فلا عذر له .

﴿ولئن جئتهم بآية﴾ مثل العصا واليد ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن التي لما تنزل .

﴿ليقولن الذين كفروا﴾ من جملة الناس وان قلنا المراد بالناس الكفار فالذين كفروا ظاهر في موضع المضمر .

﴿إن أنتم﴾ اي ما انتم والخطاب لرسول الله ﷺ والمؤمنين ويمكن ان يكون المعنى ما انتم كلكم ايها المرسلون اما ان يصرحوا بذلك او يتضمنه نسبة الابطال الى رسول الله ﷺ فحكى الله عنهم نسبة الابطال الى جميع الرسل لان مكذب رسول مكذب للرسل .

﴿إلا مبطلون﴾ اصحاب اباطيل وتزويره .

﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ لا يطلبون العلم بل يكتفون بخرافات اعتقدوها علما فيزعمون انهم عالمون وهم غير عالمين فجهلهم مركب والجهل المركب يمنع عن ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق او المراد على قلوب الذين لا يعلمون التوحيد والطبع على القلب عدم توفيقه فيقسو ويصدو .

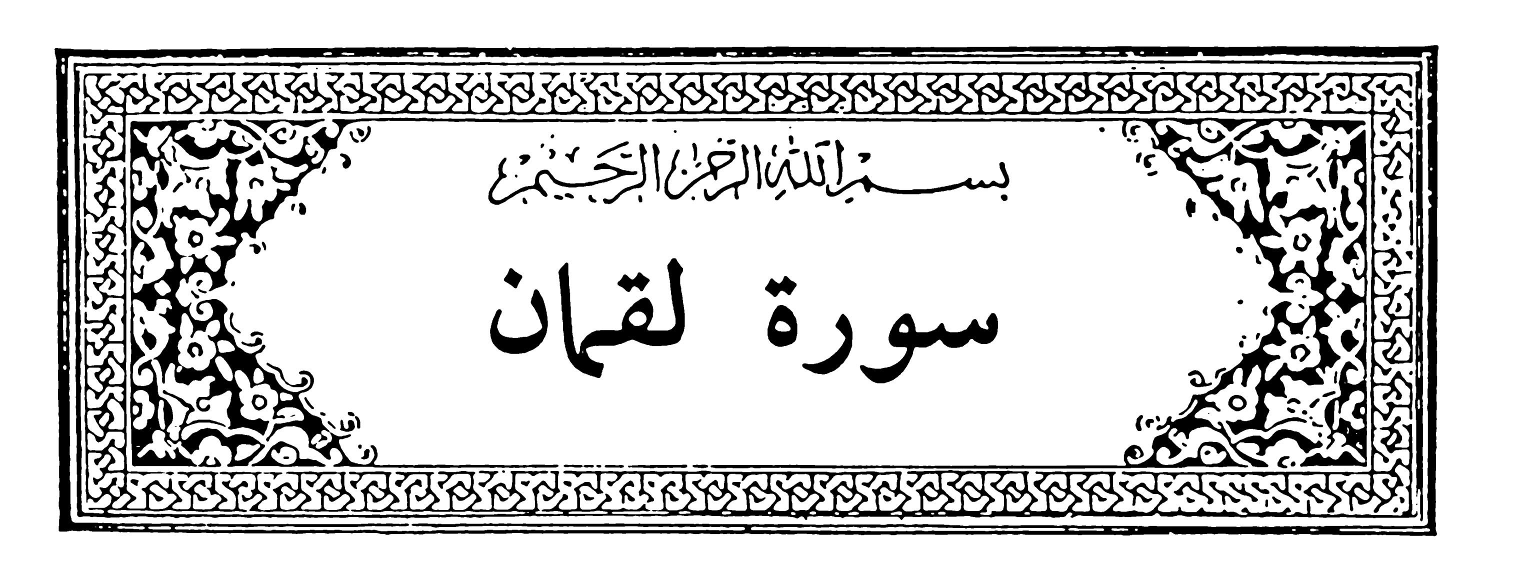
﴿فاصبر﴾ زعم بعض انه منسوخ بآية السيف .

﴿إن وعد الله﴾ ينصرك عليهم واظهار دينك على الدين كله .

﴿حق﴾ لا بد من انجازه .

﴿ولا يستخفنك﴾ اي لا يحملنك على الخفة والطيش فتترك ما يأمرك به الله وقرأ يعقوب بالنون الخفيفة وقرأ ابن اسحاق قيل ويعقوب (ولا يستحقنك) بحاء مهملة وقاف اي لا يفتنك ويكونوا احق بك من المؤمنين .

﴿الذين لا يوقنون﴾ بالبعث والحساب اي لا لا يحملنك على القلوب والجزع مما يقولون ويفعلون فانهم شاكون ضالون ولا تغد ذلك منهم بدعا اللهم ببركة سيدنا محمد ﷺ وبركة السورة أخز النصارى واهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم .


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة لقمان

مكية وقال ابن عباس إلا ﴿ولو أن ما في الأرض﴾ الآيات الثلاث فمدنيات وقيل الا قوله سبحانه ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة﴾ الخ فان وجوبهما بالمدينة قال القاضي وهو ضعيف لانه ينافي شرعيتهما بمكة وقال قتادة الا ﴿ولو ان ما في الأرض﴾ الآيتين وآيها اربع وثلاثون وقيل ثلاث وثلاثون وكلمها خمسمائة وثمان واربعون وحروفها الفان ومائة وعشرة وعن رسول الله ﷺ «من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر» وقالوا : من كتبها وسقاها لمن في جوفه علة او به ضر عوفي الذي كتبها له وزالت علته المذكورة أو ضره وأمن من الحمى ، ومن كتبها للحمى الربع زالت عنه وقال عياض : من قرأ سورة لقمان آمن من الغرق ومن قرأ ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ فرج الله عنه وقوله ﴿الم تر ان الفلك ـ الى كفور﴾ أمان لمن يركب البحر عند هيجانه وتلاطم امواجه اذا كتب في سبع ورقات ورميت في البحر الى ناحية المشرق واحدة بعد واحدة ركد وسكن بإذن الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم﴾ مر تفسيره .

﴿تلك﴾ أي هذه الآيات .

﴿آيات الكتاب الحكيم﴾ اضافة الآيات الى الكتاب لمعنى من ووصف الكتاب وهو القرآن بالحكمة كالأمر والنهي والتحليل والتحريم وغير ذلك لان فيه الحكمة لانها تتبين به ولو كانت صفة من صفات الله فذلك مجاز في الاسناد او يقدر مضاف أي الحكيم قائلة فذلك مجاز بالحذف .

﴿هدى ورحمة﴾ بنصب هدى نصبا مقدر على الالف المحذوف للساكن ونصب رحمة وقرأ حمزة بالرفع المقدر في هدى والظاهر في رحمة بالنصب على الحالية من آيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على الخبرية بعد الخبرية او على الخبرية لمحذوف اي هي هدى ورحمة .

﴿للمحسنين﴾ اي الذين يعملون الحسنات تهديهم الآيات الى الحق والجنة وذلك لطف وتوفيق رحمهم الله به وخص المحسنين لانهم المنتفعون بها .

﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ اما انه بين الاحسان بهذه الثلاثة اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والايقان بالآخرة كما سئل الاصمعي عن الالمعي ـ فانشد :

* الالمعي الذي يظن بك الظن * كان قدر اي وقد سمعا *

ولم يزد على انشاده يريد ان الشاعر قد ذكر الالمعي وانه قد بينه بقوله

الذي يظن الخ واما انه وصفهم بصفات مدح آخر وخص هذه الصفات بالذكر بعد التعميم لمزيتهن واما انه اراد بالاحسان الاحسان الى الخلق وليست منه الصلاة والايقان بالآخرة واما الزكاة فلو كانت احسانا اليهم لكنها فرض فخصت بالذكر لشرفها او المراد بالاحسان الاحسان اليهم غير الواجب او هم الثاني تأكيد للأول مع اشتياق الكلام اليه للفصل بين المبتدأ والخبر بقوة الآخرة .

﴿أولئك على هدى﴾ أي بيان .

﴿من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ السعداء والفائزون لجمعهم العقيدة الحسنة والعمل الصالح .

﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ اي ما يلهي به عما يعني من كل باطل كالتحدث بالاساطير التي لا اعتبار بها والاحاديث التي لا أصل لها وتحدث بالخرافات والمضاحك وفضول الكلام وما ينبغي والغناء والموسيقى اضافة لهو للحديث بيانية كباب ساج اي اللهو الذي هو الحديث المنكر او تبعضية فان بعض الحديث لهو وبعضه غير لهو ومعنى اشتراءه استبداله واختياره كما روي عن قتادة اي اشتراءه استحبابه يختار حديث اللهو على الحق وذلك اشتروا الكفر بالايمان واما من الشراء كما روي ان النضر بن الحارث بن كندة يشتري كتب الأعاجم والمغنيات للهو والاضلال والمعنى الأول يعم هذا أيضا فانك انما تشتري ما تحبه وتختاره .

﴿ليضل عن سبيل الله﴾ دينه وسماع القرآن وقراءته .

﴿بغير علم﴾ أتاه من الله يسوغ له الاشراك واللهو والاضلال او بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة اذا استبدل الهدى بالضلال فتجارته غير

رابحة فلو عرف التجارة النافعة لما فعل ذلك .

﴿ويتخذها﴾ أي الآيات او السبل لان السبيل يؤنث ويذكر والرفع على الاستئناف او على العطف على يشتري وقرىء بالنصب عطفا على يضل او عطفا لمصدره على غير وهو قراءة حمزة والكسائي ويعقوب وحفص وقرأ ابن كثير وابوعمرو (ليضل) بفتح الياء اي ليدوم في ضلاله ولا يصرف عنه وليزيد في ضلاله او المراد الضلالة التي تلزمه من اضلال الناس فان اضلاله الناس ضلالة كما ان القتل المحرم ضلالة ولك ادخال هذا في زيادة الضلالة .

﴿هزوا﴾ سخريا روي ان ذلك نزل في النضر بن الحارث يشتري كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا احدثك بحديث رستم وبهرام واسفنديار والاكاسرة وملوك الحيرة فيستمعون كلامه ويستملحونه ويتركون استماع القرآن وكان يتجر الى فارس ويشتري ذلك منها .

وقيل يتجر الى الحيرة ويشتري منها .

قيل هو يشتري الفتيان المغنين .

وقيل انه يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وعنينه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام وان تقاتل بين يديه وكان يحملهن على معاشرة من يريد الاسلام ومنعه منه وقال الكلبي : نزلت في النضر بن الحارث من بني عبدالدار وكان يروي الاحاديث الجاهلية واشعارها .

وروي انها نزلت في قريشي اشترى جاره مغنية لتغني له بهجاء النبي ﷺ .

وقيل انه ابن اخطل وعن ابي امامة عن رسول الله ﷺ .
لا تبيعوا الفتيات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام .
ذكره الخازن ولعل المراد بثمنهن ما يعطى لهن للغناء وفي حديث عن ابي هريرة «لا اصلي على من اشترى جارية ومسكها لغنائها ان الله سبحانه يقول ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ الآية وما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله له شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهمها حتى يكون الذي يسكت» .
قيل الغناء منفذة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب .
وعن محمد بن المنكدر ان الله جل جلاله يقول يوم القيامة «اين الذين كانوا ينزهون انفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان ادلوهم في ارض المسك» ثم يقول الله سبحانه وتعالى «اسمعوهم ثنائي وحمدي واخبروهم ألّا خوف عليهم ولا هم يحزنون» .
وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير : لهو الحديث الغناء والآية نزلت فيه .
وعن ابي الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال : هو الغناء والذي لا اله الا هو يقول ذلك ثلاث مرات والغناء ينبت النفاق . وقيل لهو الحديث الطبل وسمي ضربه لهوا لانه يلهي به واضيف للحديث لانه يجلبه ويكون معه فالطبل ضربه كبيرة مطلقا .
وقيل ان غنيٌّ عليه او اجتمع عليه .
وفي التاج من الكبائر ضرب الطنبور ونحوها والدف ان غنيٌّ عليه

يعني وان لم يغن عليه فهو من المنكرات التي ليست بكبائر فيجب النهي عنه كذا نفهم .

وقيل كل لهو ولعب وقيل الشرك .

وعندي ان تفسير اللهو بالغناء جائز صحيح وان الاستدلال بالآية على تحريم الغناء غير سائغ لان الآية نزلت في المشرك بدليل ويتخذها هزوا ولتقييد شراء اللهو بالاضلال والمغني والسامع لا يتخذها هزوا ولا يحمل الناس على الاشراك فتحريم الغناء صحيح لكن من غير الآية .

﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾ عذاب عظيم وهو عذاب النار يهينهم لانهم أهانوا المسلمين .

﴿وإذا تتلى عليه آياتنا﴾ القرآن .

﴿ولىَّ مستكبرا﴾ مترفعا عنها لا يعبئوا بها وبقى على شركه ومعاصيه يشبه حاله حال من لم يسمعها كما قال جل وعلا **﴿كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا﴾** ثقل سمع وقيل صمما وقرىء بضم الذال وجملة **﴿كأن لم يسمعها﴾** وجملة **﴿كأن في اذنيه وقرا﴾** حالان من ضمير ولى او ضمير مستكبرا والثانية حال من المستتر في يسمعها وبدل من الأولى او مفسرة او الجملتان مستأنفتان او الأولى مستأنفة والثانية بدلها او مفسرة لها واسم كان المخففة ضمير الشأن .

﴿فبشره بعذاب أليم﴾ اي اعلمه وعبر عن الاعلام بالتبشير تهكما .

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها﴾ اضافة جنات للنعيم تلويح بأن فيها نعما كثيرة حتى كأنها تعرف وتشتهر بالنعيم كما يقال فرس الخير .

وقيل الاصل نعيم الجنات فعكس للمبالغة وخالدين حال مقدرة

وصاحبها هاء لهم وعاملها استقرار لهم او عاملها لهم لنيابته عنه او حال من جنات ان جعلنا جنات فاعلا لقوله لهم لاعتماده على ذي خبر .

﴿وعد الله﴾ اي وعد الله ذلك وعد فحذف العامل واضيف المفعول المطلق للفاعل وناب عن عامله مؤكد لنفسه لأن لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد .

﴿حقا﴾ مفعول مطلق لمحذوف اي حق ذلك حقا مؤكدا لغيره لأن لهم جنات النعيم وعد وليس كل وعد حقا وانما استفدنا كون هذا الوعد حقا ولا بد من حيث انه وعد الله لا من لهم جنات النعيم .

وان قلت وعد الله وحقا توكيد ان فأين مؤكد هما ؟

قلت : هو لهم جنات النعيم .

وان قلت فقد قلت ان وعد الله مؤكد لنفسه قلت معنى كونه مؤكدا لنفسه انه مؤكد لمعنى دل عليه لهم جنات النعيم وهو الوعد وقوله وعد الله معناه الوعد .

﴿وهو العزيز﴾ الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده .

﴿الحكيم﴾ لا يضع الأشياء الا في مواضعها .

﴿خلق السموات بغير عمد ترونها﴾ هذه الجملة نعت لعمد وان قلت هذا يفهم انها بعمد لا ترى .

قلت : اجل هي بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته تعالى وعن ابن عباس هن بعمد لا ترى فأما ان يريد عمدا الامساك بالقدرة او عمدا خافية غير ذلك او اقل لم يعتبر لذلك مفهوم بل هو كناية عن كونها لو كان لها عمد لكانت العمد مرئية فنفي النعت بنفي منعوته والمراد نفي

المنعوت فالنفي متوجه الى المقيد فصدق ذلك بأنه لا عمد اصلا وضمير النعت للعمد ويجوز كون الجملة مستأنفة وضمير النصب للسماوات فتكون تأكيدا في المعنى لكونها بغير عمد واستشهادا ايضا على انها بغير عمد تقول لصاحبك انا كما تراني بلا سيف ولا رمح وانا بلا سيف ولا رمح تراني . والعمد جمع عماد وهو الاسطوانة .

﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ جبالا ثوابت مرتفعة .

﴿أن تميد بكم﴾ فيه حذف لام الجر ولا النافية الاصل لان لا تميد او حذف مضاف اي حذر ان تميد والميد التحرك يمينا وشمالا ونحو ذلك وقال القاضي : كراهة ان تميد بكم فان تشابه أجزاؤها يقتضي التبدل احيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحين ووضع معين اهـ .و واضح ويأتي كلام في إلقاء الجبال وما قالت الملائكة ان شاء الله .

﴿وبث﴾ فرق او خلق .

﴿فيها﴾ في الأرض .

﴿من كل دابة﴾ تسكن فيها .

﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾ رحمة للعباد وفي ذلك التفات من الغيبة للخطاب .

﴿فأنبتنا فيها﴾ ومضت مدة فانبتنا او كان اول الانبات ومقدماته اول ما يمس الماء الأرض من حيث لا نرى ولا نعلم او الترتيب في كل شيء بحسبه نحو تزوج زيد فولد له إذ لم يبق إلا مدة الولادة ان لم يأول بمضت مدة فولد له أو الفاء بمعنى ثم او لمطلق الجمع .

﴿من كل زوج كريم﴾ الزوج الصنف والكريم الحسن او الكثير

المنفعة وفي ذلك دلالة على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد لقاعدة التوحيد المقررة بقوله سبحانه :

﴿هذا﴾ اي ما ذكر من المخلوقات .

﴿خلق﴾ اي مخلوق .

﴿الله فأروني﴾ من الارادة العلمية او البصرية او الاخبارية اي اخبروني والكل معلق بالاستفهام عن جملة قوله .

﴿ماذا﴾ إن جعلت ما مبتدأ وذا خبر او بالعكس .

﴿خلق الذين من دونه﴾ صلة ذا او عن جملة خلق الخ على ان ماذا مفعول لخلق فاحدى الجملتين سدت مسد مفعولي العلمية او مسد مفعول البصرية او الاخبارية والاستفهام انكار وتوبيخ على فعلهم مع الاصنام فعلا يقتضي انها خالقة وعبر بالذين عن الاصنام لانها عندهم كالعقلاء اي ءالهتكم لا تستطيع ان تخلق شيئا ما فضلا عن ان تخلق الأشياء العظام فكيف تجعلونها شركائي وبماذا تستحق الشركة مع انها عاجزة ان تدفع عن نفسها .

﴿بل الظالمون﴾ اي المشركون .

﴿في ضلال مبين﴾ الاصل بل هم فوضع الظاهر موضعه ليدل ان الذي ضلل به هو ظلمه اي شركه واضرب ببل عن تبكيتهم الى تقبيح امرهم الذي هو الضلال المبين اي الواضح حتى كأنه جسم يراه الناظر او اراد بالظالمين العموم .

﴿ولقد آتينا لقمان﴾ قال محمد بن اسحاق هو لقمان بن باعوراء بن تاروخ بن تاريخ وهو آزر وقيل هو ابن ناصر بن آزر فلقمان من اولاد آزر وقال وهب كان ابن اخت ايوب عليه السلام وقيل ابن اخيه وقال

مقاتل كان ابن خالة ايوب وقيل هو ابن عثمان بن بشرون وقال مجاهد كان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقوق القدمين .

قيل كان قريبا من سودان مصر وقيل كان من النوبة .

وعن خالد كان عبدا حبشيا نجارا وعن سعيد بن المسيب كان خياطا من سودان مصر وفي رواية عنه كان نوبيا مشقوق الرجلين عظيم الشفتين وكذا روي عن ابن عباس وجماعة وروي انه كان راعيا .

وعن الاوزاعي عن عبدالرحمن بن حرملة ان اسود جاء الى سعيد بن المسيب فقال له : لا تحزن من اجل انك اسود فانه من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم قيل ورابعهم النجاشي وكان لقمان قاضيا في بني اسرائيل وروي انه عاش الف سنة وقال ابن العماد انه عبدالبلخشخاش يعني انه عبد لانسان من بني الخشخاش روي ان داود عليه السلام ادركه واخذ عنه العلم وكان يفتي ويقضي بين بني اسرائيل قبل مبعث داود عليه السلام ولما بعث داود قطع الفتوى فقيل له ؟ فقال : ألا اكتفى اذا كفيت واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال : كان نبيا انفرد بهذا القول .

وعن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ : «حقا أقول لكم لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا حبشيا كثير الصمت والتفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه فمنّ عليه بالحكمة» .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : لم يكن لقمان نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص امره في القرآن لتمتسكوا بوصيته .

وقال جار الله : القائل بنبوته عكرمة والشعبي .

وروي انه عبد يحتطب لمولاه كل يوم حزمة قيل خيّر لقمان بين الحكمة والنبوة فاختار الحكمة وهو بعيد بأن الحكمة قطرة من بحر النبوة وليس من الحكمة ان يختار الحكمة المجردة عن النبوة وروي انه كان نائما نصف النهار اذ جاءه نداء : يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال : ان ربي خيرني قبلت العافية ولم اقبل البلاء وان عزم عليّ فسمعا وطاعة فاني اعلم ان فعل بي اعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراه : لم يا لقمان ؟ قال : لأن الحاكم باشر المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان عدل فبالأحري ان ينجو وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكون في الدنيا ذليلا خير ممن يكون عزيزا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا والآخرة .

فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم نودي داود عليه السلام بالخلافة فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان .

قيل وهذه خطيئة عفا الله عنه وغفرها له .

وكان لقمان يؤازره بحكمته وقال له يوما : طوبى لك يا لقمان أُعطيت الحكمة وصُرفت عنك البلوى وأعطي داود الخلافة وابتلي بالبلية والفتنة .

وقيل كان بعد داود .

وقيل بين عيسى ونبينا عليهم الصلاة والسلام ومن زعم انه عاش الف سنة واهم وكأنه اختلط عليه بلقمان بن عاد واستدل بعض على

جواز نبوة العبد بأن لقمان عبد وكان نبيا .

﴿الحكمة﴾ العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور .

وقيل : العقل والفهم .

وقيل العلم والعمل به ولا يسمى رجل حكيما حتى يجمعهما .

وقيل : المعرفة والإصابة في الأمور .

وقيل : الحكمة شيء يجعله الله في القلب ينور فيبصر به كما يبصر بالبصر .

وقيل : هي في عرف العلماء استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها .

قال عكرمة : كان لقمان عند سيده أمينا فبعثه مولاه في رقيق له على بستان له يأتونه من ثمره بشيء فجاءوا وليس معهم شيء وقد أكلوا الثمر وأحالوا على لقمان فقالوا لسيدهم : إن ذا الوجهين لا يكون عند الله أميناً . قال : اسقني وإياهم ماءً ثم أرسلنا نتقيأ فتعرف . ففعل فجعلوا يتقيئون تلك الفاكهة ولقمان يتقيأ ماءً فعرف صدقه وكذبهم .

قال : وأول ما روي من حكمته أنه كان مع مولاه فدخل مولاه الخلاء فأطال فيه الجلوس فنادى لقمان طول الجلوس على الخلاء ينجع منه الكبد ويورث الباسور ويصعد الحرارة الى الرأس فأجلس هو يناً . فخرج وكتب حكمته وسكر مولاه يوماً فخاطر قوما على أن يشرب ماء البحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان فقص عليه فقال : اخرج نحوسك وقدورك وأباريقك ثم إجمعها ولما اجتمعت قال لقمان : على أي شيء خاطرتموه ؟ قالوا : على أن يشرب ماء هذه البحيرة قال : فان لها

مواد فاحبسوا موادها عنها حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع ان نحبس موادها ؟ قال لقمان : كيف يستطيع شربها ولها مواد ؟

وعن خالد الربعي انه قال سيده له : اذبح لنا شاة فذبح فقال له : ألق أخبث مضغة فرمى باللسان والقلب وأتاه بها وقيل قال له : ائتني بأخبث مضغة فيها فأتاه بهما وأمره مرة أخرى وقال له : ائتيني بأطيبها فأتاه باللسان والقلب فقال له : أمرتك ان ترمي أخبثها فرميت اللسان والقلب وأمرتك أن تأتي بأطيبها فأتيت بهما فقال له : لا أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا .

وقال الشيخ هود : هذه أول ما عرف من حكمته .

وعن محمد بن عجلان قال لقمان : ليس حال كصحة البدن ولا نعيم كطيب نفس .

وعن ابي هريرة : مر رجل بلقمان والناس يجتمعون عليه يتكلم بالحكمة فقال : ألست العبد الأسود الذي كان يرعى غنما بموضع كذا وكذا ؟ وروي ان هذا الرجل كان راعيا ايضا معه ، قال : بلى . قال لقمان : ما بلغ بك ما ارى ؟ قال : صدق الحديث وأداء الأمانة وترك مالا يعنيني .

وعن عبدالرحمن بن دينار ان لقمان قدم من سفر فلقي غلاما في الطريق فقال : ما فعل ابي ؟ قال : مات . قال : الحمد لله ملكت امري قال : ما فعلت امرأتي ؟ قال : ماتت قال : جدد فراشي قال : ما فعلت اختي ؟ قال : ماتت . قال : سترت عورتي قال ما فعل أخي ؟ قال : مات قال : انقطع عضدي .

وقيل له : أي الناس أشر ؟ قال : الذي لا يبالي ان يراه الناس

مسيئا .

وقيل له : ما اقبح وجهك ؟ فقال : أتعيب بهذا على النقش او على النقاش ؟

وقال لرجل ينظر اليه : ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي أبيض ، ودخل علي داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فأراد ان يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها فقال : نعم لبوس الحرب انت فعلم لماذا يصنع ذلك فقال : الصمت حكم وقليل فاعله ، فقال له داود : بحق سميت حكيما .

وقيل صحب داود شهرا وهو يسرد الدرع ولم يسأله ولما أتمها لبسها وقال : نعم لبوس الحرب انت فقال : الصمت حكمة وقليل فاعله ، وقال له داود عليه السلام : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت في يدي غيري .

﴿أن اشكر لله﴾ أن مفسرة لان إيتاء الحكمة في معنى القول والحكمة دائرة على الشكر وجميع العبادات داخله فيه والحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هما العمل وعبادة الله والشكر ونية الله على ذلك حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر وزعم بعض ان دخول ان المصدرية غير المخففة على الطلب جائز فزعم ان هذه مصدرية ولام الجر والباء مقدرة قبلها وقد يستدل لصحته بجواز دخول المخففة عليه .

﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾ لان نفعه وهو ثواب الدنيا والآخرة ودوام النعمة واستحقاق مزيدها عائد اليه .

﴿ومن كفر﴾ فعليه وبال كفره .

﴿فإن الله غني﴾ عن شكر الشاكرين وطاعتهم وعن غيره على الاطلاق .

﴿حميد﴾ حقيق بالحمد وان لم يحمده أحد أو حمده خلقه كلهم بعضهم باللسان والأعمال ولسان الحال وبعضهم بلسان الحال كالمشرك والدواب .

﴿وإذ قال﴾ اي واذكر اذ قال .

﴿لقمان لابنه﴾ واسمه نعم وقيل أنكم وهو قول الكلبي وقيل موتان .

قيل كان ابنه وامرأته مشركين فما زال بهما حتى أسلما .

﴿وهو يعظه﴾ هذه الجملة حال من لقمان او من الإبن مقدرة مؤكدة قلنا هذا الوعظ هو قوله .

﴿يا بني﴾ الخ ومحكية بمعنى ان قوله يا بني الخ وعظ بعد مضي وعظ آخر وعبر بالمضارع دلالة على قرب الوعظ الماضي من زمان الوعظ الثاني وتصغير الابن للاشفاق ومن اشفق على انسان مثلا فقدر اي ذلك الانسان غير مطيق على ما به الاشفاق ورءاه صغيرا عن مقاومته فلم يتحرج ذلك عن حقيقة التصغير كذا ظهر لي والاصل يابنوي حذفت ياء المتكلم ودلت عليها الكسرة فقلبت الواو ياء وادغمت فيها ياء التصغير وقرأ ابن كثير (يا ابني) بترك التصغير وكذا قرأ قنبل في الآخر وحفص فيهما وفي الاوسط .

﴿لا تشرك بالله﴾ اما قد كان مشركا فنهاه واسلم كما مر واما كان مسلما ونهاه عن الاشراك وبعضهم يقف على (لا تشرك) فيكون بالله قسما .

﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ وضع للعبادة في غير موضعها يعود على صاحبه بالهلاك العظيم كيف يشرك من لا نعمة منه بمن لا نعمة الا منه .

﴿ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه﴾ هذه الجملة معترضة اكد بها التوصية كأنه قيل كيف لا يبذل جهده في الاحسان اليهما وقد ولداه وتكفلا به ولا سيما الأم فانها حملته .

﴿وهنا﴾ مفعول مطلق لمحذوف والمحذوف حال من الأم اي تهن وهنا او واهنة وهنا .

﴿على وهن﴾ متعلق بمحذوف نعت لوهنا والوهن الضعف اي يتزايد ضعفها بتزايد ثقل الحمل او ضعفت للحمل وضعفت للطلق وضعفت للولادة وقرىء (وهنا على وهن) بفتح الهائين وهو رواية عن ابي عمرو وقيل وهنا على وهن علقة بعد نطفة وهكذا اي وهن وهنا او واهنا وهنا على وهن فصاحب الحال هاء حملته فائدة من سكن هاء الوهن فانه يقول وهن يهن كوعد يعد من باب ضرب ومن فتحها فانه يقول وهن يوهن كوجل يوجل من باب علم .

﴿وفصاله﴾ فطامه وانقطاعه عن الرضاع .

﴿في عامين﴾ عن الحسن عن رسول الله ﷺ (لا رضاع بعد الفطام) وكان عمر وابن عباس لا يريان الرضاع بعد الحولين شيئا وهو ظاهر القرآن وقد قرىء (وفصله) فلو مص لبن امرأة بعد تمام العامين لجاز له تزوجها وهو مذهب الشافعي وابي يوسف ومحمد فالعامان الغاية التي يكون بها الرضاع عاما كاملا كما قال الله عز وجل ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ وما دون العامين

موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه .

وقال أبوحنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا وعنه ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم فانظر شرح النيل .

﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ تفسير بوصينا وان اجزت دخول ان المصدرية الخفيفة على الأمر فلك تقدير لام التعليل قبل ان فتعلق بوصينا ولك جعل (أن اشكر) في التأويل بدلا من والديه بدل اشتمال بالنسبة الى ان ولوالديك وبه تصح البدلية وقدر بعضهم القول قبل ان وهو غلط فان ان التفسيرية لا تقع بعد لفظ القول ﴿وحمله وفصاله في عامين﴾ كجملة ﴿حملته أمه وهنا على وهن﴾ معترضة بين التوصية بالوالدين والشكر لله سبحانه ولهما لتأكيد التوصية بالوالدة اذ كانت تكابد امر الحمل والرضاع ومشاقهما في مدة طويلة ولذلك قال رسول الله ﷺ لمن قال له من أبر ؟ بفتح الباء من باب علم او بكسرها من باب ضرب قال : (امك ثم امك ثم امك) ثم قال بعد ذلك (ثم أباك) وحمل بعض العرب امه الى الحج على ظهره وهو يقول :

* احمل أمي وهي الحمالة * ترضعني الذرة والعلالة *

ولا يجازي والد فعاله الدرة بفتح الدال مفرد الدر وهو اللبن وبضم الدال مفرد الدر وهو اللؤلؤ وبكسر الدال وهي التي يضرب بها والعلالة بقية اللبن والحلبة بين الحلبتين .

وعن سفيان بن عيينه من صلى الصلوات الخمس فقد شكر لله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات الخمس فقد شكر لهما .

وعن رسول الله ﷺ قال : (رضى الرب مع رضى الوالد وسخط

الرب مع سخط الوالد) قال : قال رسول الله ﷺ (من أصبح بارا بوالديه أصبح له بابان مفتوحان الى الجنة وان كان واحدا فواحد وان ظلماه وان ظلماه وان ظلماه) وعن رسول الله ﷺ ان فوق كل بر برا حتى ان الرجل ليهريق دمه لله وان فوق كل فجور فجورا حتى ان الرجل ليعق والديه .

وشكر الله فوق شكر الوالدين وغيرهما فان كل نعمة من الله سبحانه وتعالى جرت على يد الوالدين وغيرهما ونعمته دنيوية واخروية .

﴿إليّ المصير﴾ المرجع فاحاسبك على الشكر والكفر .

قيل نزلت تلك الآية في سعد بن ابي وقاص وامه على ما مر في سورة العنكبوت .

وروي انها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب فتحوا فاها بعود .

﴿وإن جاهداك على أنْ تشرك بي ما ليس لك به علم﴾ ما لم تثبت شركته فضلا عن ان تعلمها او ما ليس لك به علم باستحقاق الاشراك ولكن اراد ان تقلدهما فيه .

﴿فلا تطعهما﴾ في ذلك الاشراك ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

﴿وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ بمعروف وهو البر والصلة بالنفس والمال والعشرة الجميلة ومعروفا نعت لمصدر محذوف اي صحابا معروفا .

﴿واتبع سبيل من أناب إليّ﴾ رجع إليّ بالتوبة والطاعة والتوحيد وهو النبي ﷺ وأصحابه وقيل ابوبكر رضي الله عنه .

قال ابن عباس : وذلك انه حين اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبير

وسعد بن ابي وقاص وعبدالرحمن بن عوف وقالوا له : لقد صدقت بهذا الرجل وآمنت به ؟ قال : نعم هو صادق فآمنوا به ثم حملهم إلى النبي ﷺ حتى اسلموا فهؤلاء سابقة التوحيد وحدّوا بارشاد أبي بكر رضي الله عنه بعد أن كانوا مشركين .

وقيل المراد بمن أناب الأنبياء والصالحون .

﴿ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ فأجازيكم بايمانكم وكفر والديكم .

﴿يا بني إنها﴾ أي القصة .

﴿إن تك مثقال﴾ فاعل تك وتكون تام وانث الفعل لاضافة المثقال إلى المؤنث او لان المراد بالمثقال الحسنة او السيئة .

﴿حبة من خردل﴾ نعت لحبة والمثقال الوزن وقرأ غير نافع بنصب مثقال على انه خبر تك وتك ناقص وفيه مستتر عائد الى ما عاد اليه اسم ان واسم ان ضمير عائد الى الخصلة حسنة او سيئة .

﴿فتكن﴾ مع صغرها .

﴿في صخرة﴾ في جوف صخرة وعن ابن عباس انها الصخرة التي تحت الأرضين وهي التي فيها اعمال الفجار قيل خضرة السماء منها وقيل من جبل قاف وهي على ظهر ملك والماء على ظهرها والحوت فيه والأرض على الحوت وقيل الصخرة على ظهر ثور وقيل الثور عليها وقيل الصخرة على الريح والريح على القدرة وليست في السماوات ولا في الأرضين .

﴿أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله﴾ يحضرها فيحاسب عليها فاعلها وذلك ان ابن لقمان قال لأبيه لقمان يا ابت ان عملت

الخطيئة حيث لا يراني احد كيف يعلمها الله فقال له ابوه : (يا بني انها) الخ وقرىء (فتكن) بكسر الكاف استعارة من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنه وهي مستقرة ليلا وقريء (فتكن) بكسر الكاف وتشديد النون مفتوحة اي تستر .

﴿إن الله لطيف﴾ يصل علمه الى كل خفي وقال قتادة : لطيف باستخراجها .

﴿خبير﴾ عالم بكنهه وقال قتادة : خبير بمستقرها وعن بعضهم ان هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها وعظمتها فمات وما ذكره الله عنه بعد هذا تكلم به قبل ذلك .

﴿يا بني أقم الصلاة﴾ تكميلا لنفسك .

﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر﴾ تكميلا لغيرك ولك الثواب الجزيل على ذلك وذلك على العموم وقيل مراد لقمان الامر بعبادة الله والنهي عن عبادة الأوثان .

﴿واصبر على ما أصابك﴾ مطلقا وقيل مراده على ما اصابك من الأذى على الامر والنهي هذا من كلام لقمان ذكره الله امرا للنبي ﷺ وامته به وهو الصبر المأمور به في كل وقت وقيل منسوخ بآية السيف .

﴿إن ذلك﴾ اي الصبر أو كل ما امره به .

﴿من عزم الأمور﴾ اي من معزوم الأمور اي من الأمور التي يعزم عليها لوجوبها من الله ألا ترى ان الملك يقول لبعض رعيته عزمت عليك إلا فعلت كذا فلا يكون له بد من فعله ولا من وجه في تركه فالعزم مصدر بمعنى اسم او هو مصدر بمعنى اسم الفاعل كقوله فاذا عزم الأمر أي جدا أي كان جدا وصدقا لا هزلا وذلك قول ابن جريج وقال جماعة

معنى قوله (من عزم الأمور) ان ذلك من مكارم الاخلاق وعادة اهل الحزم السالكين طرق النجاة .

﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ الصعر الميل والمصاعرة والاصعار والتصعير الامالة واللام بمعنى عن اي لا تميل وجهك وعبر عنه ببعضه وهو الخد او اراد لا تمل شق وجهك وهو الخد عن الناس كما يفعل المتكبرون بل قال يلهم بوجهك تواضعا والصعوراء يصيب البعير يلوي منه عنقه .

وقيل المراد ان الرجل يكون بينك وبينه منافرة فيلقاك فتعرض عنه .

وقيل هو الذي اذا سلم عليه لوّى عنقه تكبرا .

وقيل معناه لا تحتقر الفقراء فليكن هو والغني عندك سواء وذلك قراءة نافع وحمزة والكسائي وقرأ الباقون (ولا تصعر) بترك الالف وبتشديد العين وقرىء (ولا تصعر) باسكان الصاد والمعنى واحد .

﴿ولا تمش في الأرض مرحا﴾ اي مشي مرح او ذا مرح او تمرح مرحا او ضمن تمشي معنى تمرح او يقدر مرحا مرحا بكسر راء الأول او يقدر مرحا بالوصف وهو مرح بكسر الراء أو يقدر ناصبه وصفا منصوبا على الحال والمرح الخيلاء او لاجل المرح وقيل المراد المشي في غير حاجة دينية او دنيوية .

وعن بعض أصحابنا : ثلاث كلمات فيهن الخير كله ويسعهن ظفر تبع تبع ولا تبتدع ولا تضع ولا ترتفع ومن تورع فلا يتسع ، وكذا قال عياش عن ابي اسحاق من علماء جيان وهي بلدة ابن مالك بالاندلس وعن رسول الله ﷺ : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» وقال رجل من القوم ان الرجل منا ليكون نقي الثوب

جديد الشراك فيعجبه ذلك فقال : «ليس ذلك الكبر ولكن الكبر أن تسفه الحق وتغمض الناس» .

﴿إن الله لا يحب كل مختال﴾ في مشيه .

﴿فخور﴾ على الناس وهذا من عموم السلب لا من سلب العموم ولو تقدم النفي على كل والغالب في ذلك العكس والمختال عائد على المرح والفخور على المصاعرة وأخره لتفاصله والجملة تعليل للنهي وذكروا ان عليا قال قال رسول الله ﷺ : «من صنع شيئا فخرا لقي الله يوم القيامة اسود» فقال القوم : انا لله وانا اليه راجعون هلكنا ورب هذه الكعبة فوالله ان الرجل منا يعجبه حسن ثوبه وحسن مركبه ثم ينظر في شعره ونعله ، فقال علي قد شكونا الذي تشكون الى النبي ﷺ فقال : «ليس ذلك بالفخر ولكن الفخر ابطال الحق وغمض الناس والاستطالة عليهم» وزعم بعضهم ان من وضع جبهته في الأرض ساجدا لله فقد برىء من الكبر .

﴿واقصد في مشيك﴾ توسط فيه لا تجعله دبيبا ولا اسراعا قال ﷺ : «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن» ، وفي رواية (بهاء الوجه) واما قول عائشة في النبي ﷺ او في عمر رضي الله عنه : كان اذا مشى أسرع ، فانما ارادت بذلك السرعة المرتفعة عن الدبيب المتوسطة المصحوبة بالسكينة والوقار وقرىء بفتح الهمزة وقطعها وكسر الصاد من قولك اقصد زيد بمعنى سدد واقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية وقصد يقصد بفتح عين الماضي وكسر عين المضارع سواء كان بمعنى التوسط كما في الآية او بمعنى التوجه الى الشيء والقصد اليه كما نص عليه في المصباح والقاموس .

﴿واغضض من صوتك﴾ اي خفض منه وانقص منه يقال غض زيد من عمرو اذا قصر به ووضع منه ونقصه ففي غض الصوت توقير المتكلم وبسط لنفس السامع وفهم .

﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ أي إن اوحشها وأقبحها عندك وعند امثالك من الناس لصوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق وهما لاهل النار فكيف تغلظ صوتك وتجهر به حتى يضاهي صوت الحمير والجملة تعليل للأمر بالغض او ذلك مبالغة شديدة في ذم رفع الصوت وتهجينه وافراط في التثبيط عنه والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان فوق ما تكرهه يا انسان من صوت الحمير حيث شبه الرافعين اصواتهم بالحمير ومثل اصواتهم بالنهيق واخلى الكلام من لفظ التشبيه واخرج ذلك مخرج الاستعارة فكأنه قيل ان انكر الاصوات وأبغضها عند الله لصوت هؤلاء الذين صوتهم في الاعلان كصوت الحمير والحمار مثل في الذم البليغ عند الناس وكذا نهاقه ومن استفحاش الناس له الكناية عنه بطويل الاذنين ، وقد عد من مساويء الادب ذكره في مجلس أولى المروءة ومن العرب من لا يركبه استكبارا وان بلغ الجهد ، وانما افرد صوت الحمير لانه لم يرد ذكر صوت كل واحد من احاد هذا الجنس بل اراد ان لكل حيوان صوتا وان انكر اصوات الحيوان كله صوت هذا الجنس او لان اضافته للاستغراق فمعناه اصوات الحمير او لانه في الاصل مصدر ومعناه تحريك اللسان والمخارج مثلا ثم اطلق على الالفاظ المسموعة مثلا وفي الحديث : «اذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فانها رأت شيطانا» .

وقال سفيان الثوري صياح كل شيء تسبيح إلا صياح الحمير .

وعن ابي هريرة قال النبي ﷺ : «اذا سمعتم الديكة فاسألوا الله من فضله فانها رأت ملكا واذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فانها رأت شيطانا» ، وفي رواية : «اذا سمعتم الديكة تصيح بالليل» .

وعن جابر بن عبدالله قال النبي ﷺ : «اذا سمعتم نباح الكلب او نهيق الحمار من الليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فانها ترى مالا ترون وأقلوا الخروج في الليل فان الله يبعث في ليله من خلقه ما يشاء» .

وقيل ان الآية في العطسة القبيحة المنكرة وعن وهب : تكلم لقمان باثنى عشر بابا من الحكمة ادخلها الناس في كلامهم وقضاياهم .

قال مالك قال لقمان لابنه : يا بني ان الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون وهم الى الآخرة سراعا يذهبون وانك قد استدبرت الدنيا مذ كنت واستقبلت الآخرة مع انفاسك وان دارا تسير اليها اقرب من دار تخرج عنها . وعن سفيان الثوري قال لقمان لابنه : يا بني ان الدنيا بحر عميق غرق فيه ناس كثير فلتكن فيه سفينتك تقوى الله وليكن حشوها ايمانا بالله وشراعها توكلا على الله لعلك تنجو وما اظنك ناجيا ، يا بني خذ من الدنيا بلغة ولا تدخل فيها دخولا يضر بآخرتك ولا ترفضها تكن عيالا على الناس وصم صياما يقطع شهوتك ولا تصم صياما يمنعك عن الصلاة فان الصلاة عند الله اعظم من الصيام يا بني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء ولتماري به السفهاء ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة يا بني اختر المجالس على عزلتك فان رأيت قوما يذكرون الله فاجلس اليهم فان كنت عالما ينفعك علمك ويزيدوك علما وان كنت جاهلا يعلموك ولعل الله يطالعهم برحمته فتعمك معهم يا بني لا تجادل

فاجرا كما انه ليس بين الذئب والشاة خلة ومن يحب المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم يا بني كن عبدا للاخيار ولا تكن ولدا للاشرار يا بني كن امينا غنيا يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك ولا تجادلهم فيمنعوك علمهم والطف بهم في السؤال يا بني لا تطلب من الأمور مدبرا ولا ترفض منها مقبلا فان ذلك يقل الرأي ويزري بالعقل يا بني ان تأدبت صغيرا انتفعت كبيرا يا بني ان سافرت فلا تتأمر على دابتك فان ذلك سريع من دبرها وليس ذلك من فعل الحكمة واذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وابدأ بعقلها قبل نصيبك فانها نفسك واياك والسفر اول الليل وعليك بالتغليس والادلاج من نصف الليل الى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وابرتك وخيوطك ومخرزك وتزود معك الادوية تنتفع انت ومن معك وكن لاصحابك موافقا مواتيا الا في معصية الله تعالى يا بني اياك والتقنع فانه بالنهار شهرة وبالليل ريبة يا بني لا تأمر الناس بالبر وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه يا بني لا تحقرن من الذنوب صغارها فان الصغار غدا تكون كبارا يا بني اياك والكذب فانه يفسد عليك دينك ويهجر عند الناس مروءتك فيذهب عند الناس جاهك وبهاؤك ولا يسمع منك اذا حدثت ولا تصدق اذا قلت ولا خير في العيش اذا كان هكذا يا بني اياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر فلا يستقيم على هذه الخصال صاحب ولا يزول عليها من الله معاتب والزم نفسك تأنى في أمورك واحسن مع جميع الناس خلقك فان من حسن خلقه حضى عند الأبرار وظهر عند الأخيار وأحبوه محبة الأبرار وجانبه الفجار يا بني لا تقبل الهموم والأحزان وانفها

عن نفسك وارض بالقضاء وارض بما قسم الله يصفوا عيشك وتريح نفسك وان اردت ان تجمع غنى الدنيا فاقطع طمعك مما في ايدي الناس يا بني ان الدنيا متاعها قليل وعمرك منها قليل وما بقي من القليل الا القليل يا بني اجعل معروفك في اهله ولا تصرفه في غير اهله فتخسره في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة وكن مقتصدا ولا تكن مبذرا ولا تمسك المال تقتير ولا تعطه تبذيرا وأكرم الحكمة تكرم بها وأعزها تعز بها وسر اخلاق الحكمة في دين الله تعالى يا بني ان للحاسد ثلاث علامات يغتاب اذا غاب ويتملق اذا شاهد ويشتم بالمعيبة .

وأنفها عن نفسك وارض بالقضاء وارض بما قسم الله يصفوا عيشك وتريح نفسك وان اردت ان تجمع غنى الدنيا فاقطع طمعك مما في ايدي الناس يا بني ان الدنيا متاعها قليل وعمرك منها قليل وما بقي من القليل الا القليل يا بني اجعل معروفك في اهله ولا تصرفه في غير اهله فتخسره في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة وكن مقتصدا ولا تكن مبذرا ولا تمسك المال تقتيرا ولا تعطه تبذيرا وأكرم الحكمة تكرم بها وأعزها تعز بها وسر اخلاق الحكمة في دين الله تعالى يا بني ان للحاسد ثلاث علامات يغتاب اذا غاب ويتملق اذا شاهد ويشتم بالمعيبة .

﴿**ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات**﴾ من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها وقيل الذي في السماء الشمس والقمر والنجوم والماء وجبال البرد وما في الأرض من ثمار وانهار ودواب ومعادن من سهل وجبل .

﴿**وأسبغ**﴾ أوسع وأتم وقرىء (واصنع) بالصاد وهكذا يجوز ابدال السين صادا اذا كانت مع الغين المعجمة أو كانت مع الخاء المعجمة

كسلخ وصلخ او مع القاف كقسر وصقر .

﴿عليكم نعمه﴾ هذه قراءة نافع وابي عمرو وحفص وقرأ الباقون (نعمته) بالافراد وقرىء (نعمه) بكسر النون وفتحها مع سكون العين والنعمة كل نفع قصد به الاحسان والله سبحانه خلق العالم نعمة فغير الحيوان نعمة للحيوان وغير العاقل منه نعمة للعاقل وايجاد الحَيوان هو نفس النعمة على الحيوان اذ يخلقه يمكن له الانتفاع دنيا مطلقا وآخرة للعاقل المؤمن ولو لم يخلق لم يكن ذلك فلولا ان خلقه نفع لكان عبثا تعالى الله عنه والنفع راجع اليهم والله الغني .

﴿ظاهرة﴾ حال .

﴿وباطنة﴾ قال الشيخ هود رحمه الله : الظاهر الاسلام والباطنةستر العيوب والذنوب وهو قول ابن عباس والحسن .

وقال المحاسبي : الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم الآخرة .

وقال الضحاك : الظاهرة حسن الصورة وامتدادها وتسوية الاعضاء وغير ذلك والباطنة المعرفة وغيرها .

وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة الشريعة والباطنة الشفاعة .

وقال مجاهد : الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع رسول الله ﷺ والباطنة صحبته وقيل الظاهرة ما يعلم بالمشاهدة والباطنة مالا يعلم بها بل بدليل ومالا يعلم اصلا وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة العقل والقلب والفهم ونحو ذلك مما يتولد من ذلك وفي دعاء موسى : الهي دلني على اخفى نعمتك على عبادك قال : أخفاها

عليهم النفس ويروى : أن أيسر ما يعذب به أهل النار الأخذ بالأنفاس وقيل الظاهرة صحبة الصالحين والباطنة سكون القلب الى الله .

﴿ومن الناس﴾ من اهل مكة .

﴿من يجادل في الله بغير علم﴾ مستفاد من دليل نزلت في النظر بن الحارث قاله الكلبي وقال غيره فيه وفي ابي بن خلف وامية بن خلف ونحوهم وكانوا يجادلون النبي ﷺ في الله سبحانه وصفاته والنظر المذكور هو من بني عبدالدار .

﴿ولا هدى﴾ من رسول .

﴿ولا كتاب منير﴾ مضيء يزيل ظلمة الجهل أنزله الله بل بالتقليد كما قال الله سبحانه .

﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ من عبادة الاوثان قال سبحانه تقبيحا لقولهم .

﴿أولو كان﴾ اي ايتبعون ما وجدوا عليه آباءهم .

﴿الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ والواو للحال والاستفهام للانكار والتوبيخ والتعجيب ومعنى الانكار هنا انكار صحة ما يذهبون اليه وهو داخل على محذوف ويجوز كون الهمزة مما بعد الواو فتكون الواو للاستئناف ويقدر جواب للو أي لا تتبعوه اي الشيطان او لا تتبعوهم وهاء يدعوهم للكفرة المقول لهم او لآبائهم والآية تتضمن منع التقليد في الأصول بل هي صريح في المنع ومعنى دعاء الشيطان لهم الى عذاب السعير انه يدعوهم الى موجبات عذاب السعير وهي الكفر والمعاصي فأطلق السبب وأراد المسبب .

﴿ومن يسلم﴾ وقرأ علي بفتح السين وتشديد اللام .

﴿وجهه إلى الله﴾ بأن فوّض أمره إلى الله واقبل بكله على طاعته وأسلمت المتاع الى الرجل وسلمته بمعنى دفعته اليه فأرسلته اليه وحيث عدى باللام مثل قوله جل وعلا (بلى من أسلم وجهه لله) فلتضمنه معنى الاخلاص .

﴿وهو محسن﴾ موحدا ومحسن في عمله وقيل جمع القول والعمل والجملة حال مؤكدة .

﴿فقد استمسك﴾ تعلق تعلقا شديدا .

﴿بالعروة﴾ بالطرف .

﴿الوثقى﴾ التي لا يخاف انقطاعها مثل حال المتوكل بحال من تدلى من موضع عال واستمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه فهو ناج او بحال من تمسك بأوثق عروة ليرتفع الى غاية نفيسة .

﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ مصير الأمور اليه في الآخرة لا الى غيره .

﴿ومن كفر فلا يحزنك﴾ يا محمد من أحزنه والمشهور حزنه يحزنه كنصره بنصره وبالأول قرأ نافع قيل فهو مشهور ايضا .

﴿كفره﴾ لا تهتم بكفره وكيده للاسلام فان الله سبحانه وتعالى دافع كيده في نحره .

﴿إلينا مرجعهم﴾ في الدارين .

﴿فننبئهم بما عملوا﴾ نجازيهم بالاهلاك والتعذيب .

﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ بمعتقداتهم صاحبات الصدور اي الكائنة في قلوبهم لا يخفى عليه سرهم ولا علانيتهم فيجازيهم على الكل والجهر والسر عند الله سواء لان علمه ذاتي ولكن الله سبحانه نبه الخلق بعلمه بذات الصدور على علمه بما ظهر على ما يقتضي العقل نظرا

لأنفسبهم ان معرفة الجهر اسهل ومن عرف السر فبالأولى ان يعرف الجهر .

﴿نمتعهم﴾ نمهلهم للتلذذ بمتاع الدنيا .

﴿قليلا﴾ تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا وهو ايام حياتهم وما مصيره الى الزوال قليل ولو طال .

﴿ثم نضطرهم﴾ نلجئهم ونردهم بالقهر في الآخرة .

﴿إلى عذاب غليظ﴾ عذاب النار ولا يجدون عنه محيصا شبه الزافهم العذاب باضطرار المضطر الى شيء لا يقدر على الانفكاك عنه وشبه شدة العذاب بالجسم الغليظ الثقيل .

﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ لوضوح الدليل على انه الخالق وضوحا منعهم مع شدة عنادهم وكفرهم من ان ينسبوا الخلق الى غيره .

﴿قل الحمد لله﴾ على وضوح الحجة حتى اذعنوا لها انه الخالق فهو المعبود بالحق .

﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ وجوب التوحيد والعبادة عليهم او لا يعلمون انهم يبعثون .

﴿لله ما في السموات والأرض﴾ خلقا وملكا وعبيدا فلا اهل للعبادة سواه .

﴿إن الله هو الغني﴾ عن خلقه وطاعتهم وحمدهم .

﴿الحميد﴾ الذي هو في ذاته محمود وان لم يعلموا ذلك واهل للحمد وان لم يحمدوا الواجب حمده وان لم يعلموا وجوبه .

﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة﴾ متعلق بمحذوف حال من اسم ما

والمصدر من خبر ان فاعل لثبت محذوفا او مبتدأ بلا خبر وبسطت مثل ذلك في النجوم وانما قال من شجرة ولم يقل من اشجار او من شجر ليدل اللفظ على تفصيل الشجر شجرة شجرة حتى لا تبقى واحدة الا بريت اقلاما .

﴿أقلام والبحر﴾ مبتدأ .

﴿يمده﴾ خبر والواو للحال اي والبحر المحيط يسعفه مدادا اي يكون له مددا وهاء يمده عائدة الى ما قيل او البحر معطوف على محل اسم ان وقيل على محل ان واسمها قلت يجوز عطفه على المصدر المقدر من خبر ان الذي هو فاعل لثبت المقدر بعد لو اي ولو ثبت كون ما في الأرض من شجرة اقلاما والبحر وعلى الأوجه فجملة يمده حال من البحر وقرأ ابن مسعود (وبحر يمده) وفي تلك الوجوه كلها وزعم بعضهم انه لا يجوز فيه كون الواو للحال وبحر مبتدأ وليس بشيء وليس المعنى عندي في القرائتين على الاستئناف فضلا من ان تجعل الجملة مستأنفة ولو اجاز القاضي هذا وقرأ ابوعمر بنصب البحر عطفا على اسم ان ويمد عطف على خبرها كقولك ان زيدا قام وعمرا قعد او النصب على الاشتغال كذا قال القاضي وهو غلط بل النصب عطف على إسم ان وممن قرأ بالنصب يعقوب ثم ظهر لي توجيه كلام القاضي بأنه اذا نصب على الاشتغال ففاعل يمده سبعة ولا ضمير حينئذ في يمده واما على العطف على اسم ان ففيه ضمير البحر ومن بعده سبعة ابحر خبر ومبتدأ ويجوز ايضا على الرفع كون سبعية فاعل يمد وتنبهت لذلك بقراءة بعضهم (تمده) بالفوقية المثناة .

﴿من بعده سبعة أبحر﴾ اي زيادة عليه بأن يكون البحر المحيط دواة

والابحر السبعة مملوءة مدادا تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع يقال مد الدواة وأمدها اي جعل فيها مدادا او زاده فيها او زاده فيها ماء على المداد الذي فيها وهذه السبعة في هذه الأرض .

وقال ابن عمر : تحت بحركم هذا بحر نار وتحته بحر ماء وتحته بحر نار الى سبعة ابحر ماء وانها المراد في الآية ان عدي .

﴿ما نفدت كلمات الله﴾ اي ما انقضت معلوماته بكتابتها بتلك الاقلام من ذلك المداد وتنقضي الاشجار والبحور ولا تنقضي معلوماته وانما قال كلمات الله ولم يقل كلم الله مع ان كلمات جمع قلة على ما قال سيبويه : ان جمع المؤنث السالم جمع قلة ، والموضع موضع تكثير لان المراد بالكلمات هنا جمع الكثرة او اختير لفظ الكلمات اشعارا بأن ذلك لا يفي بكلماته فكيف بكلمه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما سبب نزول الآية ان اليهود قالت : يا محمد كيف عنينا بهذا القول وما أوتيتم من العلم الا قليلا ونحن قد أوتينا التوراة تبيانا لكل شيء .

وقيل سببها أن المشركين قالوا ان الوحي سوف ينقطع وينقضي فأعلمهم الله ان كلماته لا تنتهي ينزل ويبقى مالا ينتهي فعلى الاول الآية مدنية وعلى الثاني مكية وقيل مكية على الاول ايضا بأن امر اليهود المشركين اذ وفدوا عليهم ان يقولوا اليس مما نزل عليك ان اليهود قد اوتوا التوراة وفيها علم كل شي قال الجمهور لما نزل بمكة (ويسألونك عن الروح) الآية وهاجر اتاه أحبار اليهود وقالوا يا محمد : بلغنا انك تقول (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) أفعنيتنا أم قومك ؟ فقال ﷺ : (كلا قد عنيت) فقالوا : الست تتلو فيما جاءك انا قد أوتينا التوراة فيها

علم كل شيء ؟ فقال ﷺ : «هي في علم الله قليل وقد أتاكم الله ما ان عملتم به ان انتفعتم» . قالوا يا محمد : كيف تزعم هذا وانتْ تقول «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا» ، كيف يكون الشيء الواحد قليلا كثيرا ؟ فنزلت الآية مبينة انها قليل بالنسبة الى علم الله .

﴿إن الله عزيز﴾ لا يعجزه شيء .

﴿حكيم﴾ لا يفعل شيئا عبثا ولا يخرج شيء عن علمه وحكمته .

﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ الا كخلق وبعث نفس واحدة اذ لا يشغله شأن عن شأن وفعل عن فعل لان أمره (أن يقول لشيء كن فيكون) بل معنى قوله (لشيء) كان تعلق ارادته بكونه على كيفية مخصوصة في زمان مخصوص وذلك ان المشركين قالوا يا محمد خلقنا الله اطوارا نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم لحما ثم انشأنا خلقا آخر فكيف تزعم انا نبعث في ساعة واحدة ؟ فنزلت . .

﴿إن الله سميع﴾ يعلم كل مسموع .

﴿بصير﴾ يعلم كل مبصر .

﴿ألم تر﴾ الخطاب لمن يصلح خطابه .

﴿أن الله يولج﴾ يدخل .

﴿الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ يزيد كلا منهما بما نص من الآخر .

﴿وسخر الشس والقمر كل﴾ من الشمس والقمر .

﴿يجري﴾ في فلكه .

﴿إلى أجل مسمى﴾ هو يوم القيامة والمسمى المحدود ولا ينقطع جريهما الى يوم القيامة وذلك قول الحسن وحينئذ ينقطع جريهما ويذهب

ضوءهما .

وقيل الأجل المسمى آخر السنة للشمس وآخر الشهر للقمر صرح بعض العلماء ان اللام في قوله (يجري لأجل مسمى) بمعنى (الى) بدليل هذه الآية ونحوها .

وذكر جار الله أن هذه الطريقة لا يسلكها الى بليد الطبع ضيق الفطن وان المعنى مع الى ان كلا يبلغ الاجل وينتهي اليه ومع اللام انه يجري لادراك اجل مسمى يجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى فاللام للتعليل حقيقة او مجازا وافعال الله تعلل بالاغراض على ما ارجحه لكثرة ادلته وتأويل الكثير خلاف الظاهر .

﴿وان الله بما تعلمون خبير ذلك﴾ المذكور الذي تعجز عنه الاحياء القادرون العالمون وكيف الجماد التي يدعونها آلهة من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها .

﴿بأن الله﴾ اي لأن الله .

﴿هو الحق﴾ الثابت الألوهية وغيره باطل .

﴿وأن ما تدعون من دونه﴾ من الأصنام وقرىء بالتحتية ﴿يدعون﴾.

﴿الباطل﴾ الزائل الذي لا يستحق العبادة ولا الالوهية المعدوم في حد ذاته لولا ان الله أوجده .

﴿وأن الله هو العلي الكبير﴾ مرتفع الشأن على كل شيء ومتصرف في كل شيء له الصفات العليا والأسماء الحسنى .

﴿ألم تر أن الفلك﴾ السفن وقرىء بضم اللام وكل فعل بضمتين يجوز فيه فعل بضم الفاء واسكان العين كما يجوز في فعل بضم فكسر فعل بضم فاسكان .

﴿تجري في البحر بنعمة الله﴾ عليكم اي باحسانه ورحمته والباء متعلقة بتجري أو بمحذوف حال وقيل بمحذوف خبر لمحذوف ومعناها من اي ذلك من نعمة الله وقرىء (بنعمات الله) بسكون العين وعين فعلات بكسر الفاء يجوز فيها الفتح والكسر والسكون كسدرات بكسر السين وفتح الدال وكسرها واسكانها هذا ويصح ان يكون المعنى تجيء وتذهب بطعام وارزاق واموال فذلك النعمة .

﴿ليريكم من آياته﴾ دلائل قدرته .

﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار﴾ على البلاء والمشاق والطاعة وعن المعاصي فيتعب نفسه في التفكر في مخلوقات الله .

﴿شكور﴾ على السراء والضراء يعرف النعم ويكتسب بها ازدياد المعرفة بمانحها .

قال الشعبي : الصبر نصف الايمان والشكر نصفه الآخر واليقين الايمان كله والصبر على البلاء والشكر على النعماء من صفات الأولياء .

﴿وإذا غشيهم﴾ غطاهم أي غطى جهاتهم من البحر او المعنى قارب ان يغطيهم بأنفسهم وسفينتهم او المعنى واذا ورد عليهم والضمير للكفار .

﴿موج كالظلل﴾ جمع ظلة وهي ما يظل ويشرف من جبل او سحاب او غيرها ووجه الشبه الارتفاع وقرىء (كالظلال) بكسر الظاء وبعد اللام الأولى الف .

﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ بأن دعوه وحده ينجيهم لا يدعون معه غيره لزوال الهوى المنازع لما خلقوا عليه من الفطرة وزوال التقليد وذلك لما دهمهم من الشدة .

﴿فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد﴾ استدل ابن مالك على جواز قرن جواب لما بالفاء بالآية وقال ابن هشام الجواب محذوف اي انقسموا قسمين فمنهم متوسط في الكفر والظلم تارك لبعض ما كان عليه ومنهم باق على جميع كفره وظلمه وحذف المعادل او المقتصد المقيم على طريق القصد وهو التوحيد واف بحاله في البحر .

وعن الحسن المقتصد من عرف حق هذه النعم .

وقيل نزل ذلك في عكرمة بن ابي جهل اذ هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف فقال : لئن أنجانا الله من هذا لأرجعن الى محمد ﷺ ولأضعن يدي في يده فسكنت الريح فرجع واسلم وحسن اسلامه . واشار الى من لم يوف اشارة لا تصريحا بقوله :

﴿وما يجحد بآياتنا﴾ ومنهم الانجاء من الموج .

﴿إلا كل ختار﴾ غدار بل الختر قال بعض اشد الغدر والمراد انه نقض العهد الفطري او نقض حاله التي كان عليها في البحر قال بعضهم : الختار قبيح الغدر .

﴿كفور﴾ لانعامنا .

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما﴾ الخطاب للناس مطلقا وقيل : المراد اهل مكة وقيل المؤمنين والمراد اخشوا عقاب يوم :

﴿لا يجزي﴾ لا يقضي وقرىء (لا يجزي) بضم الياء وبعد الزاء همزة من أجزأ عنه بمعنى عفى عنه .

﴿والد عن ولده﴾ اي لا يقضي عنه شيئا ولا يغني عنه شيئا والجملة نعت يوما والرابط محذوف اي لا يجزي فيه .

﴿ولا مولود هو جاز عن والده شيئا﴾ فاذا كان الوالد لا يجزي عن

ولده والولد لا يجزي عن والده مع كمال الشفقة والنفع بينهما في الدنيا فكيف غيرهما كل انسان حتى الأنبياء يقول نفسي نفسي ولا يهمه غيره الا هذا النبي الكريم على الله فانه يهمة أمر أمته ، وجاز كقاض هو اسم فاعل على القراءة الأولى واما على الثانية فالفعل من اجزاء بمعنى اغنى وهو مهموز والوصف من جزى بالالف بمعنى قضى أو من جزى بالألف بمعنى أجزى وكذا يصح في يجزي في القراءة الأولى ان يكون بمعنى يجزي الذي هو من اجزاء وانما كذا الحكم في الجملة الثانية بجعلها أسمية ويذكر هو لان الخطاب للمؤمنين فيما قيل وقد قبض آبائهم على الكفر فحسم طمعهم ان ينتفعوالهم في الآخرة فاذا لم تقبل شفاعة المولود في الوالد الأدنى فكيف في الجد او غيره والوالد يطلق على الأب والجد وان علا والمولود لا يطلق الا على من ولدت الأم والظاهر ان الخطاب للناس مطلقا وان التأكيد بالجملة الاسمية والضمير قطع لما قد يتوهم المؤمن والكتابي من ان ينفع أباه في الآخرة ولما يقوله المشرك من انه ان صح البعث شفع لي ولدي وكذا الولد يقول ان صح البعث شفع لي والدي واشعار بأن المولود اولى بأن لا يجزي عن والده وشيئا مفعول به لقوله (جاز) ويقدر مثله ليجزي وكذا ان جعلناه مفعولا مطلقا ولك جعله من التنازع اذا كان مفعولا به واجاز بعضهم التنازع في المفعول المطلق وهو الصحيح فيجوز كونه مفعولا مطلقا متنازعا فيه فيقدر ضميره مفعولا مطلقا للمهمل ولا يخفى ما في التعبير بشيء في سياق النفي اي لا يجزي احدهما عن الآخر في اقل قليل من هول اليوم او عذابه بأن يدفعه غنه ومولود مبتدأ خبره هو جاز وزعم بعضهم انه يجوز عطفه على والد وهو غير لأنه حينئذ يتعطل قوله (هو جاز) .

﴿إن وعد الله حق﴾ اي ان وعده بالبعث حق لا يمكن خلفه او ان وعده بالثواب والعقاب او ان وعده بذلك اليوم او ان وعده بالثواب والعقاب او ان وعده بعدم قضاء والد عن ولد ومولود عن والد والثلاثة الأولى اولى وهي متقاربة .

﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ عن الاسلام والد وام عليه وهي فانية وثوابه باق .

﴿ولا يغرنكم بالله﴾ في حلمه وامهاله .

﴿الغرور﴾ هو الشيطان لعنه الله وقيل الدنيا والتذكر لكونه فعولا بمعنى فاعل لا بمعنى مفعول او قيل تمني المغفرة مع البقاء على المعصية والتمادي عليها وهو قول سعيد بن جبير وذلك ان الشيطان يرجي الناس المغفرة ويجرهم على المعصية وقرىء بضم العين فيكون مصدرا اسند اليه الغرور مبالغة كقولك جد جده بضم الدال الثانية او يكون مصدرا مراد به زينة الدنيا لانها غرور عن ابي امامة .

عن رسول الله ﷺ : «إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الظهر ذو حفظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان خفيا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك» ثم نفض بيده فقال «عجلت منيته» قلت : نوائحه قل تراثه .

وقال ايضا عنه ﷺ : «عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت يا ربي ولكن اشبع يوما واجوع يوما» او قال : ثلاثا او نحو هذا (فإذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت شكرتك وحمدتك) .

وروي ان الحارث بن عمرو بن حارثة بن خصفة من قبيلة تسمى محارب اتى من البادية الى النبي ﷺ فقال له : يا رسول الله اخبرني عن

الساعة متى قيامها واني قد القيت حياتي في الأرض وقد ابطأت عنا السماء فمتى تقطر وقيل قال : أن أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث واخبرني عن ما في بطن امرأتي أذكر أم انثى ؟ وقيل قال : متى تلد وعملت ما عملت امس فما اعمل غدا ؟ وقد علمت اين ولدت فأين أموت ؟ فنزل قوله سبحانه وتعالى :

﴿إن الله عنده﴾ لا عند غيره .

﴿علم الساعة﴾ علم وقت قيامها في اي سنة واي شهر واي يوم قيل وفي يوم او ليل .

﴿وينزل﴾ هو لا غيره .

﴿الغيث﴾ وقرأ غير نافع وابن عامر وعاصم بالتخفيف من الانزال وكذا في الشورى وكنا بكونه المنزل الغيث عن كونه لا يعلم سواه اين ينزل ولا متى ينزل .

﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ هو لا غيره أذكر ام انثى وابيض او اسود مثلا أتام ام ناقص وغير ذلك من الأحوال .

﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا﴾ الجملة صلة ذا وذا مبتدأ خبره ما او بالعكس والجملة الاسمية مفعول تدري معلق عنها تدري او ماذا مفعول تكسب وجملة تكسب مفعول كذلك لا يعلم احد ما يفعله غدا من خير او شر وما كيفية فعله وما هو أقليل ام كثير الى غير ذلك من احواله ربما عزم على فعل ولم يفعل او على فعل خير فعمل شرا وبالعكس .

﴿وما تدري نفس بأي﴾ اي في اي متعلق بتموت وجملة تموت مفعول تدري معلق عنها تدري وقرىء (بأية) كما قال بعض العرب في

كل كلتهن قاله سيبويه .

﴿أرض تموت﴾ يخرج روحها وقيل : المعنى تدفن والله يعلم ذلك كله كما قال جل وعلا .

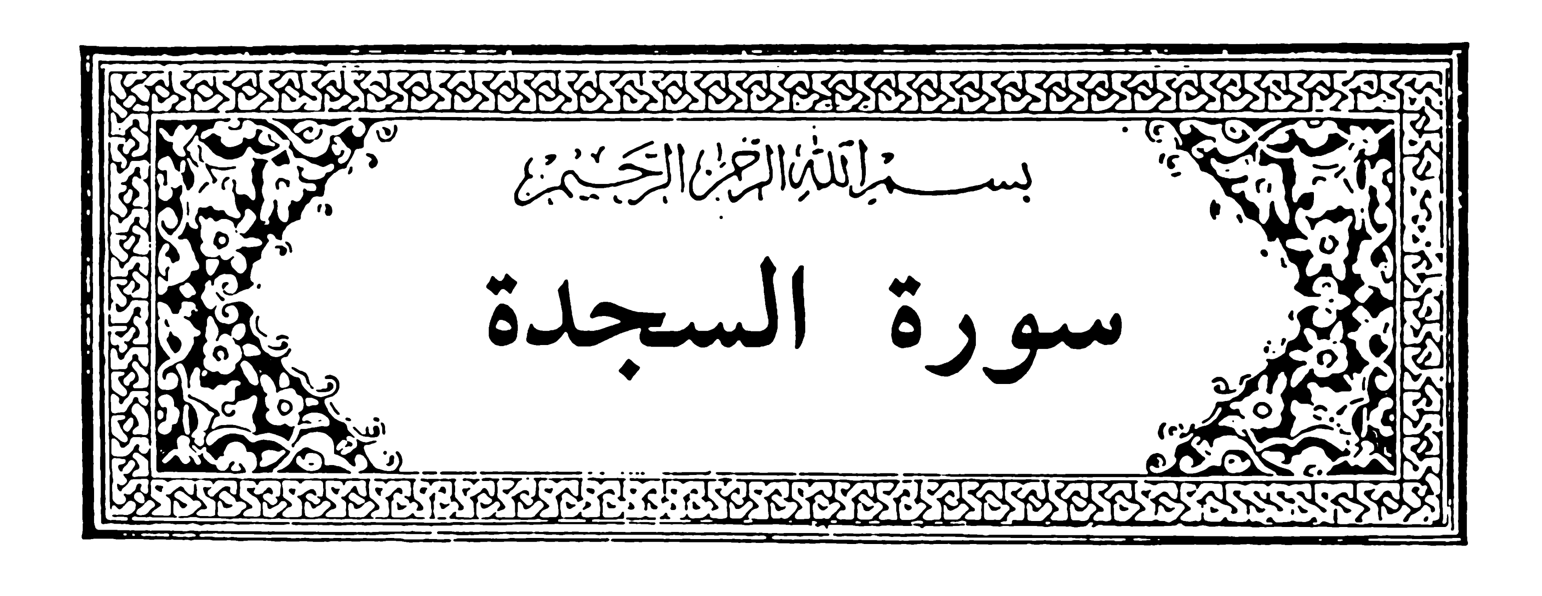
﴿إن الله عليم﴾ بهذه الأشياء وغيرها .

﴿خبير﴾ بها يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وقيل عليم بخلقه خبير بأعمالهم وانما جعل العلم لنفسه والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فالانسان يجتهد في الحيلة غاية الاجتهاد ولا يعرف ما هو اليق به من كسبه وعاقبته فكيف يغيره .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فمن ادعى انه يعلم شيئا من هذه فقد كفر بالقرآن لانه خالفه وكذا قال ابن عمر لكن لم يذكر اشراك من ادعا علم شيء منها وهو قائل بإشراكه لكن لم يصرح به وفي رواية عنه مفاتيح الغيب خمسة (أن الله عنده) الخ السورة وكم نفس تقول لا ابرح حتى اموت في هذه الأرض وترامت به الاقدار ومات في غيرها مما لم يخطر ببالها الموت فيه كما روي : ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا ؟ قال : ملك الموت فقال : كأنه يريدني وسأل سليمان ان يحمله على الريح الى الهند ففعل وقال ملك الموت أدمت اليه النظر تعجبا منه لأني أمرت بقبضه في الهند وهو عندك . وعن ابن عباس اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك واهله في النار .

وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا اخرج يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فتأولها بعض العلماء له

بخمس سنين وبعض بخمسة اشهر وبعض بغير ذلك وتأولها أبوحنيفة وهو اصوب هؤلاء بأن مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله وانما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه اللهم ببركة النبي محمد ﷺ وبركة السورة أخز النصارى وأهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة السجدة

وتسمى المضاجع والم السجدة وهي مكية قال ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء إلا ﴿أفمن كان مؤمنا﴾ الآيات الثلاث وزاد غيرهما ﴿تتجافى جنوبهم﴾ الآية ويدل له ما روي عن بلال كنا نجلس في المجلس وناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت .

وقيل السورة كلها مكية وآيها ثلاثون وقيل تسع وعشرون وكلمها ثلاثمائة وثمانون وحروفها الف وخمسمائة وثمانية عشر قال رسول الله ﷺ : «من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر» ، وقال ﷺ : «من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام» . وقال ﷺ : «تجيىء الم السجدة يوم القيامة لها جناحان تظل صاحبها تقول لا سبيل عليك لا سبيل عليك» . وعن جابر بن عبدالله كان رسول الله ﷺ يقرأ في كل ليلة قبل ان ينام الم السجدة وتبارك الذي بيده الملك ويدعو بعد ذلك بسبعة اسماء يا حي يا قيوم يا دائم يا فرد يا واحد يا احد يا صمد . وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يقرأ في فجر الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل أتى على الانسان .

وعن طاووس : الم السجدة وتبارك الملك تفضلان على كل سورة في القرآن بسبعين حسنة .

وقالوا : الذي أحسن كل شيء الى تشكرون لتربية المولود يكتب في

جام زجاج وتمحى بماء المطر ويخلط نصف الماء بطعامه الذي يطعمه والنصف الآخر يترك في قارورة ويسقى منه ويمسح وجهه منه بكرة مدة سبعة ايام فانك ترى ما يسرك في الخلق والخلق وهذا يكون بعد تسعين يوما من مولده .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم﴾ ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره .

﴿تنزيل الكتاب﴾ او خبر لمحذوف واذا جعل خبر لمحذوف فتنزيل مبتدأ خبره .

﴿لا ريب فيه﴾ او خبره .

﴿من رب العالمين﴾ ولا ريب ففيه او اعتراض او حال من الكتاب او خبره لا ريب فيه ومن رب العالمين خبر ثان او حال من ضمير الاستقرار في فيه وان جعل الم تعديد للحروف فتنزيل مبتدأ خبره ما ذكر او خبر لمحذوف وتنزيل مصدر باق على معناه الا اذا جعل خبر لمحذوف او لقوله الم فبمعنى منزل ولا يجوز تعليق من رب العالمين بتنزيل ولا ريب فيه خبر تنزيل لان تنزيل مصدر والمصدر لا يخبر عنه قبل تمام معموله كما لا يخبر عن الموصول قبل صلته ويجوز تعليقه به اذا جعل تنزيل خبر لمحذوف او خبر لقوله الم وجملة لا ريب فيه معترضة او حال والريب الشك وهاء فيه عائدة للكتاب اي لا ريب في ثبوت الكتاب وكونه حقا او بمضمون الجملة اي لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين .

واذا جعل ﴿لا ريب فيه﴾ خبرا لتنزيل فالهاء لتنزيل ويدل لكونه تنزيل مبتدأ خبره من رب العالمين أو خبره لا ريب فيه ومن رب خبر ثان قوله . .

﴿أم يقولون افتراه﴾ وقوله :

﴿بل هو الحق من ربك﴾ لأن قولهم هذا مفترى انكار لأن يكون من رب العالمين وقوله ﴿بل هو الحق من ربك﴾ تقرير لكونه من رب العالمين

وام منقطعة بمعنى بل وهمزة الانكار للتعجيب لظهور امر القرآن في عجز بلغاءهم عن ان يأتوا بثلاث آيات منه واضرب عن الانكار والتعجيب الى اثبات انه الحق اضرابا انتقاليا ونظير ذلك ان يعلل العالم ممثلة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها انواع الاحتراز ثم يعترض عليه احد فيها او يقدر هو اعتراضا على نفسه فيجيب بتلخيص ثم يعود الى تقرير كلامه كقول متكلمي علماء الأباضية رحمهم الله الاعتقاد اول الواجبات على الاطلاق والاقرار اول الافعال الواجبة ثم يعترض عليهم من يزعم ان النظر أول الأفعال الواجبة او يقدر اعتراضه ثم يجيب .

وقولهم افتراه اما تعنت مع علمهم انه من الله واما جهل منهم اذا لم يتأملوا اذ سمعوا غيرهم يقول ذلك وبين المقصود من تنزيله بقوله ﴿لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ اذ كانوا اهل فترة بينك وبين عيسى واهل الفترة معذورون في الفروع لا في التوحيد لان دلالة العقل الموصلة اليه معهم في كل زمان هذا مذهبنا وايضا ارسال الرسل حجة في التوحيد على الناس كافة وما ذكرته من انهم لم يأتهم نذير بعد عيسى وقبل النبي محمد ﷺ عليهما وان ذلك هو المراد بالآية قول ابن عباس ومقاتل .

وقيل المراد ان العرب علمت بابراهيم وبنيه وبدعوتهم ولم يأتهم نذير مباشر لهم سوى سيدنا محمد ﷺ وزعم من زعم ان بين النبي محمد والنبي عيسى عليهم الصلاة والسلام نبيا .

﴿لعلهم يهتدون﴾ بانذارك ولعل للترجي بالنسبة الى سيدنا محمد ﷺ او للتعليل .

﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ في مقدار

ستة ايام من ايام الدنيا وقيل في ستة ايام من ايام الآخرة واليوم الواحد الف سنة وعن بعضهم آخر السنة الجمعة واولها الاحد .

﴿ثم استوى على العرش﴾ ملك العرش وذلك كناية عن كونه مالكا لمخلوقاته كلها والعرش لغة سرير الملك .

﴿مالكم من دونه من ولي ولا شفيع﴾ الخطاب لكفار مكة اذا جاوزتم رضى الله عذبكم عذابا دائما ولن تجدوا من يمنعكم من عذابه ومن يشفع لكم حتى لا يعذبكم او المعنى ان الذي يمنع الضر ويرزق النفع والنصر هو الله واذا خذلكم فلا ناصر وشافع يجوز ان يراد بالناصر المنجي من العذاب او الضر بعد الوقوع فيه وبالشفيع المنجي من الايقاع في العذاب ويجوز العكس ويجوز ان يراد بهما معنى واحد وهو مطلق المنع من العذاب او الضر مطلقا سواء بعد الوقوع فيه او قبله .

﴿أفلا تتذكرون﴾ بهذه المواعظ فتؤمنوا .

﴿يدبر الأمر﴾ ينزل الوحي .

﴿من السماء الى الأرض﴾ مع جبريل .

﴿ثم يعرج﴾ اي جبريل ويدل له ذكر تدبير الأمر بمعنى انزال الوحي .

﴿إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ من سنينكم وايامكم في يوم تنازع فيه يدبر بمعنى ينزل ويعرج بمعنى يصعد فالمعنى ان الانزال والعروج في يوم من ايامكم هذه وحقه الف سنة خمسمائة نزول وخمس مائة عروج فاذا فعل فيه ما حقه ان يفعل في الف سنة فكأنه الف سنة هذا بعض ما ظهر لي ثم رأيته قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقالوا لان ما بين السماء والأرض خمس مائة عام وهذا التعليل انما يصح في وحي

ينزل مما ردت سماء الدنيا لا منها فان غلظ السماء ايضا خمس مائة سنة الا ان كانوا لا يقولون بهذا الغلظ او يقولون ان قوله (في يوم كان) الخ راجع الى العروج فقط او الى النزول فقط ويقدر للآخر مثله فخمسة آلاف في غلظ السماء وخمسة فيما بينهما وبين الأرض والفرق بين هذا وبين وجه التنازع ان العروج والنزول معا في يوم واحد على وجه التنازع وفي هذا انهما في يومين وقيل ضمير يعرج للأمر اي يعرج اليه الوحي اي حال الوحي من قبول ورد ومعنى العروج الى الله العروج الى مجال الوحي والعظمة الا فهو في كل مكان ويجوز ان يكون المراد بألف سنة استطالة الزمان الذي بين النزول والصعود لا حقيقة الالف وان قلت اذا جعلنا الالف على التحقيق تبادر انه يكون النزول والصعود في اليوم كله مع ان الواقع انه يكون في اقل واكثر ايضا وقد يكون قدر طرفة عين وقد ساعة قلت اما ان يكون المراد في يوم اقل واكثر واما ان يكون المراد ان ذلك يقع في اليوم اي في بعض منه كما تقول اكلت اليوم ولم ترد انك استغرقت اليوم في الاكل وان صح وقوع ذلك في بعض منه فوقوعه في اليوم او اكثر اولا وبالصحة واما ان يريد ان ذلك يقع في يوم مطلقا في كله او بعضه فصحت وقوعه في اكثر اولى .

وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان كألف سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه الامر كله في يوم مقداره الف سنة وهو يوم القيامة وكونه الف سنة استطالة بدليل الاستطالة في آية اخرى بخمسين الف سنة ولولا ان المراد الاستطالة لشدة هوله لتنافي الكلامان او اراد انه كألف سنة على بعض

الكفار وكخمسين الف سنة على بعض وكأقل او اكثر على بعض ويكون على المؤمن قدر صلاة يصليها في الدنيا مكتوبة كما في الحديث وقيل قدر ما بين الظهر والعصر وقيل الأمر بمعنى المأمور به وهو الطاعة ينزله ولا يعرج اليه هذا المأمور به خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخالصة ويدل له قوله (قليلا ما تشكرون) والالف استطالة على هذا القول او تحقيق .

وقيل آية خمسين الف سنة هي فيما بين السماء والأرض وسدرة المنتهى التي هي أمام جبرائيل عليه السلام ودخل ابن ابي مليكة وعبدالله بن فيروز مولى عثمان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن قوله تعالى (الف سنة) وقوله (خمسين الف سنة) فقال ايام سماها الله لا ادري ما هي واكره ان اقول في كتاب الله مالا اعلم وقرأ ابن ابي عبلة ببناء يعرج للمفعول وقرأ (يعدون) بالتحتية .

﴿ذلك﴾ الخالق المدبر .

﴿عالم الغيب﴾ ما غاب عن الخلق .

﴿والشهادة﴾ ما حضرفهو مدبر لأمورهما على وفق الحكمة .

﴿العزيز﴾ الغالب المنتقم من اعدائه .

﴿الرحيم﴾ بأهل طاعته في الآخرة او بالناس كلهم في الدنيا لانه سبحانه اعطى كل احد مصالحه ومنافعه تفضلا واحسانا .

﴿الذي أحسن كل شيء﴾ وقوله ﴿خلقه﴾ نعت لشيء او لكل وهو فعل ماض وفاعله مستتر وقرأ ابن كثير وابن عامر وابوعمرو (خلقه) باسكان اللام فهو اسم لا فعل وهو بدل اشتمال من كل ومعنى احسانه كل شيء تحسينه بان وفر له ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة

والمصلحة من بهاء وجمال وصحة وتسوية اعضاء ومن حواس وتمييز والهام لما يحتاجونه وغير ذلك فجميع مخلوقاته حسنة وان تفاضلت في الحسن فالاحسان والتحسين الاتقان على صفة لو لم تكن لكان الخلل فهو شامل للبهاء وغيره .

وقيل معنى احسانه كل شيء علمه كيف يخلقه والقولان يضمان على كل من القرائتين .

وقيل الاحسان في القراءة الأولى عائد الى غير خلقة الانسان وبدنه وعلى الثانية عائد الى خلقته وبدنه وقيل الاحسان هنا بمعنى الالهام الهمهم ما يحتاجون والظاهر ان هذا يصح على الأولى .

وقيل الاحسان خلق كل على غير صورة اخرى .

﴿وبدأ خلق الانسان﴾ آدم عليه السلام .

﴿من طين ثم جعل نسله﴾ ذريته وسماها نسلا لانها تنسل منه أي تنفصل والنسل ايضا الفصل ومنه السليل للولد .

﴿من سلالة﴾ من علقة .

﴿من ماء مهين﴾ ضعيف وهو النطفة وزعم بعض ان السلالة هي النطفة فمن ماء مهين بدل من السلالة وقدم ذلك في قد أفلح .

﴿ثم سواه﴾ قوّم آدم لتصوير أعضائه على ما ينبغي .

﴿ونفخ﴾ ادخل .

﴿فيه من روحه﴾ من روح الله من اضافة الملك الى المالك اي من الروح الذي هو ملك الله وفي ذلك تشريف للروح بتلك الاضافة واشعار بانها خلق عجيب لا يعلم غايته الا هو وبادخال الروح فيه صار حيوانا حساسا بعد إن كان جمادا روي : أن من عرف نفسه أي عرف

ان له صانعا عرف ربه أي وحده .

﴿وجعل لكم السمع﴾ أي الاسماع .

﴿والأبصار والأفئدة﴾ أي القلوب والخطاب للذرية وزعم بعض انه وحد السمع لأن الانسان يسمع الكلام من اي جهة .

﴿قليلا﴾ شكرا قليلا وزمان قليلا .

﴿ما﴾ صلة لتأكيد الغفلة والقلة اي بمعنى النفي ولا شكر لمشرك أو هي ضد الكثرة نظرا الى الموحدين فأكثر أحوال الموحدين عدم الشكر .

﴿تشكرون﴾ الله أو تشكرون نعمة ويجوز ان يريد بالانسان الجنس وخلقهم طين بواسطة خلق آدم منه ولا ينافي ذلك تعبيره بثم واضافة النسل لضمير الانسان فان مادة النطفة مسبوقة بخلق اصلهم من طين ويكون في الكلام التفات من الغيبة الى الخطاب .

﴿وقالوا﴾ أي منكروا البعث .

﴿أئذا﴾ وقرأ ابن عامر (إذا) بهمزة واحدة على ترك الاستفهام .

﴿ضللنا في الارض﴾ وقريء ضللنا بكسر اللام وهو قراءة علي وابن عباس وذلك لغتان بمعنى اي سرنا ترابا مخلوطا بالارض لا نتميز منها كما يضل الماء في اللبن وغبنا في الارض بالدفن فيها وقرأ الحسن صللنا بصاد مهملة وكسر اللام وقريء بفتحها من صل للحم اذا اتسن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الأرض واذا متعلق بمحذوف دل عليه جوابها أي نبعث او نخلق او نجدد حذف وناب عنه جوابها الذي ذكرت وهو ﴿ءانا لفي خلق جديد﴾ وجوابها في الاصل هو ذلك المحذوف وناب عنه هذا ويجوز تعليقه بمجموع (ءانا لفي خلق جديد) لتضمنه معنى نبعث ونخلق ونجدد وانما لم يعلق باستقرار خبر ان لان ان لها الصدر وصرح

بعض المتأخرين بانه لا صدر لها اذا كانت في جواب شرط ظرفي او جواب اما وقرأ غير نافع وغير الكسائي ويعقوب (ءانا) بهمزة الاستفهام بتحقيقها مع همزة ان وبتسهيل همزة ان وبادخال الف بينهما على الوجهين وكذا في ائذا في هذه الاوجه والاستفهام في الموضعين انكار وتعجب وقائل ذلك ابي بن خلف لعنه الله ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا .

﴿بل هم بلقاء ربهم﴾ بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده .

﴿كافرون﴾وكفرهم بلقاء ربهم بواسطة البعث او تلقى ملك الموت اعظم من كفرهم بنفس البعث ولذلك اضرب الى ما هو اعظم .

﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾ وهو عزرائيل عليه السلام اي يستوفي نفس كل احد وهي الروح او لا يبقي احدكم ووزن يتوفى يتفعل وهو هنا للمبالغة كأنه قيل يقبض نفس كل احد كلها لا يبقي بعضها ولا بعضكم .

وعن مجاهد جعلت الارض لملك الموت كالطست يتناول من حيث يشاء وعن قتادة يتوفى ملك الموت ومعه أعوان من الملائكة وقيل ملائكة عذاب وملائكة رحمة يدعو ملك الموت الروح فتجيبه ثم يأمر اعلانه بقبضها .

وروي ان الدنيا جعلت له كالطست يلتقط الارواح كما يلتقط الطائر الحب .

﴿الذي وكّل بكم﴾ لا شغل له إلا ذلك اذا جاء اجل احد لا يتأخر كما لا يتقدم وعن ابن عباس خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب .

وروي : أن ملك الموت على معراج بين السماء والارض فينزع اعوانه روح الانسان فاذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت .

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب يتصفح كل احد في كل يوم مرتين فاذا رأى احدا قد انقضي اجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له : الآن تنزل بك سكرات الموت .

﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾أحياء فيجازيكم بأعمالكم .

﴿ولو ترى إذ المجرمون﴾المشركون والخطاب لمن تأتي منه الروية او لرسول الله ﷺ ونكتة الاول ان حالهم تناهت في الظهور لاهل المحشر الى حيث يمتنع خفاءما فلا تختصر بها رؤية رأى دون رأي ولا حبة ولو للتمني بالنسبة الى رسول الله ﷺ لانه قد تجرع الغصص من اعدائه المجرمين فقال له تمن ان تراهم على الصفة الفظيعة من خزي وغم المشار الى بعضها بقوله :

﴿ناكسو رؤوسهم﴾ أو ليتك ترى الآن ويجوز ان تكون لو شرطية وجوابها محذوف اي لرأيت امرا فظيعا او اسوء حال ولو الشرطية واذ للمضي وعبر بهما هنا لان المترقب من الله بمنزلة الموجود ولا مفعول لرأيت لان المراد ولو تكون منك الرؤية ونكس الرؤوس توجيهها الى الارض حياء من الله وندما على ما فعلوه .

﴿عند ربهم﴾وقوله﴿ربنا أبصرنا وسمعنا﴾الخ مفعول لقول محذوف وذلك القول حال اي قائلين او يقولون او هو خبر ثان أي ناكسون قائلون ومفعول ابصر محذوف أي أبصرنا ما وعدتنا بما كنا به مكذبين من البعث وغيره وابصرنا صحة ما قلت وما وعدت من خير وشر وسمعنا من تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه او ابصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فينا او كنا عميا وصما فانا الآن مبصرون وسامعون ﴿فارجعنا﴾الى الدنيا .

﴿نعمل صالحا﴾ فيها .

﴿إنا موقنون﴾ الآن إذ لم يبق لنا شك بما شهدنا يقولون ذلك كله فلا يغاثون .

﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ أي لو شئنا لقسمنا الهدى على الناس كلهم فيكون لكل احد حظه منه فيهتدي للايمان والطاعة باختيار منه وتوفيق من الله .

أو لو شئنا لادخلنا الناس كلهم في الايمان والطاعة بالجبر .

﴿ولكن حق القول مني﴾ ثبت قضائي وسبق وعيدي .

﴿لأملأن جهنم من الجنة﴾الجن .

﴿والناس أجمعين﴾فاذا سبق قضاؤه بهذا فقد بان منه كما بان من التعبير بلو ان من خلقه من هو للنار ولا بد وانه هو الذي لا يؤمن والذي ينافق فالاية تصريح بعدم الهدى وهذا العدم مسبب عن القضاء عليهم بالنار ولا يدفع لهذا قوله :

﴿فذوقوا﴾ بقاء السبب لانا نقول ليست فاء السبب بل لمجرد الاستئناف سلمنا انها للسببية لكن لم نسلم الدفع فانه ولو جعلنا الذوق ونسيان يوم القيامة وعدم تفكرهم فيه لكان النسيان من الاسباب والوسائط المقتضية له فان الانهماك في الشهوات ألهاهم عن تذكر العاقبة ومفعول الذوق محذوف اي النار والعذاب وهو المذكور بعد لو ما انتم فيه من النكس والغم ويقدر القول اي فتقول لهم الخزنة فذوقوا .

﴿بما﴾ ما مصدرية .

﴿نسيتم﴾ تركتم تركا مثل ترك الناسي قاله ابن عباس وغيره والباء سببية .

﴿لقاء يومكم هذا﴾ لم تؤمنوا به ولم تستعدوا له .

﴿إنا نسيناكم﴾ تركناكم من الرحمة او تركناكم في العذاب فلا تطمعوا او جازيناكم على نسيانكم لقاء اليوم فسمي الجزاء باسم سببه وهو النسيان مع ما في ذلك من المقابلة قابل النسيان بالنسيان وهذه الجملة مستأنفة للتأكيد بان والاسمية تشديدا في الانتقام منهم .

﴿وذوقوا عذاب الخلد﴾عذاب الدوام .

﴿بما كنتم تعملون﴾كرر الأمر بالذوق للتأكيد وليصرح بالمذوق وهو العذاب الدائم وليشعر ان موجبه هو اعمالهم من تكذيب ومعاض كما اشعر اولا ان موجبه نسيان اليوم وليدل أنه يوجبه الاعمال الفاسدة كما يوجبه النسيان وما موصول حرفي او اسمي .

﴿إنما يؤمن بآياتنا﴾القرآن .

﴿الذين إذا ذكروا بها﴾ذكرهم : ربي او وعظوا .

﴿خروا سجدا﴾ أي اسرعوا السجود كأنهم خروا اي وقعوا او سقطوا على وجوههم تواضعا وخشوعا وشكرا لنعمة الاسلام وخوفا من النار وسجدا لجمع ساجد حال مقدرة ان فسر السجود بوضع الوجه في الارض ومقارنة ان فسر بالانحناء الموصول لذلك الوضع كذا ظهر لي .

﴿وسبحوا﴾ قالوا في سجودهم سبحان الله ملتبسين .

﴿بحمد ربهم﴾ أي قائلين الحمد لله فبحمد متعلق بمحذوف حال مقدرة تقديرها ملتبسين كما رأيت وحمده هو قولهم الحمد لله وان فسرت الحمد بالطاعة او الشكر صح ان تكون مقارنة او محكية او مقدرة على انهم في عبادة مقدرون وناوون عبادة اخرى ولك ان تفسر الاية بقولك : يقولون سبحان الله وبحمده فالحال مقدرة ولك ان تجعلها على هذا

مقارنة وكذا على الاول تنزيلا عما هو عقب التسبيح من الحمد متصلا منزلة المقارن على انه لا مانع من تقسم الحال المقارنة الى مصاحبة لمعنى العامل في وقت واحد والى متصلة به وان جعلت التسبيح تنزيها قلبيا صح ان تكون الحال مقارنة ولو جعلنا الحمد لفظيا لا بمعنى الشكر او الطاعة وفي ذلك كلام في مثل هذا المقام .

وقيل المعنى ضلوا بأمر ربهم .

﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن الايمان والطاعة كما فعل من يصر مستكبرا كأن لم يسمعها قال ابن عمر : كان رسول ﷺ يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى لا يجد احدنا مكانا لموضع جبهته في غير وقت الصلاة وروى البخاري ومسلم من قومنا قوله : في غير وقت الصلاة اراد به في غير وقت الصلاة المفروضة ولكن في وقت تحل فيه الصلاة او اراد في وقت لا تجوز فيه الصلاة لان السجدة كالدعاء وغيره ما ليس صلاة والمشهور ان سجود القرآن نفعنا الله به يختص بوقت يجوز فيه الصلاة .

وعن ابي هريرة قال رسول الله ﷺ : «اذا قرأ القرآن ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلتي امر ابن ادم بالسجود فسجد وله الجنة وامرت بالسجود فأبيت فلي النار» .

﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ التجافي التباعد تتباعد جنوبهم عن المضاجع اي تتركها اي لا ينامون الا قليلا والجنوب جمع جنب وهو الايمن من كل انسان فان المؤمن ينام على جنبه الايمن والانبياء على ظهورهم والشياطين على وجوههم وبطونهم وقال الزجاج وغيره : التجافي التنحي الى فوق قال عياض وهو قول حسن والمضاجع جمع

مضجع اسم مكان الاضطجاع والنوم والاية في سهر الليل كما قال الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي يسهره المؤمنون بالصلاة النفلية وهو مذهب الجمهور ورجحه الزجاج لان فيه اخفاء العمل وعن ابي هريرة ان عبدالله بن رواحة رضي الله عنه قال .

وفينا رسول الله يتلوا كتابه اذا انشق معروف من الفجر ساطع
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات ان ما قال واقع
* يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع *

وقال معاذ بن جبل : يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ؟ قال : «لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسر الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ـ ثم قال ـ ألا ادلك على ابواب الخير؟ الصوم جنة والصدقة تطفىء الخشية كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا ﴿تتجافى جنوبهم ـ الى ـ يعملون﴾ ثم قال : ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه ؟ الجهاد ـ ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه قال : كف عليك هذا» . قلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم أو قال : على مناخرهم» وذلك في سفرة سافرها معاذ رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ قال : اصبحت قريبا منه وهو يسير . فقلت له : يا رسول الله اخبرني بعمل والى اخر ما مر .

وقد قيل : ان ذلك في غزوة تبوك زمان الحر وقد اشار الشيخ هود رحمه الله في هذا الحديث .

وعن ابي امامة الباهلي قال رسول الله ﷺ عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين من قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير للسيئات ومنهاة عن الآثام ومطردة للداء عن الجسد .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عجب ربنا من رجلين أي رضي فعلهما رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين اهله الى صلاته فيقول الله عز وجل لملائكته : (انظروا الى عبدي ثار عن فراشه ووطائه وأهله الى صلاته رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع اصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وماله في الرجوع فرجع حتى اريق دمه فيقول الله تعالى لملائكته : انظروا الى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى اريق دمه .

وعن ابي هريرة عن الرسول الله ﷺ : «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» وكان ﷺ يقوم الليل حتى تتورم قدماه فقالت عائشة رضي الله عنها : لم تصنع هذا يا رسول الله فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال : «أفلا أكون عبدا شكورا .

وعن علي عن رسول الله ﷺ : «ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها اعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام» ذكر بعض ذلك الثعالبي وغيره ورأيت الخازن ذكر الكل وهكذا كثيرا ما أنقل كلاما من محله من الكتب فأجد الخازن نقله وربما ظان اني نقلت منه وليس كذلك .

وقال ابن مسعود : التوراة مكتوب على الله (للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)

وقال ﷺ : «اذا جمع الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اليوم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم ينادي ليقم الذين يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس .

وقال انس بن مالك : كان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء فنزل منه ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ ذكره الشيخ هود وفي رواية قال انس : نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي مع رسول الله ﷺ .

وممن قال المراد صلاة ما بينهما وهي صلاة الأوابين ابو حازم ومحمد بن المنكندر .

وعن ابن عباس : ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وانها صلاة الأوابين .

وعن انس : نزلت في انتظار العشاء .

وعن عطاء : نزلت في الذين ينامون حتى يصلون العشاء في جماعة ثم ينامون ويصلون الفجر في الجماعة .

وعن رسول الله ﷺ : «من صلى العشاء والفجر في جماعة فكأنما صلى الليل كله» .

وعنه ﷺ : «لو يعلمون ما في العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا» .

﴿يدعون﴾ حال او مستأنف وكذا تتجافى جنوبهم وقال ابو البقاء هذا حال ويدعون حال او مستأنف .

﴿ربهم خوفا وطمعا﴾ من سخطه او طمعا في رضائه .

وعن ابن عباس : خوفا من النار وطمعا في الجنة والنصب على التعليل أي لأجل الخوف والطمع أو الحالية اي خائفين وطامعين او ذي خوف وطمع او هم نفس الخوف والطمع مبالغة او مفعول مطلق ليدعون مضمنا معنى الخوف والطمع أو المحذوف وذلك المحذوف حال اي يخافون او خائفين خوفا ويطمعون او طامعين طمعا .

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ عام في النفقة الواجبة والتطوع وقيل المراد الزكاة .

﴿فلا تعلم نفس﴾ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا احد ما .

﴿ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ مما تقر به عيونهم واصل القرة البرد قرة عينه اي بردت ليس فيها دمعة حزن ودمعة الحزن حارة فصار يطلق على الفرح وعلى ما به الفرح والاية تحتملها فان الفرح يستلزم ما به الفرح وعن رسول الله ﷺ : عن الله سبحانه وتعالى : «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه» اي غير ما اطلعتم عليه او دعوا ما اطلعتم عليه اي ليس كالاشياء التي اطلعكم الله عليها (اقرؤا ان شئتم «فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين») وفي رواية (دخرا من بله) وفي رواية (دخرا بله) وبسطت الكلام على بله في النحو .

وفاعل اخفي الله حذف لفظه وناب عنه المفعول وهو ضمير ما وقرأ حمزة (ما أخفي) باسكان الباء اما تخفيفا واجراء للوصل مجرى الوقف واما على انه مضارع مبدوء وبهمزة التكلم وكذلك قرأ يعقوب ومن حصر تلك القراءة على حمزة كابي عمرو الداني فانما اراد والله اعلم انه لم يقرأ

من السبعة غيره بها ويعقوب من العشرة لا من السبعة وقرىء (ما اخفي) علي البناء للفاعل والماضوية وضميره لله وقري (نخفي) بنون التكلم وقرىء (اخفيت) وقرىء (من قرات اعين) بجمع قرة لاختلاف أنواعها واما اسم موصول مفعول لتعلم بمعنى تعرف والجملة بعدها صلة أو اسم استفهام مبتدأ والجملة خبر والمجموع مفعول تعلم معلق عنها بالاستفهام .

﴿جزاء﴾ حال فانهم ولو لم يصلوا ذلك اليوم لكنه مكنوز لهم ثوابا وجزاء او مفعول مطلق اي جوزوا أو يجازون به جزاء وهو اسم مصدر بمعنى المجازاة او اطلق على اسم العين وهو ما يجازون به او مفعول لاجله أي اخفي لهم للجزاء فان اخفاءه لعلو شأنه ولكونهم اخفوا عملهم اذ عملوها ليلا .

﴿بما كانوا يعملون﴾ هذا قطع لتمني المتمنين اد قال ان لهم ذلك لعملهم قال رسول الله ﷺ : «يقول الله سبحانه لأهل الجنة : ادخلوا الجنة برحمتي واقسموها بأعمالكم» وقال : «من اتقى ربه يعطى على باب الجنة ما كاد فؤاده ينفطر به لشدة الفرح لولا ان الله سبحانه يبعث ملكا فيشد فؤاده .

والباء متعلق بجزاء او باخفى او بمحذوف خبر المحذوف .

﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون﴾ المؤمن الموحد الموفي بما اقر به والفاسق المشرك والموحد الخائن فيما أقر به والله سبحانه وتعالى استفهم استفهاما انكاريا نفيا لان يكون هذا كذاك ثم استأنف جملة اخرى لنفي الاستواء تأكيدا وفي كان مراعاة لفظ (من) وفي (لا يستوون) مراعاة معناها كذلك ظهر لي والحمد لله ثم رأيته منصوصا عليه في كتب

المذهب وغيره معنى واعرابا والاية في عامة المؤمن والفاسق وقال بعض قومنا : نزلت في علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بينهما تنازع وكلام في شيء يوم بدر فقال الوليد لعليّ : اسكت فانك صبي وأنا شيخ والله اني أبسط منك لسانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة . فقال له علي : اسكت فانك فاسق .

وعن ابن الحسن انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا . ولا صحة عندنا لذلك فان صح فقد ثبت في شذوذ المذهب ان عليا قد تاب مما فعل بالصحابة لكن المشهور المأخوذ به انه غير تائب فانه ولو روي انه ندم لكن ليس كل ندم توبة فان بعض الندم غير توبة فانه لم يصرح بخطأ ولم تشهر عنه الانابة عن ذلك والتوجع منه ولو فعل ذلك لكفاه عند كثير عن القود والدية اذ فعل ذلك باجتهاد وان فعله تشهيا فلا يكيفه ذلك عنهما والامام يؤخذ بما فعلت الرعية بأمره .

﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى﴾ اجنة المأوى والمأوى المرجع والمسكن وهن نوع من الجنات سمين بذلك لانهن تأوي اليهن أرواح الشهداء .

قيل : وهن عن يمين العرش والواضح ان الجنة كلها عن يمينه ويجوز ان يراد بجنات المأوى مطلق الجنة الآخرة فإنها المسكن الحقيقي واما الدنيا فمرتحل عنها لا محالة والجنة مطلقا يأوي اليها المؤمنون وقرىء (جنة المأوى) بالافراد .

﴿نزلا﴾ أي عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم يطلق عاما فيحتمل هنا المعنى الاول ويحتمل الثاني العام ويجوز ان يراد انهم يعطون

جنات المأوى عطاء مثل ما يعطى الضيف النازل ويهيأ له ولهم سوى تلك الجنات مما تعد اليه جنات المأوى مثل ما يعطي الضيف في القلة وهو حال من ضمير الاستقرار ومفعول مطلق بمحذوف اي يغطونها نزلا أي عطاء .

﴿بما كانوا يعملون﴾ متعلق بذلك الاستقرار ونزلا بمعنى عطاء او بمحذوف نعت لنزلا بمعنى الشيء المعطى والباء ان للتعليل والسببية قيل او بمعنى على .

﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار﴾ مكان جنات المأوى للمؤمنين فيجوز ان يكون ذلك تهكما مثل فبشرهم بعذاب أليم .

﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾ فهم فيها أبدا اذا تطلعوا ضربوا بمقامع من حديد فهووا الى أسفلها .

﴿وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾ هذه اهانة لهم وزيادة لغيظهم .

﴿ولنذيقنهم﴾ أي الفساق أو كفار قريش .

﴿من العذاب الأدنى﴾ هو عذاب الدنيا من قتل أو أسر أو جوع .

﴿دون العذاب الأكبر﴾ هو عذاب النار .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : العذاب الأدنى مصائب الدنيا واسقامها .

وفي رواية عنه : انه الحدود وقد وقعت بعد ذلك بالمدينة بعد فرض الجهاد والأحكام واكثر من وقعت به المنافقون وهم بالمدينة وقيل هو الجوع بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام سبع سنين .

وقال ابن مسعود : هو القتل بالسيف يوم بدر قيل وغيره من الايام .

﴿لعلهم﴾ أي لعل باقيهم ممن باشر البلاء أو من غيرهم أو نسلهم .
﴿يرجعون﴾ الى الايمان أو الطاعة ولعلهم بانفسهم يطلبون الرجوع ويريدونه بان يقولوا أزل عنا هذا البلاء نؤمن كما يقولون من الآخرة ﴿فارجعنا نعمل صالحا﴾ وسمي طلب الرجوع وارادته رجوعا كما سمي أداة القيام للصلاة وطلبه قياما في ﴿اذا قمتم إلى الصلاة﴾ ويدل لذلك قراءة بعضهم (يرجعون) بالبناء للمفعول ولعل للترجي بالنسبة الى غير الله سبحانه أو هي لارادة الله بمعنى حب الشيء وأمره به فانه سبحانه وتعالى خلق الطاعة وأحبها وأحب فاعلها وأمر بها من تكون منه ومن لا تكون منه وقد علم انها لا تكون منه وانه لا يقدر عليها وانه تاركها باختياره وليس ذلك بقادح في قدرة الله وانما يقدح لو قضي على أحد بأن تكون منه ولم تكن وأما الآن فقضي أن لا تكون .
﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه﴾ القرآن ودليل وحدانيته مطلقا .
﴿ثم أعرض عنها﴾ اللهم لا احد اظلم منه والاعراض عنها عبارة عن ترك الايمان بها وعدم التذكر فيها والتعبير بالاعراض مبالغة وان قلت الاعراض متصل بالتذكير فكيف عبر بثم الدالة على الانفصال قلت اما ان تكون بمعنى الواو او الفاء واما ان تكون للاتصال على ان المعنى انه يذكر بها ويذهب متحيرا غير جازم حتى تستحكم فيه الوساويس ويتوغل في الاعراض حينئذ او على معنى ان الاعراض عنها مع وضوحها وارشادها الى كل سعادة وفوز عن كل شقاوة وخسارة مستبعد في العقل كما تقول لصاحبك وجدت عدوك نائما منفردا ثم لم تقتله استبعاد لتركه قتله عن الصواب ومنه البيت الذي في الحماسة .
فلا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها

استبعد ان يبلغ احد من شدة الجنان بحيث يزور غمرات الموت بعد ان رآها ويتقنها وعرف شدتها .

﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾ اما ان يكون الاصل انا منهم منتقمون فوضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بأن موجب الانتقام الاجرام فيقيهم منه ان كل مجرم منتقم منه واما ان المراد بالمجرمين ذوي الاجرام مطلقا فيكون الكلام مفيدا ان المجرم منتقم منه فكيف بأظلم ظالم فله من الانتقام الحض الأوفر وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : «ثلاث من فعلهن قد أجرم من عقد لواء في غير حق ومن عق والديه ومن نصر ظالما» ، وعن بعضهم ان المعنى انا منتقمون بالعذاب الاكبر من المشركين .

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوارة .

﴿فلا تك في مرية﴾ شك .

﴿من لقائه﴾ أي من لقاء موسى أي ستلقاه لا محالة وقد رآه ليلة الاسرى والاسراء وقع ببدنه على التحقيق عندي ولا بأس به غير انما يقولونه من انه رأى الله سبحانه بهتان وافك مبين وقيل في المنام وأظنه مشهور المذهب وقد رآه فيها ووصفه انه رجل طويل آدم جعد كأنه رجل من شنوة ورأى عيسى مربوعا الى البياض والحمرة ورأى خازن النار وهذا المذكور ورجوع الضمير لموسى عليه السلام قول الكلبي وقتادة وذكر أنه رآه في السماء السادسة .

وعن انس انه رآه قائما يصلي في قبره عند الكثيف الاحمر فقد رآه في الارض ورآه في السماء في ليلة واحدة وهي ليلة الاسراء رآه في قبره في طريقه الى بيت المقدس وسبقه موسى في السماء ووجه صلاته في قبره مع

انه ميت وانه لا عمل في الآخرة انه يجوز ان يتفضل على الشهداء والأنبياء بزيادة العمل في الآخرة زيادة في الثواب او انه مثل حاله في حياته من الصلاة كما روي انهم يحجون تحقيقا او مثلت للنبي ﷺ حالة حجهم او صلاته ذكر وشكر لا زيادة عمل ولا تكليف كما انهم في الجنة يسبحون ويقولون الحمد لله ويقرءون طه ويس وزعم بعضهم ان عبادتهم في الآخرة اكثر لأنهم صاروا كالملائكة واضافة اللقاء للهاء اضافة مصدر لمفعول وفاعل اللقاء النبي ﷺ وقيل الضمير لموسى وان الاضافة اضافة مصدر لفاعله وحذف المفعول اي من لقاء موسى الكتاب او تلقيه بالرضى والقبول .او الضمير للكتاب اضافة مصدر لمفعول والفاعل موسى ، وقيل الهاء للكتاب على طريق الاستخدام فالكتاب المذكور والتوراة وضمير القرآن اي ليس ايتاء الكتاب اياك بدعا فقد آتينا الكتاب موسى قبلك فلا تشك في كتابك او الهاء لكتاب موسى على تقدير مضاف اي من لقاء مثل ذلك الكتاب .

﴿وجعلناه﴾ اي موسى او الكتاب .

﴿هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم﴾ من بني اسرائيل .

﴿أئمة﴾ بتحقيق الهمزتين والدال الثانية ياء وتسهيلها والأئمة حملة الكتاب وقيل الانبياء وقيل اتباع الانبياء .

﴿يهدون﴾ الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام .

﴿بأمرنا﴾ إياهم به او بتوفيقنا له وقيل بطاعتنا .

﴿لما صبروا﴾ على دينهم وعلى بلاء العدو وغيرهم وعن المعاصي وقرأ حمزة والكسائي ورويس (لما) بكسر اللام وتخفيف الميم فتكون اللام جارة وما مصدرية .

﴿وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ انها منا لأمعانهم النظر .

﴿إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ الفصل تمييز الحق والباطل والمحق والمبطل والاختلاف هو في أمر الدين وذلك على العموم وقيل الانبياء وأممهم وقيل المؤمنون والمشركون والصحيح تخرج الآية على العموم .

﴿أولم يهد﴾ يتبين والفاعل ضمير عائد الى الاهلاك المدلول عليه بما بعده والهمزة مما بعد واو الاستئناف او الواو للعطف على محذوف والهمزة من جملة المحذوف اي أعموا ولم يتبين او اجهلوا ولم يتبين .

﴿لهم﴾ لأهل مكة وجملة .

﴿كم أهلكنا من قبلهم من القرون﴾ مستأنفة ويجوز عند جماعة من الكوفيين كون الجملة فاعلا مطلقا وأجاز الفراء وجماعة منهم ذلك بشرط كونها استفهامية كهذه او معلقا منها بأحد المعلقات وكون المسند اليها قلبيا وفيه ان من ان تكون مجوزة وكيف يعلق الفعل عما هو منه كجزء وأجاز ابن هشام ذلك في الاستفهام لكن على تأويل الجملة بالاسم كاللفظ وتقدير مضاف اي اولم يتبين لهم جواب لفظ كم اهلكنا الخ .

اي جواب هذا اللفظ وكم استفهامية وان جعلناها خبرية فيحمل ان يمنع ما ذكر وان يجوزه لأن كم الخبرية قريبة من الاستفهام فانها ولو لم تحتج لجواب لكن لا مانع من ان يقال اولم يتبين لهم جواب اخبارنا بالاهلاك وجوابه ان يصدقوه اولم يتبين لهم صحة اخبارنا ويجوز ان يكون يهدي بمعنى يبين فيكون متعديا ففاعله ضمير لله سبحانه او لرسوله فيدل لرجوع الضمير لله قراءة الحسن والاشاعة لأبي عبدالرحمن اولم نهد والمفعول جملة (كم أهلكنا) الخ معلقا عنها ولك ان تقول الفاعل جملة

كم اهلكنا الخ على ما مر من قولي الكوفيين والمفعول محذوف .

﴿يمشون﴾ حال من هاء لهم وقريء (يمشون) بالتشديد مبالغة او المتعد به اي يمشون الدواب والعبيد والخدم معهم .

﴿في مساكنهم﴾ اي يمشي اهل مكة في متاجرهم في مساكن القرون الماضية الكافرة المهلكة كعاد وثمود وأجاز الثعالبي كون ويمشون للقرون .

﴿إن في ذلك لآيات﴾ دلالات على قدرتنا .

﴿أفلا يسمعون﴾ سماع تدبر واتعاظ .

﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾ اليابسة التي لا نبات فيها .

وقال ابن عباس : ارض اليمن ، وقال مجاهد : هي ارض تسمى أبين لا تشرب إلا بسيول ولا يكفيها المطر ومثله ، ورواية عن ابن عباس والمشهور الاول والارض التي لا تنبت كالسبخة لا تسمى جرزا .

﴿فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم﴾ كالتبن والورق .

﴿وأنفسهم﴾ كالحب والتمر وقريء (يأكل) بالتحتية .

﴿أفلا يبصرون﴾ فيستدلون به على قدرة الله الكاملة .

﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾ النصر والفضل بالحكومة من قوله (ربنا فتح بيننا) وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح وقيل الفتح القضاء يوم القيامة وقيل فتح مكة وقيل فتح بدر وذلك انهم قالوا ان لنا يوم فتح فكان المشركون يقولون متى هذا الفتح .

﴿إن كنتم صادقين﴾ في الوعد .

﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ فانه لا ينفع الايمان يوم القيامة ولا إيمان من قتل .

﴿ولاهم ينظرون﴾ يمهلون لتوبة او مقدرة وفي الاخبار بانتفاء الامهال عنهم مطابقة لسؤالهم استعجالا عن وقت الفتح .

﴿فأعرض عنهم﴾ قال ابن عباس : نسخت بآية السيف والتحقيق انه لم تنسخ ولكن المعنى لا يبال بتكذيبهم .

﴿وانتظر﴾ موعدي لك بالنصر .

﴿إنهم منتظرون﴾ بك حوادث الزمان كموت وقتل وغلبة عليك وقيل انتظر عذابنا لهم فانهم منتظرون ذلك ، وقرأ ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء اخفاه بأن يكون هلاكهم منتظرا بفتح الظاء او ان الملائكة في السماء تنتظر هلاكهم اللهم بنبيك محمد ﷺ وبالسورة أخز النصارى وأهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفهـــرس

رقم الايداع بوزارة الاعلام
٩١/٩٨

طبع بمطابع دار جريدة عُمان